

الدكتور مشعل عبد العزيز الفلاح

خَلَقَكَ مِنْ عِصْيَانٍ لَّكِن بَدَّلْتَ خَلْقَكَ بِمَعْرِفَةٍ لَّكَ

فِي رِحَابِ الْقُرْآنِ



الجزء الخامس

مِنْ سُورَةِ لُقْمَانَ إِلَى سُورَةِ الْحُجُرَاتِ

دار القضاء
دمشق

دمشق

رَحَّلْتُمْ ذِكْرَهُمْ
فِي رِحَابِ الْقُرْآنِ



أسَّسَهَا:
مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
سنة ١٢٨٧هـ - ١٩٦٧م

دار القلم
دمشق

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

حقوق الطبع محفوظة

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

kalam-sy@hotmail.com

الدار الشامية - بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدة

ص.ب: ٢١٤٦١ هاتف: ٢٨٩٥ فاكس: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤

ISBN: 978-9933-29-328-4



9 789933 293284

رَحَلَتِ رَدِّكَ رَحْمَةً فِي رِحَابِ الْقُرْآنِ

الجزء الخامس

مِنْ سُورَةِ لُقْمَانَ إِلَى سُورَةِ الْحُجُرَاتِ



الدكتور مشعل عبد العزيز لفلاح

دار القلم
دمشق



سُورَةُ لُقْمَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ٢) هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ
هُمْ يُوقِنُونَ ٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
٥) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٦) وَإِذَا
تُنْتَلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَئِن مُّسْتَكْبِرًا كَانُوا لَمَّا يَسْمَعُهَا كَانُوا فِي أُذُنِهِ قُورًا
فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧) إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
جَنَّاتُ النَّعِيمِ ٨) خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
٩) خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَن
تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا
مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ١٠) هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ
الَّذِينَ مِن دُونِهِ ١١) بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ١٢)

التفسير

- ﴿آلَ ١﴾ من الحروف المقطعة التي تدل على إعجاز القرآن ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ٢﴾ آيات كتاب الله تعالى محكمة غاية الأحكام ﴿هُدًى وَرَحْمَةً ٣﴾ هذا القرآن هدى للناس إلى الخيرات، ورحمة لهم إذ دلهم على ما ينفعهم في الدارين ﴿لِلْمُحْسِنِينَ ٤﴾ مع ربهم ومع المخلوقين.
- ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ٥﴾ على أكمل وجوها ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ٦﴾ يعطونها لمستحقها ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٧﴾ يعتقدون جازمين بما فيها من الجزاء.
- ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ٨﴾ على حق ونور من الله تعالى ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٩﴾ الفائزون الغانمون.
- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ١٠﴾ يرغب في لهو الحديث رغبة باذل الثمن في الشيء ﴿لَهُوَ الْحَدِيثُ ١١﴾ كل ما يلهي عن طاعة الله تعالى من الأقوال والأعمال المحرمة ﴿لِيُضِلَّ ١٢﴾ نفسه ويضل الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ ١٣﴾ عن طريق هدايته ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ ١٤﴾ بغير إدراك ووعي لعاقبته ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ١٥﴾ يتخذ آيات الله تعالى هزواً وسخرية ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ١٦﴾ مخزٍ مُذل.
- ﴿وَإِذَا تَنَزَّلَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا ١٧﴾ على من يشتري لهو الحديث ﴿وَلَّى مُسْتَكْبِرًا ١٨﴾ أدبر عنها وأعرض عن سماعها كبراً وبطراً ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ١٩﴾ صمماً وثقلاً ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٠﴾ مؤلم موجه.
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ٢١﴾ يتنعمون فيها يوم القيامة.



• ﴿خَلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يتحولون عنها ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ لا يمكن أن يُخْلَفَ أو يُغَيَّرَ وَيُبَدَّلَ ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فلا غالب لأمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ ① في تدبير أمره وحكمه.

• ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾ على عظمها وسعتها ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ ليس لها عمد ﴿وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي﴾ جبلاً ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ حتى لا تتحرك بكم ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾ نشر فيها ﴿مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ من أصناف الدواب المبتوثة في الأرض ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ غيثاً ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا﴾ في الأرض ﴿مِنْ كُلِّ ذَوْجٍ﴾ نوع من أنواع النبات ﴿كَرِيمٍ﴾ ② جميل بهيج.

• ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ كل الذي ترونه خلقه الله تعالى، فأبدع خلقه ﴿فَارُؤُنِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ ما هو خلقهم الذي خلقوه حتى يستحقوا بذلك عبادتكم؟! ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ③ بين واضح.

التدبر

١ - هذا القرآن هدى ورحمة، فهل استوعبت الخبر؟! ﴿الْمَ﴾ ① تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ② هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ③.

٢ - هل تبحث عن رحمة الله تعالى وهده؟! ابسط وقتك لهذا القرآن ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ② هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ③﴾.

٣ - كن محسناً يهيك القرآن ما ترغب فيه ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ③﴾.

٤ - المحسن أكثر الناس عرضة لنعيم القرآن ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ③﴾.



٥ - أقم شأن الصلاة في واقعك؛ وأد حقَّ الله تعالى في مالك، وكن موقناً بوعده الله تعالى، وانتظر مباهج التوفيق ﴿الْم ١﴾ تِلْكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾.

٦ - كم من عاكفٍ على الملاهي في عالم اليوم، ويذل أموالاً في غير طريق! ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

٧ - يرتب لمنكر؛ ويجهد في سبيل ذلك بكل ما يملك، ويدفع مبالغ كثيرة لليلة لهو ينكف فيها شرع الله تعالى وأمره ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

٨ - يعلم أنها حرام ويشتريها، ويعلم أنها فساد ويذل فيها الأموال، ويجاهر بالمنكرات، ويبيت واقفاً على قدمه لتمامها ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

٩ - لا يصنع هذا لنفسه، وإنما ليفسد بها عالماً من الدهماء ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

١٠ - يتصل، ويتواصل، وينسّق، ويرتّب الدعوات ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ والعاقبة التي ينتظرها ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

١١ - يقف في مثل هذه المنكرات ساعات، وينفق عليها أموالاً طائلة، ويستلذ فيها كل عمل، وإذا دُعِيَ لموعظة أو نشاط لمدة دقائق رأى ذلك فوضى وضياح ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَتُنَا وَلَّى مُّسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرَاطٌ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.



١٢ - من يشتري لهو الحديث لن يجد لذة بغيره ﴿وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۖ﴾ ﴿٧﴾ بل سيلغ جهده في الفرار!

١٣ - إذا لقيت من يصنع هذا فذكره بهذه الحقائق! ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۖ﴾ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۖ﴾ ﴿٧﴾ لعله يتذكر أو ينيب!

١٤ - من حق الذين يترفعون عن هذه المنكرات أن يجدوا هذا النعيم البهيج ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ۖ﴾ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾.

١٥ - ما زال هذا القرآن يغري المؤمنين بمساحات الحياة التي سيجدونها في ذلك اليوم ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ۖ﴾ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾.

١٦ - ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۚ وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۖ﴾ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴿١١﴾ جولة في ساحات إبداع الكبير المتعال!

١٧ - من ألقى بصره إلى هذه المخلوقات أدرك عظمة الله تعالى ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۚ وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۖ﴾ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴿١١﴾.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٣﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبَنِيهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۚ يَبْنِىْ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ ۖ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ۖ وَفِصْلُہٗ ۖ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿١٥﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَن أَنَابَ إِلَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ يَبْنِىْ إِنَّهَا إِن تَكُ مَثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمٰوٰتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٧﴾ يَبْنِىْ أَقِمِ الصَّلٰوةَ ۖ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۖ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِّنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ﴿١٨﴾ وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٩﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ۖ وَأَغْضِضْ مِن صَوْتِكَ ۖ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿٢٠﴾



التفسير

• ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَنَ﴾ عبداً من عباد الله الصالحين ﴿الْحِكْمَةَ﴾ العلم والفهم ﴿أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ على هذه النعمة ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ فَإِنَّ نَفْعَ ذَلِكَ عَائِدٌ إِلَيْهِ ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ جحد بنعم الله تعالى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن شكر عباده ﴿حَمِيدٌ﴾ ﴿١٢﴾ محمود على كل حال، فله الحمد على نعمه سواء شكرها العبد؛ أو كفرها.

• ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبَنِيهِ وَهُوَ يَعِظُهُ﴾ يذكره ويبيِّن له ﴿يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ لا تجعل مع الله تعالى إلهاً آخر ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٣﴾ أعظم الظلم.

• ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ أمرناه ببرِّهما وصلتهما ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ مشقة على مشقة ﴿وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ﴾ فطامه من الرضاع بعد عامين من ولادته ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي﴾ بالعبادة لي ﴿وَلِوَالِدَيْكَ﴾ بالإحسان إليهما والبرِّ بهما ﴿إِلَى الْمَصِيرِ﴾ ﴿١٤﴾ المرجع والمآب.

• ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ﴾ أي: إن حاول والداك إكراهك ﴿عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي﴾ في عبادتي ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ ما ليس بشيء ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في ذلك ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ صحبة إحسانٍ ومعروف ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ من المؤمنين والصالحين ﴿ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ﴾ في آخر الأمر ﴿فَأُنَبِّئُكُم﴾ أخبركم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٥﴾ في الدنيا من خيرٍ وشر.

• ﴿يَبْنَىٰ إِنَّهَا﴾ أي الخطيئة والمعصية ﴿إِنَّ نَفْسَ الْفِتْنَةِ كَبَاغٌ كَبَّاحٌ﴾ التي هي أصغر الأشياء ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾ في وسطها ﴿أَوْ فِي السَّمَاءِ أَوْ فِي

الْأَرْضِ ﴿ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِهَا ﴾ يَأْتِيهَا اللَّهُ ﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ ﴿ فَلَا تَخْضَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ؛ وَإِنْ دَقَّتْ ﴾ خَيْرٌ ﴿١٦﴾ ﴿ لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ ۚ ۝

• ﴿ يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ﴾ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ ﴿ إِنَّ ذَلِكَ ﴾ الصَّبْرُ عَلَىٰ ذَلِكَ ﴿ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ﴾١٧﴿ مِنْ عَزَائِمِ الْأُمُورِ، وَأَهْمُهَا، وَأَعْظَمُهَا.

• ﴿ وَلَا تُصَغِّرْ خَذَكَ لِلنَّاسِ ﴾ لَا تَمَلْ وَجْهَكَ عَنْهُمْ تَكْبُراً ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ بَطْرًا وَتَكْبُراً ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ ﴾ مُعْجَبٍ بِنَفْسِهِ ﴿ فَخُورٍ ﴾١٨﴿ عَلَى غَيْرِهِ.

• ﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ امْشِ مُتَوَاضِعًا مُسْتَكِينًا ﴿ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾ اخْفِضْ مِنْهُ ﴿ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾١٩﴿ أَفْطَعْ الْأَصْوَاتِ وَأَبْشِعْهَا صَوْتَ الْحَمِيرِ.

التدبر

١ - ما أكثر نعم الله تعالى على عبده! وما أحوجها للإجلال والشكر! ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾١٢﴿.

٢ - إذا منَّ الله تعالى عليك بعلم، أو حكمة، أو مهارة، أو خلق؛ فأنت بحاجة إلى أن تقيم لها مباحج الشكر ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾١٣﴿.



٣ - شكرك لنعم الله تعالى ثبات وبقاء لها، لا يعود على الله تعالى منه شيء ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌ حَمِيدٌ﴾ (١٢).

٤ - حتى لو لم تشكر الله تعالى بشيء؛ فلا تضر سوى نفسك ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌ حَمِيدٌ﴾ (١٣).

٥ - إذا أردت أن تتعلم ترتيب الأولويات في إدارة المواعظ والتوجيهات لمن تربيتهم؛ فخذ جولة على نصائح هذا الحكيم مرتبة منظمة ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِّابْنِهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلْهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدِكَ إِلَىٰ الْوَصِيرِ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ۖ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَحْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَبْنَىٰ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِّنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩) ﴿ بدأ بالنهي عن الشرك أكبر وأخطر قضية، ثم ذكر ببر الوالدين التي قرنهما الله تعالى في مواضع من كتابه بتوحيده، ثم ثلث بالرقابة الذاتية وإيقاظ الضمير، ثم ربّع بالصلاة، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم ختم بجملة من الآداب الكبرى في التعامل مع الآخرين.

٦ - تعاهد عقيدة ولدك وطالبك ومن تربيه أولاً ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِّابْنِهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣).



٧ - إذا استقرت العقائد في القلوب؛ فلا تسئل عن شيء بعد ذلك ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣).

٨ - فن إدارة الأولويات في المشروع الدعوي والتربوي ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣).

٩ - جزء من إشكالاتنا في التربية، هذا الخلط الذي حوّل الأصول قضايا فرعية، والفروع جعلها في بعض الأحيان أصولاً ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣).

١٠ - تدرّج في وعظك وخطبتك ورسالتك الدعوية، وفق منهج الأولويات تبلغ مراتبك، وتحقق أمانيك ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣).

١١ - قيامك بحقّ والديك من أعظم القرب، وأتمّها عليك بعد التوحيد ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلُہُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾.

١٢ - إذا كان الوالدان مشركين! فَإِنَّ هَذَا لَا يَعُدُّ عِذْرًا كَافِيًا لِلْفَكَاحِ مِنْ خِدْمَتِهِمَا ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٥).

١٣ - حتى لو دعاك والداك للكفر لا تطعهما، ولكن لا تبرح مساحة برّهما وصلتهما ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا



وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۖ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

١٤ - يا لشؤمه وحسرات واقعه! والداه صالحان؛ ولم يجد وقتاً كافياً يردُّ إليهما بعض الجميل ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۖ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

١٥ - لَا تَرِدْ عَلَىٰ رَبِّكَ وَأَنْتَ مَفْرُطٌ فِي حَقِّ وَالِدَيْكَ ﴿ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

١٦ - كَبُرَ وَالِدُهُ فَلَزَمَهُ، وَلَا يَفَارِقُهُ لِحُظَّةٍ حَتَّىٰ لَقِيَ رَبَّهُ ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۖ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

مَا أَسْعَدَهُ بَبْرُهُ، وَأَهْنَأَهُ بِلِحْظَاتِ النَّعِيمِ!

١٧ - مَاتَ أُمُّهُ وَهُوَ فِي دِيَارِ غَرْبَةٍ، لَمْ تَرَ وَجْهَهُ مِنْذُ سِنَوَاتٍ، فَأَقَامَ عَلَىٰ قَبْرِهَا بَاكِياً بَعْدَ الْفَوَاتِ، يَا لِحَسْرَاتِهِ! ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۖ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

١٨ - لَا حُلَّ لِأَزْمَاتِ الْقِيمِ وَمَصَائِبِ الْمُثَلِّ فِي عَالَمِ الْفَضَاءِ الْمَشْوُومِ إِلَّا هَذَا النَّوعُ مِنَ التَّرْبِيَةِ ﴿يَبْنِيْٓ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ ﴿١٦﴾

١٩ - أَقِمْ فِي قَلْبٍ وَلَدَكَ جِدَارَ الْقِيمِ؛ وَدَعُهُ يَطُوفُ عَالَمَ الْإِنْحِلَالِ؛ فَلَنْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ ﴿يَبْنِيْٓ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ ﴿١٦﴾

٢٠ - كم مرة تكلمت مع ولدك بشأن القيم، وحدثت طالبك عن الله، وألقيت بمثل هذه الروح في بيتك ومسجدك وعملك؟! ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١٦).

٢١ - هذا الفساد الذي يضرب بأطنابه في كل مساحة من العالم هو نتيجة الخلل في هذا المعنى الكبير ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١٦).

٢٢ - حين بلغ الرجل من تلك المرأة الفقيرة - التي ألت بها جوائح الزمن - موضع الرجل من زوجه قالت له: اتق الله؛ فقام عنها كالملدوغ ولم يقارف ذنباً^(١)، تلك صناعة الرقابة الذاتية في نفوس المتقين ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١٦).

٢٣ - وحين خلا ذلك الرجل بتلك المرأة في الفضاء فقال: لم يعد يرانا سوى الكواكب، قالت: وأين مكوكبها؟ فخلّى سبيلها^(٢) ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١٦).

٢٤ - ولما أدخلها البيت، فأحكم أبوابه، فقال: لم يبق باب مفتوح فقالت: بقي باب الله تعالى؛ فتركها ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١٦).

(١) انظر حديث أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح العمل في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وفيه قوله ﷺ يحكي عن أحد الثلاثة: «اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحببتها كأشد ما يكون حب الرجال النساء» الحديث.

(٢) ذكر ابن الجوزي في صفة الصفوة عن الأصمعي قال: قال أعرابي: خرجت في ليلة ظلماء فإذا أنا بجارية جميلة، فأردتها فقالت: ويلك أما لك زاجر من عقل إذا لم يكن لك ناه من دين؟ فقلت: إيهأ والله ما يرانا إلا الكواكب! فقالت: وأين مكوكبها؟



٢٥ - قبل أن تُلزم موظفك بورقة دوام رقّ في قلبه كلّ يومٍ أن الله تعالى يراه ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١٦).

٢٦ - إذا أمنت ولدك على شيء، أو بعثت موظفك في قضية، أو ألقيت إليه بسرّاً؛ فذكره بأن الله تعالى يراه ويرقبه ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١٦).

٢٧ - كم من أموال المسلمين أكلت بحجة الانتداب، وخارج الدوام ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١٦) ماذا لو وعى فاعل ذلك أن حبة الخردل في الصخرة سيأتي بها الله؟!

٢٨ - ما لم تُعدّ ترتيب مناهج طلابنا، وحلقات التحفيظ، ودروس العلم، ولقاءات البيوت، ومحاضن التربية على هذه القضية، وإلا سيطول تيهنا في الظلام ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١٦).

٢٩ - ﴿يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرُءٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١٧) رسالة لكل الآباء أن يعنوا بحق هذه الفريضة في واقع أبنائهم، ويقيموا لها شأنها الكبير في النفوس.

٣٠ - كلّ الذين عقلوا حجم هذه الفريضة، وقاموا بها، نالهم منها خيرٌ كبيرٌ ﴿يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرُءٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١٧).



٣١ - الكبار يعنون بتأهيل أبنائهم، ويننون فيهم روح المبادرة والمشاركة في قضايا واقعهم وأمتهم ﴿يَبْنِي أَقْرَبَ الصَّلَاةِ وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١٧).

٣٢ - الأخلاق من القضايا الكبرى التي يجب أن تأخذ حظها من وقت الأسر لتأهيل أبنائها لمستقبل الأيام ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩).

٣٣ - علم ولدك أن الكبر من السفه، وأنَّ التعالي على الناس من أخلاق الضالين ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩).

٣٤ - علم ولدك أن التعامل مع الناس عبادة: تأتي أولاً مع عامل النظافة، ومن يصلح لك سيارتك، ومن يقوم على غسل ثوبك، ومن يقدم لك خدمة البنزين ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩).

٣٥ - تأهيل الأبناء لرحلة الحياة لا يتم من خلال تأمين الطعام والكساء ووسائل الترفيه، وإنما يتم من خلال البناء الفكري والعقلي، وتعليم الأخلاق، وبناء الأرواح ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩).

٣٦ - ذكر ولدك بالأسباب الداعية لنصحته، ومآلات ما تريد الوصول إليه معه، ولا تُلْقِ إليه أشياء لا يعرف أسبابها، ولا يدري لِمَ تطرحها ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ



صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصَوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ وإذا تأملت نصائح لقمان وجدتها كلها معللة مبيّنة.

٣٧ - ذكّر ولدك عواقب الظلم والكبر، وأن الأيام دول، وكما تدين ثدان وإن طالَت الأيام ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصَوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾.

٣٨ - تلطف مع ولدك، واختر لندائه اسماً جميلاً، أو كنية مثيرة، وتذكّر أن هذا النداء ﴿يَبْنِيَّ﴾ مقصودٌ مُرادٌ في وصية هذا الحكيم.

٣٩ - حتى اسم ولدك في جوالك يجب أن يكون لطيفاً على قدر آمالك منه، وليس اسماً مجرداً ﴿يَبْنِيَّ﴾.

٤٠ - ﴿يَبْنِيَّ﴾ يجب ألا تكون في حوارات جانبية، أو نصائح تقدم مفصولة عن حوادث التربية، وإنما يجب أن تجري في لقاءات تربوية أسبوعية، أو في الأسبوع مرتين تأتي منها على مقصودك، وتبني صرحاً من الحب بينك وبين أبنائك.

٤١ - كان أحدهم يلتقي بأولاده كل أسبوع، وتجري بينهم مطارحات وأفكار وأحداث الأسبوع، وكيفية التعامل معها، وتبني من خلال ذلك جوانب قيمة وسلوكية تدعم مسيرة الأبناء في الحياة ﴿يَبْنِيَّ﴾.



أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
 وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ
 فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ
 لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا
 أَوَّلُوا كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾
 * وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ
 اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾
 وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا
 عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ
 نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ
 خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ
 أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ
 اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ
 أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ
 كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلَقَكُمْ وَلَا
 بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَافٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾



التفسير

- ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ تشاهدوا وتبصروا ﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ﴾ جعلها في خدمتكم ولمنفعتكم ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ من الشمس والقمر والنجوم ونحو ذلك ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من الحيوانات والأشجار والأنهار ونحوها ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ﴾ عَمَّكم بالنعمة، وغمركم بها ﴿ظَاهِرَةً﴾ على جوارحكم وأجسادكم ﴿وَبَاطِنَةً﴾ في قلوبكم ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ يخاصم وينازع في عبادة الله تعالى ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يدلُّه على ذلك ﴿وَلَا هُدًى﴾ يستبين به ﴿وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ ﴿٢٠﴾ يستدل به على صحة مجادلته.
- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ للمجادلين: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزَلَ اللَّهُ﴾ على رسله من الحق ﴿قَالُوا﴾ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴿مِنَ الْأَدْيَانِ وَالْعَادَاتِ﴾ ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ ﴿٢١﴾ حتى لو أن الشيطان يدعوهم إلى جهنم.
- ﴿وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ يخضع وينقاد لله تعالى ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في ذلك الانقياد ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ بالعروة التي من تمسك بها نجا وفاز ﴿وَالِإِلَهِ عَقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ ﴿٢٢﴾ مردُّها ومرجعها.
- ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ جحد بكل ذلك ﴿فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُ﴾ لأن عاقبة ذلك عليه ﴿إِنَّا مَرْجِعُهُمْ﴾ مردُّهم ونهايتهم ﴿فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ نخبرهم بما عملوه ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٢٣﴾ لا يخفى عليه من خبرها شيء.
- ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾ نمهلهم أيام الدنيا ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ نلجئهم ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ﴿٢٤﴾ كبير فظيع عظيم.

- ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ﴾ سألت هؤلاء المنكرين الجاحدين ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ لا يستطيعون نكران ذلك ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أنكم اعترفتم بأن خالقهما هو الله ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ عظمة الله تعالى وقدرته.
- ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً وتصريفاً ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن عباده ﴿الْحَمِيدُ﴾ ﴿٢٦﴾ المحمود على النعم التي أنعمها على خلقه.
- ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ ولو أن شجر الأرض كلها برت أقلاماً ﴿وَالْبَحْرِ يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ وكلها مداد وحبر لهذه الأقلام ﴿مَا نَفَدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾ لم تأت الأقلام على كثرتها على كلمات الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا غالب لأمره ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿٢٧﴾ في تصريف قدره وحكمه.
- ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَافٍ وَاحِدَةٍ﴾ كخلق نفس واحدة ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لكل ما يقال ﴿بَصِيرٌ﴾ ﴿٢٨﴾ بكل ما يجري في الكون.

التدبر

- ١ - وإذا تأملت في هذا الكون العريض، وأدركت أنه سُخِّرَ من أجلك، عاد بصرك حسيراً من تعداد نعم الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.
- ٢ - يجب ألا يفوتك أنك سرُّ وأصلُّ هذه الحياة؛ فاستثمر ذلك الكون من أجل هذه الغايات ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.
- ٣ - ما أكثر نعم الله تعالى على إنسان! ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً﴾ لو أدركت ما في نفسك، لرأيت ما تعجز عن شكره والقيام بحقه!



٤ - ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ لو لم يكن من ذلك إلا نعمة هذا الدين الذي تعيش في أفيائه وقد حُرِمَ منه الملايين!

٥ - ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ نعمة الهدى والطمأنينة والفرح بالهداية وأحداث التوفيق.

٦ - ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ نعمة والديك، ونعيم الأسرة المطمئنة والبيوت المستقرة، وأحداث المشاعر الطيبة التي تدور في أرجاء بيتك كل يوم.

٧ - ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ نعمة الأمن التي تأمن فيها على نفسك وبيتك وعرضك ومالك، وتخرج في فجاج الأرض لا تخاف إلا الله والذئب على غنمك.

٨ - ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ نعمة العافية التي تعيشها وجموع من العالم يعيش على أسرة المشافي، ويتقلب في صنوف المرض والآلام والأوجاع.

٩ - ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ نعمة هذا المال، وأن الله تعالى لم يجعلك فقيراً ممدود اليد إلى الناس من حولك.

١٠ - ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ نعمة الراحة والاستقرار والحياة الطيبة التي تجد رواءها في كل لحظة من عمرك.

١١ - جهل وجدال من العوام في واقع إنسان! ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾.

١٢ - من أعظم فواتح التوفيق لدى طالب علم أن يُرزق (لا أدري)، ومن أعظم مظاهر أسباب الخذلان في حياة إنسان أن يرزق جدالاً في غير طريق ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾.

١٣ - من كمال عقلك ووعيك ألا تثير قضية جدال في أي شأن، فما لك ولهيات السفهاء؟! ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾.

١٤ - لو لم يكن من سوء أثر الجدل إلا أن الشريعة وعدت تاركه بيت في ربض الجنة لمن تركه ولو كان محققاً^(١) لكان كافياً ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾.

١٥ - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (٢١) صورة من صور تأجير العقول التي لا ينفك عنها كثير من الأتباع.

١٦ - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (٢١) ما تزال تطارد كثيرين حتى في قراراتهم الشخصية وأحداثهم اليومية.

١٧ - العروة الوثقى أن تقبل على ربك مخلصاً، وتحسن عبادتك له ﴿وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٢٢).

١٨ - إسلام وجهك لله تعالى أن تنعتق أولاً من آرائك ومفاهيمك مقابل وحي الله تعالى ﴿وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٢٢).

١٩ - وأن تطوِّق قلبك وترزقه الاستسلام لكل ما في الشريعة، وألا تعارض هذه الشريعة برأي أو فكرة أو مفهوم، مهما بلغ رأيك وفهمك وعلمك ﴿وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٢٢).

(١) روى أبو داود من حديث أبي أمامة الباهلي قوله ﷺ: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً». والمراء: الجدل.



٢٠ - وأن يجري في قلبك وفكرك ومشاعرك أن الشريعة أصلح لكل زمان ومكان ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ ﴿٢٠﴾.

٢١ - وأن تؤدي أحكامها، والعز والفرح والطمأنينة تملأ قلبك، وتستحوذ على مشاعرك ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ ﴿٢١﴾.

٢٢ - لا تشغل نفسك بإدبار المعرضين ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُمْ إِنَّا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٢٢﴾ نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٣﴾.

٢٣ - غداً سيأتون لعرض رحلة التشاؤم ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُمْ إِنَّا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٢٣﴾ نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾.

٢٤ - قارن بين صورة إعراضه عن الحق وجداله فيه، وقيامه عن مجالسه وصورة إقباله مضطراً بين يدي الله تعالى لعقابه وحسابه ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُمْ إِنَّا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٢٤﴾ نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٥﴾.

٢٥ - ماذا لو أدرك كل معرض أن يوماً قادم للجزاء والحساب ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُمْ إِنَّا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٢٥﴾ نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٦﴾.

٢٦ - حين لا يكون للعلم أثر في تاريخ أصحابه! ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٦﴾.



٢٧ - أَشَامَ عِلْمٍ فِي حَيَاةِ إِنْسَانٍ ذَلِكَ الَّذِي لَا يَدُلُّهُ عَلَى مُسْتَقْبَلِهِ، وَلَا يَحِثُّهُ عَلَى الْعَمَلِ ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٥) يعلمون أن الخالق هو الله تعالى، ولكن لا يقومون له بشيء من حقوق ذلك العلم.

٢٨ - كم من ركام حفظوه ورددوه، وفي النهاية لم يسقهم شربة ماء ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٥).

٢٩ - كل علم لا يدلُّك على الله تعالى؛ فلا خير به ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٥).

٣٠ - هل تشعر بفقرٍ أو حاجة؟ توجّه إلى الغني الحميد ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٣٦).

٣١ - لا تذهب بشعاب قلبك وأمانيك بعيداً، هنا في رحاب الغنيّ تجد مناك ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٣٦).

٣٢ - كل هذا العالم بيد الله تعالى، حتى من بيده مفاتيح الخزائن من المخلوقين ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٣٦).

٣٣ - القصة تبدأ من هنا ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٣٦) أقبل على ربك صادقاً، وسلّه مُلِحاً، وستنداح الدنيا بين يديك.

٣٤ - حتى مرضك، وسقمك، وظروف بيتك وعائلتك توجّه إلى ربك ومولاك ليكشف عنك ذلك ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٣٦).

٣٥ - تفاعل! فليس للكون إلا رباً واحداً ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٣٦).



٣٦ - إذا رضي الله تعالى عنك أعطاك، وإذا أحبك مَنْ عَلَيْكَ، وإذا رآكَ صادقاً تلقاك بالنعيم في عرض الطريق، فلا تقلق ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٦١).

٣٧ - ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٧) كلمات العطاء والإحسان والأرزاق!

٣٨ - ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٧) كلمات الفأل والأمل، وأن خزائنه تعالى لا تنفذ.

٣٩ - ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٧) كلمات العز والنصر والتمكين وبلوغ الآمال ولو بعد حين.

٤٠ - ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٧) كلمات القدرة على إعادة أوضاعك، وتحسن ظروفك، ومد ساحات الأمل في واقعك وحياتك.

٤١ - ينتهي كل ما عند الناس ويزول، ولا ينتهي ما عند الله تعالى ولا يزول ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٧).

٤٢ - تضيع كل الآمال والوعود عند الناس، ولا يضيع منها عند الله تعالى شيء ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٧).

٤٣ - يهبك المخلوق ويعجز، ويعطيك ويتوقف، ويقدم شيئاً ثم يعتذر، أما الله فيهب ولا يعجز، ويعطي ولا يتوقف، ويقدم شيئاً ويزيده حتى تبلغ به آمالك وأمانيك ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٧).

٤٤ - هذا الذي يصنع هذا الحدث ﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٢٨) ألا يشفيك من مرضك، ويعافيك من سقمك، ويحيل أحزانك إلى أفراح؟!

٤٥ - هذا الذي يدير شأن الخلق والبعث كما يدير شأن النفس الواحدة! ألا يسد ديتك، ويبرئ جراحك، ويخفف همومك، ويأتي بك إلى آمالك من جديد؟! ﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٢٨).

٤٦ - من كان هذا وصفه ﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٢٨) فكل آمالك وظروفك وأحداث واقعتك لا شيء بالنسبة له؛ فكن بالقرب منه.



أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ
 وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ
 بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
 مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
 الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ
 فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ
 كَاطِلٌ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ
 فَمِنْهُمْ مُّقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ
 ﴿٣٢﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ
 عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
 حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ
 الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ
 وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا
 وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

التفسير

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ يدخل بعضهما في بعض ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ لمصالح خلقه ومنافع عباده ﴿ كُلُّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ وقت محدود ﴿ وَأَنْتَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٢٩) لا يغيب عنه من ذلك شيء.

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾ في خلقه وملكه وقدره وشرعه ﴿ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ من الآلهة ﴿ الْبَاطِلُ ﴾ زائل لا حقيقة لها ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ ﴾ في ذاته وصفاته ﴿ الْكَبِيرُ ﴾ (٣٠) في كل شيء.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ ﴾ السفن ﴿ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ ﴾ نعمة منه ﴿ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ ﴾ الدالة على قدرته ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ ﴾ لحجج بيّنة ﴿ لِكُلِّ صَبَّارٍ ﴾ على ما يصيبه ﴿ شَكُورٍ ﴾ (٣١) لما يناله من خير.

﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ ﴾ أحاط بالمشركين ﴿ مَوْجٌ ﴾ من البحر ﴿ كَالظَّلِيلِ ﴾ كالجبال والغمام ﴿ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ فزعوا إلى الله تعالى متضرعين طالبين النجاة ﴿ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ ﴾ وأمّثوا مما كانوا يخافون ﴿ فَمِنْهُمْ مُّقْنَصِدٌ ﴾ لم يقيم بشكر الله تعالى على وجه التمام ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ ﴾ غدار ﴿ كَفُورٍ ﴾ (٣٢) جحود للنعم.

﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله تعالى وقاية؛ بفعل أوامر، واجتناب نواهيه ﴿ وَخَشَوْا ﴾ خافوا ﴿ يَوْمًا ﴾ يوم القيامة ﴿ لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا ﴾ لا ينفع والد ولده، ولا مولود بنافع والده شيئاً ﴿ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ لا شك فيه ﴿ فَلَا



تَعَرَّنَكُمُ الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا ﴿ لا تخدعنكم بزينتها ولذاتها وما فيها ﴾ وَلَا يَغُرَّنَكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿ ولا يخدعنكم بالله خادع.﴾

• ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ متى تقوم ﴿ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ﴾ من السماء ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾ من ذكر أو أنثى ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ من الدنيا أو الدين ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ بل هذه كلها مما اختص الله تعالى بعلمها، لا يصل إليها مخلوق ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ لا يغيب عنه من علم الخلق شيء.

التدبر

١ - ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿ إي والله رأينا، وهو المسؤول أن يدلنا على الحق، ويثبتنا عليه.﴾

٢ - ماذا لو ألقينا بأسماعنا وأبصارنا وقلوبنا ومشاعرنا في ساحات هذا الكون العريض؟! ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿

٣ - إذا رأيت سفينة تمخر عباب البحر؛ فاعلم أن الذي أجراها هو الله! ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِّنْ آيَاتِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾



٤ - قل لي ربك! ألواح تمخر عباب البحر ألا تدلُّك على العلي الكبير؟! ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٢١).

٥ - خذ جولة بقدمك وقلبك ومشاعرك على شاطئ بحر لترى معالم ملك الكبير المتعال ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٢١).

٦ - خذ جولة ببصرك ومشاعرك على هذه السفن التي تجوب البحر عرضاً وطولاً لا يديرها سوى الله ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٢١).

٧ - تفقد قلبك حين تركب البحر لتعرف مواطن العقيدة من القلوب ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَاطِلٌ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ (٢٢).

٨ - إذا ركب سفينته وخاض عباب البحر انجلت كل الظنون، ولم يبق سوى الله ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَاطِلٌ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ (٢٢) وإذا نزل عادت الدنيا بأثقالتها على القلوب!

٩ - ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (٢٢) ذكّر قلبك بها في كل حين حتى لا ينفرط منك عقد العقيدة!

١٠ - ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (٢٢) رسالة أن تخفف من همومك، وأن تجعلها في سبيل الله.



١١ - ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَانٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (٣٢) دعوة ألا تجري الحسرات في واقعك ذلك اليوم، وقد بلغك عنها خبر اليقين.

١٢ - قَدِّمَ لِنَفْسِكَ؛ فلا والد سيعطيك، ولا ولد سيتحمَّل عنك ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَانٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (٣٢).

١٣ - ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ بأموالها وأحداثها وأمانيتها وزينتها البهيجة في عرض الطريق.

١٤ - ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ عن أهدافكم وغاياتكم وأحداث الآخرة التي تنتظرونها في مستقبل الأيام.

١٥ - ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ بشهواتها وشبهاتها، وعوارض الطريق فيها.

١٦ - ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ فتتخلي عن هدفك وغايتك، ورسالتك ومشروعك، وآمال مستقبلك الكبير.

١٧ - ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ حتى لو دفعت لك كل آمالها ووعودها في الحياة.

١٨ - هل تبحث عن الربيع؟ وتجوب الأمانى من أجل الولد؟! وتسأل عن رزقك وأجلك وساعة رحيلك؟ كل ذلك مكتوب مرصود، وسيأتي في مواعده وحينه ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٣٤) لا يتخلف منه شيء.



١٩ - رزق الغد في علم الله تعالى؛ فلا تغرق روحك بالهموم والآمال ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾.

٢٠ - يجهلون رزق الغد، ويأتي الله تعالى لهم دائماً بكل ما يشاؤون ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾.

٢١ - لا تنشغل برزق ولدك، بطروفك، بهمومك! كل شيء يجري لك في القدر ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾.

٢٢ - لو أدركنا هذه العقيدة ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ لتخففنا من كثير من الهموم التي تطاردنا على أسرة النوم، وفي أوقات الراحة والمتعة.

٢٣ - ستخفض الأسعار، سترتفع، ستزيد، ستنقص، هذا كله غيب، والله تعالى يدبر ذلك، ويُقَلِّبُ الليل والنهار ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾.

٢٤ - لا تقلق للموت؛ فسيأتي في ساعته المحددة، ولحظته التي دُونَ فيها، لا يتخلف عنها لحظة ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾.

٢٥ - يسافر فيقلق، ويركب الطائرة فيوجل، ويشعر بمرض فيخاف، لا تجهد نفسك؛ فللموت لحظة لا يتخلف عنها، ولا يتأخر ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾.

٢٦ - ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ لو قرأناها بوعي لأخذ الأمل والفأل من نفوسنا مداه!

٢٧ - افرحوا، واستبشروا، وأملوا؛ فما يجري عليكم يجري على الآخرين، والله تعالى يدبر شأن الحياة ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

سُورَةُ السَّجْدَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

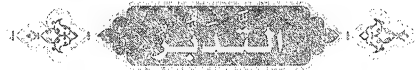
الْم ۝ (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ (٢)
 أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ
 مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝ (٣) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى
 الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝ (٤) يُدِيرُ
 الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ
 أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ۝ (٥) ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ
 الرَّحِيمُ ۝ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ
 طِينٍ ۝ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝ (٨) ثُمَّ
 سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
 وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ (٩) وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ
 أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ ۝ (١٠) قُلْ يَتُوقَنكُمْ
 مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝ (١١)

التفسير

- ﴿الْم ١﴾ من الحروف المقطعة التي تدل على إعجاز القرآن.
- ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن الكريم ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك فيه ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي أنه كلام الله تعالى.
- ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾ أن هذا القرآن قاله محمد من قبل نفسه ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ ليس كما قال أولئك الكفار ﴿لِنُنْذِرَ قَوْمًا﴾ تعظهم وتذكّرهم به ﴿مَا أَنْتُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ لم يأتهم نذير قبلك ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ للحق.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواء يليق بجلاله ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يتولّاكم فينفعكم ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يشفع لكم من العذاب ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعتبرون بقدرة الله تعالى، وتهتدون بها إلى الحق.
- ﴿يُذَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ يحكمه ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ نزولاً من عنده أولاً ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ فيعود إليه ذلك الأمر يوم القيامة للجزاء والحساب.
- ﴿ذَلِكَ﴾ أي الله تعالى ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ﴾ ما يغيب عن رؤيتكم ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ ما ترونه وتشاهدونه، لا يغيب عنه من ذلك شيء ﴿الْعَزِيزُ﴾ فلا غالب له ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين.



- ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ أبداع خلقه وأحكمه وجمله ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ ﴿٧﴾ بدأ خلق آدم من طين.
- ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾ ذريته ﴿مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾ من ماء مسلول من الإنسان ﴿مَّهِينٍ﴾ ﴿٨﴾ ضعيف رقيق.
- ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ بلحمه وعظمه، حتى جعله سويًا معتدلاً ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ أرسل إليه الملك ونفخ فيه الروح ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ ما تسمعون به الكلام ﴿وَالْأَبْصَارَ﴾ ما ترون به الأشياء ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾ القلوب ﴿فَلْيَلَا مَا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٩﴾ ما أقل شكركم على نعمه!
- ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُتْنَا وَتَمَزَّقْنَا وَتَفَرَّقْنَا فِيهَا ﴿أَيْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ لمبعوثون بعد ذلك. يقولون ذلك على وجه الإنكار والاستبعاد ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ﴾ ﴿١٠﴾ جاحدون.
- ﴿قُلْ يَتُوفَّيْكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ فيقبض أرواحكم عند حلول أجلها ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١١﴾ فيجازيكم بأعمالكم.



١ - ما زال الله تعالى يغريك بمباهج هذا القرآن ﴿الْمَ﴾ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾.

٢ - هذا التكرار يدعوني ويدعوك إلى منح هذه الحقيقة جزءاً كبيراً من سنام أوقاتنا ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾.



٣ - حين تهب له جزءاً من وقتك؛ فأنت على موعد مع الهداية ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

٤ - ما زال المسلمون يُقبلونه ويضعونه على رؤوسهم شكلاً وصورة، ولم ينزل بعد واقعاً في القلوب ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٢).

٥ - تأدّب معه، وافسح له في وقتك، وهب له من قلبك ومشاعرك، وسترى ذلك الوعد الكريم ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

٦ - ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ جزء من فقااعات الإعلام البائس في كل زمان!

٧ - عقول مؤجرة ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ في مقابل حقائق الوحي ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾.

٨ - ﴿يُذَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ فلا تقلق على أمرك وشأنك الخاص.

٩ - ﴿يُذَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ فلا تيأس من عوارض الطريق وحوادث الزمان.

١٠ - ﴿يُذَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ فلا تحزن على آمالك الضائعة، وأحلامك المتأخرة، وشجونك التي طال انتظارها.

١١ - من الحقائق الكبرى التي تحتاج إلى إجلال ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٦).

١٢ - كل خلق الله تعالى مثير؛ فلا تبخس شيئاً من شأن ربك ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ (٧).



١٣ - لو بقيت عمرك تقلّب طرفك في شأن هذا الخلق لبقيت متحيراً ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ ﴿٧﴾.

١٤ - أصلك وبداية خلقك وأول نقطة منك تستحقّ العجب ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾.

١٥ - هذا الإنسان الذي يدير الحياة هو من ذلك الماء الدافق بشهوة! يا لجلال قدرة الله تعالى! ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾.

١٦ - إذا اختلّت الرؤية ضاعت حياة الإنسان ﴿وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَهِيَ نَأْفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ﴾ ﴿١٠﴾.

١٧ - أخرج لحظة في حياة إنسان وأكثرها حاجة للاستعداد ﴿قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١١﴾.

١٨ - لو سألته عن الموت لقال لك: الموت حق، ولو تدبرت في واقعه لرأيت خلفاً كبيراً ﴿قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١١﴾.

١٩ - كان مكتوباً على خاتم عمر عليه السلام (كفى بالموت واعظاً يا عمر!) ﴿قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١١﴾.



وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
 رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ
 ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ
 مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْإِنسَانِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾
 فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ
 وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ
 بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ
 رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَاوَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ
 الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
 يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً
 بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَا
 يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ
 جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا
 فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ
 لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾



التفسير

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ بان لنا الأمر واتضح ﴿فَارْجِعْنَا﴾ إلى الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ غير ما كان منا قبل ذلك ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (١٢) الآن نحن مصدقون بكل ما ذكرتنا به، ودعوتنا إليه.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ فجعلناهم مؤمنين ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ وجب وثبت ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١٣) ممن لم يستجب لأمري.

﴿فَذُوقُوا﴾ عذاب جهنم ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ بسبب غفلتكم وإعراضكم ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ تركناكم للعذاب ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ الذي لا ينقطع ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٤) من الكفر والفسوق والعصيان.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ إيماناً حقيقياً ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا﴾ ثَلِيثٌ عليهم ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾ خاضعين لها معظمين لقائلها مستشعرين ما فيها ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ نزهوه عن كل ما لا يليق به ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١٥) عن اتباعها والعمل بما فيها.

﴿نَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ تتباعد عن الفرش، ويقومون لعبادة الله تعالى ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في ثوابه ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١٦) في أعمال البر.

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ من النعيم الذي تقرُّ به أعينهم ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) من الصالحات.

- ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ (١٨) ﴿ لَا يَسْتَوِي مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ.﴾
- ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ ﴿ الجَنَاتِ الَّتِي يَدْخُلُونَ فِيهَا، وَيَتَلَذَّذُونَ بِمَا فِيهَا مِنْ النِّعَمِ ﴿ نُزُلًا ﴾ يَنْزِلُونَ فِيهَا ﴿ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٩) ﴿ من الصَّالِحَاتِ.﴾
- ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ خَرَجُوا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿فَمَا لَهُمْ النَّارُ﴾ مَقْرَهُمْ وَدَارَهُمْ ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ لَا سَبِيلَ لِلخُرُوجِ مِنْهَا ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ (٢٠) ﴿ ذُوقُوا مَسَّهُ وَأَلَمَهُ وَحَرَارَتَهُ جَزَاءَ تَكْذِيبِكُمْ لَهُ فِي الدُّنْيَا.﴾

التَّحْقِيقُ

- ١ - الجزء من جنس العمل ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (١٢) ﴿ كثيرة هي المنكرات التي أشاعوها ورؤوسهم تطاول السماء.﴾
- ٢ - من كمال عقلك أن تستدرك زمانك قبل الفوات ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (١٢) ﴿.
- ٣ - لَا تُبْقِ مِنْ جَهْدِكَ وَوَسْعِكَ شَيْئًا، وَتَفَاعَلْ بِأَنْكَ جُزْءٍ مِنْ أَلْطَافِ قَدْرِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١٣) ﴿.



٤ - نسيان الآخرة موجب للعذاب والهلاك ﴿فَذُوقُوا يَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ يَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ليس الذكر اللساني، وإنما الفكري والشعوري والوجداني الذي يلُظ صاحبُه كل حين.

٥ - من دلائل هذا النسيان ألا تبالي بتأخرُك عن أمر الله تعالى، وتخلُفك عن طاعته ﴿فَذُوقُوا يَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ يَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾.

٦ - ومن دلائله ألا تبالي بالمنكرات التي وقعت فيها، ولا تجد لها في قلبك ألماً وأثراً ﴿فَذُوقُوا يَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ يَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾.

٧ - ومن دلائله أن أعظم ما يشغلك حدث الدنيا عن حدث الآخرة ﴿فَذُوقُوا يَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ يَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾.

٨ - من دلائل صلاح قلبك وقوة إيمانك أن يهز القرآن مشاعرك، ويلقي بك في عمق الذكرى ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾.

٩ - ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ درس في أن التطبيق هو الترجمة العملية لحظ القرآن من قلبك.

١٠ - لا يقوم من لذيذ نومه وفراشه الوثير إلا صاحب قلب حي ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿١٦﴾.

١١ - من دلائل حُب الله تعالى لك أن يبعثك من فراش نومك لمناجاته، ومن دلائل حرمانه لك ألا تصلّي حتى وترُك ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ



خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴿ سئل الحسن البصري: ما بالناس نشتهي قيام الليل ولا نبلغه؟! قال: أثقلتكم معاصيكم وقيدتكم خطاياكم.

١٢ - ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ فكيف لو علمت؟!

١٣ - من فضلك اقرأ هذا الوعد بقلبك ومشاعرك ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾.

١٤ - ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾﴾ لا والله، وتا الله، وبالله لا يستون، في حياة أو ممات!

١٥ - ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾﴾ كلا! وبينهما من الفروق فوق ما يتخيل إنسان.

١٦ - ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾﴾ كيف يستون وأحدهما في رضا ربه، والآخر في عمق هواه وضلالته؟!

١٧ - كيف يستوي مؤمن هذه نهايته ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ وفاسق هذا مرده وخسارته؟! ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

١٨ - تخيل مشهد النعيم ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ وتخيّل في المقابل مشهد العذاب ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾.



وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ
 لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ
 أَعْرِضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
 مُوسَىٰ الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ
 هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ
 بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ
 هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
 ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ
 يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ
 ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّيْنَا الْأَرْضَ الْجُرُزَ فَنُخْرِجُ
 بِهِ زُرْعًا نَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾
 وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾
 قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ
 ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾

التفسير

• ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَىٰ﴾ ما يصيبهم في الدنيا، أو في القبور ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ عذاب النار ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿١١﴾ يعودون إلى الله تعالى.

• ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ لا أحد أظلم ممن يُذكر بآيات الله تعالى ثم يعرض عنها ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ سنجازيهم على إجرامهم.

• ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾ في شك يا رسول الله ﴿مِّن لَّقَائِهِ﴾ من لقاء موسى ﷺ في ليلة الإسراء ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ أي التوراة ﴿هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ هداية لهم ودلالة على الخير.

• ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ﴾ من بني إسرائيل ﴿أَيِّمَةً﴾ علماء بالشرع ﴿يَهْدُونَ﴾ يأمرونا ﴿يَهْدُونَ النَّاسَ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِرَادَتِهِ﴾ ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ جزاء صبرهم ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ وجزاء يقينهم بما عند الله تعالى من جزاء.

• ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ من أمور الدين؛ كالبعث والجزاء.

• ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ ألم يتبين لهؤلاء ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ﴾ فيما مضى ﴿يَمْشُونَ فِي مَسْكِينِهِمْ﴾ وهي باقية دالة على آثار الهالكين؛



كعاد، وثمود، ونحوهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ عظات وعبر ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ آيات الله تعالى فينتفعون بها.

• ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ بأعينهم ﴿أَنَا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ الأرض التي لا نبات فيها ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ﴾ بذلك الماء الذي نسوقه ﴿زَرْعًا﴾ نباتاً كثيراً ﴿تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ يتأملون في هذه الآية العظيمة الدالة على قدرة الله تعالى.

• ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٢٨﴾ متى يوم القيامة، أو متى مجيء يوم النصر علينا والعذاب لنا.

• ﴿قَدْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ يوم القيامة، أو يوم العذاب ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ﴾ لأنه لم يعد وقتاً للعمل ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ يؤخرون.

• ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ عن الكفار ﴿وَأَنْظِرْ﴾ هذا اليوم ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ ما وعدناهم به، وإنه واقع بهم لا محالة.

التدبر

١ - حتى طردهم في الحياة مملوءة بالصعاب والمحن والأزمات، فلا تغرَّك رفاهية القوم ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٣١﴾ لو أنك سألتهم لحدّثوك.

٢ - يجهدهم، يتعبهم، يُحمِلُهُمْ لا ليقْلَقَهُمْ ويحزنهم، كلا! وإنما ليسعدهم في مستقبل الأيام ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٣١﴾ ما أرحم الله تعالى!؟

- ٣ - ما يجري في قدر الله تعالى هو في النهاية رحمة بالإنسان، لو عقل! ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢١).
- ٤ - خذ من أمراض الحياة ومشكلاتها وأزماتها وعوائق طرقها سلماً للحياة من جديد ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢١).
- ٥ - هل تدري من أظلم من في الأرض؟ مَنْ يسمع الذكرى ثم لا يلوي لها عنقاً ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ (٢٢).
- ٦ - ما أشأمه! يريد الله تعالى هدايته، وهو يرفض كلَّ مشاهد التوفيق ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ (٢٢).
- ٧ - إذا كلَّ جسدك، وتعبَ ففكرك، وجهد عقلك؛ فاقراً في سير أصحاب الرسالة والمشاريع ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (٢٣).
- ٨ - ضع بجانب سرير نومك، وفي مفكرة جوالك، وفي شاشة حاسبك كتاباً عن صنّاع الحياة ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (٢٣).
- ٩ - بالصبر واليقين ثنال الإمامة في الدين ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٢٤).
- ١٠ - إقفه شرط هذه الإمامة، ثم ابدأ رحلة مجدك إليها من جديد ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٢٤).
- ١١ - ما حلَّ الصبر في مشروع، أو قضية، أو رسالة، أو موقف إلاَّ خلد فيه ذكريات المجد والتحديات ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٢٤).



١٢ - من شروط الإمامة أن يتمتع صاحبها بالصبر على طول الطريق، واليقين بأنه بالغ فيه النهاية ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٢٤) والعجلى لا سبيل لهم لشرف هذه الإمامة.

١٣ - الماكثون على فرشهم! لا ينتظرون سوى صحارى اليأس ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٢٤).

١٤ - البيوت الآمنة، والأسر الثرية، وأصحاب الرفاهية لا تختبر طاقات أفرادها بقوة، فهذه لا تنجب في العادة أفراداً مؤهلين ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٢٤).

١٥ - القائد الفذ هو الذي يجعل في بيته وأسرته ومجموعته ومحضنه برامج تثير هذا المعنى، وتضع له أدلة تطبيقية ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٢٤).

١٦ - في درس التاريخ ذكرى وعبرة، فاقرووه بإمعان ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ (٢٦).

١٧ - وفي إحياء الأرض الموات بالغيث والربيع مشهد هداية ودلالة ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ (٢٦).

١٨ - إذا بسط الجهل واقعه؛ فلا تعجب من أسئلة الاستعجال ﴿وَيَقُولُوا مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٨) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾ لم يعملوا شيئاً، وعجلين على النهايات!

١٩ - إذا أكثروا عليك من تلك الأسئلة ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾ (٣٠).

سُورَةُ الْأَنْجُرَابِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ أُنْقَىٰ اللَّهُ وَلَا تُطْعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُتَفَقِّهِينَ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ① وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ② وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ
وَكِيلًا ③ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ
أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَظْهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ
ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ
④ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا
أَبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلَاكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا ⑤ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ
وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا
كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ⑥

التفسير

- ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ فيما يأمرونك به ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿حَكِيمًا ١﴾ في تدبير خلقه وأمره.
- ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ اعمل بما جاءك من الوحي ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ٢﴾ لا يخفى عليه من ذلك شيء.
- ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فوِّض أمرك إلى الله ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ٣﴾ وحسبك بالله تعالى حافظاً.
- ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ لا يمكن أن يكون لرجل من قلبين في جوفه ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ ولم يجعل الله تعالى امرأة أحدكم بمنزلة أمه ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ ولم يجعل تعالى ابن التبني ابناً لكم حقيقة ﴿ذَلِكَمُ﴾ الذي تردّدونه ﴿قَوْلَكُمْ بِأَفْوَهِكُمْ﴾ ليس حكم الله تعالى ولا شرعه ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ ليعمل به الناس ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ٤﴾ يبين الحق ويرشد إليه.
- ﴿أَدْعُوهُمْ﴾ أي الأدعياء ﴿لِأَبَائِهِمْ﴾ الذين ولدوهم حقيقة ﴿هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أعدل وأقوم ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ﴾ الحقيقيين ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ وأبناء عمومتم فادعوهم ب: يا أخي ويا ابن عمي ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ﴾ من دعوة الولد إلى غير أبيه خطأ ﴿وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ فإن وقع ذلك منكم عمداً فهذا الذي تؤاخذون به ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لكل خطأ ﴿رَحِيمًا ٥﴾ بكم.

• **النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ** ﴿ أَحَقُّ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ مُحَبَّةٌ وَطَاعَةٌ، لِكَمَالِ رَحْمَتِهِ وَشَفَقَتِهِ وَحِرْصِهِ عَلَيْهِمْ ﴾ **وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ** ﴿ بِمِثَابَةِ أُمَّهَاتٍ لِّجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ **وَأُولُوا الْأَرْحَامِ** ﴿ الْأَقْرَابُ ﴾ **بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ** ﴿ فِي حُكْمِهِ ﴾ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ** ﴿ أَيُّ إِنِّ الْأَقْرَابُ أَوْلَىٰ فِي التَّوَارِثِ فِيمَا بَيْنَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ لَا تَرْبِطُهُمْ صَلَٰةُ قَرَابَةٍ ﴾ **إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَآئِكُمْ مَّعْرُوفًا** ﴿ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْعِطَاءُ مِنْكُمْ عَلَىٰ سَبِيلِ الْمَعْرُوفِ ﴾ **كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا** ﴿٦﴾ مَا تَعْطُونَهُمْ عَلَىٰ سَبِيلِ الْفَضْلِ وَالْخَيْرِ مُقَدَّرٌ مَّكْتُوبٌ.

التدبير

١ - كَمَالُ الْمُؤْمِنِ وَشَرْفُهُ وَصَلَاحُهُ لَا يَتِمُّ إِلَّا مِنْ خِلَالِ إِجْلَالِهِ لِلَّهِ تَعَالَى وَتَعْظِيمِهِ لَشَرْعِهِ ﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿١﴾.

٢ - تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَتَعْظِيمُهُ مِنْ أَعْظَمِ الْوَصَايَا الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يُوصَىٰ بِهَا الْإِنْسَانُ، وَيَذْكُرُ بِهَا فِي طَرِيقِ الْحَيَاةِ الطَّوِيلِ ﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿١﴾ إِذَا كَانَتْ لِلْأَنْبِيَاءِ فَلْغَيْرِهِمْ مِنْ بَابِ أَوْلَى.

٣ - لَا تَأْنَفْ مِنَ الْوَصِيَّةِ الَّتِي تَطْرُقُ سَمْعَكَ؛ فَقَدْ أَوْصَى اللَّهُ تَعَالَى أَعْظَمَ الْخَلْقِ وَأَكْثَرَهُمْ طَاعَةً لَهُ ﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿١﴾ وَكَمْ مِنْ وَصِيَّةٍ أَصْلَحَتْ عِيُونَنَا، وَهَدَّيَتْ نَفُوسَنَا، وَرَدَّتْنَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ بَعْدَ أَنْ كُنَّا فِي مَنَآئِ الطَّرِيقِ!



٤ - خطر إطاعة الكافرين والمنافقين ﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ أَنْتَ اللَّهُ وَلَا تُطِيعَ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١﴾ مع أنها من جملة التقوى التي أمر الله تعالى بها نبيه ﷺ، إلا أنه خصها بالتذكير لعظم شأنها.

٥ - أخطر ما على دينك ومفاهيمك وقيمك أن تتلوّث بقيم ومفاهيم الشرك والنفاق ﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ أَنْتَ اللَّهُ وَلَا تُطِيعَ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١﴾ وفي مثل زمانك تعظم الوصية بخطر النفاق والشرك لكثرة ملابستها في واقعك.

٦ - العمل بالوحي هو الضمان من كل انحراف يعرض لك في الطريق ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢﴾ وكلما أقبلت على الوحي صادقاً قل الانحراف في طريقك.

٧ - توكلك على ربك يعني تجرّدك من حولك وقوّتك ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝٢﴾.

٨ - قضية التوكل ليست من المفاهيم التي تحضر عند الظلام والمشكلات والأزمات، بل عقيدة تجري معنا في كل شأن من شؤوننا، وتمنح قلوبنا الثقة بكل قرار في رحابها ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝٢﴾.

٩ - تمسّك بدينك، وابدأ مسيرتك في مشروعتك، وأقبل على ربك متوكلاً، ولن يصيبك إلا ما جرى به قدر الله تعالى ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝٢﴾.

١٠ - هذا القلب لا يحتمل الشتات فترقّب به ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ ۝١٠﴾.

١١ - كما أنه لا يمكن أن يكون في جوفك قلبان؛ فكذلك لا يصلح في قلبك شريكان ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ ۝١٠﴾.

١٢ - اجعل همومك لربك، وإياك وشتات القلب ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾.

١٣ - من شؤم زمانك كثرة المشتتات، ومن شؤم قلبك أن يكون له في كلِّ وادٍ مشتهى ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾.

١٤ - من أحبَّ الله تعالى أقبل عليه، ومن تعلَّق بغيره لم يبق لله تعالى في قلبه إلا مشاهد الصور ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾.

١٥ - تصحيح المفاهيم والتصورات العالقة بحياة الناس مهمةٌ ضخمةٌ يضطلع بها الوحي ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ النَّسَى تَظْهَرُونَ مِنْهُمْ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾.

١٦ - الجزء الأكبر من المعركة الدائرة بين الإسلام والكفر، والحق والباطل، معركة المفاهيم والأفكار والتصورات ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ النَّسَى تَظْهَرُونَ مِنْهُمْ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾.

١٧ - ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ﴿٥﴾ دعوة لإعادة بناء التصورات الصحيحة.

١٨ - الإصلاح لا يمكن أن يكون تنظيراً لا واقع له، بل يجب أن توجد له تطبيقات كي يأخذ شأنه من التأثير ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ﴿٥﴾.



١٩ - كم من المؤمنين يستشعر هذا المفهوم الكبير في حياته! ﴿الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ ثمة مسافة طويلة جداً بين ما نصنعه في واقعنا، وبين تحقيق هذا المفهوم، ومفهوم النهضة في أيّ واقع وقف على استلهام هذا المعنى من أجيال الأمة.

٢٠ - المعرفة أولاً ﴿الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجَهُمْ أَمْهَنَهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ ﴿٦﴾ ثم القيام بحقوق هذه المعرفة ثانياً ورابعاً وعاشراً.

٢١ - ﴿الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجَهُمْ أَمْهَنَهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ ﴿٦﴾ إعادة لهيكله المفاهيم والتصورات من جديد.



وَلِإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾
لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا
﴿٨﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ
جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ
مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ
وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا
زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَلِإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرُسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ
مِّنْهُمْ يٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ
مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا
فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ
لَآتَوَاهَا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا بَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا
اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلُونَ إِلَّا دُبُرَهُمْ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾



التفسير

• ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ أخذنا العهد عليهم بالقيام بهذا الدين ﴿وَمِنْكَ﴾ يا محمد ﴿وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ وأخذنا منهم ميثاقاً عليّظاً ﴿٧﴾ شديداً بأن يعبدوا الله تعالى وحده ولا يشركوا به شيئاً، وأن يبلغوا ما أنزل إليهم من الوحي.

• ﴿لَيْسَ لَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ هل وفوا بذلك العهد أم لم يوفوا به؟ ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ من الأمم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿٨﴾ موجعاً.

• ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ تأملوا هذه النعمة العظيمة، واشكروا الله تعالى عليها ﴿إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ﴾ جنود الأحزاب من قريش يوم الخندق ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ شديدة قلعت خيامهم، وفزقت جمعهم ﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ من الملائكة ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ ﴿٩﴾ لا يخفى عليه من ذلك شيء.

• ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ من أعلى الوادي من جهة الشرق ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ أسفل الوادي من جهة الغرب ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ مالت رعباً وخوفاً وهلعاً باتجاه الأعداء ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ كأن القلوب قد ارتفعت من أماكنها إلى أن وصلت الحناجر من شدة الخوف ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ ﴿١٠﴾ وتظنون بالله الظنون السيئة أن الله تعالى لا ينصر دينه.

• ﴿هَٰذَا لَكُمْ﴾ في المكان الذي أحاط به الأحزاب ﴿أَبْنَى الْمُؤْمِنُونَ﴾ اختبروا وفتنوا وامتحنوا ﴿وَزَلْزَلُوا زَلْزَلًا شَدِيدًا﴾ ﴿١١﴾ بالخوف والهلع والفرع.

• ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ بالنصر والظفر ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ ﴿١٢﴾ باطلاً لا حقيقة له.

• ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ من المنافقين ﴿يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ﴾ لا مُقَامَ لَكُمْ ﴿فِي مَكَانِ الْغَزْوَةِ﴾ فَأَرْجِعُوا ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ وَيَسْتَعِذُّ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ ﴿مِنَ الْمُنَافِقِينَ﴾ يَقُولُونَ إِنَّا بِيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴿خَالِيَةٌ مِنَ الْحِرَاسَةِ﴾ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ﴿لَيْسَتْ بِخَالِيَةٍ﴾ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ إِنَّمَا قَصْدُهُمُ الْفِرَارُ مِنْ أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ.

• ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ لو دخل الكفار من نواحي المدينة واستولوا عليها ﴿ثُمَّ سُيِّلُوا﴾ سئل هؤلاء الذين يريدون العودة إلى ﴿الْفِتْنَةِ﴾ ترك دينهم ﴿لَا تَوْهَا﴾ لفعلوا الشرك وتركوا الإسلام ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ ﴿١٤﴾ وما تمسكوا بها مدافعين عنها إلا زمناً يسيراً، وقيل: لأسرعوا إلى الشرك، ولم يتمسكوا بدينهم.

• ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّوهُ إِلَّا الذَّبَرُ﴾ وقد سبق منهم عهد الله تعالى أنهم إن لقوا الأعداء مع رسول الله ﷺ لِيُقَاتِلُونَهُمْ لَا يَتَوَلَّوْنَ عَنْهُمْ ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ ﴿١٥﴾ سَيَسْأَلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ الْعَهْدِ الَّذِي أَخَذُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ.

التدبر

١- القضية التي تقوم عليها، ومشروعك في الحياة، وفكرتك الممتعة ليست شيئاً عادياً في حياتك ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْ نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ ﴿٧﴾ لَيْسَ لَ الصِّدِّيقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ إنها ميثاق كبير، وسيُدار عليها السؤال!

٢ - مَنْ الَّذِي سَرَّبَ لَكَ مَفَاهِيمَ التَّخْلِی عَنْ مَشْرُوعِكَ وَرِسَالَتِكَ وَقَضِيَّتِكَ بِحُجَّةٍ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ؟! ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ۖ﴾ ٧ لَيْسَ لَكَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۖ﴾ ٨.

٣ - الأمة لا تحتاجك لتسد فراغاً، أو تكون نائباً، أو تأتي في مؤخرة الصفوف، أو تسد خلاً ونقصاً، إما أن تكون صاحب راية؛ وإلا فما لك ولأثقال الإصلاح وهموم التغيير! ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ۖ﴾ ٧ لَيْسَ لَكَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۖ﴾ ٨.

٤ - حتى الصادقين سيجري سؤالهم في العرصات؛ فما الشأن في غيرهم؟! ﴿لَيْسَ لَكَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ۖ﴾.

٥ - كم من نيّة لغير الله تعالى! وكم من جهد في غير طريق؟! ﴿لَيْسَ لَكَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ۖ﴾.

٦ - يا لسوء الرياء! يأتي ماحقاً لكثير من جهود الإنسان ﴿لَيْسَ لَكَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ۖ﴾.

٧ - ما لم يتأهل أفراد الأمة حتى يكون الواحد منهم أحق بحمل راية مشروعه وقضيته، وإلا سيطول الانتظار ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ۖ﴾ ٧ لَيْسَ لَكَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۖ﴾ ٨.

٨ - تذكّر نعيماً ساقه الله إليك، وتوفيقاً صاحبك، وأحلاماً جرت في حياتك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۖ﴾.



٩ - قبل أن تَمُنَّ بعملك على ربك؛ انظر كم أغدق عليك من النعم! وكم أراك من صور الحياة! ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾.

١٠ - في مرات كثيرة نحتاج أن نستلهم نعم الله تعالى علينا ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾.

١١ - مشكلتنا أننا لا نمنح هذا المعنى كبير اهتمام ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾.

١٢ - عافيتك التي تملأ جسدك بهجة جزء من نعمة الله تعالى عليك ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾.

١٣ - وهذا الأمن الذي تعيش في رحابه، والوظيفة التي تأكل منها رزقك، وبيتك الذي يؤويك من الحر والبرد، وأسرتك التي تجد ظلال النعيم في بيتك: كل ذلك من نعم الله تعالى عليك ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾.

١٤ - ومهاراتك وقدراتك وإمكاناتك التي تفخر بها، هي جزء من تلك النعمة التي من الله تعالى بها عليك ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾.

١٥ - حتى مكانتك ومسؤوليتك وجاهك، كلُّها من فيض نعم الله تعالى عليك ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾.

١٦ - ماذا لو تركك الله تعالى لنفسك! ولم يتفضَّل عليك فيهبك من نعمه وجميل معروفه؟! ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾.

١٧ - ألم يجدك ضالاً فهداك؟ ووجدك مسكيناً فقيراً فأعطاك؟ ووجدك خائفاً فأواك؟! ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾.



١٨ - الظروف التي حلت بالمؤمنين في الأحزاب هي الظروف نفسها التي تحل بك، وتقف في طريقك، وتذيبك ويل الآلام والأحزان والمشكلات؛ فتذكر كيف نجاك الله منها؟! ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾.

١٩ - كم مرة ألفت بك الظروف والمشكلات والأزمات والمحن ثم نجاك الله تعالى ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١﴾ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصُرُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾.

٢٠ - حتى لو اجتمعت قوى الأرض كلها على الإسلام سيأتي الله بالفرج ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١﴾ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصُرُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾.

٢١ - حتى الظنون التي دارت في القلوب رصدها الله تعالى ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ فكيف بما جرى من سوء في واقعك!

٢٢ - ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ ظنوا بالله ألا ينجيهم، وألقى عليهم مباحج النصر، فكيف بمن تيقن أنه ناصره ومعينه ومسده، ودافع عنه البلاء!

٢٣ - كم مرة ألقى الله تعالى بك في ضيق وساءت ظنونك به! ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ وكما لم تزدد أحداث السوء إلا تعلقاً به!

٢٤ - قد يجري الله تعالى عليك من الأحداث ما يختبر به مواقف إيمانك، وقوة عقيدتك، فإياك وهزائم العقيدة، وضياع أحلام الأمل من قلبك ومشاعرك



﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ ١٠ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾.

٢٥ - ألق بهمومك وسؤالاتك وظروفك بين يدي الله تعالى، وانتظر نتائجها بشوق ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ ٩.

٢٦ - حتى الكون تحوّل إلى صالح أهل الإيمان والتقوى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ ٩ ما أكثر عوائد العمل على صاحبه!

٢٧ - علّق قلبك بالله تعالى، ففواتح التوفيق والفرج ستطرق بابك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ ٩.

٢٨ - حتى لو كنت في وسط المعركة؛ فالله تعالى يرى كل شيء ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

٢٩ - وفي حالك الظلام، وأوقات السفر والغربة، وفي ديار الغربة، وأوقات الظلام والوحدة ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

٣٠ - من إجلال ربك أن تخشاه في كل موقف، وترقبه في كل شأن ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

٣١ - ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ بصير بصلاتك، وصدقتك، وصيامك وحجك، وبصير بمشروعك، وعملك، ورسالتك، ووظيفتك، وبصير بأحلامك، وأمانيك، وشهواتك، وبصير بما تكتبه، أو ترسله، أو تتحدث فيه، وبصير بالذي تهتم به.



٣٢ - لا جديد ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ ﴿١٢﴾ هذه قصتهم، وحكايات الفوضى في حياتهم في كل زمن.

٣٣ - هل تدري لِمَ يتأخر النصر! حتى تتبين مواقف النفاق بجلاء ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ ﴿١٣﴾.

٣٤ - إذا أردت أن تسمع صوت النفاق وترى صورته؛ فارقب الأحداث ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ ﴿١٤﴾.

٣٥ - من صفات القوم وسيماهم: الاعتداء على الله تعالى، والخوض في المنهج، والتخوين في الرسالة ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ ﴿١٥﴾.

٣٦ - لا يستمرون في صف، ولا يقفون في مواجهة، ولا ينتظمون في جماعة ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَرْبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ ﴿١٦﴾.

٣٧ - الاعتذار عن المشاريع الجماعية، وترك جماعة المسلمين، والإخلاد إلى الفرجة بعض آثار القوم ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَرْبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ ﴿١٧﴾.

٣٨ - من عاداتهم التخلي عن المبادئ والقيم والمثل الكبرى ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّشُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ ﴿١٨﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّوهُ الْآذِنُ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٩﴾.



قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا
 تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ
 بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَحِذُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا
 وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعُوقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ
 لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً
 عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ
 كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ
 بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ
 اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ
 يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوتُ فِي
 الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا
 قَنَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
 حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾
 وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ
 وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾



التفسير

- ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾ لا ينجي الفرار من قدر الله تعالى ﴿وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٦﴾ وفراركم إن نفعكم لفترة من الزمن فلن ينفعكم كثيراً، لأن كل حيٍّ ميّت لا محالة.
- ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ يمنعكم ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾ ضراً ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ خيراً ﴿وَلَا يَحِذُّونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا﴾ يجلب لهم النفع ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿١٧﴾ يدفع عنهم المضار.
- ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾ المانعين من الخروج ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾ الذين خرجوا ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ ارجعوا لنا ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ﴾ الجهاد والقتال ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٨﴾ لجبنهم وخوفهم.
- ﴿أَشْحَةً عَلَيْكُمْ﴾ بأبدانهم عن القتال، وأموالهم عن الإنفاق ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ بجبن وهلع ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ من الخوف ﴿كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ حالهم تلك اللحظة كحال من أصابته غشية الموت ولحظته ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾ وصاروا في حالٍ من الأمن ﴿سَلَفَوْكُمْ بِالْسِّنَةِ﴾ تكلموا عليكم بكلام ﴿حِدَادٍ﴾ شديد قبيح ﴿أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ بخلاء به ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُوْثِقُوا﴾ كما أمرهم الله تعالى ﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ أبطأها ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ ﴿١٩﴾ ما وقع من ذهاب الأعمال وبطلانها.
- ﴿يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ يظنون أن هؤلاء الأحزاب الذين تجمعوا على حرب رسول الله ﷺ وصحبه لن يذهبوا حتى يقتلوهم ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾ يعودون مرة أخرى ﴿يُودُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوا فِي الْأَعْرَابِ﴾ يتمنون لو أنهم

خارج المدينة مع الأعراب ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ﴾ ماذا حصل لكم ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ﴾ بينكم حين الحرب ﴿مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٢٠﴾ خوفًا وهلعًا. • ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ فيما قال في المعركة، وما صنعه فيها من شهوده القتال، ومواجهة الأعداء ﴿لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ لمن أراد الله تعالى وفضله ونعيمه في الجنة ﴿وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا﴾ ﴿٢١﴾ وأكثر من ذكر الله تعالى.

• ﴿وَلَمَّا رَأَى عَايِنُ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ المجتمعة لقتالهم ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ ما وعدهم به في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤] ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ فيما أخبرا به ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا﴾ في قلوبهم ﴿وَسَلِيمًا﴾ ﴿٢٢﴾ وانقياداً له.

التدبير

١ - الفرار من الجهاد وكلمة الحق ومواقع الرهان لا يصنع ميلاداً جديداً، ولا يؤخر في مساحات القدر، إياك والجبن ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَحِذُّونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿١٧﴾.

٢ - إذا دعيت لساحة شرف فانهض؛ فلعلَّ قدرك فيها، وتفوز بآمال الحياة ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا



الَّذِي يَعَصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾.

٣ - قَدْرُكُ وساحة موتك ورحيلك من الحياة لا تقدمها معركة، ولا تعجل بها ساحة جهاد ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾.

٤ - كم من قاعد في بيته، ومنشغل بضيعته، وفي لهو عارض أو باطل، لقي حتفه وودّع دنياه ولقي ربه! ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾.

٥ - المثبطون عن ساحات العمل والجهاد والبناء يحتاجون أن يفتشوا عن قلوبهم، لعلها لا تخلو من نفاق! ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمْ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٨﴾ أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾.

٦ - هل رأيتموه؟! كلما قام مشروع في الأمة نبزه وثلبه! ذاك جزء من صفات النفاق ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمْ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٨﴾ أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾.

٧ - إن لم تنشط إلى ساحات الشرف؛ فلا تقعد مُخَذَّلًا في منتصف الطريق ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمْ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٨﴾

أَشْحَةً عَلَيْكُمْ^ط فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ^ط أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ^ط وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾

٨ - الولوغ في أعراض المصلحين من أبرز صفات النفاق فيآياك ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٨﴾ أَشْحَةً عَلَيْكُمْ^ط فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ^ط أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ^ط وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾

٩ - الخوف والهلع والجبين أعظم صفات النفاق والمنافقين ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوْدُوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوتُ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٢٠﴾

١٠ - من أعظم صفات النفاق التخلف عن ساحات الشرف والمعالي ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوْدُوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوتُ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٢٠﴾

١١ - لا تتفقدوهم في ساحات العمل والبناء، أو تسأل عنهم! لن ترى منهم أحداً ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوْدُوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوتُ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٢٠﴾

١٢ - رسول الله ﷺ هو القدوة لصاحب الرسالة والمنهج ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿٢١﴾ وغيرهم؛ على قدر اقترافهم من منهجه فحسب.

١٣ - ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿٢١﴾ في شجاعته، وبذله، وعطاءه، وحمل رايات العمل والبناء، والتحديات



في واقعه، وفي خوفه، وخشيته، وتقواه، وفي أخلاقه، وحبّه، واستعلائه على كثير من مواقف الخلاف، وفي صبره، وتحمله، وعفوه، وفي كل شيء.

١٤ - على قدر متابعتك لرسولك ﷺ يعلو شأنك، وتكبر همومك، وتزيد مساحة أحلامك في الدارين ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿١١﴾.

١٥ - قبل أن يموت ابن باز مفتي الديار السعودية رحمه الله بدقائق أرادوا أن يدخلوه الحمام فألبسوه حذاء اليسار قبل اليمين، أو أرادوا أن ينزعوا حذاء اليمين قبل اليسار فنبههم إلى الشئ، هكذا شأن القدوات ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿١١﴾.

١٦ - الثبات في مواقف الفتن من أعظم دلائل الإيمان ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ ﴿٢٢﴾.

١٧ - انظر قلبك في زمن الأزمات والظروف والمشكلات، وستتعرف على عقيدتك ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ ﴿٢٢﴾.

١٨ - الثقة بوعده الله تعالى ونصره وتوفيقه، لا يمكن أن تتخلف عن قلوب الصالحين، حتى في أشد الظروف وأحلكها ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ ﴿٢٢﴾.



مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ
 قَضَىٰ نَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا بَدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ
 اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ
 يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا بِغِيظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ
 وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ
 أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ
 فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ
 وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
 شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُحِدْنَ
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ
 سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْأَرْضَ
 الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾
 يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَفْ
 لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

التفسير

- ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ أو فوا بما عاهدوا الله عليه من الصبر على البأساء والضراء ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ فقتل في سبيل الله تعالى، أو مات مؤدياً لحقه وواجبه وعهده الذي أخذه على نفسه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ﴾ في تكميل ما عليه من العهد صادقاً في ذلك ﴿وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ ﴿٢٣﴾ لم ينكثوا عهداً فيما بينهم وبين الله تعالى.
- ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ توفيقاً وهدايةً ونعيماً ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ﴾ على نفاقهم ومعصيتهم ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ فيوفقهم إلى التوبة والرجوع إلى الإيمان ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿٢٤﴾ كثير المغفرة والرحمة لعباده مهما بلغ ذنبهم.
- ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ من النصر على الإسلام والمسلمين ﴿وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بما أرسل على الكفر وأهله من الريح التي قوّضت خيامهم، وفَرَّقَت جمعهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ ﴿٢٥﴾ لا غالب له.
- ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ﴾ أعانوهم ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي يهود بني قريظة ﴿مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ حصونهم ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ فلم يقووا على القتال، بل ذُلُّوا واستسلموا ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ ﴿٢٦﴾ تقتلون فريقاً منهم، وتأسرون فريقاً آخر.
- ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ نكاية بهم ﴿وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا﴾ لم تصلوها إليها من قبل ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ ﴿٢٧﴾ لا غالب له.

• ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لَّا زَوْجَكَ إِن كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ ما فيها من زينة ومتاع ﴿فَنَعَالَيْكَ أُمْتَعَكُنَّ﴾ أعطيك ما أمر الله تعالى به زيادة على حقوقك ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ ﴿٢٨﴾ طلاقاً لا ضرر فيه ولا إيذاء.

• ﴿وَلِإِن كُنْتَ تُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالْدارَ الْآخِرَةَ﴾ ما عند الله تعالى من أجرٍ ونعيم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ القائمات بالواجب، والمتفضلات بما فوقه ﴿مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٢٩﴾ جزاءً كبيراً، وهذا التخيير وقع من النبي ﷺ بعد أن اجتمع عليه نساؤه، وطلبن منه النفقة والكسوة بما لا يقدر عليه، فشق ذلك عليه ﷺ، فآلى منهن شهراً، فأمره الله تعالى بعد ذلك أن يخيّرهن.

• ﴿يَنسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ لمقامهن وفضلهن وعظيم أثرهن ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ ﴿٣٠﴾ لا يكلّفه شيئاً.

التدبر

١ - من أعظم منن الله تعالى على عبده أن يرزقه الصدق في قوله وفعله ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ﴿٢٤﴾ ومن قرأ أحاديث الوعد فيه، وتأمل أثره في قصة كعب بن مالك أدرك ما ينال صاحبه منه في النهاية.



٢ - كل حالات النجاح مردؤها إلى هذا الخلق ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾.

٣ - شارك صحابي في الغزوة، وصنع في الأعداء كل شيء، وفي النهاية شهد عليه النبي ﷺ بأنه من أهل النار، فلمَّا جرح قتل نفسه بسيفه^(١)، وذهب في عالم الضياع، وشارك صحابي آخر في غزوة أخرى، فأعطاه النبي ﷺ جزءاً من الغنيمة في أثناء المعركة فقال: ما على هذا بايعتك يا رسول الله؟! بايعتك على أن أضرب بسهم من هنا، وأشار إلى حلقه، فيخرج من هنا، وأشار إلى مؤخرة رقبته، ثم ولَّى فقال ﷺ: «إِنْ يَصْدُقَ اللَّهُ هَذَا يَصْدُقُهُ»^(٢) فُوجِدَ مقتولاً وقد أصابه سهم في المكان الذي أشار إليه وجيء به إلى النبي ﷺ فقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي شَهِيدٌ أَنَّهُ شَهِيدٌ فِي سَبِيلِكَ». ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾.

٤ - حسن الخواص وسوؤها مبني على صلاح القلوب وفسادها ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾.

٥ - ﴿وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ رغم المحن التي تلقوها، والظروف التي مروا بها، والأزمات التي عاشوا فيها.

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠٦) ومسلم (١٩١) عن أبي هريرة ؓ.

(٢) أخرجه النسائي (١٩٥٣) ومسلم (١٩١) عن شداد بن الهاد ؓ.



٦ - عاشوا مؤمنين بدينهم ثابتين على قيمهم، ولم تَزِدْهُمْ الأيام إلا صلابَةً وقوةً في الحق ﴿وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ فأين هؤلاء من صيحة واحدة عليهم، أو طارقٍ خوفٍ يتنازلون عن قيمهم وثوابتهم، ويغيرون كل شيء؟!

٧ - حتى المنافقين يبعث الله تعالى لهم أملاً في التوبة ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ما أرحم الله!

٨ - أيّاً كانت معصيتك وخطيئتك؛ فليست أكبر من خطيئة النفاق والكفر، ومن أقبل على الله أقبل الله تعالى عليه ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

٩ - ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۝٢٦ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝٢٧﴾ صورة من ممن الله تعالى على المسلمين في تلك الحقبة من الزمن، وما أكثر ممن الله تعالى علينا أفراداً وجماعات!

١٠ - تأكد أن الذي نصر نبيه ﷺ ونصر أصحابه بالأمس قادر على أن يعيد الصور ذاتها للمسلمين في كل مكان إذا التزموا بما كان عليه ﷺ وما كانت عليه تلك الأجيال ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۝٢٦ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝٢٧﴾.



١١ - القتال شر وفتنة وبلاء، وإذا وقى الله تعالى المسلمين منه؛ فقد وقاهم من بلاء كبير ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾.

١٢ - لا تتمنوا لقاء العدو أفراداً أو جماعات أو أمة ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ وهذا هو الأصل، ما لم يكن ذلك ضرورة لا يمكن معها التخلف عن أحداثه وظروفه.

١٣ - الخلاف جيلة وفطرة في الإنسان، ولكن يجب ألا يجاوز حده ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۖ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٢٩﴾.

١٤ - لا تقلق من الخلاف الذي يجري في بيتك، أو يشاركك في أسرتك، أو يأتي مع إخوانك وأصدقائك ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۖ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٢٩﴾ حتى بيوت النبي ﷺ على جلالتها لم تسلم من الخلاف.

١٥ - سيعمل الصراع دائماً بين متطلبات الدنيا ورؤى الحياة الآخرة وأهدافها في حياة كل إنسان ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۖ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٢٩﴾.

١٦ - يظل حنين المرأة للزينة العارضة، واهتمامها بشأنها ملازماً لها مهما بلغ صلاحها ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۖ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٢٩﴾ كلّمَن النبي ﷺ في شيء منها؛ فجاء هذا التخيير بين الدارين.

١٧ - دور الزوج في تأهيل زوجته روحياً وفكرياً ﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۖ وَلِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾ (٢٩) وهذا الخيار لهن واحد من التأهيل الذي يجب أن تتربى عليه المرأة في حياتها.

١٨ - العناية بالبوصلية في البيوت، وإعادة توجيهها كلما حصل فيها شيء من الانحراف ﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۖ وَلِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾ (٢٩) ولا يجوز بحال أن تسير هذه البيوت فوضى دون ضابطٍ من الشرع أو العقل.

١٩ - الرجل صاحب القرار الكبير في إدارة بيته وشأنه العائلي ﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۖ وَلِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾ (٢٩) ووجه الخطاب إليه من هذا الباب.

٢٠ - الخلاف الأسري لا يُحلُّ بالقرارات المتشنجة، والنزاع، والخصام، ورفع الأصوات ﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۖ وَلِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾ (٢٩) وإنما يأتي بالحوار الهادئ، ومن خلال الردِّ إلى الوحي وقواعد الشريعة.

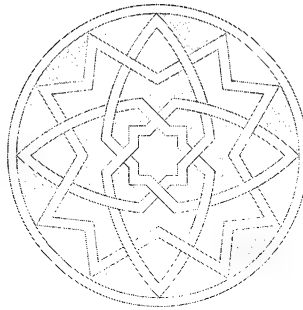
٢١ - حين تتأبى المشكلات على الحلول؛ فيظل الحلُّ إمساكاً بمعروفٍ، أو تسريحاً بإحسان ﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ



أُمِّعَنَّ وَأُسْرَحَنَّ سَرًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَلِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ .

٢٢ - ليس من ضرورة الحلول الناجعة أن يعطى أصحابها شيئاً عاجلاً ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمِّعَنَّ وَأُسْرَحَنَّ سَرًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَلِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ انتظار وعد الله تعالى في الدار الآخرة حلّ قاطع للنزاع.

٢٣ - كلما علا شأنك، وعظم موقعك، زادت تكاليف الحياة ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضْعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ .



وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ لِي وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا
 أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ
 لَسَنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ
 فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ
 فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ
 الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا
 يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
 تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ
 آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾
 إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ
 وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ
 وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ
 فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا
 وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾



التفسير

• ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ يُطْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ ﷺ ﴿وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ مثل ما نعطي غيرها مَرَّتَيْنِ ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ ﴿٣١﴾ عيشاً هنيئاً في الجنة.

• ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ في الفضل والمنزلة والكرامة ﴿إِنْ أَنْتَقِيتُنَّ﴾ ففعلتُنَّ ما أمركنَّ الله تعالى به، وتركْتُنَّ ما نهاكنَّ عنه ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ أثناء مخاطبة الرجال ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ مرض شهوة ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ ﴿٣٢﴾ متزناً خالياً من الخضوع.

• ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ ابقين فيها ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ في الخروج من البيت، والتبرج، والسفور ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فإن عوائد ذلك عليكم عظيمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ من الخبث والشر والأذى ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ بيت رسول الله ﷺ ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ﴿٣٣﴾ زيادة في كمالكم.

• ﴿وَأذْكُرَكُنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ من القرآن والسنة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ ﴿٣٤﴾ بكنَّ فيما اختار لكنَّ من الكمال بدخول بيوت النبوة.

• ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ بالشرائع الظاهرة ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ بالأمر الغيبية ﴿وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ﴾ المطيعين لله والطائعات ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ في أقوالهم وأفعالهم ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ على ما يصيبهم ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾ في أحوالهم، وخاصةً في أمر صلاتهم ﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾ بأموالهم ﴿وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ﴾ فرضاً



ونافلة ﴿وَالْحَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ عن الزنى ﴿وَالذَّكِرِينَ
اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّكِرَاتِ﴾ في سائر أوقاتهم وعامة أحوالهم ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ
مَغْفِرَةً﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٣٥﴾ رفعة في مقامهم.

التدبر

١ - من شأن المرأة الصالحة ألا تخضع بقولها لأحدٍ من الرجال ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيُّ
لَسَنًا كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَيْتُ فَلَا تَخْضَعَنَّ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ
وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ ﴿٣٣﴾.

٢ - خضوع المرأة بصوتها مظنةٌ لتعلق أصحاب الشهوات ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لَسَنًا
كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَيْتُ فَلَا تَخْضَعَنَّ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ
قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ ﴿٣٣﴾.

٣ - المرأة أخطر الشهوات على الرجل ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لَسَنًا كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ
أَتَقَيْتُ فَلَا تَخْضَعَنَّ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ ﴿٣٣﴾ وإذا
كان هذا التوجيه لأمهات المؤمنين؛ فما الظن بمن دونهن!

٤ - من أراد أن يحترز لدينه، فلا يلقي بقلبه في شتات النساء تواصلًا واتصالًا قدر
وسعه ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لَسَنًا كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَيْتُ فَلَا تَخْضَعَنَّ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ
الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ ﴿٣٣﴾.

٥ - الأصل أن تبقى المرأة في بيتها، ولا تخرج إلا لضرورة وحاجة ماسة ﴿وَقَرْنَ
فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾.



٦ - رسالة المرأة في الأصل إعداد الأجيال القادمة لمساحة البناء ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ فينبغي أن تبقى لذات المسؤوليات فحسب.

٧ - يريد الله تعالى للمرأة الستر والحياء والعفاف، ويريدون لها التبرُّج والسفور ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾.

٨ - من شؤم المرأة كثرة خروجها للأسواق، والملاهي، والأماكن العامة دون حاجة، ولا ضابط، ولا تقوى ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾.

٩ - لو أدير شأن خروج المرأة بإحصاءات دقيقة لرأيت حجم الفتنة والفساد الذي أصاب الأعراض والمجتمعات ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾.

١٠ - الجهات المعنية بحمل لواء الفضيلة مسؤولة عن وجود بدائل تصلح للمرأة في الأسواق، والأماكن الترفيهية، والمستشفيات، ونحو ذلك ممَّا يمكن أن يعين المرأة على قضاء حاجتها بعيداً عن مواطن الفتنة مع الرجال ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾.

١١ - يجب أن يحيا الخطاب الشرعي فيما يخص شأن المرأة بين الحين والآخر؛ لأن المرأة قاعدة التغيير في كثير من القضايا ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾.

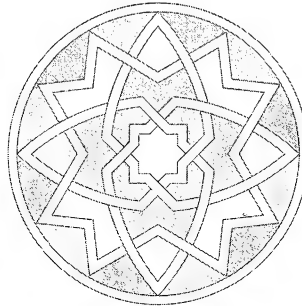
١٢ - الحجاب والستر والعفاف طهارة من لوثات الفوضى الأخلاقية ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

١٣ - إحياء الروح الإيمانية في واقع المرأة كفيل بتجسيد قضايا الطهر والعفاف في واقعهن ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

١٤ - تذكر المنن التي امتنَّ الله تعالى بها عليك مؤذنٌ بإجلال شريعته، والقيام بواجباته ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾.

١٥ - كن في ركاب هذا الموكب الجليل تنل مغفرة الله تعالى والأجر العظيم ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَفَظِينَ وَالْحَفَظَاتِ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

وكل عبادة وردت في هذا المعنى فهي جديرة بالإجلال والتعظيم.





وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ
يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ
عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ
مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ فَلَمَّا
قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا
وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا
فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ
قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ
وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ
مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ
النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

التفسير

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ من دينه ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ في فعله أو عدم فعله ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا﴾ بَعْدَ بُعْدًا ﴿مُبِينًا﴾ ﴿٣٦﴾ بَيِّنًا وَاضِحًا.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالهداية ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعقوبة، يعني بذلك: زيد بن حارثة ﴿أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ حين جاءك مشاوراً في فراق زوجه زينب بنت جحش رضي الله عنها فقلت له ناصحاً له مع علمك بأنه سيفارقها ﴿وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ وهو زواجك منها ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ في أمر زواجك منها ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ وهو أحق بالخشية من الناس ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾ طابت نفسه ورغب عنها ﴿زَوَّجَتْكُمَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ إنما فعلنا ذلك حتى لا يكون هناك حرج على الناس في الزواج من زوجات أدعيائهم ﴿إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ إذا رغبوا عنهن ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ ﴿٣٧﴾ ماضٍ كما أراد الله تعالى.

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ﴾ إثم وذنب ﴿فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ قَدَّرَ لَهُ مِنَ الزَّوْجَاتِ ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ هذه سنة الله تعالى الجارية فيمن قبله من الرسل ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ ﴿٣٨﴾ لا بد من وقوعه.

﴿الَّذِينَ يُلِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾ إلى الناس ﴿وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ يعظمون الله تعالى ولا يعظمون غيره ﴿وَكُنِيَ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ ﴿٣٩﴾ حافظاً لأعمال خلقه.



• ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ ما كان رسول الله أباً لزيد بن حارثة
﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ فلا نبي بعده ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمًا﴾ لا يغيب عنه من ذلك شيء.

• ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ بألستكم وقلوبكم وجوارحكم
﴿وَسَبِّحُوهُ﴾ نزهوه عن كل ما لا يليق به ﴿بُكْرَةً﴾ أول النهار ﴿وَأَصِيلًا﴾
آخر النهار.

• ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ يشنون عليكم في الملائكة الأعلى
﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ بسبب رحمته بكم، وثنائه عليكم،
ودعاء ملائكته لكم ليخرجكم بذلك من ظلمات الجهل والضلال إلى
نور العلم والهداية ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ لا يريد أن يشق
عليهم بالعذاب.

التفسير

١ - من كمال إيمانك، وإجلالك لربك، وتعظيمك لأمره أن تستسلم لوحيه
وشريعته ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ
مِّنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾.

٢ - تعلم أن تتلقى حكم الله تعالى دون سؤال عن العلل والأسباب ﴿وَمَا كَانَ
لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِّنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعِصِ
اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ وإذا طابت نفسك بالوحي؛ فلا حرج من
السؤال زيادة في العلم.

٣ - المنهج الرباني لا يحابي أحداً ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾.

٤ - حتى ما دار في قلب النبي ﷺ، من تحرجه من الزواج من زوجة متبناه كشفه الوحي، وألقى به على أسماع العالمين، دينٌ يربي على الوضوح والجمال والشفافية ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۝﴾ (٣٧).

٥ - إذا أراد الله تعالى أمراً ألقى له الأسباب الكفيلة لبلوغه ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ ألقى الله تعالى في قلب زيد أن يطلق زوجه لي طرح العادات الفاسدة، ويلقي بها على عرض الطريق.

٦ - لا ترهق نفسك بكثرة التفكير! فأمر الله نافذ ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾.

٧ - أقم للحق صرحاً، وعلّق قلبك بالله تعالى، ودعك من العالم كله ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (٣٩).

٨ - تصحيح التصورات والمفاهيم من أكثر القضايا التي غني بها الوحي ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٤٠).

٩ - ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ لا يفوته من أمر الخلق شيء.

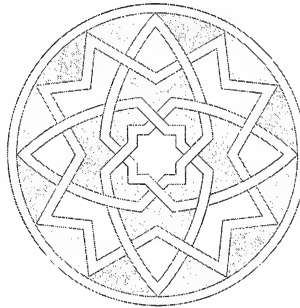
١٠ - ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ سواء ما تجريه في سرّك، أو جهرك وعلايتك!

١١ - من إجلال الله تعالى: القيام بحقه من الذكر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلاً ﴿٤٢﴾ سواء أذكار المناسبات، أو الأذكار التي تجري على لسانك كل حين.



١٢ - لو لم يكن من جزاء هذا المعنى ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ إِلَّا قَوْلَهُ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»^(١).

١٣ - سل الله تعالى أن يرزقك ما يعينك على أوامره ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ فَإِنَّ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ التَّوْفِيقِ.



(١) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يَحْيِيهِمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَأْتِيهَا
الْنَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِبًا
إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَشِرَّ الْمُؤْمِنِينَ بَأَنَّ لَهُمْ
مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا نُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ
وَدَعَّ أَدْنَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدْوٍ تَعْتَدُونَهَا
فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا
أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ
يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمِكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ
وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً
مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا
خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾

التفسير

• ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ في الجنة ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ الله تعالى ﴿سَلَامٌ﴾ قيل يحييهم الله تعالى بالسلام، وقيل: يُحْيِي بعضهم بعضاً بالسلام ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ ٤٤ ﴿من دخول الجنة وما فيها من النعيم.

• ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ على الأمة بما عملوه ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ للمؤمنين ﴿وَنَذِيرًا﴾ ٤٥ ﴿للمعرضين.

• ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾ هادياً إليه ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بأمره وإذنه لك ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ ٤٦ ﴿تضيء للناس طرق الخير، وتدلُّهم على ما ينفعهم، ويصلح شأنهم.

• ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ ٤٧ ﴿في الدنيا والآخرة جزاء إيمانهم وصبرهم.

• ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ في كل ما يصدك عن دين الله تعالى ﴿وَدَعِ أَزْوَاجَهُمْ﴾ تحمله واصبر عليه، ولا يمنعك من القيام بدينك ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فَوِّضْ أَمْرَكَ إِلَى اللَّهِ ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ٤٨ ﴿حسبك به حافظاً لك من كل سوء.

• ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ من قبل جماعهن أو الخلوة بهن ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوهنَّ﴾ لا يجب لكم عليهن عدة رعاية لحقوقكم ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ﴾ أعطوهن ما يستمتعن به من مال وعوض ونحوه ﴿وَسَرَّحُوهُنَّ﴾ خلوا سبيلهن وفارقوهن ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ ٤٩ ﴿فراقاً لا أذى فيه ولا نزاع.

• ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ﴾ ﴿أَبَحْنَا لَكَ﴾ ﴿أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾ ﴿اللاتي دفعت لهنّ مهورهنّ﴾ ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ ﴿وأحللنا لك إماءك اللواتي سبيتهنّ وملكنتهنّ بذلك﴾ ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ ﴿وأحل لك ما ذكر في الآية بشرط الهجرة معك﴾ ﴿وَأَمْرًا مُؤْمَنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ ﴿وأحللنا لك كل امرأة تهب نفسها لك أن تزوجها بدون مهر﴾ ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ ﴿إن أردت ذلك﴾ ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِنَ الدُّنْيَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿لا يحل لامرأة أن تهب نفسها لرجل فيتزوجها بدون مهر، إلا للنبي ﷺ﴾ ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ ﴿من حصرهم في أربع نسوة حرائر، وما شأوا من الإماء، واشترط الولي والمهر والشهود﴾ ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ ﴿تركناك مما اشترطنا على عامة المسلمين كي لا تقع في الحرج﴾ ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ ﴿لمن أذنب وأساء﴾ ﴿رَجِيمًا﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿لكل مؤمن.



١ - ﴿مَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۖ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ ﴿٤٤﴾ نافذة على النعيم الذي ينتظره كل مؤمن في الجنان، يحييهم الله تعالى ويكرمهم ويجازيهم.

٢ - الدعوة إلى الله تعالى من أعظم المشاريع، ولذا كانت هي مشاريع الأنبياء ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٥٥﴾ وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴿٤٦﴾.

٣ - كيف تدعو الناس؟ ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٤٥﴾ وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴿٤٦﴾ بأن تكون مخلصاً في ذاتك، ومبشراً ونذيراً لمن حولك، وتدعوهم إلى ما أمرك الله تعالى به.



٤ - الدعوة كسراج في الظلام إذا حلت بأرضٍ أو مساحة ألفت فيها الأضواء فأشرق ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وآثارها فوق تصوُّرك، وأعظم من تخيلك، ما دخلت أرضاً إلا وأقبلت بأهلها إلى الله تعالى، ولا تخلّفت عن أرضٍ إلا وانتشر فيها كل سوء.

٥ - أيها الدعاة! إنَّ معكم سُرج تبدد الظلام؛ فلا تبخلوا على العالم بالهداية وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾.

٦ - لا يليقُ بحامل السراج أن يأتي متأخراً في مشهد فضيلة، أو يكون في زاوية مظلمة وسراجُه في يده ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (٤٦).

٧ - ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾ لا إلى حزب أو جماعة أو مذهب!

٨ - ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾ لا لشهرة أو مالٍ أو مكانةٍ ومنصبٍ وجاه!

٩ - البشارة أصل في الدعوة ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ (٤٧).

١٠ - ترقّ في دعوتك، واختر عبارتك، واجتهد في تحسين أسلوبك، وتفنّن في عرضك؛ فأنت مبلغ عن رسول الله ﷺ ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾.

١١ - تفاعل في دعوتك، واختر نصوصاً تغري ببهجة دينك، وتدل الناس على ربهم، ورغبهم قدر وسعك في قبول هذا الدين ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾.

١٢ - ذكّر العالمين بما ينتظرهم عند ربهم إن آمنوا وأصلحوا وأقبلوا على الله تعالى راغبين جادين ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾.

١٣ - ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ ﴿٤٧﴾ رسالة في أحاديث الفأل والأمل، وموعد النهايات الكبرى.

١٤ - استعمل بمنهجك، وإياك وطاعة المنافقين والكافرين ﴿وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿٤٨﴾.

١٥ - كل طاعة لهؤلاء الكافرين والمنافقين ستكون على حساب منهجك وقيمك ومبادئك في الحياة ﴿وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿٤٨﴾ فَرِّ بدينك من هؤلاء كفرارك من الأسد أو المجذوم.

١٦ - لا تشغل بهيئات النفاق في الطريق ﴿وَدَعْ أَذْنَهُمْ﴾.

١٧ - إذا سمعت لغتهم أو لمزهم أو حديثهم وتخوناتهم فترقع عن ذلك، ولا تلتفت إلى ذلك ﴿وَدَعْ أَذْنَهُمْ﴾.

١٨ - ﴿وَدَعْ أَذْنَهُمْ﴾ لا تحمل قلبك من همّه، ومشاعرك من أرقه، ولسانك من أتعابه وأثقاله!

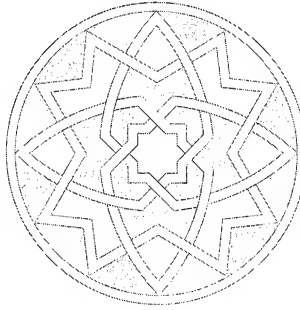
١٩ - ﴿وَدَعْ أَذْنَهُمْ﴾ لا تشغل بالردّ عليهم، والحديث عنهم، وترديد تهمهم.

٢٠ - إذا عقدت، وطلّقت، فاجبر خاطرها بشيء يسلي فراقها لك ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوهنَّ فَمَعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ ﴿٤٩﴾ حتى المشاعر يقيم لها دينك شأنًا كبيراً.

٢١ - قدر الله تعالى جاء بك إليها، وقدره تعالى عاد بها بدونك؛ فلا تحرمها هدايا الحياة ﴿وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾.



٢٢ - من حقّ نبيك ﷺ هذا الاحتفاء من ربه تعالى ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمِكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلْلِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾ ومن حقه عليك أن تجلّ سنته، وتعظم شريعته، وترفع مقامه، وتقوم في العالمين برسالته ومنهجه.



تُرْجَى مِنْ نَشَاءٍ مِنْهُنَّ وَتُؤَيَّ إِلَىكَ مِنْ نَشَاءٍ وَمِنْ أَنْبَغِيَتْ مَمَّنْ
عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا
يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي
قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ الْإِنْسَاءُ
مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا
﴿٥٢﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ
يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ
فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْشَرُوا وَلَا مُسْتَعْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ
ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا
يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ
وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ
لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ
بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِنْ تَبَدُّوا
شَيْئًا أَوْ خِفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانِ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾



التفسير

• ﴿تُرْجَىٰ مَنْ نَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ تَوَخَّرَهَا فَلَا تَبِيتَ مَعَكَ ﴿وَتَوَوَّىٰ إِلَيْكَ مَنْ نَشَاءُ﴾
تَضُمُّهَا وَتَبِيتَ عِنْدَهَا ﴿وَمَنْ أَبْغَيْتَ﴾ تَوَوَّيْهَا إِلَيْكَ ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ فلم
تَوَوَّيْهَا إِلَيْكَ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ لَا إِثْمَ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، وَهَذَا كُلُّهُ
تَوْسِيعَةٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبَاحَ لَهُ تَرْكَ الْقَسْمِ بَيْنَ زَوْجَاتِهِ، وَلَمْ يُوْجِبْهُ
عَلَيْهِ ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَأَ عَيْنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا أَيْلَتْهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾
إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَضَعَ عَنْكَ الْحَرْجَ فِي الْقَسْمِ فَلَمْ يُوْجِبْهُ
عَلَيْكَ، وَرَأَيْتُكَ تَجْتَهِدُ مِنْ قَبْلِ نَفْسِكَ فِي ذَلِكَ رَضِينَ وَقَرَّتْ أَعْيُنُهُنَّ بِمَا
يَأْتِيَهُنَّ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالْمِيلِ إِلَى بَعْضِ النِّسَاءِ
دُونَ بَعْضُهُنَّ فَوَضَعَ عَنْكَ الْحَرْجَ فِي ذَلِكَ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بِمَا
يُصْلِحُ أَحْوَالَكُمْ ﴿حَلِيمًا ٥١﴾ عَلَى أَخْطَائِكُمْ.

• ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ زَوْجَاتُكَ الْمَوْجُودَاتِ ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ
أَزْوَاجٍ﴾ وَلَوْ طَلَقْتَهُنَّ، لَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَتَزَوَّجَ غَيْرَهُنَّ ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾
حَتَّىٰ لَوْ أَعْجَبَكَ جَمَالُهُنَّ ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ مِنَ السَّرَائِرِ وَالْإِمَاءِ فَلَا
حَرْجَ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ٥٢﴾ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ.

• ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ
نَظَرٍ فِيهِ إِنَّهُ﴾ نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ دُخُولِ بَيْتِهِ ﷺ إِلَّا
بِإِذْنِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ تَرْقُبِ الطَّعَامِ حَتَّىٰ إِذَا حَانَ وَقْتُهِ دَخَلُوا عَلَيْهِ
﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا﴾ لَا حَرْجَ عَلَيْكُمْ فِي ذَلِكَ ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ﴾
أَكَلْتُمْ ﴿فَانشَرُوا﴾ تَفَرَّقُوا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ
﴿وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِحَدِيثٍ﴾ وَلَا تَقْعُدُوا يُوْنُسَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْأَحَادِيثِ

﴿إِنَّ ذَلِكُمْ﴾ الجلوس ﴿كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ يؤلمه ويحرجه ﴿فَيَسْتَحْيِ﴾ منكم ﴿وهو يجد حرجاً في نفسه﴾ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِ مِنْ الْحَقِّ ﴿أَنْ يَبَيِّنَهُ وَيُوضِّحَهُ لَكُمْ، مهما بلغ في نفوسكم﴾ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا ﴿أَي نساء النبي ﷺ﴾ فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴿ساتر يمنعكم من رؤيتهن﴾ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴿أي السؤال من وراء حجاب﴾ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ﴿أي تخرجوه وتضيّقوا عليه بذلك﴾ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ﴿فإن ذلك حرام عليكم؛ لأنهن أمهاتكم﴾ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ أي أذاكم لرسوله وزواج نسائه من بعده.

• ﴿إِنْ بُدُوا شَيْئًا﴾ تظهروه ﴿أَوْ تُخْفَوْهُ﴾ تسروه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ﴿٥٤﴾ لا تخفى عليه خافية.

التدبير

١ - يمكنك أن تعيد قراءة سيرة نبيك ﷺ من جديد لتعرف لم هذا الاحتفاء الكبير به من ربه تبارك وتعالى ﴿تُرْجَى مِنْ نَشَاءٍ مِنْهُنَّ وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مِنْ نَشَاءٍ وَمِنْ أَنْ يَنْعَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَءَ عَنِهُنَّ وَلَا يُحْزَبَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آيَنَّتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ ﴿٥١﴾ وتمثلك لمنهجه ﷺ سيفضي بك إلى تلك الرحاب.

٢ - أسقط الله تعالى عنه من تكاليف الواجب القسم بين زوجاته وأعلم نساءه بذلك حتى تسود الطمأنينة وتزین الحياة ﴿تُرْجَى مِنْ نَشَاءٍ مِنْهُنَّ وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مِنْ



تَشَاءُ^ط وَمِنْ أِبْنَيْتٍ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ^ع ذَلِكَ أَدْفَى^{٥١} أَنْ تَقْرَأَ عَيْنُهُنَّ وَلَا يَحْزَبَ^{٥٢} وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَايَتْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ^{٥٣} وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ^{٥٤} وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾

٣ - عَرَّفَ بقراراتك، واذكر أسبابها حتى لا تحدث حولك ضوضاء، وتصنع في واقعك القلق ﴿تُرْجَى مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتَقْوَى إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ^ط وَمِنْ أِبْنَيْتٍ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ^ع ذَلِكَ أَدْفَى^{٥١} أَنْ تَقْرَأَ عَيْنُهُنَّ وَلَا يَحْزَبَ^{٥٢} وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَايَتْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ^{٥٣} وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ^{٥٤} وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾

٤ - الْقَسْمُ بين الزوجات، والعدل في ذلك شريعة لا يجوز أن تُتجاوز بحال ﴿تُرْجَى مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتَقْوَى إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ^ط وَمِنْ أِبْنَيْتٍ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ^ع ذَلِكَ أَدْفَى^{٥١} أَنْ تَقْرَأَ عَيْنُهُنَّ وَلَا يَحْزَبَ^{٥٢} وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَايَتْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ^{٥٣} وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ^{٥٤} وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ وهذا الإذن عارض عن الأصل.

٥ - الشريعة تراعي مشاعر النساء، وتَجْبُرُ خواطرهن، وتقي قلوبهن الأحزان ﴿تُرْجَى مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتَقْوَى إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ^ط وَمِنْ أِبْنَيْتٍ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ^ع ذَلِكَ أَدْفَى^{٥١} أَنْ تَقْرَأَ عَيْنُهُنَّ وَلَا يَحْزَبَ^{٥٢} وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَايَتْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ^{٥٣} وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ^{٥٤} وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾

٦ - تحب الجمال وترغب في شجونه! حتى مشاعر الرسل كذلك ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ^{٥٥} الْيَسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ^{٥٦} بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ^{٥٧}﴾.

٧ - من حَقَّكَ أَنْ تُعْجِبَ، وتحب، وتهوى، وتشتاق ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ^{٥٥} الْيَسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ^{٥٦} بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ^{٥٧}﴾ يا لجمال هذا الدين!

٨ - ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ حتى الرسل يُذَكَّرُونَ برقابة الله تعالى.



٩ - أثر في ولدك وزوجك ومن تربيه هذا المعنى ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ فهو واقٍ له من كثيرٍ من الانحراف.

١٠ - ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ اجعلها رسالتك في كل من تتعامل معه في الحياة.

١١ - ماذا لو فقه كل صاحب صنعة هذا المعنى في حياته وقام به؟! ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾.

١٢ - بلغ كل صاحب رسالة ومهنة وعمل بهذه الحقيقة في حياته ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾.

١٣ - تؤذيه المجالس الطويلة وترهقه، ويجد مضضها في نفسه، ولكنه لخلقه ﷺ لم يفصح من ذلك بشيء، يا لجماله وأدبه! حتى إن الله تعالى تولى ذلك عنه ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾.

١٤ - من أدبك، وجمال وعيك، وكمال دينك، ألا ترهق أحداً بكثرة الجلوس والانتظار ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ



وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٢﴾ ومن أدبك أن ترقب مضيفك؛ فإذا وجدت شعوراً بالملل؛ فاستأذنه في الخروج.

١٥ - حتى أمهات المؤمنين إذا أراد الصحابة منهن شيئاً؛ فالسؤال من وراء حجاب، فذلك أدعى لطهارة القلوب ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ فما الشأن بغيرهن في مثل زمانك، وما يقول مَنْ تسامح في هذا الباب، حتى فتح خرقاً لا يكاد يرقع!

١٦ - التسامح في حجاب المرأة، ومخالطتها للرجال ليس من دين الله، ولا من شريعته في شيء ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾.

١٧ - لا تقل: هذه كبيرة، وقريبة، وفلانة، وأنا كذا، هذه وصية الله تعالى لأطهر رجال الأرض ونسائها في ذلك الزمان ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ فلا تشرع لنفسك، أو تفتح لها باب سوء!

١٨ - لا تبعد بنظرك بعيداً ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ يُخْفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ﴿٥٤﴾.

١٩ - قل ما تشاء، واقترح واصنع كل قرار؛ فالله تعالى يدبر شأن قلبك ونيتك ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ يُخْفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ﴿٥٤﴾.

٢٠ - حتى الأحاديث المتصارعة في قلبك يعلمها الله تعالى، ويدبر شأنها بإمعان ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ يُخْفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ﴿٥٤﴾.

٢١ - كل شيء، وفي أي مكان، وتحت أي فكرة، ومن أي جهة، كلها لا يفوت علمها على رب العالمين ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ يُخْفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ﴿٥٤﴾.

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ
 أَيْمَانُهُنَّ وَأَتَفَقَيْنَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا
 ٥٥ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٥٦ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا
 مُهِينًا ٥٧ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ٥٨
 يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ
 عَلَيْهِنَ مِنْ جَلْبَسِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَنُ وَكَانَ
 اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥٩ لَّيْنٌ لَّهُ يَنْهَى الْمُتَنَفِّقُونَ وَالَّذِينَ
 فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ
 بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ٦٠ مَلْعُونِينَ
 أَيْنَمَا نَقُوفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَفْتِيلًا ٦١ سُنَّةَ اللَّهِ فِي
 الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ٦٢



التفسير

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ﴾ لا حرج على أزواج النبي ﷺ ﴿فِيءِ آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾
ألا يحتجبن منهنَّ ﴿وَأَتَقِينَ اللَّهَ﴾ وصية لهن بتقوى الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ٥٥﴾ لا يعزب عنه من أفعال العباد شيء.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ يثنون عليه في الملائكة الأعلى
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٥٦﴾ بالصلاة المعروفة:
اللهم صل على محمد. وأتممها وأكملها صلاة التشهد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بالقول أو الفعل ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾
أبعدهم وطردهم من رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ٥٧﴾ يوم القيامة.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ بغير جناية
منهم موجبة لتلك الأذية ﴿فَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمُ﴾ بأذيتهم لهم ﴿بُهْتَنًا﴾ زوراً
وكذباً ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا ٥٨﴾ واضحاً بيناً.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ﴾
يسترن وجوههنَّ وصدورهنَّ بما عليهن من ثياب ﴿ذَلِكَ أَذَى﴾ وجود
الحجاب ﴿أَنْ يُعْرِفْنَ﴾ أنهنَّ عفيفات ﴿فَلَا يُؤْذِينَ﴾ فلا يتعرض لهن أحد
﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا﴾ لمن أذنب ﴿رَحِيمًا ٥٩﴾ بعباده.

﴿لَنْ يَنَالَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ شهوة أو شبهة ﴿وَالْمُرْجُفُونَ﴾
في المدينة ﴿وهم كل من أخاف الناس، وأفرعهم كذباً وزوراً﴾ ﴿لَنُغْرِبَنَّكَ﴾
بهم ﴿لَنَسْلُطَنَّاكَ عَلَيْهِمْ﴾ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ٦٠ ﴿في المدينة.

• ﴿مَلْعُونِينَ﴾ مطرودين مُبْعَدِينَ ﴿أَيْنَمَا تَفْضُوا﴾ أينما وجدوا ﴿أُخْذُوا﴾ وَقْتَلُوا نَفْسِيلاً ﴿٦١﴾ ﴿جزاء ما فعلوه.

• ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ عادته الجارية في كل من سبق ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ لَسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ ﴿٦٢﴾ سنة جارية كذلك في اللاحقين إلى يوم القيامة.

التدبر

١ - من حق المرأة أن ترى وتكلم محارمها في ضوء الشرع، ومحاضن الأدب ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ وَأَتَقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾.

٢ - هذا السياج المفتوح لا يجوز أن يتجاوز بابه إلا للمأذون فيه ﴿وَأَتَقِينَ اللَّهَ﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا.

٣ - التفريط في هذا الأدب أوجب مفاسد فيما بين المحارم، والشرعية تُعَلِّقُ نوافذ الشرور بإحكام ﴿وَأَتَقِينَ اللَّهَ﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا.

٤ - حتى المباحات لا بد لها من إطار يضبطها، ويحكم منافذها ﴿وَأَتَقِينَ اللَّهَ﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا.

٥ - ﴿وَأَتَقِينَ اللَّهَ﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿رسالة للمرأة ووليها بالآلا تجعل مصاريع الأبواب دون أفعال.



٦ - هل فقهت هذه الرسالة؟! ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ لعلمها تغريك بما بعدها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

٧ - إذا كان الله تعالى يصلي على نبيه ﷺ وملائكته، ويأمرك أن تصلي عليه؛ فلا تتخلف عن شيء من ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦).

٨ - من صلى عليه ﷺ مرة واحدة صلى الله عليه بها عشراً^(١) ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦).

٩ - هذا جزاء من يؤذي الله تعالى ورسوله ﷺ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (٥٧).

١٠ - قالت يهود بالأمس ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ وقالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (٥٧) فلا تنتظر من العدو إلا هذه الرزايا!

١١ - وصف الله تعالى أو وصف رسول الله ﷺ بما ليس من وصفهما أدية لا تليق بجلال الله تعالى وسلطانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (٥٧).

١٢ - وكل تحريف لصفات الله تعالى، أو تأويل دون دليل فهو من الاعتداء على رب العالمين ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (٥٧).

١٣ - وفي زمانك خرج من يسب الله تعالى سباً مقذعاً وفي ديار الإسلام؟! ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (٥٧).

(١) أخرجه مسلم (٤٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



١٤ - ومن سبَّ دين رسولهِ ﷺ، أو شكَّك في رسالته، أو رأى أنه لم يُتَمَّ ما أمر الله تعالى به، أو أنَّ شريعةً وديناً أكمل من دينه وشريعته، أو لم يبلغ رسالة الله تعالى كما أمره بها؛ فذلك كفر والعياذ بالله، وهو من أعظم صور الإيذاء ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ٥٧﴾.

١٥ - أذية المؤمنين والمؤمنات محرمةٌ وكبيرةٌ من كبائر الذنوب، وقد توعد الله تعالى عليها بالعذاب المبين ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ٥٨﴾.

١٦ - كل قول آذى المؤمنين في أعراضهم، أو اتهمهم بما ليس فيهم، أو قدح في سيرتهم؛ فهو من أذيتهم ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ٥٨﴾.

١٧ - ومثل ذلك كل فعل تعمّد به الإنسان إيذاء المؤمنين فهو معرضٌ لوعيد الله تعالى وعقابه ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ٥٨﴾.

١٨ - ما أحوج رواد التواصل الاجتماعي إلى قراءة هذا الوعيد قبل أن يكتبوا حرفاً في تلك الوسائل ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ٥٨﴾.

١٩ - لو فقهنا درس هذا الوعيد لما احتجنا إلى: (سمعت، وقيل لي، وذكروا، وبلغني) ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ٥٨﴾.

٢٠ - حتى البينات الموثوقة في أعراض الآخرين كُفَّ عنها لسانك حصانةً لدينك، وبراءةً لذمتك ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ٥٨﴾.



٢١ - ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَّازِوَجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝٥١﴾ رسالة في الطهر والعفاف والصفاء والنقاء.

٢٢ - من حق الجوهرة أن تُصانَ عن أعين المارة، وأصحاب الشهوات، وسُرَّاق الأعراض ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَّازِوَجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝٥١﴾.

٢٣ - الحجاب ليس عادةً أو تقليدًا! إنه شعار الطهر والعفاف ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ ۚ﴾.

٢٤ - أيدي أصحاب الشهوات لا تنال صاحبة الحجاب والعفاف والطهر، وإنما تمتدُّ للعارية من الستر، والرخيصة في عرض الطريق ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَّازِوَجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝٥١﴾.

٢٥ - ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ ۚ﴾ يا لجاهلية القرن العشرين! يلمزونها بما يجعله الله تعالى إشارة إلى نقائها وطهرها وعفافها وصفائها!

٢٦ - لا أعرف نفاذك إلا من خلال حجابك، ولا أعرف انحطاطك وفوضيتك إلا من خلال عُربك من مباحج الحجاب ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ ۚ﴾.

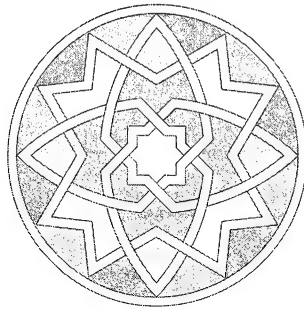
٢٧ - لا تحدِّثيني عن طهرك وعفافك! حجابك يكفي عن ألف جواب ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ ۚ﴾ ولا تحدِّثيني عن قيمك ومبادئك! تخليك عن حجابك يغني عن ألف جواب ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ ۚ﴾.

٢٨ - المنافق تطارده لعنة الله تعالى وهو في بيته وطريقه وعمله ﴿لَئِنْ لَّمْ يَنْهَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخِذُوا وَقْتَهُمْ تَفْتِيلًا ۝٦١﴾.



٢٩ - قم من مقعدك، وفتش قلبك، وتعااهده من النفاق، فالمسألة أخطر من تصوورك ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْهَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا نَفْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾.

٣٠ - حين تتحدث عن النفاق لا تتحدث عن أناس مجهولين! إنك تتحدث عن جارٍ وزميلٍ وصديقٍ وصاحب صلاة، النفاق سمٌ زعاف وهو عدوك الداخلي ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْهَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا نَفْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾.





يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ
لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ
وَأَطَعْنَا الرُّسُلَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا
فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ
وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
ءَاذُوا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
الْإِنْسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

التفسير

- ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾ عن وقتها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ علم وقت قيامها ﴿وَمَا يَذُرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (٦٣).
- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ﴾ طردهم وأبعدهم من رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ (٦٤) ناراً.
- ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ لا يحولون عنها ﴿لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٦٥) يتولاهم وينجيهم من عذاب السعير.
- ﴿يَوْمَ نُقَلِّبُ وُجُوهَهُمْ فِي النَّارِ﴾ يوم القيامة ﴿يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ (٦٦) متندمين على ما فاتهم من الفرص.
- ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾ قللناهم على ضلالهم ﴿فَاضْلَلُونَا السَّبِيلًا﴾ (٦٧) الطريق الصحيح.
- ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ عذبهم مثلي عذابنا مرتين ﴿وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ (٦٨) اطردهم من رحمتك، وأبعدهم إبعاداً كبيراً.
- ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَى﴾ حين رأوا من شدة تسيره فقالوا: إنه آدر، في خصيته مرض ﴿فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ حين فرّ الحجر بثوبه حتى رآه بنو إسرائيل عرياناً ليس به عيب ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ (٦٩) صاحب منزلة رفيعة، ومكانة عالية.
- ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية؛ بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) قولاً صحيحاً صادقاً واضحاً، تتفعون به في دنياكم وأخراكم.



- ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ يوفِّقكم لصالِح الأعمال ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ يمحوها عنكم ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) لا فوز مثله.
- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ أي إِنَّ الله تعالى عرض طاعته وفرائضه على ما هي عليه اليوم عَرَضَ تَخْيِيرٍ لا تَحْتِيمٍ ﴿عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا﴾ رفضن حملها ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ خفن ألا يقمن بواجب ذلك ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ قَبِلَهَا ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه ﴿جَهُولًا﴾ (٧٢) بثقل الأمانة.
- ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ الذين لا يقومون بأداء الأمانة على وجهها المراد ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ فيما حصل منهم من نقص ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لكل ذنب ﴿رَحِيمًا﴾ (٧٣) بالمؤمنين.

التفسير

- ١ - كل سؤال لا يترتب عليه عمل لا تُثْلَقُ له بالاً، ولا يأخذ من وقتك شيئاً ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (٦٣) لم يكلفك الله تعالى بمعرفة شأن الساعة؛ وإنما سألك إعمار أيام الدنيا بالبناء.
- ٢ - انشغال هؤلاء بالسؤال عن يوم القيامة ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (٦٣) كانشغال أمم في الأرض بقال فلان، ويقول فلان.
- ٣ - (١٠٪) من الخلق لهم علاقة بأحداث السياسة، و(٩٠٪) مشغولون بها ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (٦٣) ضعفٌ وعي، وسوء فقه.



٤ - من كمال علمك وفقهك وعقلك إذا قرأت تمنياً لمشؤوم أن تنظر واقعك في شكواه، وتقيم لأمنيته صرحاً من عمل في واقعك ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ ﴿٦٦﴾.

٥ - ما أكثر الأتباع الذين سيأتون يكون ندماً على فوات فضيلة التفكير في واقعهم ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ﴾ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنَا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾.

٦ - أعطاه الله تعالى عقلاً فأجره لقناة فضائية، ورئيس دائرة، وكاتب عمود صحفي، ومحلل سياسي، وصديق عمر، وزميل عمل، ووظيفة، ثم جاء يبكي في النهايات ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ﴾ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنَا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾.

٧ - كن حراً! إذا دعاك ضال كبير إلى رجس فأعز نفسك أن تكون زيادةً في أعداد الباطل، وصفوف الضياع ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ﴾ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنَا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾.

٨ - الاعتداء على الرسل صناعة النفاق والكفر، فلا تكن شريكاً في ساحة سوء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ ﴿٦٩﴾.

٩ - من كمال عقلك أن تجد ألف عذرٍ لصاحب تقوى، وألا تكون شريكاً مع زمر الظالمين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ ﴿٦٩﴾.

١٠ - إن الله يدافع عن الذين آمنوا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ ﴿٦٩﴾ تولى الله تعالى الدفاع عن وليه وعبد الصالح ورسوله موسى ﷺ؛ فأجرى الحجر بثيابه حتى رآه بنو إسرائيل عارياً جميلاً ليس فيه سوء.



١١ - لا تقلق لتهمة عرضك؛ فقد نالت مَنْ هم أكرم منك جهاداً ورسالة وعلماً وتقوى وصلاحاً ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ۝٦٩﴾.

١٢ - لا تتوقف لتهمة، أو كلمة، أو موقف؛ فتلك أمانسي النفاق، واصل طريق النور، فقد أوشك الظلام على الزوال ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ۝٦٩﴾.

١٣ - إياك أن تظن أن المعركة ستتوقف يوماً ما، هي سائرة منذ زمن موسى ﷺ إلى نهاية التاريخ ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ۝٦٩﴾.

١٤ - تمسك بتقوى الله، وأكثر من مشاهدتها في حياتك تلقى رضوان الله تعالى كما تشاء ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ ءَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ۝٧١﴾.

١٥ - حصن لسانك من هيشات السفهاء وقول الزور، وسترى مباحج التوفيق تغشاك ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ ءَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ۝٧١﴾.

١٦ - مباحج الحياة، وصلاح العمل، وغفران الذنوب وقف على تقوى الله تعالى وإصلاح اللسان ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ ءَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ۝٧١﴾ وإصلاح لسانك من تقوى الله تعالى، وإنما خصه لعظيم أثره، وكبير دوره، فلا تستسهلن أمره، وتغفل عن رعايته.

١٧ - الفوز الحقيقي والنصر الكبير هو ما يأتي يوم القيامة ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ ءَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ

اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ وكل ما لم يأت من هذا الطريق فلا علاقة له بهذا المعنى الكبير.

١٨ - دينك أمانة، وبيتك أمانة، وأسررتك أمانة، ووظيفتك ومسؤوليتك أمانة، ومشروعك الكبير في الحياة أمانة، وعليك أن تجهد غايتك في سبيل تحقيق تلك الواجبات الكبرى في الحياة ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ ﴿٧٢﴾.

١٩ - من فقهك بأمانة بيتك وأسررتك وولدك وزوجك أن تقرأ وتتعلم، وتحضر دورات حتى تتمكن من تربيتهم، وتحصين أفكارهم، وبناء واقعهم، وتكون مسؤولاً عنهم، فلا تدخل عليهم رزقاً محرماً، أو وارداً يعارض قيمهم ومبادئهم ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ ﴿٧٢﴾.

٢٠ - ومن فقهك بمسؤوليتك ووظيفتك ومشروعك أن تجتهد قدر وسعك في أن تؤدي ما تبرئ به ذمتك، وتحقق أهداف هذه الوظيفة، وتحمي هذا الثغر الذي أوثمت عليه ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ ﴿٧٢﴾.

٢١ - ومن وعيك بأمانة دينك أن تتعلم وتفقه كل ما يرقيك في هذا الجانب، وأن تؤدي أدوارها كما يريد الله تعالى على قدر وسعك، وأن تتعرف على غايات هذه العبادات، وتثري ساحاتها في واقعك ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ ﴿٧٢﴾.



سُورَةُ سَبَأٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي
 الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا
 يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ
 الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي
 لَتَأْتِيََنَّكُمْ عَلِيمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي
 السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا
 أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ
 ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن
 رَّجْزِ الْيَمِّ ﴿٥﴾ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ
 مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يَنْتَشِكُمْ إِذَا مَرْفَئَتْ كُلُّ
 مُمْرَقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾

التفسير

• ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ له ملك السموات والأرض، خلقاً وتدبراً، وله الثناء المطلق، والشكر الكامل على ذلك في الدنيا وفي الآخرة ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في تدبير خلقه وأمره ﴿الْخَيْرُ ①﴾ بما يصلح شؤونهم.

• ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ ما يدخل فيها ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النباتات ونحوها ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من الأملاك والأرزاق والأقذار ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ من الملائكة والأرواح وأعمال العباد ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ②﴾ صاحب الرحمة الواسعة والمغفرة العظيمة، لمن شاء من عباده.

• ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ ليس هناك قيامة ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَٰكُمْ﴾ الساعة ﴿عَلِمَ الْغَيْبُ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾ لا يغيب عنه ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ③ ﴿مهما جلّ أو حقر لا يغيب عن علم الله تعالى.

• ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يشيهم على أعمالهم بالجزاء الأوفى ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ④﴾ في الجنة.

• ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ مبطلين لها ومكذّبين ﴿مُعْجِزِينَ﴾ متّحدين لنا ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ ⑤﴾ من أشد أنواع العذاب ألماً وإهانة.



• ﴿وَبَرَى﴾ ويعلم ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ من المؤمنين الصادقين ﴿الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾ لا مريّة ولا شكّ فيه ﴿وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ﴾ لا غالب لأمره ﴿الْحَمِيدِ﴾ ﴿٦﴾ المحمود في كل شؤونه.

• ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ﴾ أيها الناس ﴿عَلَى رَجُلٍ يَنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مُمْزَقٍ﴾
 إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ يقول لكم: إنكم بعد موتكم وتقطعكم في الأرض أنكم عائدون للحساب والعقاب.

الأسرار

١ - استشعر ملك الله وعظمته وحكمته تعالى، ثم خُزَّ له ساجداً وشاكراً حامداً ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ ﴿٢﴾.

٢ - شعورك بترتيب هذه الحياة في فلك حكمة الله تعالى كافٍ لإحياء روحك، وتحريك طاقاتك ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ ﴿٢﴾.

٣ - تصوّر ملك الله تعالى وأنه يعلم كل شيء، ويدبر كل شأن، ومع كل ذلك ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾.

٤ - ماذا لو ألقينا بأشواق قلوبنا في فضاء هذا المعنى، وأقبلنا إليه صادقين ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾؟!

٥ - لا تقلق على رزقك، ولا على وظيفتك المتأخرة، ولا على قضية زواجك، ولا على قصة حلمك ومشروعك! كلُّها بيد الحكيم الخبير ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ❶ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ❷﴾.

٦ - من لم يعظم ربه لا يمكن أن يحتفل بوحيه وشرعه ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾.

٧ - الجرأة على الله تعالى من أعظم الأدلة على خراب القلوب ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾.

٨ - ردُّ الشبهات، ودحض الأفكار الخاطئة، ومقاومة التصورات غير الصحيحة منهجٌ شرعي ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْزَبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ❷.

٩ - ﴿لَا يُعْزَبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ حتى همومك الصغيرة، وأحداث بيتك، وقصة وظيفتك، وما دار بينك وبين نفسك.

١٠ - ﴿لَا يُعْزَبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ حتى الأحاديث التي قلتها، والأسطر التي دوّنتها، والكلمات التي غرّدت بها.

١١ - ﴿لَا يُعْزَبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ حتى حساباتك المخفية، واتصالاتك، ومعاملاتك التي وقّعت عليها، وأموالك التي جمعتها.



١٢ - ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ كلُّ شيءٍ دار في قصّة حياتك ومَرٌّ في أيامك سيعرض عليك في يوم أنت أحوج ما تكون فيه لعملٍ صالحٍ يوسّع أثرَكَ، ويثقل ميزانَكَ، وأشفق ما تكون من شيءٍ ينقص حظَكَ، ويبعِدك للظلام.

١٣ - الجزاء على قدر العمل ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

١٤ - ميزانك في الآخرة، هو أحداثك التي تكاثر بها في هذه الحياة ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

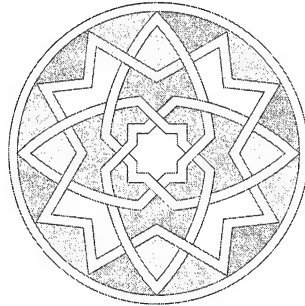
١٥ - إن لم يكن دور العلم هكذا، وإلا فلا مفروح به في واقع إنسان ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ تصحيح الرؤية والهداية إلى الصراط المستقيم.

١٦ - إذا أردت طريقاً سالكاً بك إلى الحقائق، ويهدي بك إلى الصراط؛ فالزم هذا الوحي ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ لا تبحث عن حقائق في غير هذا الوحي، لو استنفدت عمرك لن تجد حقيقة في غيره.

١٧ - ما تجده في كتب الحضارة كلها إن كان صحيحاً؛ فهو من هذا المعين، وما عداه كذب وخرافة ودجل لا قيمة له ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾.

١٨ - عدم الاحتفال بحقائق الوحي فرغ عن الجهل بالله ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مَزِقَ إِنْكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ﴿٧﴾.

١٩ - السخرية والاستهزاء جزء من أخلاق الضالين ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مَزِقَ إِنْكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ﴿٧﴾.





أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
 فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
 وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَسْأًا نَخِيفُ بِهِمْ
 الْأَرْضَ أَوْ نَسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا
 يَجِبَالٍ أَوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرِ وَالنَّارِ لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ
 سَبْعَ نَجْمَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
 بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلَسَلِمَنَّ الرِّيحُ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ
 وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ
 رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾
 يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَرِّبٍ وَتَمْثِيلٍ وَحِفَافٍ كَالْجَوَابِ
 وَقُدُورِ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ
 الشَّاكِرُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ
 إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَاتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ
 أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾

التفسير

﴿ أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ بهذا القول الذي جاء به ﴿ أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ مجنون يتكلم بما لا يدرك ﴿ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ فكذبوا بها، وأنكروا القيامة ﴿ فِي الْعَذَابِ ﴾ يوم القيامة ﴿ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴾ (٨) عن الحق.

﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ ألا يتعظون ويعتبرون بما يرون من هذه المخلوقات الشاهدة على حكمة الله تعالى وقدرته في الكون؟! ﴿ إِنْ شَاءَ نَخْصِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ ﴾ كما فعلنا بقارون ﴿ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾ قطعاً من السماء فنهلكهم ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ ﴾ الذي ذكرناه من مظاهر قدرتنا ﴿ لَآيَةً ﴾ لحجة ودليلاً ﴿ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ (٩) راجع إلى الله تعالى بالتوبة.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا ﴾ أعطينا ﴿ دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ﴾ من العلم النافع، والعمل الصالح، والملك ﴿ يَجِبَالُ أَوْىَىٰ مَعَهُ ﴾ سبحي معه ﴿ وَالطَّيْرِ ﴾ تسبح معه كذلك ﴿ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ (١٠) جعلنا الحديد ليئاً في يده، يصرفه كيف يشاء ﴿ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ ﴾ دروعاً واسعة كما يقال: نعمة سابغة تامة كاملة واسعة ﴿ وَقَدَرِ فِي السَّرْدِ ﴾ أحكم وجوّد صنعة هذه الدروع ﴿ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ بطاعة الله تعالى ﴿ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١١) لا يخفى عليّ من عملكم شيء.

﴿ وَلِسُلَيْمَانَ ﴾ ابن داود ﴿ الرِّيحَ ﴾ سخرها الله تعالى له ﴿ غَدُوها شَهْرٌ ﴾ تقطع ما بين أول النهار إلى الزوال ما يقطعه الناس في شهر ﴿ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ تقطع من الزوال إلى آخر النهار ما يقطعه الناس كذلك في شهر



﴿وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الْفَطْرِ﴾ النحاس المذاب، جعله الله تعالى لسليمان ليناً مذاباً، يستخدمه في قضاء مصالحه ﴿وَمَنْ أَلْجَنَ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ في خدمته ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ كل ذلك ﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ ينحرف عن طاعة سليمان التي أمرناه بها ﴿نَذِقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ ﴿١٢﴾ نار جهنم.

• ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبَ﴾ قصوراً مرتفعة، وأبنية عالية، وأصل كلمة المحراب: كل مكان مرتفع ﴿وَتَمَثِّلُ﴾ وهي كل ما صور على هيئة حيوان أو جماد، ونحو ذلك ﴿وَحِفَانٍ﴾ جمع جفنة، وهي الأنية الكبيرة ﴿كَالْجُؤَابِ﴾ كالأحواض الكبيرة ﴿وَقُدُورٍ﴾ وهي الأنية التي يطبخ فيها ﴿رَأْسِيَّتٍ﴾ ثابتات ﴿أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ﴾ اعملوا الصالحات ﴿شُكْرًا﴾ شكراً لله تعالى على هذه النعم العظيمة ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿١٣﴾ قليل من الناس من يعترف برب العالمين صاحب النعمة ومسببها.

• ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ قدرنا على سليمان الموت ﴿مَا دَهُمُ عَلَىٰ مَوْتِهِ﴾ ما أرشدهم على موته ﴿إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ الأرضة ﴿تَأْكُلُ مِنْ سَائِهِ﴾ عصاه ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ سقط ﴿تَبَيَّنَتِ الْجُنُ﴾ ظهر لهم ﴿أَن لَّوْكَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ كما يزعمون ﴿مَا لَيْسُوا فِي الْعَذَابِ الْمُبِينِ﴾ ﴿١٤﴾ ما بقوا في الأعمال التي كلفهم بها سليمان مع موته.



١ - ﴿أَفَتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ لا هذه ولا تلك، ولكن الضلال لا حدود له.



٢ - كثيرون لم يتأكدوا بعد من صدق هذا الرسول ﷺ وسيأتون في النهايات نادمين ﴿أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾﴾.

٣ - كم من مشاهد وحجج لم تنفع الضالين في شيء! ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَاءْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾﴾ وإذا عمي القلب لم ينتفع الإنسان من جوارحه بشيء.

٤ - ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ ليست لكل فاجرٍ معارضٍ لا يقيم الله تعالى حقاً، ولا يجعل له شريعة!

٥ - كل نعمة تراها مُسَبَّغَةً على إنسان فهي من توفيق الله تعالى عليه، ليس له من ذلك إلا فعل الأسباب ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجْعَلُ أَوِيَّي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَليحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

٦ - حين يريد الله تعالى أن يقيم شأناً لعبده صالح ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجْعَلُ أَوِيَّي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَليحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ وَلِسَلِّمَنَّ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوْحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ فلا تقل كيف جاءت هذه النعم! ألقِ برحاب قلبك وفكرك ومشاعرك في جلال ملك الله تعالى، وألقِ بجسدك في مساحات العمل والصدق واليقين، وسترى ما يسرُّك.



٧ - إذا أراد الله تعالى لعبده شيئاً أجرى له المستحيل ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً^ط يَجِبَالُ أَوَّي مَعَهُ، وَالطَّيْرُ^ط وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ^{١٠}﴾ طوع الله تعالى له الحديد، وجعل الجمادات والطيور تسبّح معه في كل حين.

٨ - لا تقلق على مستقبلك! فالذي ألان الحديد لداود قادر أن يعطيك كل أمانيك في الحياة ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً^ط يَجِبَالُ أَوَّي مَعَهُ، وَالطَّيْرُ^ط وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ^{١٠}﴾.

٩ - ﴿يَجِبَالُ أَوَّي مَعَهُ، وَالطَّيْرُ^ط﴾ هل رأيت كيف سخر الله تعالى الكون لعبده! لا تياس لظروفك وعوائق طريقك، فالله تعالى قادر على كل شيء.

١٠ - تأمل في ملك سليمان! وألق ببصرك ومشاعرك في ملك الله تعالى! ﴿وَلِسَلِيمَنَ الرِّيحِ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ^ط وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ^ط وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ^ط وَمَن يَزِغُ مِنْهُمْ عَن أَمْرِنَا نَذْفُهُ^ط مِن عَذَابِ السَّعِيرِ^{١٢}﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ، مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ^ط أَعْمَلُوا أَل دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ^{١٣}﴾.

١١ - هذا كله من سؤال واحد ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ [ص: ٣٥] فكيف لو ألقيت بقلبك ومشاعرك على باب الله تعالى، وسألته كُلَّ ما تريد! ﴿وَلِسَلِيمَنَ الرِّيحِ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ^ط وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ^ط وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ^ط وَمَن يَزِغُ مِنْهُمْ عَن أَمْرِنَا نَذْفُهُ^ط مِن عَذَابِ السَّعِيرِ^{١٢}﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ، مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ^ط أَعْمَلُوا أَل دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ^{١٣}﴾.

١٢ - أعظم ما تقابل به النعم شكر الله تعالى ﴿أَعْمَلُوا أَل دَاوُدَ شُكْرًا﴾.

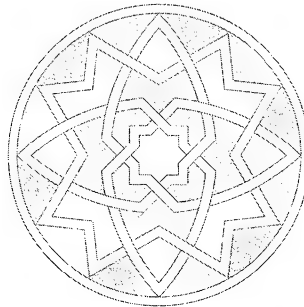
١٣ - من الحقائق المُرّة في الحياة ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ كم مرّة تفضل عليهم بوافر النعم! وكم مرّة مضوا، ولم يمنحوها حقّها من الشكر!

١٤ - الشكر ليس كلاماً يُرَدَّد، وإنما تقديرٌ لنعم الله تعالى في القلب، واستدراؤٌ للسان بالحمد، وعملٌ بالجوارح في ساحات أوامر الله تعالى ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾.

١٥ - يخافون من الجن، وهي أعجز من أن تدبر شأن معرفة رجل مات وهو يتكىء على عصاه ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ فَلَما خَرَّتَيْنِ الْجُنُّ أَن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ (١٤).

١٦ - قضوا زمناً يخدمون رجلاً ميتاً، وأدركوا من الأرضة حلَّ أزمته الكبري ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ فَلَما خَرَّتَيْنِ الْجُنُّ أَن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ (١٤) وكذلك الناس!

١٧ - اطمئن! لا أحد يدبر الكون غير الله تعالى ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ فَلَما خَرَّتَيْنِ الْجُنُّ أَن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ (١٤).





لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ
كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ
﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْمَلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ
﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرَ ﴿١٧﴾
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً
وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيًَّ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾
فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ
أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا
فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ
إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ
اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

التفسير

• ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ قبيلة من قبائل اليمن ﴿فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ محلهم ﴿ءَايَةُ﴾ عظة وعبرة ﴿جَنَّاتٍ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ بساتين وارفعة تقع يمين مسكنهم ويساره ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ كلوا من نعمه، واشكروا له نعمته ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ هذه التي تسكنونها لما فيها من النعم ﴿وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ (١٥) واسع المغفرة.

• ﴿فَاعْرِضُوا﴾ عن طاعة الله تعالى، ولم يقوموا بشكره ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ اسم للوادي، أو السدود التي كانت تحتجز المياه ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ﴾ الطبيتين المباركتين ﴿جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْثَلٍ خَمْطٍ﴾ ثمرٍ مُّرٍّ لا فائدة فيه ﴿وَأَثَلٍ﴾ نوع من الشجر ﴿وَشَتَّى مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ (١٦) بعض السدر لا كله.

• ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ هذا الذي فعلناه بهم جزاء كفرهم ﴿وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ﴾ (١٧) ولا نعاقب بمثل هذا الحرمان إلا الجاحد بآيات الله تعالى.

• ﴿وَجَعَلْنَا﴾ من كمال نعمتنا عليهم كذلك ﴿يَنبُتُ فِيهَا النَّخْلُ وَالْأَلْفُ الْفَرْسِ الْبَرْكُ﴾ فيها ﴿كَمْكَةً﴾ وبيت المقدس في الشام ﴿قُرَى ظَهْرَةٍ﴾ متقاربة متواصلة ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ جعلناه سيراً مقدراً محدداً، فلا يخرج المسافر من قرية إلا ودخل القرية الثانية ﴿سَيْرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ (١٨) لا يخافون اعتداءً، ولا يخشون جوعاً.

• ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا﴾ اجعل بيننا وبين أماكن سفرنا وحوائجنا مسافات بعيدة ﴿وَوَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بجحود ما كانوا عليه من النعمة



وطلبوا زواله ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ على ألسنة الناس يضربُ بهم المثل
في نكران النعم ويقول الشاعر:

حفظ التاريخ في طيَّاته اسم من شادوا على العدل الدُّول
ولقد أنبأ عمَّن ظلموا فجرى ذكرهم مجرى المثل

﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ فرَّقناهم وشتَّتْناهم بعد أن كانوا مجتمعين مؤتلفين
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ لعظات وعِبْرًا ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على بلاء الله تعالى
ومحنه ﴿شَكُورٍ﴾ ﴿١١﴾ على نعمه.

• ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ صدق عليهم ظن إبليس في قوله: ﴿وَلَا
يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧] ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ فيما أمرهم به من الكفر
والإعراض ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ عرفوا كيدَه فلم يتَّبِعُوهُ.

• ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ﴾ ما كان يملك ما يقهرهم ويكرههم
على طاعته إِلَّا بتسليطنا له عليهم ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ حتى نعلم ﴿مَن يُؤْمِنُ
بِالْآخِرَةِ﴾ ما فيها من الجزاء ﴿مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ أوقعته فيه طاعة
الشیطان ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِیْظٌ﴾ ﴿٢١﴾ لا يعزب عنه من أعمال الناس
شيء.

• ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أنهم شركاء الله ﴿لَا يَمْلِكُونَ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ لا يملكون من أمر الكون شيئاً
قلَّ أو كَثُرَ ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍَ﴾ ليسوا شركاء الله تعالى في ملكه
﴿وَمَا لَهُ﴾ أي الله ﴿مِنْهُمْ﴾ من الآلهة ﴿مِّنْ ظَهِيرٍ﴾ ﴿٢٢﴾ نصير أو مُعين يعينه
في ملكه.

التدبير

١ - نعم الله تعالى ترى عليك للاختبار والابتلاء فتنبه ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾.

٢ - كل نعمة لا تلقى حظها من الشكر والعرفان لا تبقى في ساحات صاحبها ﴿فَاعْرِضُوا فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ اَكْلِ خُمِطٍ وَاَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَىٰ اِلَّا الْكَافِرُ ﴿١٧﴾﴾.

٣ - ما قوبلت نعم الله تعالى بأسوأ من الإعراض ﴿فَاعْرِضُوا فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ اَكْلِ خُمِطٍ وَاَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَىٰ اِلَّا الْكَافِرُ ﴿١٧﴾﴾.

٤ - تأمل في نفسك نعم الله تعالى الوارفة عليك، وانظر بماذا قابلتها من إحداث الشكر والعرفان ﴿فَاعْرِضُوا فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ اَكْلِ خُمِطٍ وَاَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَىٰ اِلَّا الْكَافِرُ ﴿١٧﴾﴾ حتى وظيفتك، وعملك، ومكانتك، وجاهك، ومسؤوليتك إن لم تقابلها بالشكر؛ وإلا تودّعت منك، ومثل ذلك علمك، وقلمك، إن لم تحسّن ضيافتها وتقم بواجبها؛ وإلا ارتحلت من مساحتك.

٥ - كان طالب علم متميّزاً، قد فتح الله تعالى عليه توفيقاً كبيراً؛ فقعده في بيته، ولم يقم بأعباء وأثقال هذه المهمة؛ مات ذكره، ورفع علمه، وتودّع منه فيا لخيبة الخسران! ﴿فَاعْرِضُوا فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ اَكْلِ خُمِطٍ وَاَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَىٰ اِلَّا الْكَافِرُ ﴿١٧﴾﴾.



٦ - ﴿سَيَلَّ الْعَرِمَ﴾ جند من جنود الله تعالى، استل نعم الله تعالى من أهل سبأ في لحظة، وأتى على مقدرات النعيم، ونثرها في عرض الطريق ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْثَلِ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾.

٧ - حين يبلغ البطر بالنعمة مداه! ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالٍ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ كانوا في نعم باسطة فسألوا الله تعالى زوالها.

٨ - لو عددت نعم الله عليك في بيتك وأمنك وستر عرضك وعيشك ووظيفتك لما مللت من شكر الله تعالى عليها ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالٍ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾.

٩ - كفران النعم، وعدم القيام بحقها من ظن إبليس بأصحابه ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾.

١٠ - من التجارب البائسة في عمر إنسان أن يسأل مخلوقاً، أو يلود بنصير من دون الله تعالى ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا نَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغِدُّونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنُؤْمِنَ بِهِذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾



التفسير

• ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ﴾ لا يشفع أحد عند الله تعالى ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ الله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ كشف عن قلوب الملائكة الفزع من كلام الله تعالى بالوحي ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ﴾ وذلك حين يفيقون مما أصابهم يتساءلون «ماذا قال ربكم» فيقول بعضهم لبعض: ﴿قَالُوا الْحَقَّ﴾ أي إنما قال الحق ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ بذاته وعلو قدره ﴿الْكَبِيرُ﴾ (٢٣) في ذاته وصفاته.

• ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله لهؤلاء المشركين: ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من يقدر على رزقكم ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ القادر على ذلك ﴿وَأِنَّا أَوْ إِيبَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢٤) نحن إما على هدى أو في ضلال، وكذلك أنتم إما على هدى أو في ضلال مبين.

• ﴿قُلْ لَا تُسَلُّوْا عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُنْسَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢٥) فكل مسؤول عن عمله، ليس لأحد من سبيل على الآخر ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ يقضي بيننا بالحق ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ﴾ الحاكم في كل أمر ﴿الْعَلِيمُ﴾ (٢٦) المطلع على أفعال العباد كلها.

• ﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾ أطلعوني على من جعلتموه لله شريكاً ﴿كَلَّا﴾ لا يملكون شيئاً من الأمر ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ (٢٧) في تدبير خلقه وأمره.

• ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ رسولاً لكل الناس ﴿بَشِيرًا﴾ للمؤمنين ﴿وَنَذِيرًا﴾ للمعرضين ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٨) حقيقة رسالتك وما فيها من الخير لهم.

- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ يوم القيامة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ فيما تقولون لنا.
- ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ﴾ يوم القيامة ﴿لَا تَسْتَعْجِلُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ بل هو زمن محدد مؤقت.
- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب السماوية التي سبقته ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ محبوبسون للجزاء ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا﴾ الأتباع والعوام ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ الزعماء والقادة والرؤساء ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣١﴾ فأنتم الذين منعمونا من الإيمان.

التدبر

- ١ - كلما تقرب الإنسان من ربه زاد إجلالاً وتعظيماً له ﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ المعرفة الفاعلة في واقع أصحابها.
- ٢ - إذا تقررت هذه القضية ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قُلِ اللَّهُ ﴿فخذ حظك الكافي من الاستقرار والطمأنينة.
- ٣ - يبيتون مرهقين مجهدين، وتحمل نفوسهم هم الغد، ماذا لو آمنوا بهذه الحقيقة الكبرى؟! ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قُلِ اللَّهُ ﴿وخرجوا في صباح كل يوم في بذل الأسباب الممكنة فحسب!﴾
- ٤ - يجهد ويتعب ويحاول أن يأكل مالا بألف وسيلة من الحرام، ويفوته أن الذي يدير شأن الأرزاق هو الله ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قُلِ اللَّهُ ﴿.



٥ - سمع بوظيفة؛ فخرج ليلاً يسابق جاره عليها، وبلغه خبر ترقية، فذهب يدفع أموالاً من أجل الوصول إليها، وفاته هذا المعنى الكبير ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ﴾.

٦ - هل تريد أن تعرف الفرق بين الهدى والضلال! تأمل هذا التعبير القرآني البديع ﴿وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ عبّر عن الهدى بعلى، وعبّر عن الضلال بفي. أشار إلى ذلك ابن القيم في مدارج السالكين.

٧ - الهدى علو وارتفاع، والضلال انحطاط ووهن ﴿وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

٨ - المسؤولية فردية، والقرار شخصي، والتبعة على كل إنسان بعينه، وللحقائق موعِد ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾.

٩ - كل دعوى لا تقوم على البراهين والأدلة الكافية لا قيمة لها في واقع صاحبها ﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَهَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾.

١٠ - ليس لأحد من الخلق عذر في أنه لم يُرسل له من يبلغه الحقائق ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ كَافَّةً للأولين والآخرين، للسابقين واللاحقين إلى يوم الدين.

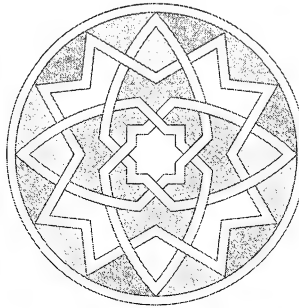
١١ - كبقية الأسئلة التي ليس فيها سوى ضياع الأوقات ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

١٢ - ما شغلت الأمة بشيء أتفه من كثرة أسئلتها عن أشياء لا علاقة لها بالعمل ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ لو انشغلوا بالعمل لكان خيراً لهم ألف مرة من هذه الأسئلة الفارغة.

١٣ - التصورات تصنع واقعها، وتكتب حظها في واقع كثيرين ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ وإنما رفضوا الهداية بالقرآن لجملة من التصورات المسبقة عنه.

١٤ - أجروا عقولهم، وجاؤوا يندبون حظهم في النهايات ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ (لولا أنتم) لا تنفع عذراً، وإنما تدلُّك على الضياع.

١٥ - سيأتي جملة من هؤلاء يشكون من الأصدقاء، وآخرون يشكون من القنوات، وثالث يشتكي من رئيسه ومديره ومسؤوله، ورابع وخامس ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾.



قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ
 الْهَدْيِ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُمْ تُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
 اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ الْيَلِّ وَالنَّهَارِ إِذْ
 تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا
 رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ
 يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ
 نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا
 نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ
 رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
 ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا
 مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا
 وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَابِنَاتِنَا
 مُعْجِزِينَ أَوْلِيَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي
 يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ
 شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿٣٩﴾

التفسير

• ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ من القادة والرؤساء ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا﴾ من العامة والأتباع ﴿أَنَّهُنَّ صَدَدْنَكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ﴾ فلم نمنعكم من ذلك ﴿بَلْ كُنْتُمْ تُجْرِمِينَ﴾ (٣٢) مختارين للإجرام ولستم مجبرين عليه.

• ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا﴾ الأتباع والعامة ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ السادة والكبراء ﴿بَلْ مَكْرٌ أَلِيلٌ وَالنَّهَارِ﴾ مكرهم وتخطيطكم وصدكم لنا ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا﴾ شركاء في الطاعة ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ ﴿لَمَّا زَالَتْ حُجَّتُهُمْ﴾ وعلّموا أنهم هم سبب ما هم فيه، ندموا على ذلك غاية الندم، وكنتموا ذلك في أنفسهم خشية العار والفضيحة التي لحقتهم بتفريطهم ﴿وَجَعَلْنَا الْأَعْلَلَ﴾ القيود ﴿فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يُقَادُونَ بِهَا إِلَى النَّارِ ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣٣) إنما يُجْزَوْنَ بِمَا قَدَّمَتْهُ أَيْدِيهِمْ.

• ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ﴾ ما بعثنا في قرية من رسول يبلغهم أمر ربهم ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ الكبراء والرؤساء فيها ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٣٤) جاحدون.

• ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا﴾ يتفاخرون بذلك، ويستدلون بها على محبة الله تعالى لهم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ (٣٥) يوم القيامة.

• ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسّعه ويكثره ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ لحكمة يريد بها ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيّقه ويقلّله، فليست كثرة الأموال والأولاد دليل حبّ، ولا القلة دليل بغضٍ وكره ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٦) حكمة الله تعالى في ذلك.



﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّذِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى ﴾ ﴿ قَرَبَى مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ﴾ ﴿ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ ﴿ فَهَذِهِ الْقُرْبَاتُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ﴾ ﴿ فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الصَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا ﴾ ﴿ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَضَاعِفُ جَزَاءَهُمْ فِي النِّعَمِ ﴾ ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ﴾ ﴿ غُرَفَاتُ الْجَنَانِ ﴾ ﴿ ءَامِنُونَ ﴾ ﴿ ٣٧ ﴾ ﴿ غَيْرُ خَائِفِينَ .

﴿ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ ﴾ ﴿ يَمْشُونَ وَيَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ فِي ءَايَاتِنَا ﴾ ﴿ حَجَجْنَا الْبَيْنَةَ ﴾ ﴿ مُعْجِزِينَ ﴾ ﴿ مَبْطِلِينَ لَهَا ﴾ ﴿ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ ﴿ ٣٨ ﴾ ﴿ فِي عَذَابِ النَّارِ ، لَا يَتَخَلَّفُونَ أَوْ يَغِيبُونَ .

﴿ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ ﴿ يَوْسَعُهُ وَيَكْثُرُهُ ﴾ ﴿ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴾ ﴿ وَيَقْلِلُهُ ﴾ ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ ﴿ يَعْوِضُكُمْ بِهِ ﴾ ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴾ ﴿ ٣٩ ﴾ ﴿ فَلَا يَخْلَفُ وَيَعْوِضُ مِثْلَهُ أَحَدٌ .



١ - حتى الكبار بعد أن شبعوا من عبودية عبيدهم عادوا يتبرؤون منهم في العرصات ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴾ ﴿ ٤٠ ﴾ .

٢ - كلاهما ظالم، الكبير الذي استنفذ مؤهلاته في الباطل، والضعيف الذي أجبر عقله للآخرين ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا التَّدَامَةَ لِمَا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ ٤١ ﴾ .

٣ - عداء الكبار للدعوة والإصلاح سنّة جارية في كلِّ زمانٍ ومكان ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٣٤) ﴿فَلَا تَسْتَغْرِبُ أَنْ تَرَىٰ تِلْكَ السَّنَةَ فِي وَاقِعِكَ وَمَسَاحَتِكَ الَّتِي تَعِيشُ فِيهَا﴾.

٤ - حين تتحوّل النعم إلى ابتلاء يرسب فيه المترفون مع الأيام ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٣٤) ﴿﴾.

٥ - من فقه الداعية، وحامل راية الحق، ألا يدير شأن مشروعه بمعزلٍ عن هذه السنة الكونية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٣٤) ﴿﴾ يرون الدعوة تبدّد عليهم أموالهم ومناصبهم ومسؤولياتهم؛ فذهبوا يعادونها، ويخاصمونها في عرض الطريق.

٦ - من أسوأ مشكلات الإنسان الاعتداد بما أعطاه الله تعالى، وتوظيفه في غير طريق الحق ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ (٣٥) ﴿﴾ كم من إنسانٍ أعطاه الله تعالى مواهب وقدرات وإمكانات وذهب يعارض بها دين الله تعالى!

٧ - الرزق الذي يهبك الله تعالى قد يكون مالاً، أو مهارة، أو وظيفة، أو جاهاً، أو مسؤولية، ومن حسن توفيقك وكمال عقلك أن تحسن توظيف هذه النعم، وتقوم بواجباتها في حياتك ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٦) ﴿﴾.

٨ - ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٦) ﴿﴾ دعوة لتعيش مطمئناً خالياً من الهموم والآلام، فربك الذي يدير شأن الرزق، ويوزّعه كيفما يشاء، ووفق ما يريد.

٩ - تحرير المفاهيم، وتصحيح التصورات، من أعظم القضايا التي غُني بها الوحي ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ (٣٧) ﴿﴾ ما يجري التقويم عليه في



الدنيا ليس هو ما يجري عليه التقويم يوم القيامة، هنا الأموال والأولاد، وهناك الإيمان والعمل الصالح.

١٠ - من ضيق العطن، وسوء التصورات، أن يكون المال والغنى والشرف والمكانة دليل قربة عند الله تعالى ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

١١ - لا تقلق على ضيق رزقك، وتأخر وظيفتك، وقلة ما في يديك؛ فذلك جزء من قدر الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

١٢ - من حسن تربيتك وفقهك ووعيك إذا سردت جملة من الحقائق أن تتبعها بخطوات عملية تعين القارئ والمستمع على التطبيق ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ بعد أن بين لهم حقيقة أنه الرازق ذلهم على طريق الكسب المشروع.

١٣ - من أعظم وسائل الرزق وأكثرها أثراً في حياتك، النفقة في سبيل الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

١٤ - ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ تستحق احتفاء يليق بمعناها الكبير!

١٥ - أعد قراءتك لهذه الحقيقة ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ وانظر كم تأخذ من قلبك ومشاعرك وواقعك التطبيقي!

١٦ - ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ لو آمنّا بها حقّ الإيمان لجرى النعيم في حياتنا كما نشاء.

١٧ - ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ دعوة لأن تأخذ حظها من راتبك وما من جيبك، ومن حساباتك الشخصية، وفي كل شيء من أمرك وشأنك.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْمُولَاءُ ۖ إِنَّا كَرَّمُوا
 يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ ۖ بَلْ كَانُوا
 يَعْبُدُونَ آلِجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَأَلَيْتُمْ لَا يَمْلِكُ
 بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ
 النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَابَتُنَا يَنْتَسِرِ
 قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ ءَابَاؤُكُمْ
 وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى ۚ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا
 جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَا ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ
 يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي
 فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ ۖ أَنْ
 تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْئًى ۖ وَفَرَدَىٰ ثُمَّ تَنفَكُّوْا مَا بِصَاحِبِكُمْ
 مِنْ جَنَّةٍ ۚ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾
 قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنِ اجْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ
 كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَمُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾



التفسير

• ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يجمع الكافرين ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَا إِنَّا كُرْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾ هل كانوا يعبدونكم من دوننا؟!

• ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ ننزهك أن يكون لك شريك في عبادتك ﴿أَنْتَ وَلِئْنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ لا ولي لنا غيرك ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ الشياطين ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ وأكثر هؤلاء المشركين ﴿بِهِمْ﴾ بالجن ﴿مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ مصدقون لهم فيما يقولون، متبعون لهم فيما يأمرون.

• ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ لا يملك العابد للمعبود شيئاً ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالكفر والمعاصي ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ في أيام الدنيا.

• ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ أَيْنَئِذَا يَنْتَبِئُ﴾ واضحات ﴿قَالُوا مَا هَذَا﴾ أي رسول الله ﴿إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ﴾ هذه غايته ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا﴾ أي القرآن الذي يتلوه ﴿إِلَّا إِنْكَافُتْ مَفْتَرَى﴾ كذب لا حقيقة له ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾ سحر واضح بين.

• ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ لم نعطيهم كتباً يقرؤونها ليعرفوا أن ما فعلوه من الشرك حقاً ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾﴾ دلهم على أن شركهم حق.

• ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ برسول الله تعالى ﴿وَمَا بَلَغُوا مَعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ ولم يبلغ قومك عشر ما أعطينا الأمم السابقة من القوة ﴿فَكَذَّبُوا رَسُولِي﴾

فيما دعوهم إليه ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ﴿٤٥﴾ فكيف كان إنكارهم عليهم إهلاكاً وتدميراً.

• ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَحْدَةٍ﴾ أذكركم أمراً واحداً ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْئِئاً وَفَرْدِئاً ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ أمرهم الله تعالى أن يفكروا مجتمعين ومتفرقين في أمر رسولهم: هل هو مجنون أم نبي صادق؟!
• ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ﴾ يندركم عذاب الله تعالى وبأسه ﴿بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ﴿٤٦﴾ قبل أن تشاهدوا عذاب جهنم.

• ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ على إنداري لكم ﴿فَهَوْلُكُمْ﴾ عائد ذلك وخيره لكم ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ ما أرجوه من ثواب إنما أرجوه من الله تعالى ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿٤٧﴾ لا يخفى عليه من ذلك شيء.

• ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ يرمي بالحق ويدفعه على قلب نبيه ﷺ ﴿عَلَّمَ الْغُيُوبِ﴾ ﴿٤٨﴾ لا يغيب عنه من علمها شيء.

التدبير

١ - نافذة على أهل الضلال والمفسدين وصنّاع الباطل في مسرح النهايات ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِنَّا كُنَّا يَعْبُدُونُ﴾ ﴿٤٩﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلَيْسَ مِنَّا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥١﴾ قَالِيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُم لِبَعْضٍ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿٥٢﴾.

٢ - هذا هو واقع الدعوة منذ فجر التاريخ إلى يومك هذا ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا يَتَنَتَّى قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا



إِنَّكَ مُقَرَّرٌ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ وما تراه عينك وتسمعه أذنك في واقعك جزء من هذه الحقيقة على مر الأزمان.

٣ - كثير من الأفكار تحتاج قبل مقاومتها والوقوف دونها إلى شيء من التفكير والإمعان ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بَوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفَرَدَيْ ثُمَّ تَنفَكُّوْا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ﴿٤٦﴾ فلعل فيها الحق الذي يبحث عنه إنسان!

٤ - التجرد من الخلفيات السابقة يهيئ لقراءة الأفكار الجديدة بوعي ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بَوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفَرَدَيْ ثُمَّ تَنفَكُّوْا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ﴿٤٦﴾ لأن مشكلتنا أننا نقرأ جملة من الأفكار التي تأتينا مصحوبة بخلفيات سابقة وقديمة، لا نتمكن من الحكم عليها بوضوح.

٥ - الحق الذي تحمله للعالمين؛ أكبر من أن تأخذ عليه مقابلاً ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿٤٧﴾ كيف تأخذ مقابلاً على تعريف الناس بربك ومولاك!

٦ - إذا أشكل عليك طريق ما، فتأمل في سير القدوات والمرسلين ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿٤٧﴾ حين تأخذ مقابلاً على الدعوة تتنكب طريق المرسلين.

٧ - هذه سنة الله تعالى التي لا تتغير ولا تبدل مع الأزمان ﴿قُلْ إِنْ رِئِي يَقْدِفُ بِالْحَقِّ عِلْمَ الْغُيُوبِ﴾ ﴿٤٨﴾.

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ
فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ
مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ
مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ
بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ
كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴿٥٤﴾

التفسير

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ وهو دين الإسلام وما فيه من هدى ونور ﴿وَمَا يُبْدِيُ
الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ ﴿٤٩﴾ ذهب الباطل، ولا أثر له ولا قوة، ولا يعود إلى
نفوذه مرة أخرى ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ﴾ عن الهدى والحق ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى
نَفْسِي﴾ فإنما أثر ذلك عائد عليّ لا على غيري ﴿وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ﴾ إلى
الحق ﴿فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي﴾ فسبب ذلك ما يوحيه الله تعالى إليّ من
الحق والهدى ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ ﴿٥٠﴾ سميع لما أقول لكم، حافظ له،
وهو المجازي على ذلك كله.

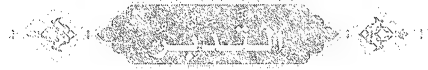
﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ أيها الرسول ﴿إِذْ فَرَغُوا﴾ أي الكافرون حال رؤيتهم لعذاب



الله تعالى، ومعاينتهم لأهواله ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ لا مهرب لهم، ولا نجاة من ذلك ﴿وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ ﴿٥١﴾ سهل التناول.

• ﴿وَقَالُوا ءَأَمْنًا بِهِ﴾ بالله تعالى ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ﴾ تناول الإيمان والتوبة ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿٥٢﴾ حيل بينهم وبينه حتى صار بعيداً ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾ بالإيمان ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ في أيام الدنيا ﴿وَيَقْذِفُونَ﴾ يرمون رسول الله ﷺ ﴿بِالْغَيْبِ﴾ بالظن كقولهم: ساحر وشاعر ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿٥٣﴾ عن الحق والصواب.

• ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ﴾ حُجز بينهم ﴿وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من الإيمان والتوبة ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾ من الأمم السابقة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾ سبب الحيلولة بينهم وبين الإيمان والتوبة أنهم ﴿فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾ ﴿٥٤﴾ قلق وريبة من أمر البعث والحساب.



١ - من مباهج الحق أنه إذا جاء لم يُبق للباطل واقعاً يتنفس فيه ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ ﴿٤٩﴾ حتى لو كان الباطل يملك قوى الأرض كلها فهو ضعيف لا يصمد أمام قوة الحق وسلطانه، فما حظ هذا المعنى من واقع أصحابه وحاملي رايته والمدافعين عنه؟!

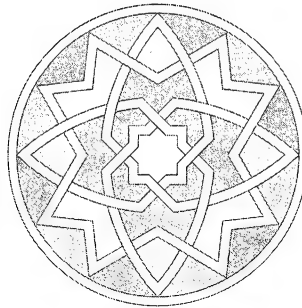
٢ - ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ ﴿٤٩﴾ دعوة للفضائل والأمل وصناعة واقع التحديات بالعمل والبناء، إذا جاء الحق ذهب الباطل راغماً لا يعود.

٣ - ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۖ وَقَالُوا ءَأَمْنًا بِهِءَ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۚ﴾ ٥٢ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِءَ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ بعض مشاهد الحسرات في يوم القيامة.

٤ - ماذا تُغْنِي شهوات الدنيا كلها عن موقف كهذا يوم القيامة؟! ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ۖ﴾ ٥٤.

٥ - كل نعيم ليس موصولاً بنعيم الآخرة فهو نعيم زائف ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ۖ﴾ ٥٤.

٦ - تَصَوَّرْ أن يكون النعيم بين يديك، ولا تلقى منه سوى الحسرات! ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ۖ﴾ ٥٤.



سُورَةُ فَاطِرٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِيَّةِ رُسُلًا أُولَى
أَجْنَحَةٍ مَّتَنًى وَثَلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا
وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَتَأَيَّهَا
النَّاسُ أَدْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَافٌ تُؤَفَّكُونَ ﴿٣﴾

التفسير

• ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ المستحق للثناء، والحمد المطلق هو ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خالقهما ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِيَّةِ رُسُلًا﴾ إلى من يشاء من عباده ﴿أُولَى أَجْنَحَةٍ﴾ تطير بها لتنفيذ أمر الله تعالى ﴿مَّتَنًى وَثَلَاثَ وَرُبْعَ﴾ بعضهم له جناحان، وبعضهم له ثلاثة، وبعضهم له أربعة ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ يزيد بعض مخلوقاته على بعض في صفة خلقها، وفي قوتها، وفي حسنها ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ لا يعجزه من ذلك شيء.

• ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ من خير ﴿فَلَا تُؤْمِسُكَ لَهَا﴾ لا أحد يقدر على ردّها ﴿وَمَا يُؤْمِسُكَ﴾ من رحمة ﴿فَلَا تُرْسِلْ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ فلا أحد يستطيع أن يعطيه غير الله تعالى ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فلا غالب لأمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبير الأمور ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ اعترافاً بالقلب، وثناءً باللسان، وانقياداً بالجوارح.

• ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا هُوَ﴾ لا أحد سواه يخلق ويرزق ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ كيف تُصرفون عن هذه الحقيقة؟!

التدبر

١ - الحمد لله تعالى على خلقه، وصنعه، وإبداعه، وقدرته، والحمد لله على كل شيء ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَتَلَتْ وَرُبَّعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٢ - الحمد لله تخرج من حنايا قلوبنا ومشاعرنا لا توفي من حق الله تعالى علينا شيئاً ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَتَلَتْ وَرُبَّعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٣ - هل تصورت يوماً أن هذه السماء تنط من كثرة الملائكة عليها ما فيها موضع أربعة أصابع إلا وفيه ملكٌ ساجدٌ لله تعالى! ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَتَلَتْ وَرُبَّعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٤ - تخيل أن هذه الأرض تعجُّ بكثرة الملائكة الصاعدة والنازلة من السماء



للأرض، أو من الأرض للسماء بأمر الله تعالى وقدره ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّىٰ وَثَلَّثَ وَرُبَعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾.

٥ - مَلَكٌ للوحي، وآخر للقطر، وثالثٌ لنفخ الصور، ورابعٌ لقبض الأرواح،
وخامسٌ لخزانة الجنة، وسادسٌ لخزانة النار، ومنكر ونكير في القبر، والكتبة
التي لا تفارقك، ومن يشهدون الصلاة، ومن يحضرون مجالس الذكر، وغير ذلك
مما لم يخطر لك على بال ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا
أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّىٰ وَثَلَّثَ وَرُبَعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾.

٦ - إذا أراد الله تعالى أن ييسط عليك رحمته وتوفيقه فلا رادَّ لفضله، ولا ممسك
لرحمته؛ فاطمئن ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ
مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾.

٧ - رحمة الله تعالى قد تكون في قلبك ومشاعرك، وقد تكون في بيتك وأسرتك،
وقد تكون في وظيفتك وولدك، وقد تكون في عبادتك، فتوسل بكل ما تملك
لاستقبال هذا المعنى الكبير في حياتك ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ
لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾.

٨ - رحمة الله تعالى لا يمنعها عنك فقر، أو بيت مستأجر، أو وظيفة عادية، يمكنك
أن تستقبل مباحجها وأنت في أسوأ الظروف وأعقدها ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ
فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾.

٩ - رحمة الله تعالى لا تتوقف على صورة أو شكل أو نسب وعائلة، فقط حين
تُلقي بقلبك في رحاب الإيمان والصدق تأتيك كما تشاء، وكيف تشاء ﴿مَا

يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾.

١٠- وإذا أمسكها الله تعالى عنك فلو دفعت كل ما تملك من عمرك ما بلغت شيئاً من أحداثها وأثارها ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾.

١١- العالم كله لا يستطيع أن يفتح لك شيئاً من هذه الرحمة، ولا يستطيع أن يمسكها عنك، الله تعالى وحده إذا أراد فتح، وإذا أراد أمسك؛ فلا تلجأ بقلبك لمخلوق هو أحوج ما يكون لفواتح الخيرات ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾.

١٢- هذا المعنى ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ كفيلاً بأن يستعلي بقلبك على كل شهوات الدنيا العاجلة.

١٣- تذكر نعمة الله تعالى حين أكرمك بالإسلام، ومنَّ عليك بالهداية، وفتح لك مباحج التوفيق ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَ تُوَفَّكُونَ ﴿٣﴾﴾.

١٤- تذكر نعمة الله تعالى وقد عافى جسدك، وأصح بدنك، وأجرى لك الحياة كما تريد ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَ تُوَفَّكُونَ ﴿٣﴾﴾.

١٥- تذكر هذا الأمن الوارف الذي تعيش فيه، وتتفياً ظلاله، وتؤدي من خلاله رسالتك ودورك ومشروعك في أحسن الأحوال ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ



عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفٍ
تُوفَكُونَ ﴿٢﴾.

١٦ - تذكر بيتك وأسرتك، وهذا المعنى الذي جمع الله تعالى فيه شملك، وأقبل
بقلوب بعض ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ
يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفٍ تُوفَكُونَ ﴿٢﴾﴾.

١٧ - تذكر هذه الوظيفة التي فيها رزقك، وهذا العمل الذي أغناك الله تعالى به عن
العالمين ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفٍ تُوفَكُونَ ﴿٢﴾﴾.

١٨ - تذكر نعم الله تعالى التي أسبلها عليك، وتذكر في المقابل كم من مريض في
جسده، ومعاق في بدنه، وضال في طريقه، وشريد عن وطنه، ومختلف مع أسرته،
ومن يطارده الخوف، وتلاحقه الهموم في كل حين من حياته ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا
نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
فَآفٍ تُوفَكُونَ ﴿٢﴾﴾.



وَلَا يَكْذِبُوكُمْ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ
 ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
 وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ
 عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ
 كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
 مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا
 فَإِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبَ نَفْسُكَ
 عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ
 الرِّيحَ فَتَثِيرُ سَكَابًا فَسُقْنَتُهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ
 مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا
 إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ
 يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ
 ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا
 وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَثْقَىٰ وَلَا تَضْعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَمَا يَعْمُرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ
 وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

التفسير

• ﴿وَأِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ فلست بأول رسول يُكذَّب ﴿وَالِإِلَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ٤﴾ فيجازي كل إنسان بعمله.

• ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث والجزاء والحساب ﴿حَقٌّ﴾ لا شك فيه ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ بلذاتها وشهواتها ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ٥﴾ ولا يخدعنكم عن طاعة ربكم الشيطان.

• ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ﴾ فهو عدوكم الحقيقي ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ اجعلوه عدوكم ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾ شيعته وأعوانه ومن أطاعه ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ٦﴾ من أهلها الخالدين فيها.

• ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جحدوا ما جاءت به الرسل ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في نار جهنم ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ من الله لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ٧﴾ وهو ما أعد الله لهم في الجنة من جزاء.

• ﴿أَفَمَن زُيِّنَ﴾ حُسن وجُمِّلَ ﴿لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ قبيحه وسيئه ﴿فَرَأَاهُ حَسَنًا﴾ جميلاً رائعاً ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ يصرفه عن موارد الهداية والتوفيق ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ يوفقه للخيرات، وييسر له موارد التوفيق ﴿فَلَا نَذْهَبُ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ فلا تهلك نفسك حزناً على ضلالاتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ٨﴾ لا يخفى عليه من ذلك شيء.

• ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ تحرك السحاب فتنقله من جهة إلى جهة ﴿فَسَقَنَهُ﴾ أي هذا السحاب ﴿إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ لا حياة فيه ﴿فَلَحِينًا﴾ بالغيث ﴿الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بإنبات النبات فيها ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ ٩﴾

فكما أن الله تعالى قادرٌ على إحياء الأرض بعد موتها كذلك هو قادرٌ على بعث الناس من القبور.

• ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ الشرف والاستعلاء ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ فإن العزة كلها في طاعة الله تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ﴾ إلى الله تعالى يعرج ويرتفع ﴿الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ من قراءة، وذكر، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾ من أعمال القلوب والجوارح ﴿يَرْفَعُهُ﴾ إليه ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ سواء بكسبها وعملها، أو بصنعها وإيقاع الغير فيها ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في نار جهنم ﴿وَمَكْرُؤٌ لَّيْكٌ هُوَ بَوْرٌ﴾ ١٠ ﴿يَبْطُلُ وَيُفْسَدُ﴾ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ خلق أباكم آدم من تراب ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ وهو المني ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً من ذكر وأنثى ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى﴾ في بطنها ﴿وَلَا تَضَعُ﴾ حملها ﴿إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ إلا بعلم الله تعالى لا يغيب عنه من ذلك شيء ﴿وَمَا يَعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾ ولا يطول عمر إنسان ﴿وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ يقل ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ لا يعزب عنه منه شيء ولا يغيب ﴿إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ١١ ﴿في قدرة الله تعالى.

التدبر

١ - لا تتوقع أفضل مما رأيت؛ فهذه سنة الله تعالى في العالمين ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾.

٢ - لنبدأ مشاريعنا وأفكارنا الممتعة، وقضايانا الكبرى ونحن مؤمنون بهذه السنة الإلهية ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾.



٣ - كل مشاريع الإصلاح التي تدير شأنها، وتقوم على دفع عجلتها يجب أن تعرف أنها ستتعرض لحملات تشكيك وردود ومقاومة، مهما بلغت صلاحيتها وآثارها على أهلها وقومها في ذلك الزمان ﴿وَلَا يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ۖ وَلِلَّهِ اللَّهُ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ٤.

٤ - يا أيها الدعاة والمصلحون! شَمِّرُوا لغاياتكم، وقوموا بواجباتكم، وارفعوا رايات المجد، واكتبوا لدينكم مساحات الحياة، وإياكم والركون لعقبات الطريق ﴿وَلَا يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ۖ وَلِلَّهِ اللَّهُ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ٤.

٥ - ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ رسالة للتذكير بالهدف والغاية وبوصلة الشمال!

٦ - ما حاجة الناس الكبرى اليوم لشيء كحاجتهم للتذكير بهذه الغايات ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ ٥.

٧ - الجزء الأكبر من مهمة الدعاة والمصلحين؛ إعادة توجيه القلوب والرؤى والأفكار إلى دائرة التركيز ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ ٥.

٨ - غالب الخلق متجهون لا يدرون إلى أين! ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ ٥. وإعادة هذه الجموع إلى بوصلة الشمال مهمة المصلحين.

٩ - من أضخم الحقائق في الحياة ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ٦. المؤسف أن أمماً تعرف كل شيء إلا هذه الحقيقة الكبرى.



١٠ - التكرار والإعادة في قوالب مختلفة ومتنوعة جزء من منهج الوحي في إيصال الرسالة للمتلقي ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ٦ كم مرة قيل للناس في هذا القرآن: إن هذا عدوكم!

١١ - تعرّف على عدوك أولاً ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ٦.

١٢ - إذا فقهت أن أمامك عدو؛ فلتفقه كذلك أن عليك إدارة المعركة بوعي ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ٦.

١٣ - الشعور بوجود عدو يطارذك ضرورة حتى تأخذ استعدادك الكافي للمعركة التي يديرها معك ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ٦.

١٤ - ذكّر ولدك وزوجك وطالبك وموظفك بالمعركة التي تواجههم، وأعنيهم على أدوات إدارتها في الحياة ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ٦.

١٥ - من أعظم أمارات سوء التوفيق والخذلان في حياة صاحبه أن يجري حياته كلها في الضلال، ويرى بأنه من المصلحين ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ لَمْ يَضِلُّ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدَى مِنْ يَشَاءُ فَلَا نَذِيبُ لَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ ٨.

١٦ - يجادل وينافح ويدافع عن أفكار يظنّها الحق، وهي الضلال المبين! ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ لَمْ يَضِلُّ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدَى مِنْ يَشَاءُ فَلَا نَذِيبُ لَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ ٨.



١٧ - سل الله تعالى أن يريك الحقَّ حقاً، ويرزقك اتباعه، وأن يريك الباطل باطلاً، ويرزقك اجتنابه ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا نَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ ﴿٨﴾.

١٨ - لا تأمن على قلبك يوماً ما، سل الله تعالى أن يثبتك على الحقِّ، ويعينك عليه ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا نَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ ﴿٨﴾.

١٩ - لقد اختاروا طريقهم بأنفسهم ﴿فَلَا نَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾!

٢٠ - كان رسول الله ﷺ يتأسف على فوات الخير عن المعرضين للدرجة التي يكاد يهلك نفسه عليهم حسرات ﴿فَلَا نَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾.

٢١ - يجب أن يتحلى الدعاة والمصلحون والآباء في البيوت والمعلمون في محاضنهم التربوية بهذه القلوب التي تحمل للعالم الخير ﴿فَلَا نَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾.

٢٢ - ﴿فَلَا نَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ إذا لم يكن شغفك بمشروعك لهذه الدرجة، وإلا فلا مفروح به في شيء.

٢٣ - من الذي قال لك يوماً: إن فضول أوقاتك كافٍ لإقناع الناس بمشروعك ورسالتك وهدفك الكبير! ﴿فَلَا نَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾.

٢٤ - ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ يعلم إعراضهم، وتنكبهم عن الطريق، وانحراف سلوكهم عن الحق.

٢٥ - ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ حتى لو كان هذا الذي صنعوه كبيراً وبطراً عن الحق الذي عرض عليهم يوماً ما.



٢٦ - ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ سواء كان هذا الذي صنعوه في بيوتهم، وخلف أبوابهم المغلقة، أو حين إطفاء السرج.

٢٧ - ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ حتى لو كان في الطائرة، وفي الطريق، وفي فندق السفر، وفي بلاد الغربة.

٢٨ - ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ حتى لو كان نية علقت بقلب صاحبها يوماً ما!

٢٩ - هل رأيت الأرض ربيعاً! تلك صنعة اللطيف الخبير ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فَسَقْنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَّتَّي فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿١﴾﴾.

٣٠ - ضرب الأمثلة من أكثر الوسائل أثراً في تقريب العلم ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فَسَقْنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَّتَّي فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿١﴾﴾.

٣١ - العزة في منهج ربك، وصلاح دينك؛ فلا تفوتك مباحج الحياة ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْزَوُ ﴿١٠﴾﴾.

٣٢ - لا يمكن أن تجد عاصياً عزيزاً في واقعه ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْزَوُ ﴿١٠﴾﴾.

٣٣ - من فقد المنهج فقد كل شيء ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾.

٣٤ - يسألون عن العزة وحياة الرفعة والاستعلاء الحقيقي، وينسون هذا المعنى الكبير ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾.

٣٥ - خطوك على الأرض يعتلج في السماء ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.



٣٦ - كم من غبار يثيره قدمك في الأرض وأثره يكتب حظّه في السماء ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.

٣٧ - العالم كله لا يستطيع أن يقف أمام ذكرك وتسيحك وخفقان نيتك الصالحة ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.

٣٨ - دعوا الذين يمكرون في الأرض يستكملون حياتهم من البؤس والشقاء ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ﴾ لا دنيا عاجلة، ولا آخرة مستبقة!

٣٩ - مهما بلغ مكر عدوك، هو موعود في النهايات بخاتمة البوار ﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ﴾.

٤٠ - لا تشغل بمكر العدو وكبار باطلهم، أقم الحق، ووسّع في مساحاته، وسترى كيف يزول ﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ﴾.

٤١ - ولدك من قدر الله تعالى، وما كتب الله تعالى سيأتي مهما كانت أمانيك ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ فلا تهيم أمانيك في أودية الشتات وهذه العقيدة في قلبك.

٤٢ - جاءت زوجه بنات، وكلّما وضعت بنتاً غضب وهدّدها بالطلاق، أو بالزواج عليها، وكأنها هي صانعة الأقدار ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ قلّة فقهه وضعف وعي.

٤٣ - حتى ما يجري في طول الأعمار وقصرها يعلمه الله ﴿وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

٤٤ - ليس بالضرورة أن تعرف عمرك أو كم ستعيش! استثمر لحظاتك واجهد في بناء قصتك، واترك أثراً يخلد ذكرك في العالمين؛ ثم لا عليك بحساب الغيب ﴿وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا
 مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ
 حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لَبَنُغُوا مِنْ فَضْلِهِ
 وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ
 النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي
 لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ
 تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ
 تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ
 وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ
 ﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ
 الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾
 وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بَعِزٌّ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ
 تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ
 إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
 وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾



التفسير

• ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴿ شَدِيدُ الْعَذُوبَةِ ﴿ سَائِغٌ شَرَابُهُ ﴾ لَذِيذٌ ﴿ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ شَدِيدُ الْمِلْحَةِ وَالْمَرَارَةِ ﴿ وَمِنْ كُلِّ ﴿ مِنَ الْعَذْبِ وَالْمَالِحِ ﴿ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ السَّمَكِ ﴿ وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ مِنَ الدَّرِّ وَالْمَرْجَانِ ﴿ وَتَرَى الْفُلُكَ ﴿ السَّفْنَ ﴿ فِيهِ مَوَازِرُ ﴿ تَشْقُهُ وَتَعْبِرُهُ ﴿ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ تَطْلُبُوا أَرْزَاقَكُمْ فِيهَا ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ ١٢ ﴾ ﴾ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ.

• ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴿ يَدْخُلُهُمَا فِي بَعْضِهِمَا وَيَجْعَلُهُمَا مُتَعَاقِبَيْنِ ﴾ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴿ أَجْرَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ﴿ كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ لَوْ قَدْ مَعْلُومٌ ﴿ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾ الَّذِي أَتَقَنَ صَنْعَهُ ﴿ لَهُ الْمُلْكُ ﴾ التَّامُّ عَلَى الْكَوْنِ كُلِّهِ ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ مِنَ الْآلِهَةِ ﴿ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿ ١٣ ﴾ ﴾ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ شَيْءٍ، وَعَبَّرَ بِالْقِطْمِيرِ وَهُوَ قَشْرُ النُّوَاةِ لِحَقَارَتِهِ.

• ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ ﴾ هَذِهِ الْآلِهَةُ ﴿ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ ﴾ إِمَّا لِأَنَّهَا جَمَادَاتٌ، أَوْ لِأَنَّهَا لَا تَمْلِكُ إِجَابَتَكُمْ إِلَى شَيْءٍ ﴿ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴾ لِعَدَمِ قُدْرَتِهِمْ عَلَى نَفْعِكُمْ ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ يَتَبَرَّوْنَ مِنْكُمْ ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿ ١٤ ﴾ ﴾ وَلَا يُخْبِرُكَ بِهَذِهِ الْحَقَائِقِ مِثْلُ مَنْ هُوَ عَالِمٌ بِأَحْوَالِهَا كَاللَّهِ تَعَالَى.

• ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ﴾ فِي كُلِّ شَيْءٍ ﴿ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ الْغَنَى التَّامُّ عَنْكُمْ ﴿ الْحَمِيدُ ﴿ ١٥ ﴾ ﴾ الْمَحْمُودُ عَلَى نِعَمِهِ.

- ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يهلككم ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ﴿١٦﴾ غيركم.
- ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ ﴿١٧﴾ بممتنع أو معجز الله تعالى.
- ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ أي ولا تحمل نفس ذنب نفس أخرى ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِلِهَا﴾ ذنوبها ﴿لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ من ذلك الذنب ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ حتى لو كان حامل الذنب أقرب قريب ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ إنما ينفع إنذارك من خاف عقاب الله تعالى يوم القيامة ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أدوها كما أمر الله تعالى ﴿وَمَنْ تَزَكَّى﴾ تطهر من دنس الكفر والمعاصي ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾ عوائد ذلك لنفسه ليس لله منها شيء ﴿وَالِإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ ﴿١٨﴾ المرجع.

التدبير

- ١ - إذا دقت في تفاصيل نعم الله تعالى في الكون ستري قضايا كثيرة تحتاج إلى شكر ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَبِيَّةً تَبْسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَازِيرَ تَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٢﴾.
- ٢ - من مظاهر قدرة الله تعالى التي تحتاج إلى نظر وتأمل ما يجريه الله تعالى في هذا الشأن ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ ﴿١٣﴾.

- ٣ - ما أكثر محاولات الوحي في تبديد الأوهام التي كانت الجاهلية عاكفة عليها ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ



يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ ^{١٤} وَلَا يَنْبِتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴿١٤﴾.

٤ - ثمة أصنام كثيرة وأوثان ضخمة، ما زالت تبني تصورات وقيم الجاهلية في واقعنا ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَسَخَرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ ^{١٤} وَلَا يَنْبِتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴿١٤﴾﴾.

٥ - ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ من أضخم الحقائق التي يجب أن يستوعبها الإنسان في حياته.

٦ - من مظاهر فقرك أنك لا تملك قراراً لنفسك، ولا تستطيع أن تجلب لها نفعاً، أو تدفع عنها ضرراً ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾.

٧ - ومن مظاهر فقرك أنك لا تملك قلبك، بل «هو بين أصبعين من أصابع الرحمن، يقلبه كيف شاء»^(١). ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾.

٨ - ومن مظاهر فقرك أنك لا تعرف مصلحتك، ولا تهتدي إلى طريق الحق إلا بالله ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾.



٩ - ومن مظاهر ففرك أنك أعجز من أن تقوم بحاجتك وشأنك وضرورتك لولا توفيق الله ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝١٧﴾.

١٠ - ومن مظاهر ففرك أنك لا تستطيع أن تأخذ قراراً إلا بقدر الله تعالى ومشيئته، لا تخرج من ذلك قيد أنملة ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝١٧﴾.

١١ - من أنت لولا الله؟! من أنت لولا ربك الذي تولاك فهداك، ويسط لك مشاهد التوفيق، وأدار عليك الخيرات؟! ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝١٧﴾.

١٢ - معصيتك لا تضر الله تعالى في شيء، يمكنه أن يذهب بك، ويأتي بغيرك ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝١٧﴾.

١٣ - ما لك ولأوزار العالمين؟! أقم شأن نفسك، ودعك من أثقال الأوزار! ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِمْلِهَآ لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۝١٤﴾.

١٤ - المسؤولية فردية، والقرار شخصي، وستأتي يوم القيامة فرداً ليس معك أحد ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِمْلِهَآ لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۝١٤﴾.

١٥ - يلزمك أولاً أن تقوم بواجبك تجاه كل من ولأك الله تعالى أمرهم، ثم هم وشأنهم في النهاية، لا يلزمك من ذلك شيء ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِمْلِهَآ لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۝١٤﴾.



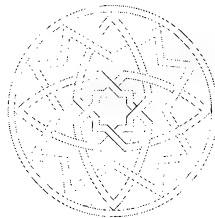
١٦ - القلوب الخاشعة تفقه أمر الله تعالى ومراده ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ ومن لا يفقه عن الله تعالى شيئاً لا يمكن أن يجعل أمره، ويحتفي بشعائره!

١٧ - ألقى بموعظتك ونصيحتك وستلقاها القلوب المؤمنة الخاشعة ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾.

١٨ - لا تنشغل بمن يقعد لدرسك، أو يسمع نصحك، أو يأخذ بموعظتك، إن كانوا أهلاً لها ستقع منهم موقع التغيير ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾.

١٩ - استثمر عمرك قبل الفوات! ﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾.

٢٠ - صعد أبو بكر من خلال هذا المعنى حتى دخل من أبواب الجنة الثمانية، وألقى سعد بن معاذ فيه بكل ما يملك، ولم يرحل حتى اهتز العرش لرحيله وفواته، وبلال وطئت قدمه الجنة، وهو ما زال حياً في الدنيا، ومن فقه هذا المعنى استثمره بكل ما يملك ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾.



وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١١﴾ وَلَا الظُّلُمَتُ وَلَا النُّورُ
 ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ
 إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ
 أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ
 أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ
 مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَيَا لِكِتَابِ
 الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا
 أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا
 وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلَا تَعْمَرُ
 مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ
 إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ
 وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
 يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ
 وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾



التفسير

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۝٢٠ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ۝٢١ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ فكما أن هذه لا تستوي حسياً، فهي كذلك لا تستوي معنوياً، فلا يستوي من عمي عن الحق والهداية مع المبصر للحق، كما لا تستوي ظلمة الكفر ونور الطاعة، وكذلك لا يستوي ظل أهل الجنة وحرُّ أهل النار ﴿إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَن يَشَاءُ﴾ سمع فهم وقبول ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ۝٢٢﴾ أموات القلوب، فكما أن دعاءك لا يفيد أصحاب القبور، فكذلك لا يفيد المعرض عن هدى الله تعالى.

﴿إِن أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۝٢٣﴾ ما أرسلناك إلا لتنذر من أرسلت إليهم.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا﴾ للمؤمنين ﴿وَنَذِيرًا﴾ للمعرضين ﴿وإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۝٢٤﴾ أرسل فيها نذير.

﴿وإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فليست أول رسول يُكذَّب ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الواضحة ﴿وَبِالزُّبُرِ﴾ الكتب المكتوبة ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ۝٢٥﴾ الواضح المبين.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أهلكنا الذين جحدوا بآياتنا ورسالة رسلنا ﴿فَكَيْفَ كَانَتْ نَكِيرٍ ۝٢٦﴾ كيف كان إنكارهم عليهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ فبعضها أصفر، وبعضها أحمر، وبعضها أخضر ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ طرق وخطوط مختلفة الألوان ﴿بَيْضٌ وَحُمْرٌ﴾ منها ما هو أحمر، ومنها ما هو

أبيض ﴿تُخْتَلِفُ أَلْوَنُهَا﴾ متباينة ﴿وَعَرَابِيبُ سُودٌ﴾ ﴿٣٧﴾ ومن الجبال على لونٍ واحد، وهو السواد.

• ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، كَذَلِكَ﴾ على ألوان كذلك كما مر بك في الجبال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ إنما يخاف الله تعالى ويتقيه العلماء بحقيقة قدرته وعظمته ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ فلا غالب لأمره ﴿عَفُورٌ﴾ ﴿٣٨﴾ لمن تاب إليه.

• ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ يقرؤونه ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أدّوها كما أمر الله تعالى ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَكْثُرَ﴾ ﴿٣٩﴾ لن تخيب وتضيع عند الله تعالى.

• ﴿لِيُؤْفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ﴾ على قدر أعمالهم ﴿وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ﴾ زيادةً على ما لهم من الحق ﴿إِنَّهُ عَفُورٌ﴾ لمن تاب إليه ﴿شَكُورٌ﴾ ﴿٤٠﴾ كثير العطاء والثواب لمن يطيعه.

التدبِير

١ - حقائق لا يختلف فيها اثنان ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ وإذا كانت كذلك فلا يمكن أن يستوي الكفر والإيمان إلا كما يستوي الظلام والنور والظل والحرور والأحياء والأموات!

٢ - خفف من تعبك وألمك وجهدك في إبلاغ بعض المعرضين، فلو أسمعت أهل المقابر ما سمعوا منك شيئاً ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾.



٣ - الدعوة مشروع كبير، وتحتاج إلى مؤهلات كافية لإقناع الناس بالفضيلة، لكن ثمة أناس لو ألقموها في أفواههم ما صنعت فيهم شيئاً ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾.

٤ - حتى أقرب الناس إليك! حسبك أن تلقي إليهم بدرس الدعوة واضحاً، ثم دعهم يأخذون حظهم منها كما يشاؤون ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾.

٥ - ﴿إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ (٢٣) هذا هو دورك الذي يجب أن تؤديه كما أمرك الله تعالى، ثم توقف عند حدوده لا تتجاوزه بشيء.

٦ - آمنوا أو لم يؤمنوا، أقبلوا أو نكصوا، ليس من شأنك في شيء، ذلك لله تعالى ﴿إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ (٢٣).

٧ - لا تحمّل نفسك فوق طاقتك، ولا تثقل مشاعرك بأثقال إعراض المدبرين ﴿إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ (٢٣).

٨ - الإعراض عن الحق ومعارضته والوقوف دون آماله سنة من سنن الله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (٢٤) ﴿وإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ (٢٥) ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (٢٦).

٩ - خُفِّ من همومك، منذ تاريخ نوح ﷺ إلى يومك هذا، لم تلق الدعوة ترحيباً بها في البدايات ﴿وإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ (٢٥).

١٠ - إذا سمعت صاحب فكرة أو مشروع ورسالة يشتكي إدبار الناس؛ فانث عليه بهذه السنة الإلهية ﴿وإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ (٢٥).

١١ - ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (٣٦) ﴿هَذِهِ عَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْمَعْرُضِينَ عَنِ الْحَقِّ الْمَتَمَرِّدِينَ عَلَى الشَّرِيعَةِ. فَيَاكَ وَطَرِيقَ النَّاكِصِينَ!

١٢ - إِذَا أَرَدْتَ شَاهِدًا مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَأَلْقِ بِقَلْبِكَ وَمَشَاعِرِكَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (٣٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَآبِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٣٨﴾.

١٣ - مَنْ أَلْقَى بِقَلْبِهِ وَفِكَرِهِ وَعَقْلِهِ وَمَشَاعِرِهِ فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ تَعَالَى عَرَفَ اللَّهُ تَعَالَى حَقَّهُ وَعَظَمَهُ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (٣٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَآبِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٣٨﴾.

١٤ - ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ لا يَعْنِي تِلْكَ الْمَعَارِفُ الَّتِي حَفَظَهَا وَضَبَطَهَا، كَلَّا! وَإِنَّمَا الْمَعَارِفُ الَّتِي كَوْنَتْ فِي قَلْبِهِ إِجْلَالًا وَتَعْظِيمًا وَتَقْدِيرًا!

١٥ - كَانَ بَعْضُهُمْ يَقْرَأُ الْآيَةَ فِي تَعْظِيمِ رَبِّهِ، أَوْ يَسْمَعُ حَدِيثًا فِي إِجْلَالِهِ، فَيَخِرُّ بَاكِيًا مَعْظَمًا مَطْرَقًا لِجَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾.

١٦ - وَبَعْضُهُمْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ، وَلَا يَتَوَرَّعُ عَنْ مُحَارِمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَجُلُّ شَيْئًا مِنْ شَعَائِرِهِ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾.



١٧ - إذا أردت أن تعرف هذا المعنى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿فانظر لصاحبه وقت الأذان، وارقبه في أوقات الخلوات، وانظره أيام الفضائل!

١٨ - ثلاث قضايا تورّدك مباهج الحياة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ ﴿٢٩﴾.

١٩ - حين تمسك بكتاب الله تعالى تالياً إنّما تمسك بالحياة؛ فاستشعر ثمن دقائقك جيداً ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ ﴿٢٩﴾.

٢٠ - من أعطى الصلاة حقّها جاء بأعظم ما عُيِّنَ به الشريعة من عرى الإسلام ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ ﴿٢٩﴾.

٢١ - النفقة من المال مؤذنة بأفراح الدارين ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ ﴿٢٩﴾.

٢٢ - تلاوة كتاب الله تعالى، وإقامة الصلاة، والإنفاق في سبيل الله تعالى ميدان سباق الجادّين ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ ﴿٢٩﴾.

٢٣ - كل تجارات العالمين قابلة للبوار إلا هذه التجارات مع الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ ﴿٢٩﴾.



- ٢٤ - هل رأيت تاجراً يعطي فوق الاتفاق الذي دار بينكم! لم يحدث بعد إلا مع الله تعالى ﴿لِيُوفِّيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾.
- ٢٥ - هل استوعبت ما تقرأ؟! ﴿لِيُوفِّيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ إنه لا يكافئك على قدر عملك، وإنما يوفيك ويزيدك فوق جهدك وتعبك وعملك.



وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ
الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ
مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ
الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ
فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾
وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ
شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا
فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ
نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ
عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ
فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ
أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ
فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

التفسير

- ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ﴾ الذي لا شك فيه ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ما تقدمه من الكتب السماوية ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ﴾ بكل ما يفعل العباد ﴿بَصِيرٌ﴾ (٣١) بما يصلح شؤون عباده.
- ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ هذه الأمة ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ وهو من يطيع الله تعالى ويعصيه ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ وهو من يطيع الله تعالى مقتصرًا على الواجبات، غير فاعل للنوافل والمستحبات، ولا يعصي الله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ مسارع مجتهد فيها، فيأتي بالواجبات، ويتقرب بالنوافل، ولا يعصي الله تعالى ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بتوفيقه ﴿ذَلِكَ﴾ السباق للخيرات ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (٣٢) هو فضل الله تعالى العظيم على عبده.
- ﴿جَنَّاتُ﴾ بساتين ﴿عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ حُلِيِّ يوضع في يد الرجل والمرأة على حدٍّ سواء ﴿وَلَوْلُؤُا﴾ ينتظم في ثيابهم وأجسادهم ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ (٣٣) لباس أهل الجنة الحرير.
- ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ بكل أنواعه ومسبباته ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ لمن تاب إليه ﴿شَكُورٌ﴾ (٣٤) كثير العطاء والثواب لمن يطيعه.
- ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا﴾ أنزلنا ﴿دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ الجنة ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ علينا وكرمه بنا ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ تعب في الأبدان ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ (٣٥) عناء وإعياء.

• ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جحدوا بآيات الله ﴿لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ يوم القيامة ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ بالموت ﴿فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ من عذاب النار ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافُورٍ﴾ ﴿٣٦﴾ كل جاحد لأمر الله تعالى وشرعه.

• ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ﴾ يصيحون ويستغيثون ﴿فِيهَا﴾ في النار ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ في الدنيا ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ ألم نمهلكم ونطيل بقاءكم وقتاً تتمكنون فيه من الذكرى ﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ الرسول ﴿فَذُوقُوا﴾ عذاب النار ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ ﴿٣٧﴾ ينصرهم من عذاب الله تعالى.

• ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لا يغيب عنه من ذلك شيء ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٣٨﴾ ما تكنه صدوركم.

الآيات

١ - ما أكثر ما بيّن الله تعالى صدق هذا الوحي ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ماذا لو استوعبنا هذا التكرار وعيننا بهذا القرآن!

٢ - يا لرحمة الله تعالى! حتى الظالم لنفسه من ورّاث هذا الكتاب ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ ﴿٣٢﴾.

٣ - الواردون على الله تعالى ثلاثة أصناف: (ظالمٌ لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات) فأين أنت من هؤلاء! ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا

فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾.

٤ - لو كانت هذه النتيجة في دنياك فأين ستضع نفسك؟! ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ أدرك نفسك فهذه نتيجة لا تقبل التغيير ولا التبديل.

٥ - تأمل هذا النعيم، وأدِرْ شأنه في مشاعرك ﴿جَنَّتْ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾.

٦ - هذا النعيم الظاهر في أبدانهم؛ فما بالك بالنعيم الذي خالط مشاعرهم وقلوبهم وأرواحهم؟! ﴿جَنَّتْ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾.

٧ - الرؤية تصنع فارق الأحداث! ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَهْلَنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ كان الحزن يخالط مشاعرهم ألا يصلوا إلى هذه الأمانى، فحمدوا الله تعالى أن أزاح عنهم هذه الهموم والأحزان.

٨ - من جعل شيئاً نُصِبَ عينيه بلغه ولو بعد حين ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَهْلَنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾.

٩ - من أدبك وكمال علمك ألا يلفظ لسانك إلا جميلاً ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَهْلَنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ جهدوا وعملوا وتعبوا، ولم ينسبوا شيئاً من ذلك إلى أنفسهم.



١٠ - تعلم أن تخلع الكبر من قلبك ومشاعرك وروحك، وألا تنسب لنفسك شيئاً من الأعمال ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّكَ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٢٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٢٥﴾.

١١ - يا الله! أي صورة أبلغ في العذاب من هذه الصورة؟! ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾.

١٢ - كم من ضاحك في الدنيا باكياً في أيام النهايات؟! ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾.

١٣ - ما أحوج نفوسنا لواعظ القرآن! ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾.

١٤ - غيب السموات والأرض لا يغيب منه عن الله شيء، وغيب صدرك كذلك لا يغيب منه شيء؛ فأقم للحق شأنًا في واقعك ﴿إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٣٨).

١٥ - المسألة أكبر من رؤية حرفك وهمسك وظلام ليلك ومكالمتك، وإنما يعلم ما يجري في خاطرك وصدرك قبل أن يجد واقعاً في التطبيق ﴿إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٣٨).



هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْنًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُوَاقِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَا كُنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَاتَّكَبَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَادَهُ بِصِيرًا ﴿٤٥﴾



التفسير

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ بعضكم يخلف بعضاً ﴿فَن كَفَر﴾ جحد
بآيات الله تعالى ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ فعاقبة جحوده على نفسه ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ
كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْنًا﴾ إلا بعداً وبغضاً عند الله تعالى ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ
كُفْرَهُمْ إِلَّا خُسَارًا﴾ (٣٩) ﴿إِلَّا بَوَارًا وَإِهْلَاكًا﴾.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي﴾ أخبروني وأنبئوني ﴿مَاذَا
خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي جزء اختصوا بخلقه من الأرض ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي
السَّمَوَاتِ﴾ أي جزء يشاركون الله تعالى في ملكه فيها ﴿أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ
عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ﴾ يبين لهم صحة اتخاذهم للشركاء ﴿بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ (٤٠) ﴿لَيْسَ لَهُمْ فِيهِ حُجَّةٌ، وَإِنَّمَا تَوْصِيَةٌ وَتَزِينٌ
لِّبَعْضِهِمْ بَعْضًا﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ حتى لا تزولا من مكانهما
﴿وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ﴾ ما يستطيع أن يمسكهما أحد غير
الله تعالى ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾ عن كل معرض عنه ﴿غَفُورًا﴾ (٤١) ﴿لَمَنْ أَذَنْبٌ
وَأَقْبَلُ عَلَيْهِ﴾.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾ حلفوا أيماناً مغلظة ﴿لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ يبين
لهم الحق ﴿لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ التي خلت من قبلهم ﴿فَلَمَّا
جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ (٤٢) ﴿إِلَّا بَعْدًا وَضَلَالًا وَعِنَادًا﴾.

﴿أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ نفورهم هذا كان علواً في الأرض وتكبراً ﴿وَمَكَّرَ
السَّيِّئُ﴾ وحملهم على ذلك مكرهم السيء بالرسول تكذيباً وعناداً ﴿وَلَا

يَحْيِي الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴿٤٣﴾ إِنَّمَا يَعُودُ مَكْرَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴿٤٤﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ﴿٤٥﴾ السَّنةُ الْجَارِيَةُ فَيَمُنْ سَبَقَهُمْ بِالْعُقُوبَةِ ﴿٤٦﴾ فَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٧﴾ تَغْيِيرًا عَمَّا هِيَ عَلَيْهِ.

• ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ماذا حصل لهم بسبب تكذيبهم ﴿وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ مع شدة قوتهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ مهما بلغت قوته وأثره ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾ لا تخفى عليه خافية ﴿قَدِيرًا﴾ لا يعجزه شيء.

• ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ بما عملوا في الدنيا ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ على الأرض ﴿وَلَا كُنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ محدد مؤقت ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ حضر موتهم وحسابهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ يعلم من يستحق منهم العقوبة فيعاقبه، ومن يستحق الكرامة فيكرمه.



١ - أسوأ ما يأتي في ذهن إنسان أن يتصور أنه يضر الله تعالى بشيء من كفره ومعصيته وشروده عن الهداية والتوفيق ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْنًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٣٩).

٢ - الحوار والنقاش الفكري جزء من إقامة الحجج على المعارضين ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي



الْأَسْمَوَاتِ أَمْ بَدَا لَهُمْ كُفْبًا فَهْمٌ عَلَىٰ يَنَّتٍ مِّنْهُ ۖ بَلْ إِنِ بِغَدِ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾

٣ - من فقه الحوار والنقاش مع المعارض أن تناقشه وتحاوره من المساحة المتفق عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤١﴾ فحوار القرآن مع المعارض هنا من مشاهد كونية، يتفق فيها المعارض مع من يحاوره ويناقشه.

٤ - لا تحتفل بأيمان النفاق والكفر في شيء من أمرك ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ ﴿٤٢﴾

٥ - من لا يقيم الله تعالى شأنًا، ولا يجعل أمره وشعائره فتوقع منه كل شيء ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ ﴿٤٣﴾

٦ - ليست مشكلة المعارض معك في ضعف دليلك حتى تزيده دليلاً، وإنما في قناعته بباطله ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ ﴿٤٤﴾

٧ - الكبر عائق عن كثير من الحقائق ﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ ﴿٤٥﴾

٨ - ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ﴾ قاعدة لا تتخلف عن مواعدها مع أصحاب المكر والخداع.

٩ - بقدر ما تصنع من سوء لأخيك بقدر ما يرتد إليك هذا السوء ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾.

١٠ - خَطَّطَ وَنَظَّمَ وَرَتَّبَ كُلَّ شَيْءٍ، وَفِي النِّهَايَةِ غَرَقَ فِي مَشَاهِدِهَا ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾.

١١ - قِرَاءَةُ التَّارِيخِ ضَرُورَةٌ لِأَخْذِ الْعِظَةِ وَالْعِبْرَةِ الْكَافِيَةِ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾.

١٢ - مِنْ أَشَدِّ الْأَخْطَارِ الَّتِي تَعَانِيهَا الْأُمَّةُ تَجْهِيلُ أَجْيَالِهَا، فَلَا هِيَ قَرَأَتْ سِيرَةَ نَبِيِّهَا ﷺ، وَلَا هِيَ قَرَأَتْ سِيرَةَ أَجْيَالِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾.

١٣ - كُلُّ أُمَّةٍ لَا تَارِيخَ لَهَا، فَلَا تَنْتَظِرُ مِنْهَا مَشْهَدًا مُثِيرًا فِي قَادِمِ الْأَيَّامِ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾.

١٤ - مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يُؤَاخِذُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ وَلَا يَعَاجِلُهُمُ بِالْعُقُوبَةِ، بَلْ تَرَكَ ذَلِكَ إِلَى حُلُولِ الْأَجَالِ ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾.

١٥ - مَا زَالَتِ الْفُرْصَةُ سَانِحَةً لِكُلِّ مَنْ أَخْطَأَ فِي حَقِّ نَفْسِهِ أَنْ يَتُوبَ، وَيَعُودَ إِلَى رَبِّهِ مِنْ جَدِيدٍ ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾.



سُورَةُ يُسَّا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَس ١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣
 عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ٥ لِنُنْذِرَ
 قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ ءَابَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ٦ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ
 عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ
 أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ٨ وَجَعَلْنَا
 مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ
 لَا يُبْصِرُونَ ٩ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا
 يُؤْمِنُونَ ١٠ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ
 الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ١١ إِنَّا
 نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَاهُمْ وَكُلَّ
 شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ١٢

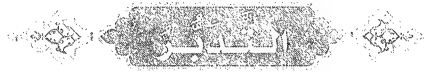
التفسير

- ﴿يَسَّ ١﴾ من الحروف المقطعة التي تدل على إعجاز القرآن.
- ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ٢﴾ المحكم بآياته وحججه وبراهينه ﴿إِنَّكَ﴾
يا رسول الله ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣﴾ إلى قومك والعالمين.
- ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤﴾ منهج مستقيم.
- ﴿تَزِيلَ﴾ أي القرآن ﴿الْعَزِيزِ﴾ الغالب على أمره ﴿الرَّحِيمِ ٥﴾ الذي وسعت رحمته كل شيء.
- ﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ﴾ لِنَعِظَ وَتَذَكَّرَ بِهِ الْعَرَبُ الْأُمِّيِّينَ ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ ٦﴾ لعدم وجود من يذكرهم وينذرهم.
- ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾ نفذ القول على أكثرهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٧﴾ لن يتركوا شركهم وكفرهم بالله تعالى.
- ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ٨﴾ أي إِنَّ هَؤُلَاءِ فِي خِتْمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَدَمِ هِدَايَتِهِمْ لِلْخَيْرِ كَمَنْ غُلَّ فِي عُنُقِهِ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى خَيْرٍ، كَمَا أَنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَطَاطُوا رُؤُوسَهُمْ إِلَى أَسْفَلٍ مِنْ تِلْكَ الْأَغْلَالِ، وَمُقْمَحُونَ: أَي رَافَعُوا رُؤُوسَهُمْ إِلَى أَعْلَى.
- ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ عَنِ الْحَقِّ ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ عَنِ الْحَقِّ ﴿فَأَعَشَيْنَاهُمُ فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ ٩﴾ جَعَلْنَا عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً، لَا يَبْصُرُونَ بِهَا الْهَدَى.
- ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٠﴾ وَعَظَمَهُمْ أَمْ لَمْ تَعْظَمْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ.



• ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ إنما ينفع إنذارك ﴿مَنْ أَتْبَعَ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَحَشَى الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ خاف عقابه ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ لذنوبه ﴿وَأَجْرِ كَرِيمٍ﴾ (١١) ثواب مبارك وعظيم.

• ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ وذلك يوم القيامة ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ من أعمال الخير والشر التي باشروها في حياتهم ﴿وَعَاثَرَهُمْ﴾ آثار الخير والشر التي كانوا سبباً في إيجادها حال حياتهم وبعد موتهم ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ كل عمل ﴿أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ (١٢) في اللوح المحفوظ.



١ - افقه كل شيء عن نبيك ﷺ، فهو حريٌّ بك، وأنت أسعد العالمين بذلك ﴿يَسْ﴾ (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤) ﴿٤﴾.

٢ - كم من كتاب قرأت في سيرة نبيك ﷺ؟! على قدر معرفتك يكون أثرك ﴿يَسْ﴾ (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤) ﴿٤﴾.

٣ - من كمال فقهك ووعيك أن تهب هذا القرآن من وقتك وفكرك ومشاعرك ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (٥) ﴿٥﴾ إِنَّ كِتَابَ اللَّهِ يَهَبُهُ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْعَنَاءَ لَهُوَ حَقِيقٌ بِالْإِجْلَالِ!

٤ - لا تبتسئ لكثرة المعرضين، ثمة أفواج كبيرة لا يمكن أن تنتفع من القرآن بشيء ﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ (٦) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَيَّ أَكْثَرَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩) وَسَاءَ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠) ﴿١٠﴾.

٥ - حين ترى معرضاً عن الحق، أو نائياً عن مجالسه، أو مواجهاً لأفكاره وأحلامه؛



فتلك سنة الله تعالى في العالمين ﴿لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ ٦ ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٧ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ ٨ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ٩ ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ١٠ ﴿

٦ - انتفاعك بالموعظة دليل صلاح قلبك ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ ١١ ﴿

٧ - انتفاعك بالمواعظ مؤذن لك بالبشائر في أيام الحساب ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ ١١ ﴿

٨ - يكفي هذا الوعد في إحياء فكرة مشروع العمر والفرح بها، وإحياء واقعها في الحياة ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَاهُمْ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ ١٢ ﴿

٩ - هل تصورت ميتاً في قبره يكتب حظاً في الحياة؟! ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَاهُمْ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ ١٢ ﴿

١٠ - هنا مواطن السباق، والتحدي، والبناء الخالد في الدارين ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَاهُمْ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ ١٢ ﴿

١١ - حين تستعمر فكرك ومشروعك وقضيتك، فمن حَقِّك أن تخلد أفكارك ومشاريعك للعالمين ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَاهُمْ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ ١٢ ﴿

١٢ - من خلال فكرة المشروع يمكنك أن تعيش حياتين، وليس حياةً واحدة ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَاهُمْ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ ١٢ ﴿

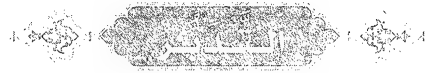
وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾
 إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا
 إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا
 أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا
 يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ
 الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا
 لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَهِّرْ كُمْ
 مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ
 مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْتَوِمُّ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ
 ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ
 لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ
 ءَالِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ
 شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي
 ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ
 قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

التفسير

- ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ﴾ لهؤلاء المكذبين ﴿مَثَلًا﴾ برسالتك ﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ أهل قرية ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿١٣﴾ يدلُّونهم على الخير.
- ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ من الرسل ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ أنكروا ما جاء به، ولم ينتفعوا برسالتهما ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أعاناهما برسولٍ ثالث ﴿فَقَالُوا﴾ لهم رسل الله: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ ﴿١٤﴾ من عند الله تعالى.
- ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ فلا فضل لكم علينا ﴿وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾ عليكم ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ ﴿١٥﴾ على الله تعالى، فتقولون عليه كذباً وزوراً.
- ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ ﴿١٦﴾ إن كنا كاذبين أو صادقين.
- ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ﴿١٧﴾ وليس علينا سوى إبلاغكم دين الله تعالى بأوضح طريق.
- ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ تشاء منا بقدمكم ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا﴾ عن ما تدعونا إليه ﴿لَنَجْجَنَّكُمْ﴾ بالحجارة ﴿وَلَنَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٨﴾ ينالكم منا عذاب موجه.
- ﴿قَالُوا طَئِئْرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ شركم بسبب شرككم ﴿أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ﴾ تطيِّركم بنا لأننا ذكّرناكم بالله تعالى ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ ﴿١٩﴾ معتدون متجاوزون.
- ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ من أبعداها إلى محل الرسل ﴿رَجُلٌ يَسْعَى﴾ يركض ﴿قَالَ يَقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ داعياً قومه للاستجابة للرسول.



- ﴿أَتَسِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ فلا يطلبون منكم مالاً مقابل دعوتهم ﴿وَهُمْ مُّهِتَدُونَ﴾ ﴿١١﴾ على طريق الحق.
- ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ الذي خلقني ﴿وَالِيهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١٢﴾ يوم القيامة.
- ﴿أَتَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ أأعبد غيره، وهو المستحق للعبادة؟! ﴿إِنْ يُرِدَنَّ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ شِدَّةٍ وَبِلَاءٍ﴾ ﴿لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾ لا تنفعني شفاعتهم ﴿وَلَا يُنْقِذُونَ﴾ ﴿١٣﴾ من البلاء والشدة.
- ﴿إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿١٤﴾ إن عبدت مع الله تعالى غيره، فأنا في غاية الضلال.
- ﴿إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ﴾ ﴿١٥﴾ أعلن إيمانه، ورجاهم أن يسمعوا دعوته فقتلوه.
- ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ في حال موته ﴿قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٦﴾ تمنى أن قومه علموا ما آل إليه حاله بعد موته ﴿بِمَا غَفَرْتُ لِي مِنْهُ﴾ ما بيني وبينه من الذنوب ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمَكْرُمِينَ﴾ ﴿١٧﴾ بدخول الجنة.



١ - تهيأ لفكرة الإعراض عن الحق، ومواجهة الضالين في الطريق ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ ﴿١٤﴾.

٢ - كثرة عدد الدعاة والمصلحين وتكرار الحقائق لا يصنع فارقاً في حياة كثير من المعرضين ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا

إِلَيْهِمْ أَتَيْنَ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِشَالِكٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ إذا فسدت
القلوب لم يعد ينفع فيها شيء.

٣ - إعراض المكذبين والضالين لا يستوقفنا عن العمل، وإنما يزيد إصرارنا على
إيصال دين الله تعالى للعالمين ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا
الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِشَالِكٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ
مُرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

٤ - لن تجد احتفاءً كافياً بمشروعك وفكرتك ورسالتك؛ فوطّن نفسك على
استقبال الإعراض والمعرضين ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ
شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾﴾.

٥ - إياك أن تبرح هذه الفكرة في رسالتك ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾.

٦ - ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ لست مسؤولاً عن عدد أتباعك واقعاً،
أو فضائياً، أو في وسائل التواصل الاجتماعي، المهم أن تؤدي دورك، وتبلغ
وسعك وجهدك في مشروعك ورسالتك.

٧ - لا تنشغل بالباقيين لموعظتك، أو المستقبلين لرسالتك، أو المتفعين
بدرسك ومحاضرتك، أو المتابعين لك في وسائل التواصل الاجتماعي أو
القنوات الفضائية ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ يكفيك أن تقوم
بواجبك فحسب.

٨ - متى كانت الدعوة يوماً ما شؤماً في واقعها إلا في حياة المعرضين
الضالين ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾.



٩ - لا فرق بين هذه المقولة التي تتردد اليوم: الصحوه سبب تأخرنا، والإسلاميون حجر عثرة أمام التقدم ومقولة الأمس! ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٨).

١٠ - من أسوأ أمراض التفكير أن تكون مريضاً، وترمي غيرك بالداء ﴿قَالُوا طَئِرُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ (١٩).

١١ - الذي لا يعترف بمرضه يعد مريضاً، فكيف بمن يرى نفسه صحيحاً وهو عليل ﴿قَالُوا طَئِرُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ (١٩).

١٢ - ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقَوِمْ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢٠). رجل يسعى في العالمين بفكرة حيّة، ومشروع بهيج، وراية مثيرة في عالم القاعدين!

١٣ - ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقَوِمْ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢٠). يسعى وليس قاعداً في بيته، أو متكئاً على سريرة، أو متفنياً لظلال واقعه، وإنما يسعى بسراج الآمال في ظلام الكون.

١٤ - ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقَوِمْ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢٠). من أقصى المدينة! وكم من جالس في مجتمعه لم يحرك ساكناً، ولم يحدث أثراً في واقعه؟!

١٥ - يا رعى الله تلك القلوب التي تشعر بالحياة! وتلك الأجساد التي لا تعترف بطول المسافات! ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقَوِمْ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢٠).

١٦ - كم من فرق بين هذا الرجل ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقَوِمْ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢٠) وآخر لم يفتح درساً في مسجده، ولم يقم بمشروعٍ لحيه، ولم يحدث تفاعلاً في مساحته ودائرة تأثيره!

١٧ - مشكلتنا اليوم مع الممكن الذي نجلس في مساحته، والواقع الذي نعيش فيه، والمكان الذي نبقي فيه زمناً من العمر، أما لنا في هذا الرجل الصالح الذي جاوز كل هذه المسافة عظمتاً وعبرة! ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُومُ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾.

١٨ - الإيمان بالأفكار هو الذي يصنع واقع الربيع في حياة إنسان ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُومُ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾.

١٩ - لا تبتئس أن اسمك لم يسجل في الحفل، ولم يدون في الإنجاز، ولم يذكر في قائمة الشرف، ولم يُكرّم ليلة الاحتفاء، يكفي جهدك وغبار قدمك وثناء فكرتك في واقع العالمين ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُومُ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (رجل) لا يُعرف!

٢٠ - أحوج ما تكون الأمة اليوم إلى من يستشعر دوره وأثره في مساحته ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُومُ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾.

٢١ - ألا ترى أن القرآن يذكر بمجد هذا الرجل المصلح! ما ضرّه أننا لم نردّد اسمه. يكفي أننا نحمل جزءاً من أثر قدمه ونقدمه قربى للعالمين ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُومُ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾.

٢٢ - منذ متى كانت الدعوة مجالاً للتكسب والافتيات من مباهجها؟! ﴿أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

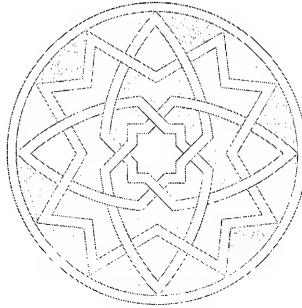
٢٣ - الداعية وصناعة مباهج القدوة في واقعه ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونِ﴾ ﴿إِنِّي إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿إِنِّي آمَنْتُ



رَبِّكُمْ فَأَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ من علامات نجاح الفكرة التي تحملها والمشروع الذي تقوم عليه أن تكون قدوة فيه.

٢٤- آمَنَ فقتلوه؛ فدخل الجنة؛ فردد متوجعاً ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴿قلوب لا تجد سعادتها إلا في سعادة الآخرين.

٢٥- ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴿إذا لم تكن مشاعرك للآخرين كهذه التي تتأسف على فوات النعيم من حياة من حولها، وإلا فلا مفروح بك في واقعهم.



﴿٢٨﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا
 كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ
 ﴿٣٠﴾ يَحْسَرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ
 يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣١﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ
 أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ
 ﴿٣٣﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْتَهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا
 فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٤﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ
 وَأَعْنَبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ
 وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي
 خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ
 وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ
 فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا
 ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى
 عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ
 الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾



التفسير

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ﴾ على قوم هذا الرجل المؤمن ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ من بعد قتله ﴿مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ لإهلاكهم ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ ﴿٢٨﴾ ما بنا من حاجة إلى إنزال أحدٍ لإهلاكهم.

﴿إِنْ كَانَتْ﴾ عقوبتهم ﴿إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ هالكون.

﴿يَنْحَسِرَ عَلَى الْعِبَادِ﴾ ما أعظم حسرتهم وشقاءهم! ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ لم ينتفعوا بما جاءهم به، وهذا غاية الحسرة والشقاء ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ ألم يتعظوا ويعتبروا بما حلَّ بمن قبلهم بسبب تكذيبهم لرسول الله تعالى ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٣١﴾ في الدنيا، وإنما بادوا وهلكوا.

﴿وَإِنْ كُلُّ﴾ ممن كذب من الأمم ﴿لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ يوم القيامة.

﴿وَأَيُّهُمْ﴾ دلالة لهؤلاء المشركين ﴿الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ﴾ التي لا حياة فيها ﴿أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ فذلك قدرة الله تعالى على إحياء الموتى بعد موتهم.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ في الأرض التي أحييناها ﴿جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ ﴿٣٤﴾ وأنبعنا فيها من عيون الماء.

﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ متنعمين متلذذين ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ وليس لهم فيه عمل إن هو إلا صنع الله تعالى ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ ربهم على هذه النعمة.

- ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ الأصناف والأنواع كلها ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ من تلك الأصناف ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ من ذكر وأنثى ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٦) ومن أصناف مخلوقات لا يعلمونها.
- ﴿وَعَايَةُ لَهُمْ آلِيلٌ سَلَخَ مِنْهُ النَّهَارُ﴾ نزيل منه ضوء النهار ﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (٣٧) لا نور لهم.
- ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي﴾ تسير ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ موضع مقدر لا تتعداه ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ الغالب على أمره ﴿الْعَلِيمِ﴾ (٣٨) بما يصلح الكون.
- ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ كل ليلة ينزل منها في منزلة ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ (٣٩) يصغر حتى يكون كعذق النخلة الذي صغر حجمه وانحنى ويسس لقدمه.
- ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ فلا يمكن أن تكون في الليل ﴿وَلَا آلِيلٌ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ وكذلك الليل لا يسبق موعده فيدخل على النهار ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٤٠) كلٌّ يدور في فلكه ومستقرّه بأمر الله تعالى وحكمته.

التدبير

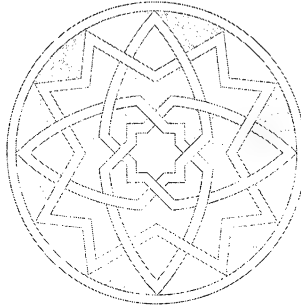
- ١ - من لم تنفع فيه الحجج، فلا يكثر بهلاكه ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ (٢٨) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ﴾ (٢٩).
- ٢ - ﴿يَحْضَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٣٠) كم من قارئ لها في هذه اللحظة لم يستوعب ما فيها من تأسفات!



٣ - ليس هناك حسرة أشد من أن يبلغهم دين الله تعالى، ثم يعرضون عنه ويرفضونه! ﴿يَحْسَرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٣٠).

٤ - كثير من قضايانا لا تحتاج إلا التفكير ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (٣١) وَإِنْ كُلُّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٣٢).

٥ - في زمن الربيع لا تشغل عينك بما ترى فحسب، بل أدِرْ شأن عقلك وفكرك في ساحات الصحراء كيف تحوّلت إلى هذا المشهد البهيح ﴿وَأَيُّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ (٣٥) سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وقلبك كذلك، لا يمكن أن تتحوّل صحراؤه للربيع إلا بعد غيث الإيمان.



وَأَيُّهُمُ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذَيْنَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا بُولُوكُنَا مِنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾



التفسير

- ﴿وَأَيُّهُ لَهْمٌ﴾ علامة واضحة ﴿أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمُ﴾ من نجا من ولد آدم في سفينة نوح ﴿فِي الْفُلِّكَ الْمَشْحُونِ﴾ ﴿٤١﴾ المملوء .
- ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ من مثل ذلك الفلك .
- ﴿وَلِإِن نَّشَاءُ نَغْرِقْهُمْ﴾ أي المشركين ﴿فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ﴾ فلا مغيث ﴿وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ ولا يجدون من ينقذهم من ذلك الغرق .
- ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا﴾ إِلَّا أَنْ نَمُنَّ عَلَيْهِمْ نَحْنُ بِالْإِنجَاءِ ﴿وَمَتَّعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ ﴿٤٤﴾ إلى أجلهم المقدّر لهم .
- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من عذاب الدنيا العاجل ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من أمر الآخرة ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ من عذاب الله تعالى .
- ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ﴾ حجة وبينة ظاهرة ﴿مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ من آيات الله وحججه وبراهينه ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ لا يلتفتون إليها، ولا يعتبرون بها .
- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ ابدلوا مما أعطاكم الله تعالى ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطِعِم مِّنْ لَّوْشَاءِ اللَّهِ أَطْعَمَهُ﴾ أنعطي إنساناً من أموالنا، ولو شاء الله تعالى أعطاه ولم يتركه! ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٤٧﴾ أمركم لنا بذلك دليلٌ على ضلالكم .
- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ يوم القيامة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٤٨﴾ فيما تقولون .
- ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ نفخة الصور ﴿تَأْخُذُهُمْ﴾ تصيبهم ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ يختصمون ويتشاجرون فيما بينهم .

- ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ على ما وراءهم من أهل وأموال وبينين ﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ يعودون.
- ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ نفخة البعث ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ ﴿٥١﴾ يسرعون في المشي.
- ﴿قَالُوا يَتَوَلَّوْنَا مِنْ بَعَثِنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ مَنْ أخرجنا من قبورنا بعد نومنا فيها ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ هذا ما وعد الله تعالى به عباده، وما جاء به المرسلون.
- ﴿إِنْ كَانَتْ﴾ خروجهم من قبورهم ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ نفخة الصور ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ مجتمعون.
- ﴿فَالْيَوْمَ﴾ يوم القيامة ﴿لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ لا يُنقص من حسناتها، ولا يُزاد في سيئاتها ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ في الدنيا.

التدبر

- ١ - من مشاهد قدرة الله تعالى هذه السفينة التي تمخر عباب البحر كل حين ﴿وَأَيُّهُمُ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ﴾ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ لو تأملت!
- ٢ - السفينة التي تركبها اليوم هي ذاتها التي أنقذت أمة مؤمنة من الغرق يوماً ما، فتذكر بهذه النعمة تلك الأيام ﴿وَأَيُّهُمُ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ﴾ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾.



٣ - هل رأيتها كيف تمخر في البحر براكبها! ماذا لو أراد الله تعالى أن يغرقها! ﴿وَأَيُّهُمُ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ (٤١) ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ (٤٢) ﴿وَلِنْ نَشَأُ غُرَقَهُمْ فَلَا صَرْيَخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ﴾ (٤٣) ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٤٤).

٤ - مناكفة الحقائق، ورفض الأفكار الداعية للفضيلة من أخلاق الضالين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٤٧).

٥ - ليس للضلال نهاية ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٨) ﴿يَكْفُرُونَ وَيَضَلُّونَ، ويرفضون كل فكرة داعية للإصلاح، ويتكلمون باستعجال عذاب الله تعالى.

٦ - إذا جاء عذاب الله تعالى ألقى بكل الظنون جانباً، ونصب للحقائق رايات ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ (٤٩) ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٥٠).

٧ - لا يغرنك إمهال الله تعالى للظالمين ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ (٤٩) ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٥٠).

٨ - خذ جولة ببصرك للقبور! هل رأيت تلك الحفر البالية؟! ها هو يثور غبارها للحساب من جديد ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ (٥١) ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا مِنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٥٢) ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (٥٣) ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٥٤).



٩ - يَا فَلَاحَ وَيَا نَجَاحَ مَنْ آمَنَ أَن يَوْمًا سَيَأْتِي لِلْحِسَابِ! ﴿٥١﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالَُوا يَتَوَلَّوْنَا مِنْ بَعَثِنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۖ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٣﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾





إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَّهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ
 فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِفُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَنَكِهَةٌ وَلَهُمْ
 مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَامْتَرُوا الْيَوْمَ
 أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ آغْضِ إِلَيْكُمْ يَنْبِئِءَ آدَمَ أَنَّ لَا
 تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ أَعْبُدُونِي
 هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا
 أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ
 ﴿٦٣﴾ أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ
 عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا
 يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا
 الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ
 عَلَى مَكَائَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾
 وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾
 وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ
 ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحَقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾

التفسير

- ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ أهلها ﴿الْيَوْمَ﴾ يوم القيامة ﴿فِي شُغْلٍ﴾ من كل ما يطيب للنفس، وتجذُّ به عظيم اللذة أكلاً وشرباً وجماعاً ﴿فَكَهُونٌ﴾ متنعِّمون.
- ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ﴾ من الحور العين ﴿فِي ظِلِّلٍ﴾ مستظلون بظلِّ وارفٍ بارد ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ على الأسرة متقابلون.
- ﴿لَهُمْ فِيهَا فَنَكِهَةٌ﴾ ممَّا تنفَّكه به النفوس ﴿وَهُمْ مَائِدَعُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ يطلبون.
- ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ ﴿٥٨﴾ عليهم سلام من ربهم.
- ﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ تميَّزوا وانفردوا عن المؤمنين.
- ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ﴾ ألم آمركم وأوصيكم ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ ألا تطيعوه فيما يأمركم به ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿٦٠﴾ بين واضح في عداوته.
- ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي﴾ بامثال ما آمركم به، وترك ما أنهاكم عنه ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ﴿٦١﴾ عبادتي هي الطريق البين الذي لا اعوجاج فيه.
- ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ﴾ الشيطان ﴿جِيلًا كَثِيرًا﴾ خلقاً كثيراً ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ ما يريد بكم الشيطان.
- ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ تُذْكَرُونَ بها في الدنيا.
- ﴿أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ﴾ احترقوا بها ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ بسبب كفركم وضلالكم.



- ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾ فلا يتكلمون ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾ بما عملوا من معاصٍ في الدنيا ﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٦٥﴾ تشهد عليهم بأفعالهم السيئة.
- ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾ لأعميناهم عن الهدى ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ فبادروا إلى الطريق ﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُوكَ﴾ كيف يهتدون للطريق وهم عمي؟!
- ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ أذهبنا حركتهم ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا﴾ إلى الأمام ﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ إلى الوراء.
- ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ﴾ نطيل عمره ﴿نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ نرده إلى حالة الضعف لكبره وهرمه ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ قدرة الله تعالى فيتعظون ويعتبرون.
- ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ لا يصلح له أن يكون شاعراً ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَسُولٌ﴾ أي رسول الله ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ يذكركم أمر الله تعالى ﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٦٩﴾ واضح بين الدلالة.
- ﴿يُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ حي القلب، يعقل ما يقال له ﴿وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٧٠﴾ ويحق العذاب على أهل الكفر.



- ١ - يستحق عناء الدنيا هذا النعيم الكبير ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَّهُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ هم وأزواجهم في ظلالٍ على الأرائك متكئون ﴿٥٦﴾ لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ﴿٥٧﴾ سلم قولاً من ربِّ رحيم ﴿٥٨﴾.



٢ - ماذا لو أدرك الصالحون هذه اللحظات؟! ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ۖ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِعُونَ ۖ﴾ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴿ثم قاموا يبعثون فيها الحياة!

٣ - ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ۖ﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿من كل ما يطيب للنفس وتجدد به عظيم اللذة أكلاً وشرباً وجماعاً!

٤ - لو رأيتهم وأزواجهم وهم على الأرائك متكئون! يا للذة النعيم الذي يجدون! ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ۖ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِعُونَ ۖ﴾ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ .

٥ - شتآن بين مؤمن وكافر، وصالح وطالح، وتقى وفاجر ﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ۖ﴾ ﴿٥٩﴾ .

٦ - ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۖ﴾ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴿بلى! ولكن غرتهم الدنيا!

٧ - هواك حين تصرفه لطاعة عدوك عبادة، أيأ كانت صورته وشكله في النهاية ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۖ﴾ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ .

٨ - ما عبدوا الشيطان بركوع وسجود، ولكن أطاعوه في كل ما يريد ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۖ﴾ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴿تلك هي عبادته.



٩ - رَكَعَتْ وَسَجَدَتْ شَهَوَاتِهِمْ لغير الله تعالى؛ فصاروا عبيداً للشياطين ﴿أَلَمْ
أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٦٠) ﴿وَأَنْ
أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٦١) ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِيلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا
تَعْقِلُونَ﴾ (٦٢) ﴿.

١٠ - أين أنت من هذه الحقيقة؟! ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِيلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا
تَعْقِلُونَ﴾ (٦٢) ﴿مثلك أوعى أن يأتي ضمن هذا القطيع.

١١ - الناجح بحق هو الذي استعلى عن السقوط في حضيض الشهوات ﴿وَلَقَدْ
أَضَلَّ مِنْكُمْ جِيلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ (٦٢) ﴿.

١٢ - يا للحسرات ومواقف الذل وأيام الغبن في حياة إنسان! ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي
كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٦٣) ﴿أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٦٤) ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ
وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٦٥) ﴿.

١٣ - ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٦٣) ﴿أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٦٤) ﴿
هذه ليست موقد تنورك الذي في البيت أو تنور القرآن، هذه جهنم التي تجد نفس
حرها وبردها في هذه الدنيا.

١٤ - هل تخيلت يوماً أن تقف في وقدة الشمس لساعة من وقتك! كم من مفرط
سيدلف إلى جهنم بكل جسده؟! ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٦٣) ﴿أَصْلَوْهَا
الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٦٤) ﴿.

١٥ - في أيام الحر يقف مراراً أمام خزان الماء لا يستطيع أن يغتسل أو يتوضأ
بشيء منه! ماذا لو أدرك أنه سيدخل تلك النار عارياً؟! ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ
تُوعَدُونَ﴾ (٦٣) ﴿أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٦٤) ﴿.

١٦ - إن لم يردعك هذا الوعيد عن شهواتك وشبهاتك؛ فألقِ بقدمك على أرض



ضربتها الشمس لساعاتٍ في حر الصيف لعلك تفيق! ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٦٣) أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾.

١٧ - أعطاه الله تعالى لساناً يملك به الفكاك من أضيق المواقف إلا في ساحات القيامة، فلا يُمكن من الكلام! ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٦٥) مسؤولية الجوارح التي عاشت على الشهوات أن تنطق بنفسها، وتشهد على حالها.

١٨ - هل تخيلت أن يدك وقدمك ستأتي ضمن الشهود على مواقفك؟! ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٦٥).

١٩ - يده التي كتب بها، وقدمه التي مشى عليها تكشفان قصة الجريمة، وتتحدثان بالفضيحة. رحماك يا رب! ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٦٥).

٢٠ - كتب أشياء كثيرة، وبلغه أن الجهات الأمنية تراقبها، فذهب يمسح ويعدل، ويرتب ويعتذر، أما ما دُوّن في كتاب الأعمال فلا تطوله يد التغيير والتبديل في شيء ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٦٥).

٢١ - ركضك في المعصية، وسفرك إلى الشهوات سيأتي بغباره شاهداً عليك في يوم الحاجات ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٦٥).

٢٢ - كم من حرفٍ كتبته تلك اليد زوراً وظلماً وكيداً وترئصاً بالإسلام؟ ستذلي يده بالشهادة وافية ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٦٥) حتى التواقيع التي وقّعوها جاءت كما هي شاهدة على الضياع.



٢٣ - كم من خطوةٍ ثار غبارها في مساحة من الأرض ستأتي ضمن الشهود على حوادث الإجمام ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَشَهِدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٦٥﴾.

٢٤ - ماذا لو طمس الله تعالى أعينهم، أو أذهب حركتهم بالكلية ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ ماذا يصنعون؟!

٢٥ - ما أكثر ما ترى هذه الصورة في واقع الحياة! ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ تطول أعمارهم حتى يعودون كالأطفال في بواكير أعمارهم!

٢٦ - ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُٗٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾ رسالة للذين يخلطون الحقائق بالظنون، ويعتبرون الوحي نوعاً من الشعر.

٢٧ - فرق كبير جداً بين شعر يردده شاعر، ووحى من كلام العلي الكبير ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُٗٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾ الأول كلمة موقف، والثاني وحي للحياة.

٢٨ - القرآن حياة ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُٗٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾ اقتطع له من سنام وقتك، وفرغ له قلبك، وهب له مشاعرك، ثم ابدأ معه قصة الحياة.

٢٩ - تفقّد حياة قلبك من خلال عرضها على مواضع القرآن ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُٗٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾ فإن تفاعل مع الوحي، وأفاض عليه مواقف الفرح والندم، وأسبل دموعه لمعانيه فهو حي، وإلا فافزع إليه، وأيقظه قبل الفوات.



أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا
 مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾
 وَهُمْ فِيهَا مَنَّعُومٌ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا
 مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
 نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُنْحَضُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَخْزِيكَ قَوْلُهُمْ
 إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرَتُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا
 خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا
 مَثَلًا وَبَسَى خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
 قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
 ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ
 مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾
 إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
 فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾



التفسير

- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾ من الغنم والبقر والإبل ﴿فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ﴾ (٧١) يتصرفون فيها كيف يشاؤون.
- ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ سخرناها لهم ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ منها ما يركبون عليها ويتنقلون بها ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ (٧٢) بذبجها.
- ﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾ في الأنعام ﴿مَنْفَعٌ﴾ من أصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَمَشَارِبٌ﴾ يشربون ألبانها ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ (٧٣) ممن الله تعالى عليهم.
- ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ يعبدونها من دون الله ﴿لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٧٤) بأن تدفع عنهم عذاب الله تعالى ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ هذه الآلهة أعجز من أن تنصرهم من عذاب الله تعالى.
- ﴿وَهُمْ﴾ أي الآلهة ﴿هُمْ جُنْدٌ مُخْضَرُونَ﴾ (٧٥) مع المشركين إلى النار ليلقوا فيها جميعاً.
- ﴿فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ قول المكذبين لك ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٧٦) فنجازيهم على ذلك كله.
- ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ﴾ المنكر للبعث، والشاك في القيامة ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ مني ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ يخاصم ويجادل ﴿مُبِينٌ﴾ (٧٧) في خصومته وجداله.
- ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ مَنْ يُحْيِي العظام بعد تحولها إلى رفات.

- ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ولم تكن شيئاً بعد ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٦) لا يخفى عليه من ذلك شيء.
- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُؤْقِدُونَ﴾ (٨٠) فإن في ذلك آية عظيمة.
- ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ على سعتهما وعظمتهما ﴿بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾ لكل مخلوق ﴿الْعَلِيمُ﴾ (٨١) بما يصلح الخلق.
- ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ أي شيء ﴿أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) فإذا أمره كان ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِينُهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨٣) تنزهه وتَعْظُم وتقدّس عن كل نقیصة.

التدبیر

- ١ - عناية الله تعالى بالإنسان ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾.
- ٢ - كم مرة تأملت في هذا التسخير الذي وهبك الله تعالى إياه، وتذكّرت نعم الله تعالى به عليك ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ كل هذا من أجل أن تشكره، وتقوم بحقه وواجبه.



٣ - كل نعمة لا ترزقك الشكر؛ فلا مفروح بها في حياتك ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَمْلُوكُونَ﴾ (٧١) ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ (٧٢) ﴿وَهُمْ فِيهَا مَنْفَعٌ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ (٧٣).

٤ - ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٧٤) ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُخَضَّرُونَ﴾ (٧٥) ﴿قمة الجحود أن يهبك الله تعالى نعمه، ثم تتوجه بحقه للمخلوقين.

٥ - ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٧٦) ﴿لا تلتفت بقلبك ومشاعرك إلى المعارضين في الطريق، فالله تعالى يرصد كل شيء.

٦ - من استعلائك بإيمانك ألا تلقي لهيشات المعارضين في الطريق شأنًا ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٧٦).

٧ - حتى قلبك ومشاعرك أجل من أن تذهبه في التفكير في هؤلاء ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٧٦) ﴿فما بالك بوقتك وعملك وتفكيرك! ٨ - تأمل هذه المسافة الفاصلة بين تلك النطفة بالأمس وهذا الخصام السافر في عرض الطريق اليوم ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (٧٧) يا لنكران الإنسان وجحوده!

٩ - ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (٧٧) ﴿دعوة للتفكير والاستبصار في قدرة الله، من قدر على خلق الإنسان من لا شيء قادر على إعادته لمواقف الحساب من جديد.

١٠ - لا حد للكبر والغرور ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨) ﴿ذهب يعارض الله تعالى في خلقه وملكه وقدرته، وهو في ذاته من خلقه وبديع صنعه.

١١ - ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨) ﴿صورة من صور الجهل بالله تعالى.

١٢ - أعظم مشاهد الضلال أن تنشغل بغير ما خلقك الله تعالى لأجله، وتضع نفسك ندأً وخصماً لربك ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨) ﴿.

١٣ - ماذا أبقى هذا الضال لنفسه حين يرد على الله تعالى؟! ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨) ﴿ ما أشقى الإنسان!

١٤ - الرد على الشبهات، ودحضها، وبيان الحق فيها منهج قرآني ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٩) ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ ۖ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾.





سُورَةُ الصَّافَّاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّفَّاتِ صَفًّا ① فَالزَّجَرَاتِ زَجْرًا ② فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ③ إِنَّ
إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ④ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ
⑤ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِرِيْنَةِ الْكَوَاكِبِ ⑥ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ
مَارِدٍ ⑦ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْأَمَلِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ⑧
دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ ⑨ إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ
ثَاقِبٌ ⑩ فَاسْتَفِينِهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ
طِينٍ لَازِبٍ ⑪ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ⑫ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ
⑬ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ⑭ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ⑮
أَوَدَا مِنَّا وَكُنَّا نُرَابًا وَعَظْمًا أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ ⑯ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ⑰ قُلْ
نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ⑱ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ⑲ وَقَالُوا
يَوَلَّيْنَا هَذَا يَوْمَ الَّذِينَ ⑳ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكْذِبُوتُ
㉑ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ㉒ مِنْ دُونِ
اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ㉓ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ㉔

التفسير

- ﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًّا ۝١﴾ الملائكة صفوفاً في خدمة ربهم.
- ﴿فَالْتَجَرَّتْ زَجْرًا ۝٢﴾ الملائكة تزجر السحاب وتسوقه.
- ﴿فَالْتَلَيْتِ ذِكْرًا ۝٣﴾ الملائكة يتلون كلام الله تعالى.
- ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝٤﴾ لا شريك له في ملكه وربوبيته.
- ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۝٥﴾ مالِكُهُمَا ومدبِّرُهُمَا ﴿وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۝٥﴾
مطالع الشمس في الشتاء والصيف.
- ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ۝٦﴾ جعلنا الكواكب زينةً للسماء.
- ﴿وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۝٧﴾ وجعلناها كذلك حراسةً للسماء من مرده
الشياطين، الذين يسترقون الوحي.
- ﴿لَّا يَسْمَعُونَ إِلَى آلَمٍ لَّا أَعْلَىٰ ۝٨﴾ يمنعون الشياطين من الاستماع للملائكة
﴿وَيَقْدِفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨﴾ ويرمون بالشهب من جوانب السماء.
- ﴿دُحُورًا ۝٩﴾ دفعاً وإبعاداً لهم عن استماع الوحي ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩﴾ دائم.
- ﴿إِلَّا مَن خَطِفَ الْخَطْفَةَ ۝١٠﴾ إلا من استرق السمع منهم على وجه الخفية
﴿فَاتَّبَعَهُ، شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾ لاحقه شهابٌ من شهب السماء مضيء متوقّد.
- ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ ۝١١﴾ المنكرون للبعث ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَن خَلَقْنَا ۝١١﴾ من السموات
والأرض وما بينهما من المخلوقات ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ۝١١﴾ من
تراب مبلول بالماء.



- ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ من هذا القرآن وما فيه من الدلائل والبيّنات العظيمة ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ (١٢) يستهزئون بما فيه.
- ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا﴾ نُصِحُوا وَوُعِظُوا بما في هذا القرآن ﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾ (١٣) لا يتّعظون ولا يتدبرون.
- ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾ من آيات الله تعالى البيّنة ﴿يَسْتَسْخَرُونَ﴾ (١٤) يستهزئون.
- ﴿وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (١٥) واضح ﴿أَءَا مَنَا وَكُنَّا نُرَآكَ وَعَظَمًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (١٦) فنعود أحياء بعد الموت.
- ﴿أَوَءَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ (١٧) سيُبعثون كذلك؟!
- ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ سَتُبعثون ﴿وَأَنْتُمْ دَخِرُونَ﴾ (١٨) راغمون صاغرون.
- ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ النفخة في الصور ﴿زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ نفخة واحدة ﴿فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (١٩) قاموا من قبورهم.
- ﴿وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ (٢٠) يوم الجزاء والحساب.
- ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ يفصل الله تعالى بين عباده بالحق والعدل ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ (٢١) في الدنيا.
- ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ اجمعوهم ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ ومن شاكلهم في العمل ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢٢) من الأصنام والأنداد.
- ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى ﴿فَاهْذُوبْهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ (٢٣) سوقوهم إلى نار جهنّم.

- ﴿وَقَفُّوهُمْ﴾ احبسوهم قبل وصولهم إلى نار جهنم ﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (٢٤) ﴿عن أعمالهم في الدنيا.﴾

التدبر

١ - التوحيد أعظم الغايات، وأولى الأولويات ﴿وَالصَّغْفَتِ صَفًّا﴾ (١) ﴿فَالزَّجَرَتِ زَجْرًا﴾ (٢) ﴿فَالْتَلَيْتِ ذِكْرًا﴾ (٣) ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ (٤) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ (٥) ﴿.﴾

٢ - صحَّح خطوة البداية، وأدز شأن تعظيمها في قلبك يامعان ﴿وَالصَّغْفَتِ صَفًّا﴾ (١) ﴿فَالزَّجَرَتِ زَجْرًا﴾ (٢) ﴿فَالْتَلَيْتِ ذِكْرًا﴾ (٣) ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ (٤) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ (٥) ﴿.﴾

٣ - هذا الشعث الذي تعيشه القلوب جزء من التفريط في تقرير قضية التوحيد فيها ﴿وَالصَّغْفَتِ صَفًّا﴾ (١) ﴿فَالزَّجَرَتِ زَجْرًا﴾ (٢) ﴿فَالْتَلَيْتِ ذِكْرًا﴾ (٣) ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ (٤) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ (٥) ﴿لو آمنت بالله تعالى حقاً لجرى النعيم في حياتها كما تشاء.﴾

٤ - ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ (٤) ﴿فهو الذي يعطي ويمنع، ويوسع ويقدر، ويحيي ويميت، وهو الذي يملك كل شيء.﴾

٥ - ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ (٤) ﴿يشفي ويُسقم، ويضرُّ ويُعافي، ويهدي ويُضِل، وهو الذي يصنع كل شيء.﴾

٦ - ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ (٤) ﴿إذا قام هذا المعنى في قلبك سلِّمتَ من الشتات، وأقبلت صادقاً في مرادك على مراد الله تعالى.﴾



٧ - ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ ﴿٤﴾ في زمن الفتن، والمُلُمَّات، والمشكلات، والأزمات، وفي زمن العافية والأمن والطمأنينة لا فرق.

٨ - ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ ﴿٤﴾ فهو الذي يمدح ويذم، ويرفع ويخفض، ويجري فواتح التوفيق، ويجري سوء النهايات لا فرق، فلا ترجو مدحاً وثناءً من غيره، ولا تتطلع إلى شيء من سواه.

٩ - كل ما تراه عينك في الكون فهو لغاية فتأمل ﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾.

١٠ - مع قدرته وجلاله أجرى الكون على الأسباب، ما أحكمه! ﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾.

١١ - أما كان الله تعالى أقدر على حفظ ملكه دون الأسباب! بلى ولكن أراد أن يعلمك أن للكون سُنَنًا يجري في فلکها كل شيء ﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾.

١٢ - إذا أردت شيئاً فشمّر عن ساعد الجدِّ، وأكثر من طرق باب المستقبل، ولا تقف قاعداً تتمنى على الله تعالى الأمانى ﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾.

١٣ - إن الله جميل يحبُّ الجمال ﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ ﴿٦﴾ صنع هذا الكون، وأبدع فيه من الجمال، وذَكَرَكَ بما ترك فيها من مشاهد تدعو للإعجاب. وحياتك كلها ينبغي أن تجري على مثل هذا المعنى البديع.



١٤ - حتى أسباب الضلال أبقي الله تعالى لها طريقاً ﴿دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ﴾ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ لو شاء الله تعالى لأوحد طرقها، ولكنه أراد أن يجري فيها ما يشاء.

١٥ - كم فوّت الإنسان بإهمال عقله وتعطيل تفكيره كثيراً من الأرباح في حياته! ﴿فَاسْتَفْنِهِمْ أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ (١١).

١٦ - مجرد التأمل والتفكير في خلق السماء والأرض كافٍ لتوليد كثير من القناعات في نفوس المتجرّدين للحقائق ﴿فَاسْتَفْنِهِمْ أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ (١١).

١٧ - عدم أخذ الحقائق كما هي وراء كثير من الضياع الذي يعيشه الإنسان ﴿بَكَلٍ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أءَاذَا مِنَّا وَكُنَّا نَرَابًا وَعَظْمًا أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَا بَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾.

١٨ - غداً ستثور الحقائق في وجه المكذّبين الضالّين ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَخِرُونَ﴾ (١٨) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾.

١٩ - وما تجدي الحسرات بعد فوات الأوان! ﴿وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ (٢٠) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾.

٢٠ - من أحب إنساناً حشّر معه؛ فلتنظر من هم صحبك ومحبوك ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقَفَّوهُمْ إِيَّاهُمْ مَسْغُولُونَ ﴿٢٤﴾.

٢١ - تآزروا على الضلالة، واجتمعوا عليها في أيام الدنيا، وها هم يجتمعون في دركات النار ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقَفَّوهُمْ إِيَّاهُمْ مَسْغُولُونَ ﴿٢٤﴾.

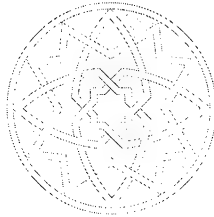


٢٢ - الجزء من جنس العمل ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢٢) من دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مقابل الاجتماع اجتماع، ومقابل الفساد النار.

٢٣ - شَجَّعُوهُ وَصَفَّقُوا لَهُ، وأكرموه بالعطايا حتى جعلوه سهماً في الضلال، وشريكاً في الفساد، وسيأتي يوم القيامة مديناً بالحسرات ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢٢) من دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾.

٢٤ - كم هي الجماهير التي صَفَّقَتْ لباطل، واجتمعت على منكر، وتشاركت في الرذيلة، وفي مواقف الحساب سيقادون إلى الجحيم ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢٢) من دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾.

٢٥ - إن استطعت أن تفرّ من زُمرِ الباطل، وأعوان الرذيلة، ومجتمع الفساد، فذلك هو قرارك الذي لن تندم عليه يوماً ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢٢) من دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾.



مَا لَكُمْ لَا نَنَاصِرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
 عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّا كُنْتُمْ نَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾
 قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ
 بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰبِقُونَ ﴿٣١﴾
 فَأَعْوَيْتَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ
 ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ الْهِنَا
 لِسَاعٍ نَجْتُنِمْ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ
 لَذَٰبِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
 ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾
 فَوَكَهَهُمْ مَّكْرُمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُنْقَلَبِينَ
 ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ
 ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ
 الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٤٩﴾



التفسير

- ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصِرُونَ﴾ (٢٥) ﴿مَا لَكُمْ لَا يَنْصُرُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ ﴿بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ (٢٦) ﴿لِعَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى﴾.
- ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٢٧) ﴿الْأَتْبَاعُ وَالْمَتَّبِعُونَ﴾ ﴿قَالُوا﴾ ﴿الْأَتْبَاعُ لِلْمَتَّبِعِينَ﴾: ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ (٢٨) ﴿مَنْ قَبْلَ الدِّينِ وَالْحَقِّ فَتَضَلُّونَا عَنْهُ بِالْقُوَّةِ وَالْغَلْبَةِ﴾.
- ﴿قَالُوا﴾ ﴿الْمَتَّبِعُونَ﴾: ﴿بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٩) ﴿فَلَسْنَا نَحْنُ سَبَبُ عَدَمِ إِيْمَانِكُمْ، بَلْ سَبَبُهُ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ ﴿فَهَرَّ وَغَلَبَهُ عَلَى اخْتِيَارِكُمُ الْكُفْرَ﴾ ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ (٣٠) ﴿مُتَجَاوِزِينَ لِلْحُدُودِ﴾.
- ﴿فَحَقَّقْنَا عَلَيْهِمْ﴾ ﴿نَحْنُ وَإِيَّاكُمْ﴾ ﴿قَوْلَ رَبِّنَا إِنَّآ لَذَٰئِقُونَ﴾ (٣١) ﴿عَذَابِ جَهَنَّمَ﴾.
- ﴿فَآغْوَيْنَاكُمْ﴾ ﴿أَضَلَلْنَاكُمْ عَنِ الطَّرِيقِ﴾ ﴿إِنَّا كُنَّا غَوِينَ﴾ (٣٢) ﴿لَآ أَنَا كُنَّا كَذٰلِكَ﴾.
- ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ (٣٣) ﴿جَمِيعُهُمْ فِي النَّارِ﴾.
- ﴿إِنَّا كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ (٣٤) ﴿هَذِهِ عَاقِبَةُ كُلِّ مُجْرِمٍ﴾.
- ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ﴿فَاعْبَدُوهُ وَقَوْمُوا بِأَمْرِهِ﴾ ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥) ﴿يَتَكَبَّرُونَ وَلَا يَنْقَادُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى﴾.
- ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ الْهِنَا﴾ ﴿أَنْتَ رَكَّ إِلَهِنَا الَّتِي نَعْبُدُهَا﴾ ﴿لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ (٣٦) ﴿شَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾.
- ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ﴾ ﴿إِنَّمَا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى﴾ ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣٧) ﴿الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ﴾.

- ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ (٣٨) الموجه يوم القيامة.
- ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣٩) وهذا العذاب جزاء أعمالكم.
- ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٤٠) فإنهم سالمون من ذلك العذاب.
- ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ (٤١) فَوَكَهُ ﴿ما تشتهيهِ الأنفس﴾ ﴿وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾ (٤٢) مُعْظَمُونَ مُجْلُونَ مُقَدَّرُونَ.
- ﴿فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ (٤٣) عَلَى سُرُرٍ مُنْقَلَبِينَ ﴿٤٤﴾ يقابل بعضهم بعضاً.
- ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾ يطوف عليهم ولدان الجنة ﴿بِكَأْسٍ﴾ خمر ﴿مِنْ مَعِينٍ﴾ (٤٥) جارية.
- ﴿بِضَآءٍ﴾ أي الكأس التي فيها الخمر ﴿لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ (٤٦) يتلذذ بها شاربها.
- ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ﴾ (٤٧) فلا تغتال قلوبهم بمرض، ولا تُذهِبُ عقولهم، ولا تصدع رؤوسهم.
- ﴿وَعِنْدَهُمْ﴾ في الجنة ﴿فَقَصَرَتْ الْأَطْرَفُ﴾ لا تنظر إلى غير زوجها ﴿عَيْنٌ﴾ (٤٨) حسان الأعين.



- ١ - حَيَّتِهِمُ الْجَمَاهِيرُ الْغَفِيرَةُ بِالْأَمْسِ فِي عَرْضِ الطَّرَقَاتِ، وَيُكَبِّتُونَ الْيَوْمَ بِسُؤَالِ الْحَسَرَاتِ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ (٢٥).
- ٢ - ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ (٢٥) أَجِيبُوا! قُولُوا لِلْحَاضِرِينَ! تَكَلَّمُوا! مَا لَكُمْ لَا يَنْصُرُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي مَوَاقِفِ الْحِسَابِ!؟



٣ - صنعوا لهم بالأمس كل شيء، وكرّموهم في المحافل، وأحيوا لديهم فكرة الفساد في نفوسهم ومشاعرهم، وهذا مشهد خصامهم ونزاعهم، وتفاصيل قصتهم في مواقف الحساب ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰيْقُونَ (٣١) فَأَعْوَيْنَكُمْ إِنَّكُمْ غَوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَلِكْ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾.

٤ - حتى في العذاب هم مشتركون ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ (٣٣) إِنَّا كَذَلِكْ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ يا لخزي مواقف الضلال!

٥ - من صفات المجرمين والضالين الاستكبار على الحق، والاستعلاء على الحقيقة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥) وَيَقُولُونَ إِنَّا لَا تَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿٣٦﴾.

٦ - للحقائق أدلتها وبراهينها الكافية على الصدق ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣٧).

٧ - إذا أرهقك الواقع، وكلت قدمك من السير، فاستلهم لقلبك ومشاعرك من كتاب الله تعالى ما يدفع بك إلى مشاهد الجنان ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٤٠) أُولَٰئِكَ هُمُ الرِّزْقُ مَعْلُومٌ (٤١) فَوَكَهَهُمْ مَّكْرُمُونَ (٤٢) فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ (٤٣) عَلَى سُرُرٍ مُنْقَلَبِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (٤٧) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُمْ يَبِضُّونَ مَكْنُونٌ ﴿٤٩﴾.

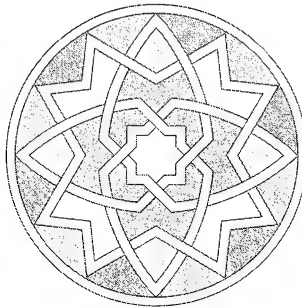
٨ - كلما رأيت إقبال الضالين على شهواتهم العاجلة فافتح بصرك على حادي النعيم ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٤٠) أُولَٰئِكَ هُمُ الرِّزْقُ مَعْلُومٌ (٤١) فَوَكَهَهُمْ مَّكْرُمُونَ (٤٢) فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ (٤٣) عَلَى سُرُرٍ مُنْقَلَبِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ

لِلشَّرِيبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُزْفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَتُ الظَّرْفِ عَيْنٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٤٩﴾.

٩ - قَصُرُ الطرف عن الفوضى جزء كبير من صناعة المرأة الواعية في مساحات الدنيا ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَتُ الظَّرْفِ عَيْنٌ ﴿٤٨﴾﴾ بعضهن لا تكاد ترى المار في الطريق، أو الذي يعترض أمام عينها، وبعضهن لا ترى أي قناة إحياء لمشهد الحياء.

١٠ - من مباحج المرأة أنها لا تلوي رقبته لشتات الطرقات، وعالم الفضائيات، ومشاهد العبث ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَتُ الظَّرْفِ عَيْنٌ ﴿٤٨﴾﴾ كتلك التي في الجنان في المعنى.

١١ - خذ من وقتك زمناً كافياً لمشاهد العبادة، وانهض منها إلى مشروعك الكبير، وابذل كل ما تملك في حياتك حتى ترد هذا النعيم ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمْ رَزَقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَكَهَهُمْ مَّكْرُمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّتِ النِّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَنَبِّلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُزْفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَتُ الظَّرْفِ عَيْنٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾.





فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعَظْمًا إِذَا تَأَلَّمِيذُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أُنتُمْ مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَطْلَعَ فَأَرَاهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَمَّا نَحْنُ بِمَبِينٍ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْلَانَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَلِكَ خَيْرٌ تُرْزَلَا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرَجِعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَفْوَءُ آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَى آثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَأَنْظَرَكَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنَعَمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

التفسير

- ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ يسأل بعضهم بعضاً.
- ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾ من أهل الجنة ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ ﴿٥١﴾ صاحب في الدنيا.
- ﴿يَقُولُ أَهْلَ نَكَ لِمَنِ الْمَصْدَقِينَ﴾ ﴿٥٢﴾ أَهْلَ دَا مِنَّا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا أَهْلَ الْمَدِينُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ مجزيون محاسبون.
- ﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلَعُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ يحدث أهله وأصحابه في الجنة، يدعوهم إلى رؤية قرينه في الدنيا الذي كان ينكر البعث.
- ﴿فَاطَّلَعَ﴾ نظر في النار ﴿فَرَأَاهُ﴾ أي صاحبه ﴿فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ﴾ ﴿٥٥﴾ في وسط العذاب وغممرته.
- ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ تهلكني وتردينني في النار.
- ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ بالثبات على الدين ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ معك في العذاب.
- ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَئِينَ﴾ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْلَانَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ ﴿٥٩﴾ هذا من قيل المؤمن فرحاً بما هو فيه من النعيم.
- ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٦٠﴾ ما نحن فيه من النعيم من الفوز العظيم.
- ﴿لِيُمِثِلَ هَذَا﴾ النعيم ﴿فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ ﴿٦١﴾ ليجتهد المجتهدون.



- ﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ ما أُعْطِيَهِ الْمُؤْمِنُونَ فِي الْجَنَّةِ ﴿أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ ﴿٦٢﴾
التي فِي النَّارِ.
- ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ ﴿٦٣﴾ كُونَهُمْ كَذَّبُوا بِهَا.
- ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ ﴿٦٤﴾ وَسَطُهُ.
- ﴿طَلْعُهَا﴾ ثَمَرُهَا ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ ﴿٦٥﴾ فِي قَبْحِ مَنَظَرِهَا، وَسُوءِ شَكْلِهَا.
- ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا﴾ مِنْ شَجَرَةِ الزَّقُّومِ ﴿فَمَا لَوْ أَنَّ الْبُطُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ مَعَ قَبْحِهَا
وَسُوءِ مَنَظَرِهَا.
- ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ﴿٦٧﴾ مَاءٌ حَارًّا قَدْ بَلَغَ غَايَتَهُ فِي الْحَرَارَةِ.
- ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرَجَهُمْ﴾ مَالَهُمْ وَمَقَرُّهُمْ ﴿لِإِلَى الْجَحِيمِ﴾ ﴿٦٨﴾ النَّارِ.
- ﴿إِنَّهُمْ أَفْقُوا﴾ وَجَدُوا ﴿ءَابَاءَهُمْ صَالِينَ﴾ ﴿٦٩﴾ عَلَى غَيْرِ هَدًى.
- ﴿فَهُمْ عَلَىٰ أَثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ يُسْرِعُونَ فِي الضَّلَالِ ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾ قَبْلَ
هَؤُلَاءِ الْمَخَاطِبِينَ ﴿أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٧١﴾ أَكْثَرُ السَّابِقِينَ.
- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ ﴿٧٢﴾ تُنْذِرُهُمْ بِأَسَى اللَّهِ تَعَالَى وَعِقَابِهِ.
- ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ ﴿٧٣﴾ تَأْمَلْ فِيمَا حَصَلَ لَهُمْ وَإِلَى أَيِّ
شَيْءٍ صَارُوا.
- ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿٧٤﴾ فَقَدْ نَجَوْا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحَ﴾ مُسْتَعِثًا فِي إِهْلَاكِ قَوْمِهِ ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ لِدَعَاءِ
الدَّاعِينَ ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٧٦﴾ مِمَّا لَقِيَ مِنْ قَوْمِهِ مِنَ
الْأَذَى وَالتَّكْذِيبِ.

التدبير

١ - هذا أمد الحقائق التي لم تأخذ حقها في عقول أصحابها في أيام الدنيا ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ (٥١) يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَطْلَعَ فَأَرَاءَهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ ۞

٢ - هذه قصة إنسان استدرك نفسه من صاحب الضياع فما قصتك أنت؟! ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ (٥١) يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَطْلَعَ فَأَرَاءَهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ ۞

٣ - يا لجمال الوعي وصحة التفكير! ﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ ﴾ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ ۞ نسب نجاته وفكاكه من صحبة السوء ونهايات العذاب لربه، ولم ينسب لنفسه منها شيئاً.

٤ - كل فوز وانتصار وغلبة وجهد ومساحة عمل لا علاقة لها بأحداث اليوم الآخر؛ فلا مفروح بها في شيء من تاريخك ﴿ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٦٠) لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ الانتصارات التي يجب أن يُحتفى بها تلك التي تقربك من رؤيتك، وتصنع لك مشاهد الختام.

٥ - غلبتك لشهواتك، وانتصارك على ملهيات الطريق هي التي تستحق أن تسجلها في ميزان فوزك ﴿ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٦٠) لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ ۞

٦ - ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ (٦١) ۞ ليس لتصفيق الجماهير، ومجالس المفاخرة، وأحداث الرياء!



٧ - ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ (٦١) لا لمال، ولا لمكان، ولا لشيء من أحداث دنيا الضياع.

٨ - ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ (٦١) لأيام الفرح، والنجاح، وسلالمة المجد، وعز الدارين.

٩ - من كمال وعيك وفقهك أن تقرأ هذا الوعيد بمشاعرك وقلبك قبل أن تكون واقعاً في حياتك ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا فَعَالُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾.

١٠ - العقول المؤجرة لا تبرح مساحات الجاهلية ﴿إِنَّهُمْ أَفْقَاءُ آبَاءِهِمْ ضَالِّينَ﴾ (٦٩) فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾.

١١ - لا تستغرب مشاهد الضلال التي تراها، هي كذلك من فجر التاريخ ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٧١).

١٢ - هل تظن أن يوماً سيأتي خالياً من فجور الأفكار والأشخاص؟! ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٧١) فترقق بهمومك!

١٣ - التاريخ شاهد عيان ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنْذِرِينَ﴾ (٧٢) فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وقراءته بوعي هو الطريق الأمثل إلى رؤية الحياة بصدق.

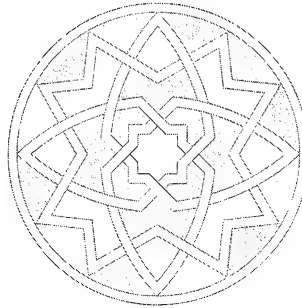
١٤ - لم يحدث يوماً أن تخلّى الله تعالى عن أوليائه، والصالحين من عباده ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ (٧٥) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾.

١٥- ألمك، وجراحك، وتعب جسدك، وإعياء روحك من جهد المعارضين. حين ترفع
يداً ضارعة بالدعاء سيأتي الجواب عاجلاً ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ (٧٥)
وَبَجَيْنَهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾.

١٦- حتى في أحلك الظروف وأشدّها مضاضة، يتنزّل عون الله تعالى ورعايته
﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ (٧٥) وَبَجَيْنَهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾.

١٧- لا تقلق على فكرتك ومشروعك ورسالتك، ثمّة ربّ يرى كل شيء، ويصنع
لك فوق ما تريد ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ (٧٥) وَبَجَيْنَهُ وَأَهْلَهُ مِنَ
الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾.

١٨- كلما عظم صلاحك وولايتك لربك تقلّص الفارق بين الدعاء ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا
نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ (٧٥) وبين ﴿وَبَجَيْنَهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (٧٦).





وَجَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ
عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ
عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴿٨٣﴾ وَإِلَٰتٍ مِنْ
شَيْعِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٤﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٥﴾ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٦﴾ أَفَبِكُلِّ عِلَٰهٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ
﴿٨٧﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٨﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٩﴾
فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٩٠﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩١﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ إِلَٰهِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٣﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا
بِالْيَمِينِ ﴿٩٤﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُُونَ ﴿٩٥﴾ قَالَ اتَّعَبُودُونَ مَا نَنْحِتُونَ
﴿٩٦﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفَوْهُ
فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٨﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٩﴾
وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾
فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ
يَبْنَئِي إِنِّي آرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴿١٠٣﴾ قَالَ
يَتَابَتِ أَعْيُنُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٤﴾

التفسير

- ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ٧٧﴾ لأن الناس كلهم من بعد مهلك نوح إلى اليوم هم ذريته، سواء من العرب أو العجم.
- ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ٧٨﴾.
- ﴿سَلَّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ٧٩﴾ أبقينا لنوح ذكراً حسناً وثناءً جميلاً في من تأخر إلى يوم الدين.
- ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ٨٠﴾ إِنَّهُ، مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ إنما فعلنا به ذلك لإيمانه وإحسانه.
- ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ٨٢﴾ كل من لم يؤمن به.
- ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ٨٣﴾ من أتباعه وأهل دينه ومنهجه وسنته.
- ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ٨٤﴾ من الشرك والشبه والشهوات والحسد والغل.
- ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ٨٥﴾ أي شيء تعبدون من دون الله تعالى؟!
- ﴿أَيْفَكَا ءَالِهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ٨٦﴾ أتعبدون من دونه آلهة كذباً؟!
- ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٨٧﴾ إن لقيتموه وأنتم تعبدون غيره.
- ﴿فَنَظَرْنَاهُ فِي النَّجْمِ ٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ إني مريض، وإنما نظر في النجم ليريهام أنه استدل به على مرضه.
- ﴿فَنَوَلُّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ٩٠﴾ تركوه وذهبوا.
- ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمُ ٩١﴾ مال إليها ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ٩٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٣﴾ مقررراً فقرهم، وأنهم لا يملكون ما يُدعى فيهم.



- ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ ﴿٩٣﴾ مال عليهم يكسرهم بفأس في يمينه.
- ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ﴾ ﴿٩٤﴾ يسرعون ويهرعون ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ ﴿٩٥﴾
- كيف تعبدون ما تنحتونه وتصنعونه بأيديكم؟ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ وعملكم أو ما تعملون بأيديكم.
- ﴿قَالُوا اتَّبُوا لَهٗ بُنْيَنًا﴾ عالياً مرتفعاً، وأوقدوا فيه النار.
- ﴿فَأَلْقَوْهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ ﴿٩٧﴾ ارموا به في ذلك البنيان المتقد ناراً.
- ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ بما فعلوه فيه ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ﴾ ﴿٩٨﴾ ردَّ الله كيدهم في نحورهم، ولم يكن لهم ما أرادوا.
- ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ مهاجراً إلى الأرض المقدسة ﴿سَيِّدِينَ﴾ ﴿٩٩﴾ يدلني إلى كل خير.
- ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٠٠﴾ ارزقني ولداً يكون صالحاً.
- ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِعُلَمٍ حَلِيمٍ﴾ ﴿١٠١﴾ وهو إسماعيل.
- ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَى﴾ المشي ﴿قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُ﴾ ورؤيا الأنبياء حق ﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ فيما قلت لك ﴿قَالَ يَآبَتِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمُرُ﴾ امض لما أمرك الله ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿١٠٢﴾ على قضاء الله تعالى وقدره.



١ - ما الذي ترك هذه المعاني في سيرة هذا الرسول الكريم؟! ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إنه العمل لله تعالى، والإخلاص له، والولاء لقضيته ومشروعه وفكرته ورسالته في الحياة.

٢ - لعلك تسأل كيف وصلوا؟! ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٨٠) إِنَّهُ، مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ الإحسان بالغ بك إلى منتهى آمالك.

٣ - إحسان عبادتك وعملك ومشروعك وفكرتك وواجباتك هو الشمس التي ستبُدد ظلام ليلك، وتعانق بك أفراح الحياة ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٨٠) إِنَّهُ، مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾.

٤ - إذا أخذت مشروعاً، أو اعتنقت فكرة، أو أخذت مسؤولية، أو تولّيت عملاً؛ فأفُض فيه من الإحسان ما يلحق بك بركب الكبار ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٨٠) إِنَّهُ، مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾.

٥ - لا تعتقد أن الإحسان هو لقمة العيش التي تقدمها لمسكين، أو أن تأخذ بيده في عرض الطريق؛ هذه بعض صورها فقط. الإحسان في كل شيء ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٨٠) إِنَّهُ، مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾.

٦ - ما حال قلبك! وكيف تجده مع مَنْ حولك! وهل هو سالمٌ من شعب الرياء والحسد والنفاق! هكذا كانت قلوب الأنبياء ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾.

٧ - شهد نبيك محمد ﷺ لرجل بالجنة وهو يسير بقدمه على تراب الأرض، ولمّا سألته من زاره قال له: «والله ما أبيت ليلة وفي قلبي غلٌّ ولا حقْدٌ على أحدٍ من المسلمين»^(١) ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾.

٨ - طهارة قلبك هي البوابة الكبرى لنجاتك في أيام السؤال والحساب ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾.

(١) أخرجه أحمد (١٦٦/٣) وغيره عن أنس رضي الله عنه.



٩ - قال لي: ليلة يكرّم إنسانٌ تفتكُ بقلبي الأحران، وإذا نجح آخر في مشروع ارتكبتني الهموم، وإذا شعرت بأن فلاناً تفوّق في شيءٍ بثُّ مغموماً مهموماً لأثر ذلك التوفيق؛ فما شأني وشأن عالم الظلام؟! ﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْعِنِهِ لَإِبْرَهِيمَ﴾ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾.

١٠ - سمع بصاحبه نجح في مشروعٍ تجاريٍّ فترقّب فكرته وحفظها وضبطها، ثم قام بها في الوقت نفسه وفي المكان نفسه، ما أشأم الحسد! ﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْعِنِهِ لَإِبْرَهِيمَ﴾ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾.

١١ - وبلغه أن صاحبه سيقترق في عمله؛ فاشتكى إلى مديره أنه أحق بالترقية، وعارضه، وما زال يطارده بالحسد حتى حُرّمها ﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْعِنِهِ لَإِبْرَهِيمَ﴾ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾.

١٢ - لا يمكن أن تجد مصلحاً قاعداً عن رسالته وفكرته وهمومه في الدارين ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ (٨٥) أَيُّهَا إِلَهَةُ دُونِ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَنُفِّلُوا عَنْهُ مُدْرِبِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِنَّ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَعْبُدُوا مَا نَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾.

١٣ - الإغارة على الجاهلية، وتبديد ظلامها شأن الأنبياء والمصلحين ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ (٨٥) أَيُّهَا إِلَهَةُ دُونِ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَنُفِّلُوا عَنْهُ مُدْرِبِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِنَّ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَعْبُدُوا مَا نَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾.

١٤ - لا يمكن أن يهنا باطلٌ في أرضٍ يعيش فيها مصلحٌ من المصلحين ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ (٨٥) أَيُّهَا إِلَهَةُ دُونِ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ



نَظَرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَنُودُوا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا نَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

١٥ - إذا وجدت مجتمعاً يفيض بأفكار الفساد والباطل والمنكرات؛ فاعلم أن الله تعالى لم يرزقهم صاحب راية ومشروع ﴿إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ أَيْفَكَا ءَالِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَظَرَ نَظَرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَنُودُوا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا نَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

١٦ - لا يملكون مقاومة الأفكار الصحيحة الناضجة؛ فلجؤوا لحرقة النار في مقابل كساد الأفكار ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ ﴿٩٧﴾

١٧ - القضية باختصار قتلك لا مقاومة فكرتك! ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ ﴿٩٧﴾

١٨ - لماذا يضربون، ويشتمون، ويسجنون، ويتركون فكرتك التي تناهضهم بها؟! لأنهم لا يملكون ما يدفعون به صحتها ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ ﴿٩٧﴾

١٩ - يتحدثون عن الرأي والرأي الآخر، وحرية الأفكار، وضرورة الحوار، ثم إذا أردت أن تعش فكرتك التي تؤمن بها اتهموك وأذكوك ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ ﴿٩٧﴾

٢٠ - إذا رأيته ترك نقاش فكرتك، وأخذ يسبك، ويستجلب مواقف من تاريخك؛ فاعلم أنه سقط على أم رأسه ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ ﴿٩٧﴾

٢١ - حتى لو اجتمعوا لقتلك، وواد فكرتك، ومناهضة مشروعك سيصيبهم الخسران ﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ ﴿٩٨﴾



٢٢ - الأفكار المستقاة من الوحي لا يهزمها شيء ﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ ٩٨ يتهمون صاحبها، ويعتقلونه، ويسجنونه، ويضربونه، ويقتلونه، وتظل فكرته تجري في أرض الله تعالى، ويتشربها العالمون.

٢٣ - إذا كنت مع الله تعالى فلا تقلق، لن تغرق في الماء، ولن تمسك النار، ولن يقتلك الأعداء ﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ ٩٨.

٢٤ - من حق الذين لا يملكون فكرة صحيحة أن يقلقوا، ويخافوا، ويتوقفوا في عرض الطريق، أمّا أنت فلا ﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ ٩٨.

٢٥ - من الضرورة بمكان أن تتخذ أوقاتاً تتنفس فيها الحياة، وتجدد فيها النشاط، وتتعاهد روحك من جديد ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ ٩٩.

٢٦ - الكبار يعرفون من أين يستمدون الحياة ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ ٩٩ إلى ربه من خلال كتابه ومسجده، وسجادة صلاته، وطول قيامه، وكثرة سجوده وتضرعه ودعائه.

٢٧ - إذا عرفت المعين الصافي أمكنك أن تردّ عليه وتشرب منه حتى تبلغ الريّ ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ ٩٩.

٢٨ - تجهّز لرحلتك، خذ معك أحمال السفر، تعاهد قلبك ونيتك؛ فالطريق جادة ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ ٩٩.

٢٩ - أحوال الجاهلية وقاذورات الشرك لا يغسلها إلاّ الفرار بالنفوس إلى الله تعالى ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ ٩٩.

٣٠ - كثيرون مشكلتهم هذا الشعث الذي ألّم بقلوبهم ومشاعرهم حتى فاتهم النعيم ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ ٩٩.



٣١ - كم مرّة أقبلت فيها إلى ربك، وسألته العون والسداد لفكرتك ومشروعك! ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ ﴿٩٩﴾ كم مرّة دعوته، وتضرّعت إليه، وسألته، وأفضيت إليه برغبتك وحاجتك الكبرى إلى توفيقه ولطفه؟!

٣٢ - ما أكثر تعلّق الأنبياء بالدعاء! ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٠٠﴾ وما أقلّ إقبالنا عليه!

٣٣ - فرق بين أن تسأل الله أن ينعم عليك بولد، وبين أن تسأله أن ينعم عليك صالحاً يهيض عليك الحياة ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٠٠﴾.

٣٤ - استشعار رفيق السفر، وعون الحياة، وأنيس الوحدة في طريق الحياة الطويل ضرورةٌ تحتاج إلى سؤال وإلحاح ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٠٠﴾.

٣٥ - الدعاء يقرب المسافات، ويهب الأمانى، ويذني أحلامك الكبار، فلا تدع أمانيك تضيع وربك أقرب ما يكون إليك ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٠٠﴾.

٣٦ - يبتلى الأنبياء فالأمثل. فالأمثل. يبتلى الرجل على قدر دينه ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قَالَ يَتَأَبَّتْ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠١﴾.

٣٧ - تأمل أباً يعرض على ولده أن يذبحه، وولداً يجيب إلى ذلك الطلب محتسباً ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قَالَ يَتَأَبَّتْ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ أي بيت هذا! وماذا صنع من تربية؟ وكيف ربّى على هذه القيم الكبرى!

٣٨ - اعرض هذا البلاء على قلبك، وتصور أن الرؤيا لك والعرض على ولدك ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾



قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴿ حتى ترى عمق هذا البلاء في حياة هذا النبي الكريم.

٣٩ - ماذا لو قيل لك هذه اللحظة: ربك يأمرك أن تلقي بولدك في بئر، أو ترميه في غابة، أو تتركه في ظلام الليل، أو تحدّ سكينك وتذبحه في سبيل الله تعالى؟! ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴿ لهذا ولغيره كان حقُّ هذا النبي تلك التزكية من ربه ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ۖ ﴾ [النحل: ١٢٠].

٤٠ - كم من شهوات يريد الله تعالى أن تخرجها من قلبك، وما زلت مترددا! ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ۖ.

٤١ - كم من محبوباتٍ ما زلت تصرُّ على إلفها وربك لا يحبُّها! ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ۖ.

٤٢ - كم من شهواتٍ ما زلت تقارفها وتتعاهدُها وربك يكرهها وينهى عنها! ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ۖ.

٤٣ - أما ألقيت ببصر مشاعرك ووجدانك وعقلك وفكرك لعلك ترى أشياء ممَّا لا يحبُّها ربك، وأنت مستوثق منها لم تشأ أن تفرط فيها ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ۖ.

٤٤ - تعاهد قلبك من لوثات الشهوات التي ما زالت تحاصره وتغالبه، والحق بركب الأنبياء والمصلحين ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَتَّبِعُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۝١٠٢ ﴾ .

٤٥ - هذه عطايا الله تعالى، وهذه الأمنية التي كان يشاق إليها كل مرة ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۝١٠٠ ﴾ حين أَرادها الله قرباناً أذعن بالقبول ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَتَّبِعُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۝١٠٢ ﴾ .

٤٦ - أيها الولد: كم مرّة قلت لوالدك: (أُبَشِّرْ، وتأمّر، ولبيك)! عفواً كم مرّة قلت له: (لا أقدر، مشغول، ولا أستطيع)! ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَتَّبِعُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۝١٠٢ ﴾ .

٤٧ - ماذا لو قال لك أبوك: اصنع شيئاً وأنت لا ترغبه أكنت مجيبه! فكيف لو قال لك: سأذبحك! ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَتَّبِعُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۝١٠٢ ﴾ .

٤٨ - أعد قراءة قصة إبراهيم مع ولده، وتأمل مشاهد هذا الابتلاء، وانظر مواقفك مع والدك، وأعد بناء قصة هذه العلاقة إن استطعت ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَتَّبِعُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۝١٠٢ ﴾ .

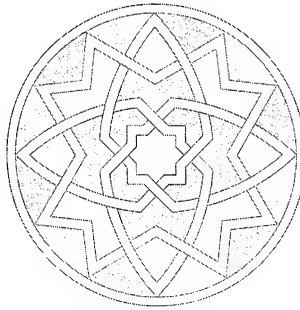
٤٩ - التربية مشاركة ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ ﴾ ولم يقل (فلما بلغ السعي) دليل على



أنَّ إِبْرَاهِيمَ ؑ كَانَ يَصْحَبُ وَلَدَهُ، وَيَعِيشُ مَعَهُ، وَيَهَيِّئُهُ لِمَرْحَلَةٍ قَادِمَةٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ. وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْآبَاءُ.

٥٠ - ﴿قَالَ يَبْنِيْٓ اِبْنِيْٓ اَرَىٰ فِي الْمَنَامِ اَنِّيْٓ اُذْبَحُّكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ تأمل هذه العلاقة بين الوالد وولده، حاوره وشاركه، وعرض عليه القضية، وترك له أخذ القرار النهائي فيها.

٥١ - ﴿قَالَ يَبْنِيْٓ اِبْنِيْٓ اَرَىٰ فِي الْمَنَامِ اَنِّيْٓ اُذْبَحُّكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ تأمل هذا الفارق بين هذه الصورة وصورة والد لم يعرض على ابنته خطبة الخاطب، أو لم يشاركها في اتخاذ مثل ذلك القرار الكبير.



فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهِ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَتَدَيَّنَتْهُ أَنْ يَتَابِرَهُمْ ﴿١٠٤﴾ قَدْ
صَدَقَتْ الرُّبَيَّا ؑ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ
الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَتَدَيَّنَتْهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي
الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ
﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ
الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا
مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مِثْلُ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَّآ عَلَىٰ مُوسَىٰ
وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ
﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ
الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا
عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ
﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ
عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ
قَالَ لِقَوْمِهِ ۖ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ
الْخَلْقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

التفسير

- ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ فَوْضَا الوالد وولده أمرهما إلى الله، وامثالاً أمره ﴿وَوَكَّلَهُ لِجَبِينٍ﴾ ﴿١٠٣﴾ أَكْبَهُ على وجهه.
- ﴿وَوَدَّيْنَهُ أَنْ يَبْتَازَ بَرْهِيمُ﴾ ﴿١٠٤﴾ حين أقبل على امثال أمر الله تعالى.
- ﴿فَدَصَّدَقَتِ الرُّدْيَا﴾ امتثلت أمر الله تعالى ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٠٥﴾ رفعنا عنك ما أمرناك به، لأن هذه عادتنا في كل من أحسن امثال أمرنا.
- ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ ﴿١٠٦﴾ الذي امتحنا به إبراهيم بلاءً كبيرٌ يُبَيِّنُ إيمانَ صاحبه.
- ﴿وَوَدَّيْنَهُ﴾ أي إسماعيل ﴿بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٠٧﴾ جعلنا له فداءً من الغنم ذُبِحَ عنه.
- ﴿وَوَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ﴿١٠٨﴾.
- ﴿سَلَّمْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿١٠٩﴾ أبقينا عليه ثناءً حسناً في الآخرين.
- ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١١٠﴾.
- ﴿إِنَّهُ، مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١١﴾ هذه عادتنا في جزاء كل محسن ومؤمن بالله تعالى.
- ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ بشارة ثانية.
- ﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ على إسماعيل ﴿وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ وكذلك باركنا على إسحاق، ومن تلك البركة ما نشر الله تعالى من ذريتهما.
- ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ من ذرية إسماعيل وإسحاق ﴿مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ ﴿١١٣﴾ الصالح والظالم، والعاقل والظالم.

- ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ (١١٤) ﴿بِالنَّبُوَّةِ﴾.
- ﴿وَبَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (١١٥) ﴿مِمَّا لَحِقَ بِهِمَا مِنْ أَذَىٰ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ﴾.
- ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ (١١٦) ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فِي حَادِثَةِ غَرَقِ فِرْعَوْنَ وَهَلَاقِهِ﴾.
- ﴿وَأَيَّدْنَاهُمَا بِالْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿الْمُسْتَيِّنِ﴾ (١١٧) ﴿الْوَاضِحِ﴾.
- ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١١٨) ﴿طَرِيقًا لَا اعْوَجَاجَ فِيهِ﴾.
- ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾ (١١٩).
- ﴿سَلَّمْ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ (١٢٠) ﴿أَبْقَيْنَا عَلَيْهِمَا ثَنَاءً حَسَنًا فِي الْآخِرِينَ﴾.
- ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٢١).
- ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٢٢) ﴿هَذِهِ عَادَتُنَا فِي كُلِّ مُحْسِنٍ مُؤْمِنٍ﴾.
- ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٢٣) ﴿الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى﴾.
- ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (١٢٤) ﴿تَجْعَلُونَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَقَايَةً؛ بِفِعْلِ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ﴾.
- ﴿أَنذَعُونَ بَعَلًّا﴾ صِنْمًا ﴿وَنَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ﴾ (١٢٥) ﴿تَتْرَكُونَ عِبَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى﴾.
- ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٢٦) ﴿فَهُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ﴾.

الذِّبْرِ

١ - فرق كبير لا تكاد تُرى نهايته بين إنسان يقف متعثراً أمام أمرٍ من أوامر الله تعالى، وآخر يُختبر في أعز ما يملك، ويقدمه قرباناً لهذا المعنى الكبير في حياته ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ (١٠٣).

٢ - إذا ضاقت حياتك تسلل إليها الفرج من جديد ﴿وَنَدَيْنَهُ أَنْ يَتَابَرَهَيْمُ﴾ (١٠٤) قَدْ صَدَقَتِ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَهُ بِذَبِيجٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾.

٣ - قد يتأخر الفرج حتى تبلغ حالك أسوأ ظروفها، وأضيق لحظاتها، وأخرج مواقفها، ثم يُفتح لك باب الأمل، وتتأنس الحياة ﴿وَنَدَيْنَهُ أَنْ يَتَابَرَهَيْمُ﴾ (١٠٤) قَدْ صَدَقَتِ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَهُ بِذَبِيجٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾.

٤ - لا تَضِقْ ذرعاً ببطء الأمل، وتأخر الشفاء، وزيادة الحرج. فله تعالى حكمة في ذلك، وسيأتي بك إلى آمالك كما تريد ﴿وَنَدَيْنَهُ أَنْ يَتَابَرَهَيْمُ﴾ (١٠٤) قَدْ صَدَقَتِ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَهُ بِذَبِيجٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾.

٥ - لا يمكن أن يخذل الله تعالى محسناً ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١١٠).

٦ - إذا شعرت بعظمة إحسانك؛ فاقراً هذا الإحسان البهيج ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ قَالَ يَتَأَبَّى أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾.

٧ - الخطوة الأولى تصنع فارقاً في الحياة ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١١٢) وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ.

مُبِيتٌ ﴿١١٣﴾ استجاب لربه، وأراد أن يذبح ولده الوحيد، فأبقى الله تعالى ولده، وزاده آخر عليه!

٨ - قَدَّمْ لَدِينِكَ، وَاَنْتَظِرِ الْفَرْجَ مِنْ رَبِّكَ وَمَوْلَاكَ ﴿١١٤﴾ وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٥﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِيتٌ ﴿١١٦﴾.

٩ - نَافِذَةٌ مِنْ مِّنَ اللَّهِ تَعَالَىٰ عَلَى الْكِبَارِ ﴿١١٧﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٨﴾ وَبَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٩﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١٢٠﴾ وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١٢١﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٢٢﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْرَبِ ﴿١٢٣﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٥﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٦﴾.

١٠ - بَابٌ عَلَى صِرَاعِ الْأَنْبِيَاءِ مَعَ أُمَّهَاتِهِمْ ﴿١٢٧﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٨﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا نُنْفِقُ ﴿١٢٩﴾ أَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٣٠﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣١﴾.

١١ - مُوَاجَهَةُ الْأَفْكَارِ الْهَدَّامَةِ، وَالتَّصَوُّرَاتِ الْخَاطِئَةِ بَعْضُ آثَارِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُصَلِّحِينَ فِي وَاقِعِهِمْ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا نُنْفِقُ ﴿١٣٤﴾ أَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٣٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٦﴾ التَّغْيِيرُ هُوَ صِنَاعَةُ الْأَنْبِيَاءِ.

١٢ - إِذَا رَأَيْتَ مَجْتَمَعًا عَاكِفًا عَلَى الْأَخْطَاءِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَهَبْهُ مُصْلِحًا يَفِضُّ عَلَيْهِ الْحَيَاةَ ﴿١٣٧﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٨﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا نُنْفِقُ ﴿١٣٩﴾ أَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٤٠﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٤١﴾.

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا
لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ بَغَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا
فِي الْغَدِيرِ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ
مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْأَيْلُوفِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ
الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ
مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ
كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾
﴿ فَبَدَّلْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ ﴿١٤٥﴾ وَأَبْلَيْتَنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يُزِيدُوكَ ﴿١٤٧﴾
فَتَأَمَّنُوا فَمَرَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتَاهُمُ الرَّبُّكَ الْبَنَاتُ
وَلَهُمُ الْبُتُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ
شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ
اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

التفسير

- ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فيما دعاهم إليه ﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ (١٢٧) ﴿في العذاب يوم القيامة.
- ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (١٢٨) ﴿فإنهم ناجون من ذلك.
- ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (١٢٩) ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ﴾ (١٣٠) ﴿أبقينا عليه ثناءً حسناً في الآخرين.
- ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣١) ﴿إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٢) ﴿هذه عادتنا في جزاء كل محسن مؤمن.
- ﴿وَإِنْ لُّوطًا لِّمَنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٣٣) ﴿رسولٌ من رسل الله تعالى.
- ﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ (١٣٤) ﴿نَجَّاهم الله تعالى من العذاب الذي حلَّ بقومهم.
- ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ وهي امرأة لوط ﴿فِي الْغَيْرِينَ﴾ (١٣٥) ﴿الباقيين المُعَذِّبِينَ.
- ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ﴾ (١٣٦) ﴿وتدميرهم كان برميهم بالحجارة وإهلاكهم بذلك.
- ﴿وَإِنَّا لَنَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ﴾ (١٣٧) ﴿تمرُّون على آثارهم ومنازلهم في أسفاركم كل صباح.
- ﴿وَبِالْأَيْلِ﴾ كل مساء ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٣٨) ﴿تَتَعْظُونَ مِمَّا أَصَابَهُمْ.
- ﴿وَإِنْ يُونُسَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٣٩) ﴿يونس بن متى أحد رسل الله تعالى.
- ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ (١٤٠) ﴿ذهب وركب سفينة مملوءة مغاضباً لقومه أن تأخر العذاب عنهم.



- ﴿فَسَاهَمَ﴾ اقترع، لأن السفينة وقفت من عظم الحمل، فكان لا بد من خروج بعض الركاب في وسط البحر ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ ﴿١٤١﴾ المغلوبين بالقرعة.
- ﴿فَالْنَقَمَةُ الْحَوْتُ﴾ فألقي في البحر، فابتلعه الحوت ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ ﴿١٤٢﴾ أتى بما يلام عليه.
- ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ ﴿١٤٣﴾ قبل ذلك فقد كان كثير العبادة ﴿لَلَّيْتَ فِي بَطْنِهِ﴾ ﴿١٤٤﴾ بطن الحوت ﴿إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿١٤٤﴾ يوم القيامة.
- ﴿فَبَدَّدَنَاهُ بِالْعَرَاءِ﴾ قذفه الحوت في الأرض الخالية العارية ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ ﴿١٤٥﴾ قد سقم ومرض.
- ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾ ﴿١٤٦﴾ تظله بظلها، واليقطين قيل إنه القرع وقيل غيره.
- ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ ﴿١٤٧﴾ أرسله الله تعالى إلى قوم يصل عددهم إلى مئة ألف.
- ﴿فَتَأَمَّنُوا فَمَرَّغَتْهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ ﴿١٤٨﴾ إلى حين حلول آجالهم، لم يصبهم العذاب.
- ﴿فَأَسْتَفْتِهِمْ﴾ سلهم ﴿أَلَرَبِّكَ أَلْبَنَاتٌ وَلَهُمْ أَلْبَنُونَ﴾ ﴿١٤٩﴾ هذه قسمة جائزة وحكم ظالم.
- ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ ﴿١٥٠﴾ شهدوا خلقهم أننا خلقناهم إناثاً.

- ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾ كَذِبِهِمْ ﴿لَيَقُولُونَ﴾ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾
يفترون على الله تعالى كذباً وزوراً.
- ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ ﴿١٥٣﴾ اختار البنات على البنين.

التدبر

- ١ - ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ ﴿١٢٧﴾ نتيجة طبيعية لكل صاحب فكرة ومشروع ورسالة!
- ٢ - لا تتفائل كثيراً لمشروعك في واقعك حتى تُبتلى! هبى نفسك لعقبات الطريق ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ ﴿١٢٧﴾.
- ٣ - لم يحدث في التاريخ أن رسالة التغيير التي جاء بها الأنبياء استُقبلت بفرح ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ ﴿١٢٧﴾.
- ٤ - آثار المذنبين دروس للذكرى، تحتاج عقلاً مقبلاً، وعيناً فاحصةً في التاريخ ﴿وَإِنَّ لُوْطًا لِّمَنِ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٣٢﴾ إِذْ بَخَّيْنَتْهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّا لَنُمرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾.
- ٥ - هذه العجوز عاشت لعقيدة الضلال؛ أفلا تُسعدنا فتاة تعيش لفكرة الحق؟! ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ ﴿١٣٥﴾.
- ٦ - عاشت هذه العجوز في بيت نبي، ورفضت أن تتخلى عن عقيدة الضلال، وكم من فتاة عاشت في رحاب الدين وفي بيت صالح، ولم تستوثق بعد من عقيدة الإسلام، ما أبعد الفرق؟! ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ ﴿١٣٥﴾.



٧ - حتى الكبار يُخطئون ويذنبون ﴿ وَإِنَّ يُوُسَّ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ١٣٩ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْقَمَّةُ الْخَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾.

٨ - ليس من حَقِّك أن تتخلى عن مشروعك ورسالتك وقضيتك، مهما كانت عوائق الطريق ﴿ وَإِنَّ يُوُسَّ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ١٣٩ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْقَمَّةُ الْخَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾.

٩ - يمكنك أن تلقي ببعض همومك على قارعة الطريق، ولكن ليس من حَقِّك أن تلقي برسالة التاريخ ومشروعك الكبير ﴿ وَإِنَّ يُوُسَّ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ١٣٩ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْقَمَّةُ الْخَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾.

١٠ - الغضب وترك مواقع النزال ليس من شأن الكبار، ولذلك عوقب بهذا العقاب ﴿ وَإِنَّ يُوُسَّ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ١٣٩ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْقَمَّةُ الْخَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾.

١١ - التحدي الكبير والروح الصلبة يتجليان في صبرك على مشروعك، إمّا ببلوغ غايته أو بالموت دونه ﴿ وَإِنَّ يُوُسَّ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ١٣٩ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْقَمَّةُ الْخَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾.

١٢ - هل تصوّرت يوماً أن التسبيح ينقلك من ظلام مشكلتك، وشدة أزمته، وظروف واقعك إلى أحلامك التي كنت تتمناها؟! ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ ١٤٣ لَلِثَّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴿ فَبَدَّلْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ ١٤٥ وَأَبْتَلْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ زَيْدٍ وَكَ ﴿١٤٧﴾ فَتَأَمَّنُوا فَمْتَغَتْهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾.

١٣ - إذا عرفت طريق النجاة فمن الخسارة ألا تلزمه حتى النهايات! ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ ١٤٣ لَلِثَّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾.



١٤ - لازم هذا المعنى، وانتظر تلك الحياة التي تريد ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلِثَّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ .

١٥ - تذكر دائماً أن حلول مشكلاتك وظروفك وعقبات طريقك ليست في واسطة البشر، وإنما في المداومة على الطاعات ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلِثَّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ .

١٦ - التسبيح ليس هو حبات المسبحة التي تحركها، وإنما هو قيام قلبك بحق الله تعالى، ما الخرز إلا راصد لمشاعر القلوب ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلِثَّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ .

١٧ - التسبيح تنزيه لربك عن كل نقیصة، وإجلال لشأن شریعته، وتعظيم لحرماته ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلِثَّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ .

١٨ - حين وصل إلى عمق البحر وذاق ضيق بطن الحوت وظلمته ولدت لحظة الفرج ذلك الحين ﴿ فَبَدَّنْهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَبْتَنَّا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾ .

١٩ - لا تيأس! فالأحلام تنبت من عمق الظروف والمحن والأزمات ﴿ فَبَدَّنْهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَبْتَنَّا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾ .

٢٠ - إذا استسلم الأطباء، وعجزوا، وقرروا أنه الموت، وأن لا سبيل للعلاج؛ فتلك هي اللحظة التي تفتح فيها نوافذ الأمل والفرج ﴿ فَبَدَّنْهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَبْتَنَّا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾ .



٢١ - من علامات الجهل أن ترى من لا يتأدب مع ربه تعالى ﴿ فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبَّكَ
الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿ ١٥٠ ﴾ أَلَا
إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿ ١٥١ ﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿ ١٥٢ ﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى
الْبَنِينَ ﴿ ١٥٣ ﴾ ويقول على الله تعالى بلا علم!

٢٢ - لا حد للضلال ﴿ فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا
الْمَلَكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿ ١٥٠ ﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿ ١٥١ ﴾ وَلَدَ اللَّهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿ ١٥٢ ﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿ ١٥٣ ﴾ يفترون على الله تعالى
الكذب، ويقولون ما لا يعلمون.



مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ
 ﴿١٥٦﴾ فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ
 نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا
 يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾
 مَا أَنتَ عَلَيْهِ بِفَتْنَيْنِ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا
 لَهُ، مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ
 ﴿١٦٦﴾ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوَ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا
 عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ
 سَبَقَتْ كُلُّمْنَا لِعِبَادِنَا الْمرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّا
 جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى جَاءَ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ
 يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ
 صَبَاحُ الْمُنْدَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى جَاءَ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ
 يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾
 وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

التفسير

- ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (١٥٤) ﴿هذا الحكم الجائر.
- ﴿أَفَلَا نَذْكُرُونَ﴾ (١٥٥) ﴿تتدبرون ما تقولون على الله.
- ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُّبِينٌ﴾ (١٥٦) ﴿حجة بيّنة على صدق ما تقولون.
- ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٥٧) ﴿هاتوا كتابكم الذي جاءكم من عند الله يؤيد ما تقولون.
- ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ﴾ بين الله تعالى ﴿وَبَيْنَ الْجَنَّةِ﴾ الجن ﴿نَسَبًا﴾ صلة، ذلك أن المشركين قالوا: إنّ الملائكة بنات الله تعالى، ف قيل لهم: لا بنات إلّا بزوجة، قالوا: فإن الله - تعالى عما يقولون - تزوّج من الجن جنّة فولدت الملائكة، فهذا هو النسب الذي جعلوه بين الله تعالى وبين الجن ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ (١٥٨) ﴿في النار يعذبون فيها.
- ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (١٥٩) ﴿تنزه الله تعالى عما يقولون.
- ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (١٦٠) ﴿فإنهم ناجون من ذلك.
- ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾ أيها المشركون ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ (١٦١) ﴿من الآلهة والأوثان﴾ ﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَتَنَيْنِ﴾ (١٦٢) ﴿ما أنتم بمضلين أحداً.
- ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ (١٦٣) ﴿إلّا من سبق في علم الله تعالى أنه من أهل النار.
- ﴿وَمَا مِنَّا﴾ نحن الملائكة ﴿إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (١٦٤) ﴿في السماء عند الله تعالى.
- ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصّٰٓفُّوْنَ﴾ (١٦٥) ﴿في طاعة الله تعالى وخدمته.

- ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ (١٦٦) ﴿لِلَّهِ تَعَالَى عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ.
- ﴿وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾ (١٦٧) ﴿الْمُشْرِكُونَ.
- ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٦٨) ﴿لَوْ أَنَّ كِتَابًا أَنْزَلْ إِلَيْنَا.
- ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (١٦٩) ﴿الَّذِينَ أَخْلَصَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادَتِهِ.
- ﴿فَكْفَرُوا بِهِ﴾ بِالْكِتَابِ لَمَّا أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (١٧٠) ﴿مَا لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
- ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٧١) ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ (١٧٢) ﴿الْمَنْصُورُونَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ.
- ﴿وَإِنْ جُنَدْنَا﴾ حَزْبَنَا وَأَهْلَ وَلَايَتِنَا ﴿لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (١٧٣) ﴿فِي نَهَايَةِ الْأَمْرِ.
- ﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (١٧٤) ﴿أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ وَأَبْصِرْهُمْ ﴿أَنْظِرْهُمْ﴾ ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (١٧٥) ﴿مَا لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْعَذَابِ.
- ﴿أَفَعِدَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ (١٧٦) ﴿؟! اسْتَفْهَامٌ بِمَعْنَى الْإِنْكَارِ، فَعَذَابُ اللَّهِ تَعَالَى أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُسْتَعْجَلَ.
- ﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾ إِلَى الْعَذَابِ ﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾ مَكَانَهُمْ ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (١٧٧) ﴿فَبُئْسَ صَبَاحُ الْقَوْمِ ذَلِكَ الْيَوْمِ.
- ﴿وَقَوْلَ عَنْهُمْ﴾ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (١٧٨) ﴿إِلَى حِينٍ يَأْذَنُ اللَّهُ تَعَالَى بِإِهْلَاكَهُمْ.
- ﴿وَأَبْصِرْ﴾ أَنْتَظِرْ ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (١٧٩) ﴿سَوْفَ يَرُونَ مَا يَحُلُّ بِهِمْ.



- ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ﴾ تنزهه وتعالى ﴿رَبِّ الْعَرْقِ﴾ القوة والبطش ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ عَمَّا تقول ألسنتهم في الله تعالى.
- ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٨١﴾ لا سوء يلحقهم.
- ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٨٢﴾ على كل ما من الله تعالى به من توفيقٍ على عباده المؤمنين.

التدبر

١ - ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ ﴿١٥٦﴾ فَأَتُوا بِكُتُبِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ في كل قضية يفتح شأنها أهل الباطل، يجب أن تطلب الحجج والبراهين.

والدعوى ما لم تقيموا عليها بينات أصحابها أدعياء

٢ - كل قول أو علم ومعرفة لا دليل عليها؛ فآلقها في أقرب برميل للنفايات ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ ﴿١٥٦﴾ فَأَتُوا بِكُتُبِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾.

٣ - علم من حولك أن عقلك أجل من أن يُدنس بالأوهام والخرافات ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ ﴿١٥٦﴾ فَأَتُوا بِكُتُبِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾.

٤ - من أعدار المتمردين ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾ ﴿١٦٧﴾ لَوَ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكْفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾.

٥ - كثيرون هم الذين يرددون: لو كنّا في مكان كذا لصنعنا وفعلنا وأحدثنا، فلما تولّوا تلك المناصب كانوا ركاباً من المشكلات ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾ ﴿١٦٧﴾ لَوَ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكْفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾.

٦ - وَعَدُ رَبَانِيَّ وَسُنَّةَ إِلَهِيَّةَ ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ ﴿١٧٣﴾﴾.

٧ - لَا تَكْتَرُثُ بِعَقَبَاتِ الطَّرِيقِ، وَمَشْكَلَاتِ وَاقِعِكَ الَّتِي تَحِيطُ بِكَ ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ ﴿١٧٣﴾﴾.

٨ - إِنْ أُمَّةٌ تَوْمَنُ بِوَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى لَهَا، وَتَقُومُ بِتَكَالِيفِ تِلْكَ الْحَقَائِقِ لَهَا جَدِيرَةٌ بِالنَّصْرِ، وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ ﴿١٧٣﴾﴾.

٩ - لِيَأْتِيَنَّ يَوْمَ تَشْرُقُ فِيهِ شَمْسُ النَّصْرِ، وَيُزَاحُ ظِلَامُ الْوَاقِعِ، وَيَجْرِي فَالُ الْحَيَاةِ كَمَا نَشَاءُ ﴿أَفِعْذَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾﴾.

١٠ - لَا تَنْشَغِلْ بِالْمُعَارَضِينَ، وَلَا تَمْنَحْهُمْ شَيْئاً مِنْ وَقْتِكَ ﴿فَنُؤَلِّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾﴾ اُنْشَغِلْ بِفِكْرَتِكَ وَمَشْرُوعِكَ، وَرَكِّزْ فِي قَضِيَّتِكَ، وَدَعِهِمْ يَخُوضُونَ الْحَيَاةَ كَيْفَمَا يَشَاؤُونَ.

١١ - مَنْ تَنْزِيهِهُ اللَّهُ تَعَالَى وَتَقْدِيسُهُ أَنْ تَتَّقَ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِالنَّصْرِ لِأَوْلِيَائِهِ لَا يَتَخَلَّفُ ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.

١٢ - وَمَنْ تَنْزِيهِهُ تَعَالَى أَنْ تَتَيَقَّنَ أَنَّهُ سَيَدِيلُ عَلَى الظَّالِمِينَ، وَإِنْ طَالَ زَمَانُ الْإِنْتِظَارِ ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.

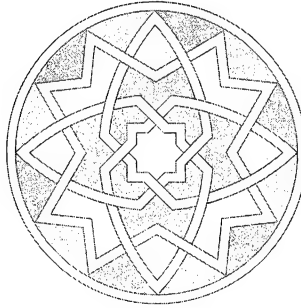
١٣ - تَحِيَّةُ إِجْلَالٍ لِحَمَلَةِ الْأَفْكَارِ النَّاهِضَةِ، وَالْمَشَارِيعِ الْكُبْرَى ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾.



١٤ - ﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٨٢﴾ على دينه وشريعته، وما مَنْ به تعالى على عباده في الحياة.

١٥ - ﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٨٢﴾ على هذا الوحي الذي لم يترك شيئاً إلا بينه ووضحه، ولم يترك فيه شيئاً مجهولاً.

١٦ - ﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٨٢﴾ على كل نعمة أنعم الله تعالى بها على عباده المؤمنين.



سُورَةُ ص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عَذَابٍ وَشَقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا
مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَحْنِ مَنَاصِرُ ﴿٣﴾ وَجَعَلُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ
وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ
عَجَابٌ ﴿٥﴾ وَأَنْطَلِقَ الْأُمَمُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ إِلَهٍ إِلَهٍ كَمْ إِنَّ هَذَا
لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَعَيْنَا يَهْدَا فِي السِّلَعَةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقٌ ﴿٧﴾
أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُورُوا عَذَابٍ ﴿٨﴾
أَمِنْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْمُومٌ
مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ﴿١٢﴾
وَشُمُودٌ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ ۖ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِنَّ كُلًّا إِلَّا
كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً
مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾



التفسير

- ﴿ص﴾ من الحروف المقطعة التي تدل على إعجاز القرآن ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ ① ﴿ذِي الشَّرَفِ وَالْمَكَانَةِ﴾.
- ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّ﴾ في استكبار ﴿وَشَقَاقٍ﴾ ② ﴿مُخَالَفَةٍ وَمُعَانَدَةٍ﴾.
- ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أمة مكذبة ﴿فَنَادَوْا﴾ استغاثوا في صرف العذاب عنهم ﴿وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ﴾ ③ ﴿فِي حِينٍ لَا يَنْفَعُ النَّدَاءُ وَلَا الْاسْتِغَاثَةُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾.
- ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ تعجبوا من إرسال محمد ﷺ رسولا إليهم ﴿وَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾ ④ ﴿إِنَّمَا يَكُذِبُ عَلَيْكُمْ بِلِسَانِهِ، وَيَسْحَرُكُمْ بِفَعْلِهِ وَمَقَالِهِ﴾.
- ﴿أَجْعَلِ لِلْأَلِهَةِ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ زعم أن المعبود واحد ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ ⑤ ﴿أَنْ يَدْعُوَ لِإِلَهِ وَاحِدٍ﴾.
- ﴿وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ ساداتهم وكبرائهم ﴿أَنْ أَمْشُوا﴾ استمروا على دينكم ﴿وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهِتِكُمْ﴾ لا تستجيبوا إلى ما يدعوكم إليه محمد ﷺ ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ ⑥ ﴿مَا يَقُومُ بِهِ مُحَمَّدٌ شَيْءٌ يَرِيدُ بِهِ الشَّرَفَ عَلَيْكُمْ﴾.
- ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْأَلَمَةِ الْأُخْرَى﴾ ما سمعنا أن هذا يكون في آخر الزمان ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أُخْلُقَ﴾ ⑦ ﴿كَذَبٌ﴾.
- ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ ما الذي فضله علينا حتى يختصه الله بنزول القرآن دوننا؟ ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ إنما حملهم على التكذيب شكهم

أني أنزلت إليك القرآن ﴿بَلْ لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ ﴿٨﴾ إنما قالوا ذلك لأنه لم يصبهم من عذاب الله تعالى شيء، ولو ذاقوه لعرفوا حقيقة ذلك.

• ﴿أَمْعِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ يعطون من شأؤوا، ويمنعون من شأؤوا حتى يعترضوا على إرسالنا لمحمد إليهم ﴿الْعَزِيزِ﴾ الغالب الذي لا يعجزه شيء ﴿الْوَهَّابِ﴾ ﴿٩﴾ الذي يعطي ما يريد.

• ﴿أَمْلَهُمْ مِّمَّا لَكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يتصرفون فيها كيف شأؤوا ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْآسْبَابِ﴾ ﴿١٠﴾ إن كان لهم ذلك فليصعدوا إلى أبواب السماء وطرقها فيقطعوا الوحي عن رسول الله ﷺ.

• ﴿جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ﴾ هؤلاء الجند ﴿مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾ ﴿١١﴾ سيُهْزَمُونَ ويُغْلَبُونَ مثل ما هزم غيرهم من الأحزاب المكذبين.

• ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ﴾ قوم هود ﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ﴾ ﴿١٢﴾ القوة العظيمة ﴿وَتَمُودُ﴾ قوم صالح ﴿وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ﴾ الأشجار والبساتين الملتفة، وهم قوم شعيب ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ ﴿١٣﴾ الذين تجمعوا وتآلفوا على حرب الإسلام.

• ﴿إِنْ كُلٌّ﴾ من هذه الأمم ﴿إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ ﴿١٤﴾ حق عليهم عقاب الله تعالى ووعيده.

• ﴿وَمَا يَنْظُرُهُمْ هَؤُلَاءِ﴾ ما ينتظرون بفعلهم هذا ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ نفخة الصور التي يموت بها الناس ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ ﴿١٥﴾ ما لها من رجوع ولا توقف، ولو فواق ناقة، وهو ما بين حلبتيها.

• ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قِطْنَا﴾ قسطنا من العذاب ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ ﴿١٦﴾ قبل يوم القيامة.

١ - حاجة صاحب الحق إلى روح الاستعلاء بدينه ومنهجه وفكرته ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ٢﴾ إذا كان صاحب الباطل يجد روح هذا الاستعلاء على باطله، فكيف بالمؤمن؟!

٢ - شعور الكافر بالحرب الدائرة بينه وبين الحق ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ٢﴾ وهو ذات الشعور الذي يحتاجه كل مؤمن في قضيته ورسالته.

٣ - كل معركة لا يخفق فيها شعور أصحابها بها أولاً، لا يمكن أن تحقق تقدماً في الواقع، مهما بلغ شأنها ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ٢﴾.

٤ - على الأمة أن ترمم شعورها من جديد، وتعتبر هذا الشعور هو الجزء الأهم في إدارة المعركة مع الباطل أولاً ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ٢﴾.

٥ - مؤلّم جداً أن يدير العدو شأن معركته مع الحق وهو يشعر بالغیظ معها، وشباب الأمة لاهون عن هذا المعنى، غافلون عن كثير من أحداثه ووقائعه ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ٢﴾.

٦ - حتى العمال الذي يأتون إلى بلادنا للعمل فمنهم من يستشعر قضيته مع الإسلام فلا يقبل بأي واردٍ عليه، ويرفض كل طريق إلى هذا الدين، ومنهم الذي لا يملك هذا الشعور، فلا يلبث أن يعلن إسلامه ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ٢﴾.

٧ - الأجيال كلها بحاجة أن تعرف طريق الحق قبل أن تعتقد ذلك المعنى ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ٢﴾.

٨ - مشكلة كثير من النفوس أنها اعتقدت باطلاً قبل أن تتعرف على الحق، فعاشت مصرةً على الباطل حتى ضاعت في لجج الضلال ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ٢﴾ كَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ٣﴾.

٩ - كم من نادى على فوات هذا الدين من واقعه ﴿كَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ٣﴾.

١٠ - الكبر مانع من الاستفادة من التذكير ﴿وَعِجْبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ ٥﴾ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ٤﴾.

١١ - تشويه الحق الذي تحمله هو أقرب الطرق في التزهيد منك ﴿وَعِجْبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ ٥﴾ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ٤﴾.

١٢ - إذا لم يستطيعوا مواجهة الفكرة سلطوا عليك التهم، ورموك بالضلال ﴿وَعِجْبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ ٥﴾ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ٤﴾.

١٣ - حين يضل العقل؛ يرفض فكرة الوحداية التي ترزقه السعادة ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ٥﴾ ويأبى إلا الشتات.

١٤ - العجب أن يظهر الباطل بصورة حق، والحق بصورة الباطل ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ٥﴾.

١٥ - حين يتنكر الباطل بصورة الحق، تظهر رؤية جديدة في بناء المفاهيم والتصورات ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ٥﴾.



١٦ - هل تصورت ما يصنع الباطل في حق صاحبه؟! يجعل الوحداية التي هي الأصل أعقد قضاياه في الواقع ﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ۝٥ ﴾ .

١٧ - من وسائل حرب العدو مع الحق إشاعة لغة المؤامرة الكاذبة ﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ۝٥ ﴾ .

١٨ - التواصي والمؤامرة والمؤازرة لنصر قضاي الفسَاد أصل في تاريخ المعركة بين الحق والباطل ﴿ وَأَنْطَلِقُ الْمَلَائِكَةُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصِيرُوا عَلَىٰ إِلَهَيْكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦ ﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ۝٧ ﴾ .

١٩ - الحركة بالفكرة، والخروج بها من القعود قوة مضافة لأصحابها الذين يحملونها ﴿ وَأَنْطَلِقُ الْمَلَائِكَةُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصِيرُوا عَلَىٰ إِلَهَيْكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦ ﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ۝٧ ﴾ على الباطل، ومع ذلك (انطلقوا) يرتبون، ويدعمون، ويتواصون على بلوغ الطريق.

٢٠ - تأجير العقول ما زال يصنع الأصنام، ويكثر في صورها ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ۝٧ ﴾ .

٢١ - ثمة فئات لا تعترف بأصحاب الحق، إما هم، وإلا فالعالم بلقُع من الحياة ﴿ أَمْ نُنْزِلُ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ۝٨ ﴾ .

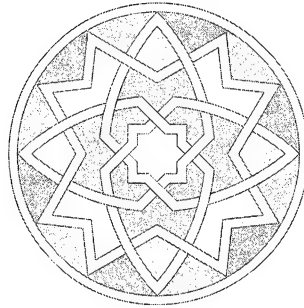
٢٢ - إذا أُلقيت نظرة على مقدّمة السورة تخيلت أن بأيديهم خزائن السماء ﴿ أَمْ عَنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۝٩ ﴾ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ۝١٠ ﴾ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ۝١١ ﴾ .

٢٣ - التاريخ مليء بخزاي الباطل، وأساطير الضلال ﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ۝١٢ ﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْعَبُ لَيْكَةٍ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ۝١٣ ﴾ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلِ فَحَقَّ عِقَابِ ۝١٤ ﴾ .

٢٤ - من جمال تاريخك أنه كشف لك بداية الطريق ونهايته ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ
وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَبُ لَيْكَةِ ۚ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾
إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾.

٢٥ - حين يقضي الجهل على كل صور التفكير ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ
الْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾ كأن بأيديهم مفاتيح الجنان، وليس بينهم وبينها إلا الموت.

٢٦ - من أكثر مظاهر الجهل التهكم بسنن الله تعالى ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ
يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾.





أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾
 إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ
 مُحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ
 وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ * وَهَلْ أَتَاكَ نَبْوُ الْخَصَمِ إِذْ سَوَّرُوا
 الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ
 خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ
 وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً
 وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ
 لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجِيكَ إِلَى نِجَاجِهِ وَإِنْ كَثِيرٌ مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي
 بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ
 مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ
 ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ
 ﴿٢٥﴾ يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ
 بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ
 عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

التفسير

- ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ تسليّة للنبي ﷺ من مقال الأعداء ومكرهم ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾ نبي الله تعالى داود عليه السلام ﴿ذَا الْأَيْدِ﴾ ذو القوة في طاعة الله تعالى ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ﴿١٧﴾ رجّاع إلى الله تعالى في شؤون حياته كلها.
- ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ تسبح الجبال بتسبيح داود ﴿بِالْعَشِيِّ﴾ من العصر إلى الليل ﴿وَالْإِشْرَاقِ﴾ ﴿١٨﴾ وقت الضحى.
- ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ مجموعة إليه، تسبح معه ﴿كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ ﴿١٩﴾ مطيع رجّاع إلى الله.
- ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ قوّيناه ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ النبوة والعلم ﴿وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ ﴿٢٠﴾ فصل الخصومات بين الناس.
- ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضَمِ إِذْ سَوَرُوا الْمِحْرَابَ﴾ ﴿٢١﴾ دخلوا عليه محرابه متسورين الجدار، تاركين الباب المعدّ للدخول.
- ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ خاف؛ لأن ذلك خلاف المعهود من العقلاء ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ تعدّى أحدهما على صاحبه ﴿فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تَشْطِطْ﴾ لا تمل فتحكم بغير الحق ﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ ﴿٢٢﴾ أرشدنا إلى الحق في ذلك.
- ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾ أخوة دين أو نسب ﴿لَهُ تِسْعٌ وَسَعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ دعها لي، وخلّها في كفالتي ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ ﴿٢٣﴾ قهرني وغلبني في القول.



• ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْيِكَ إِلَيَّ نَعَايِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخَاطِئِينَ لَيُغَيِّبُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾
 ليعتدي بعضهم على بعض ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فهو لاء
 يسلمون من البغي على بعضهم ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ أهل الإيمان الذين
 يتحرّجون من البغي على شركائهم ﴿وَوَظَنَ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ علم أنما
 اختبرناه بذلك ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾ على ما وقع فيه من خطأ، والظاهر
 - والله تعالى أعلم - أن الذي وقع فيه أنه تفرغ للعبادة في المحراب،
 ووظيفته التفريغ للناس، وسمع كلام الخصم الأول، ولم يسمع
 من الآخر، وأنه حكم في القضية قبل سماع جواب المدعى
 عليه ﴿وَحَزَرَ رَاكِعًا﴾ سجد لله تعالى ﴿وَأَنَابَ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿رَجَعَ إِلَى اللَّهِ﴾
 تعالى، وتاب من خطئه.

• ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾ تجاوزنا عن ما حصل منه ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ منزلة
 عالية، وقربى عظيمة ﴿وَحَسَنَ مَّكَابٍ﴾ ﴿٢٥﴾ مرجع.

• ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ خليفة لمن سبقك من رسلنا ﴿فَأَحْكُمْ﴾
 بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴿بِالْعَدْلِ﴾ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ ﴿فتميل في حكمك لقراءة أو﴾
 صداقة أو محبة ﴿فِيضِلَّكَ﴾ الهوى ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عن الحق والهدى
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فيتبعون غير طريق الحق ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾
 بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ يوم القيامة.



١ - الصبر هو الحل الأمثل لكل ما تراه من هيشات السفهاء ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾
 وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾.

٢ - من ضعف فقه الداعية وصاحب الرسالة والمشروع ألا يكون هذا الحل حاضراً في بداية كل مشكلة وعقبها ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ١٧.

٣ - يقول لك جزءاً ومتألفاً؛ لا حل غير الصبر! هذا هو طريق الأنبياء وأصحاب الرسالات ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ١٧.

٤ - قراءة سير الأنبياء ومصاحبة القدوات، والاستنهاض بها جزءاً من العون الذي يعينك على الاستمرار ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ١٧.

٥ - ليس من وعدٍ في الدنيا إلا الصبر ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ١٧.

٦ - احمل فكرتك بقوة واستعلاء، وواجه بها عقبات الطريق ولا تضعف ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ١٧.

٧ - الاستعداد الروحي أصلٌ في إدارة المعركة مع الباطل ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ١٧.

٨ - مشروعك أحوج ما يكون إلى محراب الصلاة، وطول القيام فيه ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ١٧.

٩ - إذا أردت مقارعة الباطل فتجهّز روحياً ومعنوياً قبل اللقاء ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ١٧.

١٠ - كان الكبار يدركون كيف يعيشون الحياة بحق ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

١١ - كيف هي علاقتك بالصلاة؟! وما أورادك التي تفيض عليك بالمجد! وكم تستقطع من وقتك لربيع قلبك ومشاهد روحك كل يوم؟! ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

١٢ - استمدّ توفيقك من الله تلقى الحياة الحقيقية ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.



١٣ - كل مشروع وفكرة ورأية لا تستمد روحها وألقها من هذا المعنى فستموت في عرض الطريق ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

١٤ - يتخلف عن مشاهد الروح، وصفاء القلب، وعون الطريق، ثم يسأل: لم يلق توفيقاً في مشروعه، ولم تلق فكرته حقها من الإقبال؟ ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

١٥ - هذه ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسِخِّنْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ (١٨) وَأَطِيرَ مَحْشُورَةً كُلُّ لَهْزٍ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ، وَءَايَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ من ذلك المعنى الكبير ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ والجزاء من جنس العمل.

١٦ - على قدر إقبالك على هذا المعنى ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ سيُجري لك الله تعالى من سعادة الدارين ما تشاء؛ فاستوثق.

١٧ - كلما أرادوه وبحثوا عنه وجدوه في المحراب ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصَمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ (٢١) هذا درس الكبار فحسب.

١٨ - على قدر لبثك في محرابك تفيض عليك الحياة أفراحها كما تشاء ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصَمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ (٢١).

١٩ - حاكم يجري الحكم في محراب الحياة ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصَمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ (٢١).

٢٠ - من فضلك لا تتسور جداراً، ولا تعلو حائطاً، ولا تأتي في وقت غير مأذون فيه بالدخول ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصَمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ (٢١) الأدب يصنع كل شيء.

٢١ - مهما بلغت مشكلتك فلا تصرفنك عن أوقات الأدب، وتحين ساعاته ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصَمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ (٢١).

٢٢ - ممكن أن يرن جوالك الساعة الثانية أو الثالثة صباحاً، وحين تقوم مفجوعاً يخبرك أنه دار خلاف بين زملاء يلعبون الورق، ويريدون أن يستفتوك، جهل وسوء أدب ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ (١١).

٢٣ - زوجان تنازعا، وساء الخلاف بينهما، وطلَّقا في ساعة متأخرة، وقبل أن يتصل بك استأذن برسالة لطيفة: (هل يمكن أن أكلمك!) أدب وكمال عقل ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ (١١).

٢٤ - إذا فزع قلبك من طارقٍ ما فتنبه! ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ (٢٢) ففزع منهم وابتلي.

٢٥ - من أدب الطارق عليك، أو الداخل أن يطمنئك مباشرة حتى لا يفتح لقلبك شعاباً في التساؤلات والاحتمالات ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ درس في الطمأنينة.

٢٦ - الخلاف جزء من البغي ﴿خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ (٢٢).

٢٧ - من حقي أن أذكرك بما يعينك على عدم الحيف والظلم ﴿وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ ومن واجبك أن تستقبل ذلك بعين الرضا.

٢٨ - من الذي حرَّم نصيحة الحكام والقضاة والمسؤولين إذا جاءت من بابها الواسع، وفي ثوب من الأدب؟! ﴿وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾.

٢٩ - حين تثور ثائرتك كمسؤولٍ لمثل هذه النصيحة؛ فتذكر أنها قيلت لأشرف منك، واستقبلها بحلم ﴿وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾.



٣٠ - رَوِّضْ قَلْبَكَ عَلَى سَمَاعِ النَّصِيحَةِ فِي كُلِّ حِينٍ، وَخُذْ مِنْهَا مَا يَنْفَعُكَ ﴿٢٢﴾ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٣﴾.

٣١ - خَلَّافُنَا مَعَ بَعْضِنَا لَا يَنْفِي رَابِطَ الْأَخُوَّةِ الَّتِي بَنَاهَا الْإِسْلَامُ بَيْنَنَا ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾.

٣٢ - إِذَا كُنْتَ تَوَّظُّنُ أَنَّ الْخِلَافَ جِبِلِّيٌّ وَطَبِيعِيٌّ فَلِمَ لَا تَدْعُ لِي فُرْصَةً لِلْاعْتِذَارِ؟! ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾.

٣٣ - إِذَا رَأَيْتَهُ يَقِيمُ لِأَخْوَتِكَ مَعْنَى حَتَّى لَوْ اخْتَلَفَ مَعَكَ، فَأَقِمْ لَهُ فِي قَلْبِكَ شَأْنًا وَمَعْنَى ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾.

٣٤ - كَمْ مَرَّةً جَاءَ الْخِلَافَ يَحْكِي الْحَقَائِقَ كَمَا هِيَ؟! ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾.

٣٥ - كَثِيرٌ مِنَ خِلَافِ أَهْلِ الْإِيمَانِ يَأْتِي مَشْوَهَا فِي صُورِهِ، مَلِيئًا بِالْغَشِّ فِي كَثِيرٍ مِنْ دَلَائِلِهِ وَبَيِّنَاتِهِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾.

٣٦ - اعْتَرَفَ بِحَقُوقِ الْآخَرِينَ أَوَّلًا، وَأَقِمَ لَهَا شَأْنًا حَتَّى فِي الْخِلَافِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ لَهُ قَبْلُ أَنْ يَكُونَ لِي!

٣٧ - تَأَنَّ فِي حَكْمِكَ، وَفِي كَلِمَتِكَ، وَفِي مَوْقِفِكَ. لَا تَعْجَلْ عَلَى شَيْءٍ ﴿٢٢﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْمِكَ إِلَيْنَا نَعَايِهِ. ﴿٢٣﴾



٣٨ - حتى الكبار يخطئون ويقعون وليسوا بمعصومين ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْمِكَ إِلَىٰ نَعَايِهِ ﴾.

٣٩ - وجد في جوال زوجته رسالة ودّ؛ فاستفسر عن الرقم، ووجده باسم رجل فطلقها، واتضح بعد زمن أن زوجة صاحب الجوال هي التي بعثتها من جوال زوجها.

٤٠ - بلغه خبرٌ عن صديقٍ فاستقبله متّهماً مخاصماً حتى أسقطه من كل شيء، واتضح في النهاية أنها مجرد وشاية ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْمِكَ إِلَىٰ نَعَايِهِ ﴾.

٤١ - الأصل في الخلطة البغي والعدوان ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾.

٤٢ - إذا خالطت أحداً في شيء، فاضبط حقاك وحقوق الآخرين ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ حتى لا يجري عليك الخلاف ولو بعد حين.

٤٣ - كم مرة كان الإيمان والعمل الصالح واقياً من الفتن ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ إيمان الحقائق لا إيمان الصور.

٤٤ - إذا وقعت في وحل الفتن فأسبغ على روحك الاستغفار ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾.

٤٥ - كم من معصية عادت بصاحبها إلى الحياة! ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾.

٤٦ - في مرّاتٍ كثيرة تكون بعض المعاصي خيراً من كثير من الطاعات ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ كما قال ابن القيم: المعصية التي تورث ندماً خيراً ألف مرّة من الطاعة التي تورث علواً واستكباراً.



٤٧ - القلوب الحية تدرك أن ما أصابها من أثر خطاياها ﴿وَطَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّهٗ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾.

٤٨ - «تَعَرَّفَ إِلَى اللَّهِ فِي الرِّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَةِ»^(١). ﴿فَعَفَرْنَا لَهُ ذَلِكُمْ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ﴾.

٤٩ - اعتنِ بتاريخك! ربما يأتي يوماً شافعاً لك من العذاب، ومكفراً للسيئات، ومنجياً من الغرق ﴿فَعَفَرْنَا لَهُ ذَلِكُمْ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ﴾.

٥٠ - العدل من أعظم مقتضيات المسؤولية في أي عمل ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾.

٥١ - الهوى أقرب طريق إلى الضلال ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾.

٥٢ - ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هوى ذاتك ومصالحك، أو هوى قرابتك وأصحابك ومعارفك، أو هوى قبيلتك، أو هوى أي صنم يقوم في قلبك، يعارض مراد الله تعالى، ويجور في الحكم.

٥٣ - إلى كل من ولاه الله تعالى مسؤولية الحكم بين الناس، أو الإشراف على مصالحهم! تذكروا هذا الوعيد ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾.



(١) تقدّم أنه جزء من حديث رواه الترمذي وأحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما وأوله: «يا غلام إني أعلمك كلمات...» الحديث.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ۚ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ
كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ
كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَذَّبَرُوا ۖ ءَايَاتِهِ
وَلِيَسْتَذْكُرُوا ۖ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَنَ ۚ نَعَمْ
أَلْعَبُدُ لَهُ ۖ إِنَّهُ ۖ آوَابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِثَتُ
الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى
تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ
وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ۖ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ
جَسَدًا ۖ ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِيَ
لِأَحَدٍ مِنِّي بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي
بِأَمْرِهِ رُحَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَتَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٣٧﴾
وَالْآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ
بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ ۖ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٠﴾ وَآذْكُرْ
عَبْدَنَا أَيُّوبَ ۖ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ۖ أَنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانُ يَنْصُبْ وَعَذَابِ
﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾



التفسير

- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ عبثاً ولهواً ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
أنهما خلَقا عبثاً ولهواً ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (٢٧) ﴿من شدة عذابها وما فيها من النكال.
- ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (٢٨) ﴿فهذا حكم لا يليق.
- ﴿كَتَبْنَا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾ في تلاوته وتدبره والاستشفاء به وهدايته
﴿لِيَذَّبَرُوا ءِآيَاتِهِ﴾ يفهموها، ويعرفوا المقصود منها ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو
الْأَلْبَابِ﴾ (٢٩) ﴿يتعظ ويتذكر أصحاب العقول.
- ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾ ابناً له وأعطيناه النبوة ﴿نِعَمَ الْعَبْدُ﴾ سليمان
﴿إِنَّهُ ءَوَّابٌ﴾ (٣٠) ﴿رجّاع إلى طاعة الله تعالى.
- ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ﴾ آخر النهار ﴿الْصَّفِيفَتُ﴾ الخيل التي تقوم على
ثلاثة أرجل وترفع الرابعة قليلاً ﴿الْحَيَادُ﴾ (٣١) ﴿السراع.
- ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾ المال، والمراد به هنا الخيل ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾
صلاة العصر ﴿حَتَّى تَوَارَّتْ بِالْحِجَابِ﴾ (٣٢) ﴿حتى غربت الشمس في مغيبها.
- ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ﴾ أي الخيل ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ (٣٣) ﴿جعل
يعقرها بسيفه في سوقها وأعناقها ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ ابتليناه واختبرناه
﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ قيل معنى ذلك : ألقينا على كرسيه شق
ولد، وذلك لما أقسم بالله ليطوفن على نسائه وتأتي كل واحدة منهن
بفارس يقاتل في سبيل الله، ولم يقل في يمينه إن شاء الله، فطاف

عليهنّ فلم يلدن كلهنّ إلّا واحدة ولدت شقّ ولد؛ فتاب سليمان إلى ربه ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ ﴿٣٤﴾ رجع إلى الله تعالى طائعاً منياً.

• ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ عما سلف مني ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ لا يصلح أن يكون لأحد من الناس بعدي ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ﴿٣٥﴾ المعطي للخير كله.

• ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ على ما يراه ﴿رُخَاءً﴾ لينة سهلة في سيرها وهبوبها ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ ﴿٣٦﴾ حيث أراد.

• ﴿وَالشَّيَاطِينِ﴾ وسخرنا له الشياطين ﴿كُلَّ بَنَاءٍ﴾ بيني المباني ﴿وَعَوَاصٍ﴾ ﴿٣٧﴾ في البحر.

• ﴿وَأَخْرَيْنَ مُفْرِنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ ﴿٣٨﴾ موثوقون في الأغلال، وهم كل من تمرّد عن العمل، أو أساء في صنيعة، جعل الله تعالى له القدرة على حبسهم ليعرف كمال سلطانه.

• ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا﴾ ممّا مرّ ﴿فَأَمْنٌ﴾ أعطى من شئت ﴿أَوْ أَمْسِكَ﴾ عن العطاء ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿٣٩﴾ لا حساب عليك في كل ما تفعل من العطاء أو الإمساك.

• ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى﴾ قربى ومنزلة رفيعة ﴿وَحُسْنِ مَتَابٍ﴾ ﴿٤٠﴾ حسن مرجع.

• ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾ مثنياً عليه ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ مستغيثاً ﴿أَنِّي مَسْنَى الشَّيْطَانِ﴾ شيطان الجن، وكان الشيطان قد آذاه، قيل إيذاءً نفسياً بإلقاء الوسواس التي أنهكت بدنه، أو إيذاءً حسياً حيث نفث في جسده حتى أصبح كله جذري، ونسب ذلك للشيطان لأنه سبب ذلك، وإلّا فالأمر بقدر الله تعالى وحكمته، وهو الذي سلّط عليه الشيطان ﴿بِئْصَابٍ﴾ بضرر ﴿وَعَذَابٍ﴾ ﴿٤١﴾.



• ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ اضرب برجلك الأرض، فضرب بها، فنبع منها الماء بإذن الله تعالى ﴿هَذَا مُغَسَّلٌ﴾ اغتسل منه ﴿بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ ﴿٤٢﴾ تشرب منه وتغتسل به، فاغتسل وشرب منه؛ فذهب عنه كل داء بباطنه وظاهره.

الذِّكْرِ

١ - ركّز على هدفك ورسالتك وقضيتك التي جئت من أجلها! محال أن يخلق الله تعالى هذا الكون عبثاً ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾.

٢ - ليسوا سواء لا في الحياة، ولا عند الموت، ولا في مواقف الحساب ﴿أَمْ تَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ ﴿٢٨﴾.

٣ - هذه حقائق لا تحتاج إلى نقاش ﴿أَمْ تَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ ﴿٢٨﴾.

٤ - للباحثين عن البركة، هذا موردها العذب ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٢٩﴾.

٥ - اجعل لك نصف ساعة كل يوم في تدبر ما تستطيع من القرآن، ثم عليك بالعمل والتطبيق ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٢٩﴾.

٦ - جاوز الأربعين سنة، وهو يقرأ سورة الكهف كل جمعة، ولم يتدبر منها آية واحدة ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٢٩﴾ ضعف فقه ووعي.



٧ - الأولاد عطايا وهبات، وإذا رزقك الله تعالى صاحب راية فقد رزقك كل شيء ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَنَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٢٠).

٨ - من نعم الله تعالى التي لا يُشبع من الثناء عليها أن يهبك الله تعالى ولداً يحمل مشروعاً، ويسعى براية الإصلاح في العالمين ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَنَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٢٠).

٩ - هل تصوّرت مالا يضيّع فريضة على أعظم الأنبياء ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِئَاتُ الْجِيَادُ﴾ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ وما زال المال يركس كثيرين عن غاياتهم الكبرى.

١٠ - في مثل زمانك إذا دخلت تجارة فاستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِئَاتُ الْجِيَادُ﴾ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ ما لم يكلؤك الله تعالى برعايته وتوفيقه.

١١ - القلوب الحية يؤلمها التخلف عن الطاعة ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ (٣٣) وإذا آلمك قلبك لتخلفك عن مشهد طاعة فتلك الحياة.

١٢ - من مشاهد عزيمتك أن تتخذ قراراً حاسماً لأي تخلف من بداية الطريق ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ (٣٣).

١٣ - حين يذهب كل شيء من أجل الدين ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ (٣٣).

١٤ - من قواعد النجاح أن تعرف الغاية من الوسيلة ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ (٣٣).



١٥ - من كمال وعيك وعقلك ودينك أن كل ما يشغلك عن الطاعة فالتق به في عرض الطريق ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ (٣٣).

١٦ - هذا النبي قتل خيله لذهاب صلاة؛ فما بالك بمن تذهب صلاته كل يوم، وهو في اجتماعات المسؤولية المشؤومة أو في بطون فرش النوم، أو في لقاءات الصبح والسمار ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ (٣٣).

١٧ - في مثل زمانك من أبجديات المسؤولية ألا يقام لصلاة الظهر حقها ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ (٣٣).

١٨ - تنبه لسيرتك، فالذي ألقى بالبلاء في طريق نبي قد يلقي به في طريقك للامتحان ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ (٣٤).

١٩ - قد يكون بلاؤك بالنساء، أو المال، أو الوظيفة والمسؤولية، أو الجاه والشرف! كلها في النهاية إن لم ترصد لها مواقف قدوة وأسوة وصلاح مع ربك، ستلقي بك في طرق الضلال والضياع ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ (٣٤).

٢٠ - استعد للفتنة؛ فزمانك كثير المحن شديد الأزمات ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ (٣٤).

٢١ - لا تخف من عظم أمانيك، فالله تعالى أقدر على تحقيق كل شيء ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (٣٥) فقط ارفع يديك وقل: يا رب، وسيأتيك كل ما ترجوه.

٢٢ - من كمال أدبك ألا تستكثر شيئاً على ربك ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (٣٥).

٢٣ - هل تخيلت هذه الدعوة ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٣٥) الذين يعرفون الله تعالى حقاً يدركون كيف يسألون.

٢٤ - احلم، فالله تعالى أقدر على كل شيء ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٣٥).

٢٥ - من فقه هذا الكبير أنه سأل الله تعالى أن يخفف من أثقال الذنوب حتى تكون نافذة لقبول أمانيه ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٣٥).

٢٦ - كم من ذنبٍ حال دونك ودون أمانيك ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٣٥).

٢٧ - وإذا غفر الله تعالى لك استجاب لدعائك ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٣٥).

٢٨ - حين تثق بوعود ربك وعطاياه تنزل عليك هبات السماء ﴿ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ (٣٦) وَالشَّيْطَانِ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿ (٣٧) وَءَاخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ، عِنْدَنَا لَازْفَنٍ وَحُسْنَ مَّثَابٍ ﴾ (٤٠).

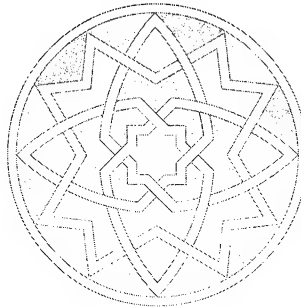
٢٩ - لم يكن بين هذه الأمنية ﴿ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ (٣٦) وَالشَّيْطَانِ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿ (٣٧) وَءَاخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ، عِنْدَنَا لَازْفَنٍ وَحُسْنَ مَّثَابٍ ﴾ (٤٠) وذلك الدعاء ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٣٥) إلا حسن الظن بالله تعالى.



٣٠ - الذين يعرفون ربهم حقاً يلحُّون في سؤاله حتى يبلغوا أمانهم ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾.

٣١ - كم مرَّةً سألت الله تعالى مُلِحّاً مضطراً منيماً مفتقراً؟! ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾ دعك من دعاء اللاهين!

٣٢ - مشكلتنا أننا لا نستشعر أهمية الدعاء ونهبه لهفات القلوب ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾.



وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ
 ٤٣ ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا
 نَعِمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ٤٤ ﴾ وَادْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ٤٥ ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى
 الدَّارِ ٤٦ ﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ٤٧ ﴿ وَادْكُرْ
 إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ٤٨ ﴾ هَذَا ذِكْرُ
 وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ٤٩ ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْنَعَةٍ لَّهُمُ الْأَنْبُوبُ
 ٥٠ ﴿ مُتَكِنِينَ فِيهَا يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ٥١ ﴿
 ✽ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْإِرْبَابِ ٥٢ ﴿ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ
 الْحِسَابِ ٥٣ ﴿ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ٥٤ ﴿ هَذَا وَإِلَى
 اللَّطِيفِينَ لَشَرِّ مَآبٍ ٥٥ ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيُسَّ الْمِهَادُ ٥٦ ﴿ هَذَا
 فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقُ ٥٧ ﴿ وَءَاخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجُ ٥٨ ﴿
 هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَأَ بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ٥٩ ﴿
 قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَمَرْجَأُ بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيُسَّ الْقَرَارُ ٦٠ ﴿
 قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ٦١ ﴿



التفسير

- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ﴾ أووا إليه بعد أن تركوه ﴿وَمَثَلُهُمْ مَعَهُمْ﴾ أي إن الله تعالى رزقه أولاداً جدداً ﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾ ذلك الذي فعلنا به ﴿وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَبِ﴾ ﴿٤٣﴾ عظة وعبرة لأصحاب العقول.
- ﴿وَحُذِّبِيكَ ضِعْتًا﴾ حزمة من حشيش ونحوه يصلح للضرب ﴿فَأَضْرِبْ بِهِ﴾ زوجتك، وذلك أنه قد حلف ليضربنها مئة ضربة لإبطائها عليه ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾ بترك ضربها ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ على ما أصابه ﴿نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ﴿٤٤﴾ رجّاع إلى الله تعالى بطاعته لله.
- ﴿وَأَذْكُرْ﴾ مثنياً على ﴿عِبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ﴾ خليل الرحمن ﴿وَإِسْحَاقَ﴾ ابنه ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ ابن ابنه ﴿أُولَى الْأَيْدَى﴾ أصحاب القوة في العبادة ﴿وَالْأَبْصَارِ﴾ ﴿٤٥﴾ الفقه في الدين.
- ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ﴾ نقّيناهم وصفّيناهم ﴿بِخَالِصَةِ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ ﴿٤٦﴾ جعلنا عملهم خالصاً للآخرة.
- ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ ﴿٤٧﴾ من المختارين المجتبيين الأخيار في العلم والعبادة والرسالة.
- ﴿وَأَذْكُرْ﴾ مثنياً عليهم ﴿إِسْمَاعِيلَ﴾ ابن إبراهيم ﴿وَالْيَسَعَ﴾ أحد الرسل ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ صاحب العمل والجد والنشاط ﴿وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ﴾ ﴿٤٨﴾ تزكية لهم.
- ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ ما أشرنا إليه ذكرى للناس ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَّثَابٍ﴾ ﴿٤٩﴾ حسن مرجع إلى الله تعالى.

- ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ﴾ جنات إقامة ﴿مُفَنَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ ﴿٥٠﴾ لدخولها.
- ﴿مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا﴾ في الجنات ﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾ يطلبون ﴿بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ ﴿٥١﴾ ممّا تشتهيهِ نفوسهم، وتلذُّ به أجسادهم.
- ﴿وَعِنْدَهُمْ﴾ من الأزواج ﴿قَصَصَتْ الطَّرْفُ﴾ لا ينظرون إلّا إلى أزواجهن ﴿أَنْزَابُ﴾ ﴿٥٢﴾ على سنٍّ واحدةٍ ثلاث وثلاثين سنة.
- ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ ﴿٥٣﴾ هذا جزاؤكم يوم القيامة ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا﴾ عطاؤنا ﴿مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ ﴿٥٤﴾ انقطاع.
- ﴿هَذَا وَاتِّ لِلطَّالِعِينَ﴾ وهم كل من تجاوز الحد في مخالفة أمر الله تعالى ﴿لَشَرِّ مَا بُرِّ﴾ ﴿٥٥﴾ سوء منقلب ومرجع.
- ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها يوم القيامة ﴿فِيئْسَ الْمِهَادُ﴾ ﴿٥٦﴾ الفراش فراش جهنم.
- ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ﴾ يكتوبوا بحرّه ﴿حَمِيمٌ﴾ ماء حار محرق ﴿وَعَسَاقُ﴾ ﴿٥٧﴾ ما يسيل من صديد أهل النار.
- ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ﴾ من جنسه ﴿أَزْوَاجٌ﴾ ﴿٥٨﴾ أصناف.
- ﴿هَذَا فَوْجٌ﴾ فرقة وجماعة ﴿مُتَنَجِّمٌ مَعَكُمْ﴾ داخلٌ معكم إلى النار ﴿لَا مَرْجَأَ لَهُمْ﴾ لا كرامة لهم ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ ﴿٥٩﴾ ذائقوا حرّها كما ذقناه.
- ﴿قَالُوا﴾ الفوج المقبل ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْجَأَ لَكُمْ﴾ لا كرامة لكم ﴿أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا﴾ أي العذاب بدعوتنا إليه، وتزيينه لنا ﴿فِيئْسَ الْقَرَارُ﴾ ﴿٦٠﴾ ما نحن فيه.
- ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا﴾ زَيَّنَ لنا الكفر ودعانا إليه ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ ﴿٦١﴾ زد من عذابه في النار.



التكوير

١ - إذا أحبَّ الله تعالى عبده وهب له ما يتمناه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِلْأُولَىٰ الْأَلْبَبِ﴾ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ ۖ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٤﴾ حتى يمينه أبرّه بأيسر الأشياء.

٢ - كيف تبني قصة حبك الكبير مع ربك! اقرأ سير هذه النماذج في التاريخ ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَىٰ وَالْأَبْصَرِ﴾ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَاذْكُرْ إسماعيلَ واليسعَ وذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٨﴾.

٣ - من رُزق تقوى وصلاً وإقبالاً على ربه رُزق كل شيء ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَىٰ وَالْأَبْصَرِ﴾ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَاذْكُرْ إسماعيلَ واليسعَ وذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٨﴾.

٤ - من لطيف توفيق الله تعالى عليك أن يعلق قلبك بالدار الآخرة، ويزهّدك في الدنيا ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٦﴾.

٥ - سل الله تعالى ملجأً أن يجافي قلبك عن هذه العاجلة ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٦﴾.

٦ - ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِن لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَّآبٍ﴾ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مِّنْهُم مَّفْجَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ ﴿٥٠﴾ لا يحتاجون أن يدقوا أبوابها؛ تنتظرهم بشوق!

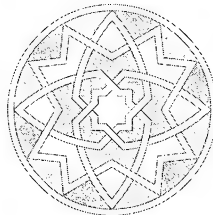
٧ - كم من وعدٍ أنسى كلّ صروف العذاب ﴿مُتَكِّينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ ﴿٥١﴾ * وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ أَنْزَابٌ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِن هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٤﴾.

٨ - كل رزق مكدرٌ بغياب أو فناء إلا رزق الجنان ﴿مُتَكِينِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَتُ الظَّرْفِ أَرْابٌ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾ يَا لِكَمَالِ عَيْشِهِمْ وَطَيْبِ حَيَاتِهِمْ!

٩ - من حق الذين عاشوا لدينهم أن تغمرهم الأفراح ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْنَحَةٍ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَكِينِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَتُ الظَّرْفِ أَرْابٌ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾.

١٠ - إلى الضالين عن الطريق، والمسرفين في الشهوات، والراغبين عن الحق! هذه نهايات الطريق ﴿هَذَا وَابٌّ لِلطَّاغِينَ لَشَرِّ مَآبٍ﴾ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَسْأَلُهُمْ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقُ ﴿٥٦﴾ وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾.

١١ - الخطوات التي صحبت بعضاً من هؤلاء في طريق الشهوات هي ذاتها التي تصحب البعض الآخر في الطريق إلى النار ﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَأَ بِهِمْ أَنَّهُمْ صَالُوا النَّارَ﴾ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَأَ بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيَسْأَلُهُمْ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾.



وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ اتَّخَذْتَهُمْ
سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقُّ تَخَاصُّمِ أَهْلِ النَّارِ
﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنَّ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ
﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ
﴿٦٩﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنْمَأَ أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي
خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ
سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ
أَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا
خَلَقْتُ بِإِدَّتِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ
خَلَقَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾
وَلَا تَرْجِعْ إِلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ
﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾
قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغَوِّيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ
الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ
وَمِمَّن يَبْعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

التفسير

- ﴿وَقَالُوا﴾ أهل النار: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا﴾ في الدنيا ﴿نَعُدُّهُمْ﴾ نحسبهم ﴿مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ ﴿٦٢﴾ يعنون المؤمنين.
- ﴿أَتُخَذْنَهُمْ سِخْرِيًّا﴾ في الدنيا وهم ليسوا كذلك ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ ﴿٦٣﴾ فلم نَرَهُم وهم معنا في النار.
- ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ ما يدور بين الأتباع والمتبوعين ﴿لِحَقِّ تَخَاصُّمِ أَهْلِ النَّارِ﴾ ﴿٦٤﴾ واقع بين أهل النار يوم القيامة.
- ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ﴾ لكم من العذاب ﴿وَمَا مِنَّ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ ما من معبودٍ بحقٍ إِلَّا اللَّهُ ﴿الْوَحْدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿٦٥﴾ فلا يعجزه شيء.
- ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مالِكهما ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ومالك ما بينهما من الخلق ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿الْعَفَّارُ﴾ ﴿٦٦﴾ كثير المعفرة.
- ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٦٧﴾ القرآن وما فيه من أخبار يوم القيامة.
- ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ لا تعملون بما جاءكم فيه.
- ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِاللَّيْلِ الْأَعْلَى﴾ بالملائكة ﴿إِذْ يَخْصِمُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ في شأن آدم وامتناع إبليس من السجود له، ونحو ذلك ممَّا يختلف فيه الملائكة عند الله تعالى، لولا وحي الله تعالى عليَّ بذلك.
- ﴿إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنْتُمْ أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٧٠﴾ فليس لي إِلَّا إنذاركم بما سيكون يوم القيامة.
- ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ على وجه الإخبار ﴿إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا﴾ أي آدم ﴿مِّنْ طِينٍ﴾ ﴿٧١﴾ الطين مادته التي خلق منها.



- ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ أتممته ﴿وَفَفَحْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ الروح التي بها الحياة، وأضافها الله تعالى إلى نفسه تشريفاً وتعظيماً ﴿فَقَعُوا لَهُ سَجِدِينَ﴾ (٧٢) ﴿اسجدوا له.
- ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (٧٣) استجابةً لأمر الله تعالى.
- ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ﴾ امتنع من السجود تكبراً ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٧٤) متصفاً بالكفر المانع له من الخضوع.
- ﴿قَالَ يَبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ﴾ لما أمرتك ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِدَيَّ﴾ وقد خلقت آدم بيدي ﴿اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ (٧٥) من الذين علت منزلتهم، فلا يتوجه إليهم الأمر بالسجود.
- ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (٧٦) بزعمه أن النار خير من الطين.
- ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ من الجنة ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ (٧٧) مرجوم مطرود مبعد.
- ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾ طردي وإبعادي ﴿إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٧٨) إلى يوم القيامة.
- ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾ أخرني في الأجل ﴿إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ (٧٩) إلى يوم بعث الناس من قبورهم.
- ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (٨٠) إلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿أَجابه الله تعالى فأخّره لحكمة يريد بها تعالى.
- ﴿قَالَ فِعْرَازُكَ﴾ بقدرتك ﴿لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) توعد بإضلالهم جميعاً.
- ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ (٨٣) إلا من أخلصته لعبادتك، ولم تجعل لي عليه سبيلاً.

التدبير

١ - سؤالات الحسرة تغشى أمكنة الذل والحيرة ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ (٦٢) أَخَذْنَاهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾.

٢ - قم بواجبك؛ وما بقي يتولاه الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنِّي إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٦٥) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٦٦﴾.

٣ - ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ دعوة للإقبال على كتاب الله تعالى، وإجلال قدره، والحياة من خلاله.

٤ - كم ساعة تبذل في يومك لهذه الحقيقة؟! ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾.

٥ - ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ من إعراضنا أننا لا نقرأه، أو لا نتدبره، أو لا نستشفي به، أو لا نفقه مراد الله تعالى منه.

٦ - الاعتراف بواقعك ومكانتك وتقصيرك وضعف علمك دليل توفيقك ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْصِمُونَ﴾ (٦٩) إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٧٠﴾.

٧ - ما أكثر المتكبرين على واقعهم! وما أروع التواضع في سيرة إنسان ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْصِمُونَ﴾ (٦٩) إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٧٠﴾.

٨ - إذا لم تحتف بأمر ربك ففبك جزء من أخلاق الشياطين ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ



يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ اسْتَكَبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٦﴾

٩ - كم مرة قيل لك: قال الله! فقلت: في المسألة قولان، وقلبك منطوٍ على عدم الإذعان ﴿٧٦﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكَبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ اسْتَكَبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٦﴾

١٠ - تعلم أن يسجد قلبك لأمر ربك قبل أن تسجد جوارحك ﴿٧٦﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكَبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ اسْتَكَبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٦﴾

١١ - من إجلالك لأمر ربك ألا تقول: ما العلة! وما السبب! وكيف؟ ﴿٧٦﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكَبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ اسْتَكَبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٦﴾ إِلَّا بَعْدَ يَقِينِكَ أَنْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ أَوَّلًا.

١٢ - إذا لم تقم بأمر ربك فانتظر سوء التوفيق ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٨﴾

١٣ - كل أمر تخليت عنه فارتقب آثاره، ولو بعد حين ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٨﴾

١٤ - أقسم إبليس ليغويك؛ فما أنت صانع في المعركة؟! ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٧٩) ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ (٨٠) ﴿ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ (٨١) ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٨٢) ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (٨٣).

١٥ - استشعر معركتك الكبرى ونضالك في الحياة ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٧٩) ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ (٨٠) ﴿ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ (٨١) ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٨٢) ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (٨٣).

١٦ - أول خطوة في الانتصار أن تعرف مَنْ عَدُوُّكَ ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٧٩) ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ (٨٠) ﴿ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ (٨١) ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٨٢) ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (٨٣).

١٧ - ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴾ (٨٤) ﴿ الْحَقُّ وَصْفِي، وَالْحَقُّ قَوْلِي ﴾ ﴿ لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ ﴾ أنت وذريتك ﴿ وَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٨٥) ﴿ مِمَّنْ أَطَاعَكَ مِنْ بَنِي آدَمَ ﴾ ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ ما أسألكم على هذا البلاغ مقابلاً من الدنيا ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ (٨٦) ﴿ مِمَّنْ أَتَكَلَّفُ كَذِباً أَمْراً لَيْسَ لِي ﴾ ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْذِكْرُ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٨٧) ﴿ هَذَا الْقُرْآنُ ذِكْرِي وَعِظَةٌ لِلنَّاسِ جَمِيعاً ﴾ ﴿ وَلَنُعَلِّمَنَّ نَبَأَهُ ﴾ خبره ﴿ بَعْدَ حِينٍ ﴾ (٨٨) ﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ﴾

١٨ - ليس من شأن الكبار أخذ مقابل على التضحيات التي يقدمونها لدينهم ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ (٨٦) ﴿ مُحَالٌ أَنْ تَبْقَى أَيْدِيهِمْ مَمْدُودَةٌ لِلْعَاجِلِ الْحَيَاةِ الْعَاجِلِ، وَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى. ﴾

١٩ - هب من وقتك وفكرك لقراءة هذا الوحي وتدبره؛ لعلك تلقى منه أمانيك قبل الفوات ﴿ وَلَنُعَلِّمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ (٨٨).



سُورَةُ الزُّمَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ
 الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا
 لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا
 نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي
 مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ
 كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا
 يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ ۚ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾
 خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ
 وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
 كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾

التفسير

- ﴿تَزِيلُ الْكِتَابِ﴾ إنزال هذا القرآن ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ في انتقامه من أعدائه ﴿الْحَكِيمِ ١﴾ في شرعه وقدره.
- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالعدل ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ٢﴾ وُحِدَ الله تعالى بالعبادة.
- ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ فلا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ تعالى منزلة، ويرفعوا حوائجنا إليه، ويشفعوا لنا عنده ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ يحكم بين أهل الأديان؛ فيجازي كلًّا بما يستحق، أو يحكم بين المخلصين للدين وبين غيرهم، أو بين هذه الآلهة وبين عابديها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ إلى الحق والهدى ﴿مَنْ هُوَ كَذِبٌ﴾ مفترٍ على الله تعالى بالزور ﴿كَفَّارٌ ٣﴾ جاحد للحق.
- ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كما زعم من زعم أن له ولداً ﴿لَاَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ لا اختار من خلقه ﴿سُبْحَنَهُ﴾ عن ظن هؤلاء وزعمهم ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ﴾ لا شريك له ﴿الْفَهَّارُ ٤﴾ فلا يغلبه أحد.
- ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ بالعدل ﴿يُكْوِّرُ الْقُلُوبَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ الْقُلُوبَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ يُدْخِلُ كُلًّا مِنْهُمَا عَلَى الْآخِرِ ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ بنظام محكم، وسيرٍ مقنن ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ إلى قيام الساعة ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه من أعدائه ﴿الْغَفُورُ ٥﴾ للمذنبين من عباده.



الزمر

١ - هذا القرآن الذي تقلّب صفحاته، وتقرأ آياته كل يوم هو الذي يصنع لك الحياة كلها ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ١ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ٢ ﴿

٢ - الإخلاص أول الخطوات الهادية لك إلى الطريق ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ٢ ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ٣ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ ٤ ﴿

٣ - الإخلاص يوحد القلوب، ويربطها بأصلها، ويخفف عنها شغب الأدعاء ومراقبة المخلوقين ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ٢ ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ٣ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ ٤ ﴿

٤ - ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ﴿إياك أن تلوث دينك برجاء مسؤول، أو أمل في مخلوق، أو طلب ثناء من إنسان!

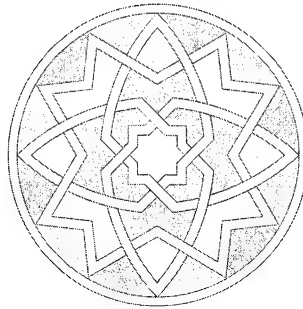
٥ - يا لشقاء العقول والأفكار المؤجرة! يفتح الله تعالى لهم باباً لسؤاله، ويأبون أن يلجوا إلا من خلال وسائط من المخلوقين ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ٣ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ ٤ ﴿

٦ - يكذب ويسأل الله تعالى الهداية فأنى له الطريق! ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ ٤ ﴿

٧ - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ لقبحه، ولسوئه، ولجرمه توعدده الله تعالى بألا يدهله على طريق، ولا يسلك به إلى خير، ماذا بقي له؟!

٨ - هذا الذي تشاهده من صنع الله تعالى ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ ﴿٥﴾ فماذا وقر في قلبك من صنع العليم الحكيم!

٩ - من فوات حظك؛ الغفلة عن تدبر خلق الله تعالى ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ ﴿٥﴾.





خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلَ لَكُمْ
 مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ
 خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
 الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ
 اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ
 لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ
 فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾
 ✽ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ
 نِعْمَةٌ مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوَ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا
 لِّبُضْلٍ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ
 ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ
 الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا
 يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ
 وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

التفسير

• ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أي آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء من ضلع من أضلاعه ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِينَ﴾ أزواج ﴿من الإبل زوجين، ومن البقر، والضأن، والمعز اثنين كذلك﴾ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ ﴿من نطفة إلى علقة إلى مضغة﴾ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴿ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة﴾ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ﴿التام المطلق في كل شيء﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿لا معبود بحق سواه﴾ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ كيف تصرفون عقولكم عن هذا؟.

• ﴿إِنْ تَكْفُرُوا﴾ أيها المشركون بالله تعالى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنَكُمْ﴾ عن إيمانكم ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ لرحمته ورأفته بهم ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا﴾ لله تعالى بإيمانكم به وتوحيدكم له ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ لحبه لكم ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ فلا يؤاخذ أحدٌ بذنب غيره ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ﴾ يخبركم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٧﴾ فلا تخفى عليه خافية.

• ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾ بلاء في جسده أو ماله أو أهله ﴿دَعَا رَبَّهُ﴾ أن يكشف عنه ما مسّه ﴿مُنِيْبًا إِلَيْهِ﴾ مستغيثاً به، طامعاً في تفريج كربته ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ بأن كشف ما به من الضر والكربة ﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾ نسي بلاءه وتضرعه لله تعالى، وما حلَّ به من نعمة من ربه بعد ذلك ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ شركاء ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ليصدَّ عن طريق الله تعالى وهداه ﴿قُلْ تَمَنَّعَ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ في الدنيا ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ ﴿٨﴾ في الآخرة.



• ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ﴾ طائع ﴿ءَانَاءَ اللَّيْلِ﴾ ساعات الليل ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ﴾
 الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ يفعل ذلك حذراً من عذاب الآخرة، ورجاء
 رحمة الله تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ ما لطاعة ربهم من الثواب
 والأجر، وما في معصيته من الشقاء والوزر ﴿وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ آثار
 طاعة الله تعالى وآثار معصيته ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَا الْأَلْبَبِ ﴿٩﴾﴾ إنما يعتبر
 أصحاب العقول.

• ﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله تعالى
 واقية؛ بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ بعبادة
 ربهم وتوحيده ﴿حَسَنَةً﴾ حياة كريمة وجزاء من النعيم ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ﴾
 وَسِعَةٌ ﴿إِذَا مُنِعْتُمْ مِنَ الْعِبَادَةِ فِي أَرْضٍ فَهَاجِرُوا إِلَى غَيْرِهَا مِنَ الْأَرْضِ﴾
 ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ﴾ أيأ كان صبرهم سواء على طاعة الله تعالى، أو عن
 معصيته، أو على أقداره ﴿أَجْرُهُمْ يَبْغِي حِسَابِ ﴿١٠﴾﴾ مبالغة في عظيم ما لهم
 عند الله تعالى.



١- ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ كيف تُصرف عن
 عبادة ربِّ خلقك ورعاك ولطف بك، وسخر لك الكون، وعني بك حتى بلغك
 كل شيء!

٢- هذا الذي رعاه الله تعالى، ولطف به، وعني به وهو جنين، وما زال به حتى
 أقامه على قدميه، عاش مصروفاً عن ربه ضالاً عن الطريق ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
 الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾.

٣ - كفرك بربك لا ينقص شيئاً من ملكه ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾ أنت الخاسر فحسب «يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحدٍ منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئاً^(١)؛ فافرق بنفسك فلا تضر الله تعالى في شيء».

٤ - من أنت أيها الضال الطريق والعاق للمعروف في جنب الله؟! ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾.

٥ - من لطف الله تعالى بالإنسان أنه لا يرضى له الضياع ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾.

٦ - ملوك الدنيا يتشفّون بمن خالفهم وعارضهم، ويتحینون الفرص للنيل منه، والله تعالى من كمال رحمته لا يرضى للمعرض الضلال ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾.

٧ - ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ هذا هو ربك، يحب لك الخير، ويرضى لك التوفيق والنجاة.

٨ - ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ يحب لكم أن تطيعوه، وتشكروه، ويحب لكم أن تسلموا من معصيته، ولا تقعوا في عذابه.

٩ - ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ المسؤولية فردية، ولن تلقى الله تعالى بمسؤولية غيرك إذا قمت بواجبك تجاهه.

١٠ - إن أمكنك أن تأخذ معك في طريق الحقائق أحداً من العالمين فافعل، وإلا فأنج بنفسك، ولو غرق العالم كله في النهاية ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٥٧٧) عن أبي ذر رضي الله عنه.



١١ - اصنع ما تشاء، وافعل ما تريد، وستأتي في النهاية من الطريق ذاته ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

١٢ - لو صحت هذه الرؤية للعالمين لآمنوا أجمعون ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

١٣ - ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ حتى تلك الأحاديث الخاصة يعلمها، ويرى عوالمها في قلبك ومشاعرك.

١٤ - ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ يعلم حرصك على الهداية، وتخلّفك عنها، وجديتك في طلب الأرباح والفوز، أو تأخرك عن رحلة الطريق.

١٥ - ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ حتى عوالم شوقك، وكراهيتك وفرحك، وألمك وسرك، ونجواك فلا تبعد كثيراً.

١٦ - ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ يعلم عزيمتك ورحلتك الجادة، وجهودك في الطريق، أو تخلّفك وتأخرك وتهاونك، وعدم استعدادك للعمل.

١٧ - نافذة على واقع الإنسان ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوَ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾﴾.

١٨ - تراه في مرضه، فتحلف بربك أنه من أتقى خلق الله تعالى، وأنه سالك طريق الهداية، لا يختلف في ذلك اثنان، وما أن تمسه العافية حتى تراه لا يلتفت إلى حق أو معروف ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوَ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾﴾.

١٩ - قيام الليل عادة السلف الصالح، ولا يتوفق لها إلا كبير ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ أَيْلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۖ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١﴾ ﴾ لا يستوي عالم بالله تعالى، يؤثر حقه على حظوظه الشخصية، وجاهل لا يعرف لربه شيئاً من الحقوق.

٢٠ - لا يستوي علم يهدي صاحبه للحق، وعلم يجري به في مواطن الشبهات والشهوات! ولا يستوي علم يدفع بصاحبه للعمل، وعلم لم يحدث في واقعه فضيلة للحياة! لا يستوي علم يقيم صاحبه لكل راية، وعلم يُفَعِّدُهُ عن المشاركة في كل شيء ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ أَيْلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۖ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١﴾ ﴾.

٢١ - التقوى تصنع أفراح الدارين ﴿ قُلْ يَبْعَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۚ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ عاشوا مطمئنين في الدنيا، وعاشوا سعداء رابحين في الآخرة.

٢٢ - ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ ﴾ من صحة وعافية، ونجاح وفوز، وكرامة وسعادة، وطمأنينة تجري في كل مشاعرهم، وتودي بهم للأفراح.

٢٣ - لا تقعد بدينك وفكرتك ومشروعك في أرض لا تمكّنك من العيش لها، والرحلة بأحداثها في تلك المساحات ﴿ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۚ ﴾.

٢٤ - ﴿ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۚ ﴾ لا تقف عاجزاً عن عبادة ربك بدعوى أن الواقع لا يمكّنك من إقامة شعائره وطاعته.

٢٥ - اخرج، تحرك، اسع، اكتب حظك بالعلم والإصلاح ﴿ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۚ ﴾ الأرض أوسع من مساحة ضيق عليك فيها الأعداء.

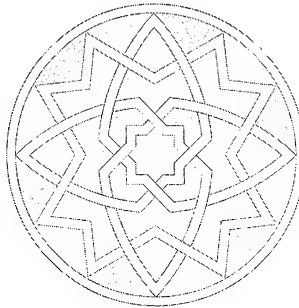


٢٦ - الصبر علاج لأدواء الدنيا كلها ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ كل شيء له قَدَرٌ من الثواب إلا الصبر؛ فيكافى لأصحابه يوم القيامة دون حساب ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

٢٧ - اصبر على مرضك، وجراحك، وآلامك، وستلقى الجزاء يوم القيامة بأوفى ما يكون ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

٢٨ - اصبر على مشروحك، ورسالتك، وقضيتك التي تعيش من أجلها، وستلقى حينها من جزاء ربك فوق أحلامك وتصوراتك ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

٢٩ - اصبر على طاعتك، ومحنتك، وظروفك، وأزماتك، وسيحين موعد الجزاء ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.



قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
 أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
 ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ
 قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا
 ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ
 وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادُ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾
 وَالَّذِينَ أَجْتَنَبُوا الظَّلْمَ اتَّقُوا اللَّهَ الْغَنِيُّ الْوَدِيدُ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
 أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾
 أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتُ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾
 لَكِنَّ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْهُمْ هُمْ عَرَفُوا مِنْ قَوْفِهَا عَرَفَ مَبْنِيَّةٌ تَجْرَى
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ
 أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ
 يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
 يَجْعَلُهُ حُطْلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾



التفسير

- ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ لَا أَشْرِكُ بِهِ غَيْرَهُ.
- ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ من هذه الأمة.
- ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ عذاب يوم القيامة.
- ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾﴾ فلا أشرك به غيره.
- ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ من الأنداد والشركاء ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ﴾ يوم القيامة ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَآهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أصبحوا في النار، وقد كان يمكن أن يكونوا كلهم مجتمعين في الجنة ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُئِينَ ﴿١٥﴾﴾ البين الواضح.
- ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ قطع عذاب كالسحاب ﴿ذَلِكَ﴾ تلك الظلل من العذاب ﴿يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ من أجل أن يؤمنوا بالله تعالى ﴿يَعْبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ اجعلوا بينكم وبين عذابي وقاية؛ بفعل ما أمركم به، واجتناب ما أنهاكم عنه.
- ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ لم يعبدوا غير الله تعالى ﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾ عادوا إلى الله تعالى خاضعين خاشعين منيبين ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ ما يسرون ويفرحون به في الدارين ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾﴾ أبلغهم ما يُسرُّون به.
- ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ يستمعون قول القائل فيتبعون أمثله وأفضله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ من كان هذا وصفه؛ فربك الذي هداه ووفقه لذلك ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْوَلُّوْا الْأَلْبَبِ ﴿١٨﴾﴾ أصحاب العقول.

• ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ (١٩) ﴿من وجبت عليه كلمة العذاب، ببقائه في غيه وضلاله، لا يمكن أن تنقذه من النار﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ أَنْفَقُوا رَهْمَهُمْ هُمْ عُرِفُوا ﴿منازل عالية بهيجة في الجنة﴾ مِنْ فَوْقِهَا عُرِفُوا ﴿بعضها فوق بعض﴾ مَبْنِيَّةٌ ﴿من ذهب وفضة، وملاطها المسك﴾ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿تتدفق في أسفلها الأنهار﴾ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ ﴿٢٠﴾ هذا كله وعد الله تعالى للمؤمنين، لا يمكن أن يتخلف.

• ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴿غِيَاً﴾ فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ﴿فأجراه عيوناً في الأرض﴾ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ﴿من أنواع الثمار﴾ ثُمَّ يَهَيِّجُ يَهَيِّجُ ﴿يبيس﴾ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ﴿تحول من حال الخضرة إلى الاصفرار﴾ ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَلًا ﴿فُتَاتاً مُتَكَسِّراً﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا ﴿لعظة وعبرة﴾ لِلْأُولَى الْأَلْبَبِ ﴿١١﴾ لأصحاب العقول.

التدبير

١ - الإخلاص: أن تجعل قلبك ومشاعرك وعملك وكل شيء من حياتك لله تعالى ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (١١).

٢ - الإخلاص: ألا يلتفت قلبك لغير الله تعالى في أي أمر ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (١١).

٣ - الإخلاص: ألا يقدم مدح الناس وثناؤهم على عملك واستمرارك على مشروعك شيئاً، ولا يؤثر قدهم ونقدهم لمشروعك ورسالتك في شيء ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (١١).



٤ - عَلم من حولك أن الوقت المستقطع في صلاة النافلة أمام الخلق، والوقت المستقطع فيها في الوحدة هو ذاته، لا فرق ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ١١.

٥ - وعَلمهم أن صدقتك في العلانية هي مجرد مشاركة، وتهييج للعمل، ورسالة في دعم الإصلاح، وما بينك وبين الله تعالى أكثر عدداً وأوفر أملاً ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ١١.

٦ - وعَلمهم أن نجاحك في العمل الخيري، ومشاركتك في مشاريع الأمة لا علاقة لها بوجود أحد من العالمين في شيء ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ١١.

٧ - تدرب على الزهد في مدح المخلوقين، وعدم الالتفات إلى شيء من أحداث هذا المعنى في قلبك ومشاعرك ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ١١.

٨ - لا تحرص على تصوير مشروحك وجهدك ورسالتك إلا في الحال التي ترى فيها أنها أبرك لدعوتك، وأفضل في دعم رسالة الحق، وما عدا ذلك فكن فيه من الزاهدين ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ١١.

٩ - ليكن زيادة متابعتك في وسائل التواصل الاجتماعي أو نقصهم سيان في قلبك ومشاعرك؛ لأنك ترجو ما عند الله تعالى ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ١١.

١٠ - إذا أردت زيادة متابعين؛ فاجعل نيتك تبليغ دين الله تعالى، ووصول رسالة الله تعالى إليهم لا لشيء آخر، والله يعلم كل شيء ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ١١.

١١ - تأكّد أن كلمة الإخلاص، وكلمة الحق لا تحتاج أن تجمع لها جموعاً لتقرأها، هي بنفسها تحمل مؤهلات الوصول دون أدياء ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ (١١).

١٢ - القدوة كافية في إقبال العالمين على منهجك وكلمتك ورسالتك ومشروعك ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٢).

١٣ - إذا كنت مثلاً في المعاني التي تدعو إليها، فلا تحتاج إلى كلام كثير، خطوك يكفي للاقتداء ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٣).

١٤ - كل عمل ورسالة ومشروع لم يشرب من معين إخلاصك، ويشع من ريّ قدوتك؛ ولأ ستلقاه ملقى على عارضة الطريق، لم يأخذ من الزاد ما يكفيه للوصول ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٤).

١٥ - في مرّات كثيرة يكون قلقك وحزنك وتعبك هو فسخ الحياة التي ترافقك في مستقبل الأيام ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٥).

١٦ - ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿قلها بلسانك، وأقم لها شأنًا كبيراً في واقعك.

١٧ - ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿رُدّدها حرفاً حرفاً، وأر العالمين من حولك شجونها في مسيرتك وقدوتك.

١٨ - الاستعلاء بالمنهج ضرورة كبرى للمصلحين ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي﴾ (١٤) ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (١٥).

١٩ - أعظم خسارة تلقاها في حياتك خسارة دينك ومنهجك وقيمك ومبادئك التي عشت لها ومن أجلها في الحياة ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (١٥).



٢٠ - بكى لخسارة فريقه في مباراة، وفاتته صلاة الجماعة ألف مرة فلم يتحرق قلبه لظي! تلك هي الخسارة ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (١٥).

٢١ - التوحيد لا يستقيم إلا بنكران مشاهد الطاغوت ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾.

٢٢ - الطاغوت كل ما عُبدَ من دون الله تعالى؛ حتى لو كان شخصاً، أو فكرة، أو عادة جاهلية ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾.

٢٣ - الطاغوت قد يكون مسؤولاً يستعبدك في معصيته، ويصبح وثنك الذي تتوجه إليه على حساب دينك وقيمك ومبادئك ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾.

٢٤ - الطاغوت قد يكون عادة جاهلية تنسف معها شريعة ربك، وتقوم لها معظماً مُجِلاً متعبداً؛ حتى إنك لا تجرؤ على مخالفتها ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾.

٢٥ - الطاغوت قد يكون فكرة استعبدتك، فأقمته على أنقاض شريعة ربك ودينه ومنهج ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾.

٢٦ - ثمة أناس إذا ألقوا بأسماعهم إلى واعظ خير ألقوا في الوقت نفسه بقلوبهم، وذهبوا يصنعون من تلك الموعظة كل شيء ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾ (١٧) الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (١٨).

٢٧ - يحضر درساً أو خطبة أو موعظة فترى في حياته الجديد؛ أولئك الذين عنى الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾ (١٧) الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (١٨).

٢٨ - لا ترهق نفسك على المعرضين؛ فقد يكونون من الذين حقَّ عليهم القول ﴿أَمِنَ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ۝١٩﴾.

٢٩ - لا تشقَّ على نفسك وأنت ترى زمر الضالين والمدبرين عن وحي السماء ﴿أَمِنَ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ۝١٩﴾.

٣٠ - من حق أهل الإيمان والعمل والصلاح أن تدثر مشاعرهم من قلق الحياة بهذا المعنى البهيج ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَنْقَرُوا رَبَّهُمْ هُمْ عُرِفُوا بِفُوقِهَا عُرْفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ۝٢٠﴾.

٣١ - هذه صورة متكررة لكثير من العالمين في مزارعهم، أو مزارع المجاورين ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝١١﴾ تقول لك: هذه الصورة أشبه شيء بواقع الحياة الدنيا.

٣٢ - الدنيا كلها كصورة صاحب الزرع تراه بهيجاً يملأ روحك ومشاعرك، ثم ما يلبث أن يعود حطاماً لا يغني في شيء ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝١١﴾.

٣٣ - كالدينا؛ حتى لو كثر فيها مالك، وولدك، ومسؤولياتك! هي في النهاية لا تعدو هذه الحقيقة ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝١١﴾.



أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِٗٓ قَوِيلٌ
 لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾
 اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ
 جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ
 إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن
 يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَبْقَىٰ بِوَجْهِهِ سُوءٌ
 الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ
 ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَاَنظَرْنَاهُمُ الْعَذَابَ مِن حَيْثُ
 لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَاَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ
 الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي
 هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
 غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ
 شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا
 الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مِيتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ
 ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخَصِمُونَ ﴿٣١﴾

التفسير

• ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ فسح الله تعالى قلبه لمعرفته، وحب دينه ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ على بصيرة وهدى ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ لا يستوي من فسح الله تعالى في قلبه، ومن أقسى الله قلبه، وضاق بهدى الله تعالى ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢٢) أصحاب القلوب القاسية في تيه وخيرة كبيرة.

• ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا﴾ أي القرآن ﴿مُتَشَبِّهًا﴾ يشبه بعضه بعضاً ﴿مَثَانِي﴾ تثني فيه الأخبار والقصص، والوعد والوعيد، وصفات أهل الخير، وصفات أهل الشر ﴿نَقَّشَ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ لما فيه من التخويف والترهيب ﴿ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ من سماع ما فيه من الرجاء ﴿ذَلِكَ هَدَى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ﴾ ما يصيب أهل الإيمان من الرقة والخشية توفيق الله تعالى لهم ﴿وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ (٢٣) لا يجد بعد الله تعالى من يهديه إلى الهدى والخير.

• ﴿أَمَّنْ يَنْقَى وَجْهَهُ سَوْءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أفيستوي هذا الذي يُكَبَّل في النار، فلا يجد سوى وجهه يتقي به من حرها، أو من يدخل الجنان آمناً منعماً ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ يوم القيامة ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (٢٤) ذوقوا جزاء أعمالكم.

• ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم السابقة كما كذب هؤلاء ﴿فَأَنذَرْتَهُمُ الْعَذَابَ مِمَّنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢٥) فأصابهم عذاب الله تعالى في غفلة.

• ﴿فَآذَقَهُمُ اللَّهُ الْحَزْنَ﴾ الذل والهوان ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يفتضح أمرهم وتسوء حالهم ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٦) أشد وأقسى وأعظم.

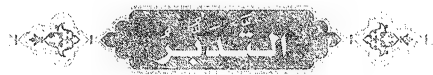


• ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ من أمثال الخير والشر، والتوحيد والشرك، وما حلَّ بالأمم السابقة ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْذَكَّرُونَ﴾ (٢٧) يعتبرون ويتعظون.

• ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ جعلناه قرآنًا عربيًّا واضح الألفاظ والمعاني ﴿غَيْرِ ذِي عِوَجٍ﴾ ليس فيه اعوجاج؛ لا في أساليبه ولا في عظاته وعبره، وإنما هو واضح لا لبس فيه ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٢٨) حتى يتقوا عذاب الله تعالى؛ بفعل ما أمر، واجتناب ما نهى.

• ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا﴾ عبداً ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ﴾ فهم كثيرون ومتنازعون فيه ﴿وَرَجُلًا﴾ عبداً ﴿سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ خالصاً له لا شريك آخر فيه ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ هل يستوي هذا وهذا ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على هذا البيان والتوضيح ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٩) آثار عبادة الله تعالى وعبادة غيره.

• ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٣٠) فلا بد لكل إنسان أن يذوق الموت رسولاً كان أو غير رسول ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِّمُونَ﴾ (٣١) فيما تنازعتم فيه.



١ - شَرَحْ صَدْرَكَ للهداية مِنَّة الله تعالى عليك! فَأَقِمْ لهذه النعمة شأنًا كبيراً في واقعك ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ حتى مشاعر الفرح والطمأنينة في قلبك، والرضا بأقدار الله تعالى في واقعك، والسعادة التي تجدها في بيتك وأسرتك.

٢ - كم من مكبَّلٍ قلبه عن الفرح، لم يجد فرجاً من خير! ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾.

٣ - والله ما أوتي عبد نعمة بعد نعمة الإيمان أفضل من شرح صدره، وهداية قلبه، وفسحة الإشراف التي يجدها في مشاعره! ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾.

٤ - اجعل لك ورداً ورابط عليه، وأجلَّ شعائر الله تعالى وعظمها في قلبك، واجعل بينك وبين حرمان الله تعالى حاجزاً، وستري ما لا يخطر لك على بال ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾.

٥ - أسوأ حالة تعيشها أن تجد ضيقاً يصارعك في كل لحظة من حياتك ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

٦ - يكاد الواحد منهم يخرج من ثيابه من الألم الذي يعانيه ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

٧ - سَنَّهُ الله تعالى في كل من عصاه؛ كأنما يشتهي هواء يتنفس من خلاله ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

٨ - للمعصية آثار عاجلة منها أنك لا تكاد تجد فسحة أمل، وراحة في قلبك ومشاعرك ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

٩ - من دلائل إيمانك أنك تجد أثراً للقرآن في قلبك ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مِّثْقَالِي نَفْسٍ مِّنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ۖ﴾ (٢٣) وإذا لم تجد أثراً لذلك الواعظ في قلبك فتعاهد قلبك قبل المرض.

١٠ - الطريق مليئة بالمكدرات فتنبه! ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَاَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۖ﴾ (٢٥) فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾.



١١ - ما أكثر الذين أذاقهم الله تعالى جزاء ضلالهم في الدنيا! وما أقل الاتعاظ بهم! ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاُنْزِلَتْ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢٥) فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾.

١٢ - إذا أردت أن تعيد تصوراتك في الحياة؛ فاقتطع لكتاب الله تعالى من سنام وقتك ما تجد به الحياة ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَنْذَكُرُونَ﴾ (٢٧) فَرَأَيْنَا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَنْقُورُونَ ﴿٢٨﴾.

١٣ - حين تتعبّد لآخرين تشقّ قلبك نصفين، وحين تتعبّد لربك يصفو قلبك لواحد، يملك لك كل شيء، فما لك ولهذا الشتات! ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٩).

١٤ - المشركون والمراؤون كالعبد الذي فيه شركاء؛ كلٌّ يبعثه إلى جهة وطريق ومهمة ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣١).

١٥ - ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصُمُونَ ﴿٣١﴾ الحقيقة التي لم تأخذ حقّها من قلوبنا بإمعان.

١٦ - خفف من همومك في الحياة؛ فالموت قاطع لأمانيك ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصُمُونَ ﴿٣١﴾.

١٧ - كثيرون رحلوا ولم يتوقعوا أن تلقاهم هذه الحقيقة في مقتبل العمر ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصُمُونَ ﴿٣١﴾.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ
 إِذْ جَاءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (٣٢) وَالَّذِي
 جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِٓ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾
 لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾
 لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ
 بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ
 عَبْدَهُٗ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ
 اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّضِلٍّ
 أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَٰئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ
 السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّكَ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيَّهٗ
 أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِيَّ قُلْ حَسْبِيَ
 اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَتَقَوَّمُ أَعْمَلُوا
 عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
 مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾



التفسير

- ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لا أحد أظلم ﴿مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ إما بنسبته إلى ما لا يليق بجلاله، أو بادعاء النبوة، أو الإخبار عن الله تعالى ما لا يثبت عنه ﴿وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ وكذلك لا أحد أظلم ممن جاءه الحق واضحاً بيناً فكذب به ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (٣٢) أليس في النار مأوى ومستقراً وسكناً لكل كافر جاحد لأمر الله تعالى.
- ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ﴾ في قوله وعمله ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ وصدق بالصدق ممن جاء به ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٣٣) من كانت هذه صفاتهم، فهم ممن اتقى الله تعالى حق تقواه.
- ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ من الثواب والجزاء ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٤) هذا الجزاء جزاء كل من أحسن فيما بينه وبين الله تعالى.
- ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ فيغفر لهم أسوأ ما كان بينهم وبين الله تعالى ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣٥) ويوفّيهم بأفضل ممّا عملوا.
- ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ من كل ما يخافه ويرهبه ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ من الأصنام والأنداد والأوثان ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (٣٦) يهديه إلى طريق الحق والرشاد.
- ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّضِلٍّ﴾ يزيغه عن طريق الحق ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾ (٣٧) في انتقامه من أعدائه.

• ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ يقرُّون بذلك ويعترفون به ﴿قُلْ﴾ إن كانوا مقرين بذلك فقل لهم ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الأصنام والأنداد ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ في جسدي أو مالي وأهلي ﴿هَلْ هُنَّ كَشَفَتْ ضُرَّوهُ﴾ هل هذه الآلهة قادرة على إزالته؟ ﴿أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ﴾ في جسدي أو مالي وأهلي ﴿هَلْ هِيَ مُسَكِّنَتْ رَحْمَتَهُ﴾ مانعها عني؟ ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ كافيي ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (٣٨) يعتمد المعتمدون في جلب مصالحهم ودفع مضارهم.

• ﴿قُلْ يَتَقَوَّمُوا عَمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ على حالتكم التي ارتضيتموها لأنفسكم من عبادة غير الله تعالى ﴿إِنِّي عَمِلْتُ﴾ على توحيد الله تعالى، وإخلاص العبادة له ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٣٩) لمن العاقبة.

• ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ في الدنيا ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٤٠) عذاب دائم يوم القيامة.

التدبر

١ - الجهل بالله تعالى يصنع كل شيء ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ أليس في جهنم مثوى للكافرين؟ (٣٢).

٢ - يفتي بغير علم، ويتقول على الله تعالى بالظنون! هؤلاء أظلم عباد الله تعالى في الأرض ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ أليس في جهنم مثوى للكافرين؟ (٣٢).



٣ - حَزَفَ مِنْهُجَ اللّٰهَ تَعَالٰى، وَاعْتَدٰى عَلٰى ظَاهِرِ النُّصُوصِ، وَأَوَّلَهَا عَن سَوِّ نِيَّةٍ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾.

٤ - جَعَلَ هَمَّهُ رَدَّ نُّصُوصٍ أَجْمَعَتَ عَلَيْهَا الْأُمَّةُ، وَأَخَذَ يَثْرِى الْمَتَشَابِهَاتِ فِي أَوْسَاطِ الْعَامَةِ وَالشَّبَابِ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٣﴾.

٥ - لَا يَحْدُثُ إِلَّا صَدَقًا، وَإِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ خَبَرُ الْوَحْيِ طَارَ بِهِ شَوْقًا! أَوْلَئِكَ الْمَتَّقُونَ ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٤﴾.

٦ - مَن حَمَى اللّٰهَ تَعَالٰى لِسَانَهُ عَن هَيْشَاتِ السَّفَهَاءِ، وَرَزَقَهُ اسْتِسْلَامًا لِلْوَحْيِ؛ فَقَدْ رَزَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٥﴾.

٧ - تَصَوَّرَ جَزَاءَ الصَّادِقِينَ! ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣٦﴾.

٨ - مَن قَرَأَ بِشَائِرِ الصَّدَقِ وَجَزَاءَهُ بُوْعِي اسْتَعْلَى عَن كَثِيرٍ مِّن قَوَادِحِ هَذِهِ الْمَرْوَةِ فِي وَاقِعِهِ ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣٧﴾.

٩ - ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ وَخُوفُوكَ بِالَّذِينَ مِّن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٣٨﴾ بَلَى وَاللّٰهُ كَافِيهِ مَن كُلِّ شَيْءٍ!

١٠ - ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ دَعْوَةٌ أَلَّا تَلْقَى لِلْمَخْلُوقِينَ شَيْئًا فِي قَلْبِكَ وَمَشَاعِرِكَ!

١١ - ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ بلى سيكفيه هموم قلبه، وحاجة جسده، وشر حسّاده وبغاة الطريق.

١٢ - من تعرّف على الله تعالى بأسمائه وصفاته أيقن أنه كافيه عن كل شيء ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾.

١٣ - ما داموا دونه فليسوا بشيء ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾.

١٤ - كل العالم الذي تراه بقواه المادية دون الله تعالى في كل شيء ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾.

١٥ - كل الذي يقف أمامك؛ فهو مخلوق لله تعالى ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾.

١٦ - لا تقلق، وهذه الحقيقة تعيش في وجدانك ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ من دونه ﴿من دونه وما لهم إليك سبيل﴾.

١٧ - من الضلال أن تجد لمخلوق شيئاً من الخوف في قلبك ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

١٨ - ومن الضلال أن تصانع مخلوقاً بعملٍ لله تعالى من أجل أن يمدحك ويثني عليك ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

١٩ - إذا هداك الله تعالى؛ فقد تحقق لك كل شيء ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾.

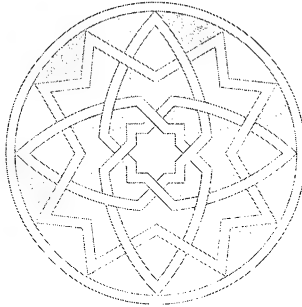
٢٠ - لا تقلق إذا ارتوى قلبك من هداية الله تعالى ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾.



٢١ - حين يكون العلم لا واقع له ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيَّهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُنْصِرِّتٌ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ يؤمنون بأنه خالق كل شيء، ولا يعرفون له حقه من العبادة!

٢٢ - مشكلة كثيرين هذا الخصام النكد بين العلم الذي تعلموه والعقائد التي يؤمنون بها ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيَّهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُنْصِرِّتٌ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

٢٣ - ثمّة موعدٌ تُعرض فيه الحقائق دون امتراء ﴿ قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَيَّ مَكَانَكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾.



إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَكَىٰ
فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ
بَوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي
لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ
وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ
قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ
لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ، مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ
إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا
فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ، لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
وَبَدَأَهُم مِّنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

التفسير

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾ هذا القرآن الذي نزل على محمد ﷺ بالعدل ﴿ فَمَنْ أَهْتَكَدَى ﴾ به ﴿ فَلِنَفْسِهِ ﴾ نفع تلك الهداية راجع إليه ﴿ وَمَنْ ضَلَّ ﴾ عن الطريق ﴿ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ فضلاله على نفسه ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ (٤١) بحفيظ على أعمالهم، تحصيها وتوفيهم حسابها؛ إنما أنت مُبَلَّغٌ عن الله تعالى أمره.

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ يقبضها عند فناء أجلها ﴿ وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ يتوفاها كذلك بالنوم ﴿ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ ﴾ انقضى أجلها وانتهى، فيميتها الموتة الكبرى ﴿ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ ﴾ التي لم ينقض أجلها بعد ﴿ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ إلى وقت حلول أجل وفاتها ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٤٢) فيما يفعل الله تعالى في هذه الأنفس آيات بيّنة وواضحة على كمال قدرته تعالى.

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ﴾ هؤلاء الكفار اتخذوا شفعاء يشفعون لهم؛ عند الله تعالى ﴿ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا ﴾ هؤلاء الشفعاء ﴿ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا ﴾ من أمر تدبير هذا الكون ﴿ وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٤٣) ولا عقول لهم؛ كالمعبودات من الأحجار والأصنام، ونحوها.

﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ﴾ فلا يشفع عنده إلا من أذن له ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ لا شريك له في ذلك ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٤٤) آخر أمركم ونهاية حالكم.

• ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ نفرت وتكبرت ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ من أمر الدنيا ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٤٥) يفرحون ويسرّون.

• ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خالقهما ومدبرهما ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ﴾ كل ما لم يعلمه مخلوق ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ الحاضر، الظاهر، المعلوم ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٤٦) وذلك يوم القيامة، يحكم في خلافهم: مَنْ صاحب الحق، وَمَنْ صاحب الباطل.

• ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ ملك الدنيا كلها ﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ وأضعاف ملك الدنيا ﴿لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ لفدوا به أنفسهم من عذاب الله تعالى ﴿مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أشدّه وأفظعه ﴿وَبَدَأَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ ظهر لهم من أمر الله تعالى وعذابه ﴿مَا لَمْ يَكُونُوا يُحْتَسِبُونَ﴾ (٤٧) ما لم يكن في حسابهم.

التدبر

١ - من جمال دين الله تعالى أنه لا يُكرهُ أحداً على شيء ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَكَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ (٤١).

٢ - الذين يتّهمون دين الله تعالى بالتحجّر والضيّق، وأنه دين قتل ودماء لم يفقهوه كما أراد الله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَكَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ (٤١).



٣ - قَرَارِكَ بِيَدِكَ، وَأَنْتَ الَّذِي تَكْتُبُ مَصِيرَكَ فِي النِّهَايَةِ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنْ أَسْهَكَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ (٤١).

٤ - لَيْسَ مِنْ مَهْمَةِ الرُّسُلِ وَالْمُصْلِحِينَ إِجْبَارُ النَّاسِ عَلَى دِينِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا عَلَيْهِمُ الْبَلَاغُ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنْ أَسْهَكَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ (٤١).

٥ - لَا تَقْلُقْ، أَرْوَاحُنَا بِيَدِ اللَّهِ تَعَالَى حَيَاةً وَمَوْتاً ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤٢).

٦ - يَفْزَعُونَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَيَرْهَبُونَ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَقُومُونَ لِكُلِّ شَيْءٍ؛ وَهَذِهِ الْآيَةُ تُقْرَأُ عَلَيْهِمْ صَبَاحَ مَسَاءٍ ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤٢).

٧ - نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ بِيَدِ اللَّهِ تَعَالَى مَوْتاً وَحَيَاةً؛ فَخَفَّفْ مِنْ رَوْعِكَ ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤٢).

٨ - يَمْلِكُونَ أَنْ يَصْنَعُوا بِكَ مَا يَشَاؤُونَ؛ لَكِنْ الْأَجَالُ بِيَدِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤٢).

٩ - إِذَا ذَهَبَ التَّفَكِيرُ فَلَا تَنْتَظِرْ إِلَّا فَوَاجِعَ الْأَحْدَاثِ ﴿أَمْ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ



شُفَعَاءٌ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ لا يملكون شيئاً؛ فكيف يتخذونهم شفعاء؟!

١٠ - ترقّبهم وارصدهم إذا اشمأزوا من الموعظة، ونفروا من مجالسها؛ فهؤلاء الذي عنى الله تعالى ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ ﴿٤٥﴾ .

١١ - إذا قيل لهم: هذا المساء درس، أو محاضرة، أو لقاء دعوي؛ اشمأزوا حتى كادت أوداجهم تتمزّق، وإذا قيل لهم: هناك مباراة، وسهرة عرس تشوبها المنكرات، ولقاء سَمّار على غير فضيلة؛ إذا هم يستبشرون ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ ﴿٤٥﴾ .

١٢ - أين هذه القلوب من قلبٍ إذا سمع طارق الخير تهلّل وجهه؛ حتى صار يشرق من الفرح! ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ ﴿٤٥﴾ .

١٣ - إذا وجدت قلبك لا يفرح ولا يُسرُّ بالموعظة، ولا يحتفي بلقاءات أهل الخير، فعجّل بعلاجه قبل أن يضل الطريق ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ ﴿٤٥﴾ .

١٤ - وجّه قلبك وأملك وأمانيك إلى الله الذي يدبر شأن الحياة ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ﴿٤٦﴾ .



١٥ - هل تصوّرت فجائع الظلم! ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ ﴿٤٧﴾ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ لو كانوا يملكون يوم القيامة كل شيء لذهبوا يدفعونه للخلاص من عاقبة ظلمهم، ولكن هيهات!

١٦ - أكل أموال الخلق في الدنيا، وبخل بماله أن يبذل في سبيل الخير؛ واليوم لو يجد ما في الأرض مرّتين لبذله لإنقاذ نفسه ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ ﴿٤٧﴾ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾.

١٧ - تصوّر غريماً لك لقيته في مجلس بعد سنين عديدة ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ﴿٤٨﴾.

١٨ - تأمل لو قيل لك في جمع من صحبتك: سنعرض عليك الآن ما كانت تبثه أجهزة التصوير التي تابعتك فيها لمدة أسبوع حتى في نومك وصلاتك وعلانيتك وأسرارك وخلواتك! ماذا ستصنع؟! ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ﴿٤٨﴾.

١٩ - ألقِ نظرةً شعورية لشريط الدنيا وهو يمر، وأنت في ظلام ليل، أو في طريق عام، أو في مكتب وظيفتك، أو في نزاع مع إنسان، أو في حالة فجور، أو خلف الستر والأبواب والظلام ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ﴿٤٨﴾.

٢٠ - غداً سيعرض عليك شريط حياتك بدءاً من تاريخ بلوغك فتنبه ألا يعرض ما تتمنى ألا تراه ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ﴿٤٨﴾.



وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ
نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّا
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ
عَنَّهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا
وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا
وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾
❖ قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن
رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ
﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ
الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُصْرَفُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ
إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ
بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي
عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾



التفسير

- ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ مِمَّا عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ حُلٌّ بِهِمْ وَوَجِبَ عَلَيْهِمْ ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ فِي أَيَّامِ الدُّنْيَا.
- ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾ فِي جَسَدِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ أَهْلِهِ ﴿دَعَانَا﴾ مُلِحًا فِي تَفْرِيجِ ضُرِّهِ ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنَّا﴾ كَشَفْنَاهُ عَنْهُ ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ إِنَّمَا نَالَنِي مِنَ الْعَافِيَةِ وَالصَّحَةِ وَالْغِنَى لَعَلَّمَهُ اللَّهُ أَنِي أَهْلٌ لِّذَلِكَ ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ مَا أَنْعَمْنَا بِهِ عَلَيْهِ إِنَّمَا هُوَ ابْتِلَاءٌ وَابْتِلَاءٌ لَهُ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ لَجَهْلِهِمْ بِمِرَادِ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ.
- ﴿قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فَلْيَسُوا بِأُولَٰئِكَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ حِينَ حُلَّ بِهِمْ عَذَابُ اللَّهِ تَعَالَى.
- ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ﴾ عَقُوبَاتُ ﴿مَا كَسَبُوا﴾ مَا عَمِلُوا مِنَ الْأَعْمَالِ ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ سَيُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ ﴿وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿٥١﴾ فَلَا يَمْلِكُونَ أَنْ يَدْفَعُوا عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ تَعَالَى وَعِقَابَهُ.
- ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ﴾ يَوْسَعُ ﴿الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يَضِيقُ ﴿إِن فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ فِيمَا يَفْعَلُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ بَسْطِ الرِّزْقِ أَوْ تَضْيِيقِهِ لِعِبَرٍ وَبَيِّنَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ.
- ﴿قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ تَجَاوَزُوا فِي ظَلَمِ أَنْفُسِهِمْ إِلَىٰ حَدِّ الْإِسْرَافِ ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ لَا تَيْأَسُوا مِنْهَا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ

جَمِيعًا ﴿ مَهْمَا بَلَغْتَ ﴾ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ مَهْمَا بَلَغَ ذَنْبُ الْإِنْسَانِ وَإِعْرَاضَهُ.

• ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾ ارجعوا إليه، وأقبلوا إلى طاعته ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ اخضعوا له مقرّين معترفين بفضلِهِ وكرمه ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾ ثم لا يكن لكم فرصة في التوبة ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ لا تجدون لكم ناصراً يدفع عنكم العذاب.

• ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي إن في القرآن الحسن والأحسن؛ فالواجب أحسن من المندوب، والمندوب أحسن من مطلق الحسن، والعفو أحسن من القصاص، والصبر أحسن من الانتصار ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَعَثَهُ﴾ فجاء ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ لا تعلمون بحلوله.

• ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾ حتى لا تقول: ﴿بَحَسْرَتِي﴾ تندمًا وتأسفًا ﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ في أمره ﴿وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ المستهزئين.

التدبر

١ - الأفكار والمفاهيم أكثر الأشياء خطورة في واقع صاحبها ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَلْتَهُ نِعْمَةٌ مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ يُنعم الله تعالى عليه، ثم يقول: لأنني أستحق ذلك.

٢ - تصوراتك عن الحياة أثر من مفاهيمك وأفكارك ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَلْتَهُ نِعْمَةٌ مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٩﴾.



٣ - ما أقبح الكبر! وما أشد ضرره على صاحبه! ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ، عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٩).

٤ - عافيتك التي تعقب مرضك هي ابتلاء واختبار كذلك ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ، عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٩).

٥ - العلم الحقيقي ليس بعدد مقروءاتك أو محفوظاتك، وإنما بأثر ذلك المقروء والمحمفوظ على علاقتك بالله تعالى ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ، عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٩). ينعم الله تعالى عليه، ثم يرى بأنه أحق من يكون بالنعمة، وأولى ما يكون بها في العالمين.

٦ - حتى الجهالات والفوضى وسوء التصورات لها تاريخ ﴿قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٥٠) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (٥١).

٧ - أحد المفاهيم التي ما زالت بحاجة إلى فقه ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٢). بسط الرزق وقلته شأن الله تعالى، ليست لقوتك وجهدك وذكائك.

٨ - المال الذي بيدك منته من من الله تعالى عليك ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٢) والفقر الذي يصيبك لله حكمة في ذلك.

٩ - لا تقلق لقله مالك، ولا تفرح لكثرتك، كلاهما اختبار، والموفق من أدار شأنها باقتدار ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٢).



١٠ - مهما بلغ ذنبك وكبرت خطيئتك؛ فلا تبرح باب الأمل، وإياك والقنوط ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٣﴾.

١١ - القنوط من رحمة الله تعالى ليس من أدب المؤمن في شيء ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٣﴾.

١٢ - حتى لو بلغت الكفر أدرك نفسك بتوبة صادقة يجبُ الله تعالى بها عنك أحداث سوء عملك، وبالغ خطره وأثره ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٣﴾.

١٣ - يا لرحمة الله تعالى! (يا عبادي) وهم مسرفون في الخطيئة! ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٣﴾.

١٤ - الخطيئة شيء، والقنوط من رحمة الله تعالى بعد فعلها شيء آخر، وفي أي طريق أدركك الشيطان فقد بلغ منك مناه ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٣﴾.

١٥ - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ هذه لا تحملك على الجراءة على الذنب بقدر ما تحملك على الحياء من الله!

١٦ - لو قال لك رئيسك في العمل: كل غيابك وتأخراتك وأخطائك لم نعتبرها عليك لصَادَقْتُهُ مدى العمر، وتحَرَّجت من التخلف والتأخر بعد هذه المنة؛ فكيف بربك الذي فتح لك باباً لا يمكن أن يغلق مدى الدهر ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٣﴾.



١٧ - هل أنت مستعدٌ لهذه اللحظة لاتخاذ قرار التغيير! إذا فالبشائر تنتظرك ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٣﴾.

١٨ - قم من مقعدك، وتحرك من واقعك، وغير قناعاتك البائسة، وتخلص من خطيئتك؛ ففجر الأمل في انتظارك ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٣﴾.

١٩ - من قال لك: لا توبة لك! ألا ترى ربك لم يخرجك من إطار عبوديته رغم إسرافك ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٣﴾.

٢٠ - تهيأ لقصة الفرح، وفجر العيد، وشروق شمس الضحى، وأحداث الربيع، وابدأ معها قصة الحياة ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾.

٢١ - التوبة ليست كلمة ترددها، وإنما التوبة صدق إقبال، وعودة جديدة إلى الحق والمنهج والوحي ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ ﴿٥٤﴾.

٢٢ - إذا تغير حالك، واستبدلت صحبك أعوان المعصية أصحاب خير، وسلكت طريق الطاعة من جديد؛ فقد أشرقت شمس آمالك الكبرى من جديد ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ ﴿٥٤﴾.

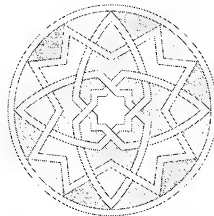
٢٣ - حتى العودة لربك تحتاج إلى استسلام، ورفض أفكار الشهوات وأغلالها ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ ﴿٥٤﴾.

٢٤ - الحياة المثيرة تحتاج إلى ترقٍ، حتى في تنفيذ أوامر الله تعالى ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بِغَتَّةٍ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٥٥) ﴿اتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ!﴾

٢٥ - إذا رأيته في طريق عودته يأخذ بالأحسن عن الحسن، والفاضل عن المفضل، والعزيمة عن الرخصة؛ فتلك علامات الصدق والإحسان ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بِغَتَّةٍ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٥٥) ﴿تَشْعُرُونَ﴾.

٢٦ - من فقهك وكمال وعيك وتوفيق الله تعالى لك أن تدرك نفسك قبل الفوات ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بِغَتَّةٍ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٥٥) ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ﴾ (٥٦) ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٥٧) ﴿.

٢٧ - إياك وطول الأمل! فكم من أمل لم يستكمل زمانه! ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بِغَتَّةٍ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٥٥) ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ﴾ (٥٦) ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٥٧) ﴿.



أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ
 ٥٧ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً
 فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ٥٨ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي
 فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ٥٩
 وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ
 مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ٦٠
 وَيُسْحَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ الشُّوْءُ
 وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٦١ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ
 كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ٦٢ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَعَانِتِ اللَّهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ
 ٦٣ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ٦٤
 وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ
 لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٦٥ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ
 وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ٦٦ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّىٰ قَدَرَهُ
 وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ
 مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ٦٧ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ

التفسير

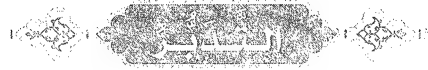
- ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لِلْحَقِّ وَوَقَّفَنِي لَهُ ﴿٥٧﴾ لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾
مَمَّنْ عَمَلٍ بِأَمْرِهِ، وَانْتَهَى عَنْ نَهْيِهِ.
- ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ ﴿٥٨﴾ تَعَانِيهِ وَتَشَاهِدُهُ ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً ﴿٥٩﴾ رَجَعْتُ إِلَى الدُّنْيَا ﴿فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾﴾ الَّذِينَ أَحْسَنُوا لِلَّهِ تَعَالَى الْعِبَادَةَ.
- ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تِلْكَ أَيْتِي ﴿٥٩﴾ تَكْذِيبًا لِدَعْوَاهِ ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾﴾ تَكَبَّرْتَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَكُنْتَ جَاحِدًا مُعْرِضًا عَنْ عِظَاتِهَا وَعِبَرِهَا.
- ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ ﴿٦٠﴾ فَادْعُوا أَنْ لَهُ شَرِيكًا يُعْبَدُ، أَوْ قَالُوا عَلَيْهِ جَهْلًا وَكُذْبًا وَزُورًا ﴿وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ ﴿٦١﴾ جَزَاءَ أَعْمَالِهِمْ﴾ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى ﴿مَقَرًّا ﴿٦٢﴾ لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ عَنْ شَرِّعِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمْرِهِ وَحُكْمِهِ.
- ﴿وَنُحِىَ اللَّهُ ﴿٦٣﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ بِفِعْلِ أَوَامِرِهِ تَعَالَى، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ بِفَلَاحِهِمْ ﴿لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ﴾ الْعَذَابُ ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ لَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَا مِمَّا هُمْ قَادِمُونَ إِلَيْهِ.
- ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴿٦٥﴾ فِي هَذَا الْكَوْنِ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾﴾ حَفِظَ.
- ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مَفَاتِيحُ عِلْمِهَا وَتَدْبِيرِهَا ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ وَأَيُّ خَسَارَةٍ أَكْبَرَ مِنْ دُخُولِ النَّارِ.



• ﴿قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ (٦٤) ﴿إِذْ كَيْفَ تَأْمُرُونِي بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى؟!﴾ ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ﴾ ﴿يَا رَسُولَ اللَّهِ﴾ ﴿وَالِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ ﴿بِاللَّهِ تَعَالَىٰ وَلَمْ تُوْحِدْهُ﴾ ﴿لَيَحْطَبَنَّ عَمَلُكَ﴾ ﴿لِيَبْطُلَنَّ﴾ ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦٥) ﴿لَدِينِكَ وَآخِرَتِكَ﴾.

• ﴿بَلِ اللَّهِ﴾ ﴿وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ ﴿فَاعْبُدْ﴾ ﴿أَخْلِصْ لَهُ عِبَادَتَكَ﴾ ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٦٦) ﴿عَلَىٰ أَنْ وَفَّقَكَ، وَمَنْ عَلَيْكَ بِهَدَايَتِهِ﴾.

• ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ﴿مَا عَظَّمُوا اللَّهَ حَقَّ عَظِيمِهِ﴾ ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ﴿فِي قَبْضَتِهِ، وَتَحْتَ مَلِكِهِ وَتَصَرُّفِهِ﴾ ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ ﴿مَعَ عَظْمِهَا مَطْوِيَّةٌ بِيَمِينِهِ﴾ ﴿سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٧) ﴿تَنْزَهُ وَتَعَاظِمُ عَمَّا يَقُولُهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ﴾.



١ - أدرك نفسك قبل حلول زمان الأسف والندم ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٥٧) ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٨).

٢ - كثيرون أجَّلوا زمن التوبة وأخروا موعدها؛ فلقوا الله تعالى قبل الوفاء ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٥٧) ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٨).

٣ - نصحه أحدهم فقال: (بعد التخرج سأَتُوبُ، وإذا تزوجت، وحين أعود من السفر)؛ فلقى الله تعالى مصراً على الموبقات ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٥٧) ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٨).

٤ - يا الله! تراهم في العَرَصات، وترى ذلك السواد الذي يغطي وجوه المجرمين ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾.

٥ - استهانوا بجناب الله تعالى، وكذبوا عليه، واستحلوا من شريعته بغير وجه؛ فكانت نهايات السوء ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾.

٦ - أفتوا بغير علم، وجعلوا أنفسهم وسطاء بين الله تعالى وخلقه عن جهل وسوء نية ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾.

٧ - اعتدوا على مسلمّات، وشككوا فيها، وخططوا على العوام حتى أضاعوا دينهم ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾.

٨ - يا لشان التقوى! تحمي أصحابها في يوم الفجائع، وتدلف بهم على مباهج التوفيق ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦١﴾.

٩ - من استقبل أوامر الله تعالى بالعمل، وتورّع عن محارمه، وأجلّ شعائره استحق هذه الكرامات في النهاية ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦١﴾.

١٠ - من كان كذلك يستحق كل شيء ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾.



١١ - كل العالم الذي تراه إلى قيام الساعة من خلق الله تعالى وإبداعه وجمال صنعه وإحكامه فتأمل! ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايِدَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَسِرُونَ ﴿٦٣﴾.

١٢ - ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٦٢) يخلق الفرج والفرج والتوفيق وكل شيء.

١٣ - ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٦٢) يخلق الأمل والفأل والسعادة ومباهج الروح.

١٤ - ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٦٢) يخلق أسباب التوفيق، وأسباب الفرج، وأسباب الهداية، وكل سبب موصل للحياة.

١٥ - ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أظن أن من له ذلك لا يمدك بما تشتهي وتتمناه وترجوه؟!

١٦ - ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيعطيك ما تشاء، ويهبك ما تريد، ويمنحك كل شيء.

١٧ - ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يرزقك من لا شيء، ويعطيك دون مقابل، ويجري عليك الخيرات دون موعد.

١٨ - تعلق بالله تعالى، وألقِ بقلبك ومشاعرك بين يديه، وثق بأنه سيفتح لك آفاقاً لم تكن لك على بال ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

١٩ - رسولك ﷺ يحذر من الشرك، ويتوعد بحبوط عمله إن وقع فيه؛ فلا تغتر بإيمانك ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦٥).



٢٠ - لا تبعد كثيراً! فتظن أن الشرك صنم الحجر في تلك الجاهلية؛ فقد يكون شرك كثيرين صنم الأشخاص ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦٥).

٢١ - حتى صور الرياء التي نمارسها هي من صور الشرك التي جرى عليها الوعيد ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦٥).

٢٢ - ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٦٦) هذه هي الغاية التي جئت من أجلها لعالم الأرض.

٢٣ - ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٦٦) الحقيقة التي لم يلقها جزء كبير من العالم حتى الآن.

٢٤ - ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٦٦) شعورك بالمنة ضرورة حتى تقوم بواجب الشكر.

٢٥ - ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٦٦) ليست عبادة فحسب، وإنما شعور بالفرح والإجلال والشكر.

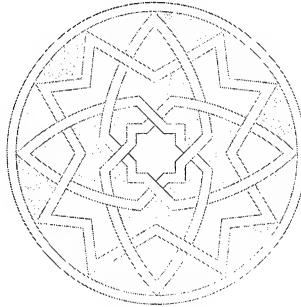
٢٦ - خذ جولةً بفكرك، ببصرك، بمشاعرك، بقلبك، بكل شيء في هذا الخلق العريض أمامك، وتخيل أنه كله في قبضة الرحمن ﷻ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٧).

٢٧ - لو قدروه حق قدره لما وجدوا وقتاً يلتذون به عن حقه ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٧).



٢٨ - لو قدروه تعالى ما تخلفوا عن أمره، ولا وقعوا في مخالفته، ولا استهانوا بشعائره ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۖ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٧).

٢٩ - إذا جرى في قلبك وفكرك قدر ربك؛ فتأمل هذا المعنى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۖ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٧).





وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا
 مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ بِنُظُرٍ ﴿٦٨﴾
 وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ
 وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ
 نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا
 وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ
 رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ
 كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ
 خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَوَٰىمَ لَ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ
 الَّذِينَ آمَنُوا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ
 أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا
 خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا
 الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾
 وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِيَةً مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
 وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾



التفسير

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ الصور قرن عظيم ينفخ فيه إسرافيل ﴿فَصَعَقَ﴾ غَشِيَ أو مات ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ كلهم ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ من أذن الله تعالى بعدم صعقهم ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾ نفخة البعث ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ﴾ من قبورهم ﴿يَنْظُرُونَ﴾ (٦٨) ماذا يفعل بهم.

﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ أضاءت يوم القيامة إذا تجلى الله تعالى لفصل القضاء بين عباده ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ كتاب الأعمال ﴿وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ﴾ لِيُسْأَلُوا عن التبليغ، وعن أمهم ﴿وَالشُّهَدَاءَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٦٩) في شيء من أعمالهم.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ من خير أو شر ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (٧٠) لا يغيب عنه من ذلك شيء.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ ساقتهم الملائكة إلى النار ﴿زُمَرًا﴾ فرقة فرقة ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا﴾ وصلوا إليها ﴿فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ لِقُدُومِهِمْ ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ من زبانية النار ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ﴾ نعم جاؤوا ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٧١) وجبت عليهم بسبب كفرهم بالله تعالى.

﴿قِيلَ﴾ للكافرين على وجه الذل والصغار: ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئَسَ مَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٧٢) ما أسوأ مقرهم ومقامهم!

- ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ من أهل الإيمان ﴿إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ فرقة فرقة ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا﴾ وصلوا إليها ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ الملائكة: ﴿سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ طابت أعمالكم وأقوالكم ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ ﴿٧٣﴾ ماكين فيها، لا تحولون عنها.
- ﴿وَقَالُوا﴾ أهل الإيمان: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾ أرض الجنة ﴿نَتَّبِعُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ ننزل منها أي مكان نريد ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ ﴿٧٤﴾ نعم ثواب المطيعين لله تعالى.
- ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ مجتمعين حول عرش الرحمن ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ عما لا يليق به ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ بالعدل ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٧٥﴾ حمداً لله تعالى على خلقه وقدره وقضائه ومملكه وتدبيره وكل شيء.

التدبير

- ١ - بعض صور مشاهد الختام في ذلك اليوم ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ صعقوا فلم يَبْقَ منهم أحد.
- ٢ - استعد لتلك اللحظات التي تأخذ بقلوب وأبصار العباد في ذلك اليوم ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿٦٨﴾.
- ٣ - هذه مشاهد لا يمكن أن توفيهما الكلمة حقها، غير أن العمل سيفتح فيها آمالاً عراضاً ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّتَ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾.



٤ - سَجَلَاتِكَ وَتَارِيخِكَ وَعَمَلِكَ وَرَحْلَتِكَ فِي الْحَيَاةِ، لَا يَفُوتُ مِنْهَا شَيْءٌ
﴿وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

٥ - مشهد من مشاهد الخزي والعار على المفرطين ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ
جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ
يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ
كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى
الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

٦ - مشهد من مشاهد التوفيق، وحسن الختام ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ
الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
طِبِّتُمْ فَأَدْخَلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا
الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

٧ - تصوّر أنك في زحام هذا المشهد، وبين هذه الصفوف المتراسة في طريقها
إلى أمانها ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ
أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبِّتُمْ فَأَدْخَلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ
أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

٨ - سلامٌ عليكم في مقابل آلامكم، وجروحكم، وظروفكم البائسة، وجهادكم
الكبير في تلك الأيام ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا
جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبِّتُمْ فَأَدْخَلُوهَا
خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ
الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

٩ - الحمد لله على توفيق الله تعالى أولاً وآخراً ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ، وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾ (٧٤).

١٠ - الحمد لله على فضل الله تعالى، وكرمه، وسابغ نعمه، وفضله ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ، وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾ (٧٤).

١١ - الحمد لله تعالى على أيام التعب والجهد، والتضحيات في سبيل دينه ومنهجه ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ، وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾ (٧٤).

١٢ - لكل بداية نهاية، ولكل حلم أمد وتاريخ وصول، وهذه لحظات الأشواق ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ، وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾ (٧٤).

١٣ - إنها رحلة فوق تصوورك وأملك، وفوق مساحة تفكيرك وخيالك، كلها، لا تحتاج فيها تذكراً، ولا تحتاج فيها إلى متاع سفر ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ، وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾ (٧٤).

١٤ - وداعاً أيها العالم المليء بالمكدرات؛ فهذا أوان الأحلام والآمال ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ، وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾ (٧٤).

سُورَةُ غَافِرٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ
 الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝٣ مَا يُجَدِّدُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
 فَلَا يَغْزِرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ۝٤ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
 نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ
 لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ
 فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى
 الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۝٦ الَّذِينَ يَمْجُلُونَ الْعَرْشَ
 وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ
 لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا
 فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝٧

التفسير

- ﴿حَمَّ ١﴾ من الحروف المقطعة التي تدل على إعجاز القرآن.
- ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن الكريم ﴿مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ في انتقامه من أعدائه ﴿الْعَلِيمِ ٢﴾ بكل شيء.
- ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ سائر ذنوب المذنبين ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ يتوب على من يشاء ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ لكل من خالف أمره ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ ذي النعم العظيمة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فلا معبود بحق سواه ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ٣﴾ المرجع والمآب.
- ﴿مَا يَجْدِلُ﴾ ما يخاصم وينازع ﴿فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ في حججه وبراهينه ﴿إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ٤﴾ أسفارهم وذهابهم ومجيئهم.
- ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ قوم أول رسول بعثه الله تعالى ﴿وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ وهم كل من تحزب على الباطل ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ ليقتلوه ﴿وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ﴾ خاصموا ودافعوا به ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ ليردوا الحق ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ بسبب ذلك ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ٥﴾ ما أشد ما حل بهم.
- ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ٦﴾ وجب على الكافرين وحق عليهم أنهم أهل النار ﴿الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ﴾ عرش الله تعالى ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ من الملائكة المقربين ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ينزهون الله تعالى عما لا يليق به ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يقرّون بأنه لا إله سواه ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ تفضلاً منهم على أهل الإيمان ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً﴾ فلا أرحم منك ﴿وَعِلْمًا﴾ ولا أعلم منك ﴿فَاغْفِرْ

لِلَّذِينَ تَابُوا ﴿٧﴾ مِنَ الْمَعَاصِي ﴿٧﴾ وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ﴿٧﴾ الَّذِي شَرَعْتَ لَهُمْ ﴿٧﴾ وَفِيهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧﴾ اصرفهم عن النار.



١ - هل رأيت مثل ربك؟! يغفر ذنبك، ويقبل توبتك، ويغسلك من أدران خطيئتك ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴿٣﴾.

٢ - لا تيأسنَّ من دعائك ربك ليغفر لك الخطايا فهو تَوَّابٌ رحيم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴿٣﴾.

٣ - مهما بلغ عقوبتك؛ فسيصفح الله تعالى عنك إن تبت وأنت ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴿٣﴾.

٤ - لا تغترَّ! فمن تطاول على الله تعالى عاقبه ﴿١﴾ شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴿١﴾.

٥ - إذا أخذ ظالماً لم يفلته ﴿١﴾ شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴿١﴾.

٦ - إذا أقبلت على الله تائباً مستغفراً غفر ذنبك، وصفح عنك، وتجاوز عن خطيئتك، وإذا لويت عنقك أوقع بك بأسه وعقابه ﴿١﴾ شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴿١﴾.

٧ - ﴿١﴾ ذِي الطَّوْلِ ﴿١﴾ يفوق إحسانه وكرمه وتفضله خطيئتك وجرمك وإسرافك وتعديك، ولا يعاملك بالمثل.

٨ - ﴿١﴾ ذِي الطَّوْلِ ﴿١﴾ لا تضره معصيتك، ولا يُعيقه جرمك، ولا يتأخر عنك لإسرافك وإعراضك.

٩ - احذر من كل جدال في غير بابه فهو طريق الضالين ﴿ مَا يُجَدِّدُ فِي ءَايَتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ﴾.

١٠ - إذا رأيته ينازع في مسائل معتقد منصوص عليها، أو في محكمات في شريعة الله تعالى؛ فاعلم أنه يسلك طريق الضالين ﴿ مَا يُجَدِّدُ فِي ءَايَتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ﴾.

١١ - ﴿ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ﴾ حتى لو طال زمان ذلك التعقُّب، وكثرت مفاسده، وبلغ مداه.

١٢ - ﴿ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ﴾ فهو آيلٌ للسقوط، وإن طال زمن الاستبداد.

١٣ - ﴿ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ﴾ ولو بلغت قوتهم الحربية ذروتها، وملكوا العالم بأسره، واقتادوا الضعفاء دون رقيب أو حسيب.

١٤ - الفساد منذ فجر التاريخ لم يتخلف لحظة؛ فلا تتفاءل بربيع لا شوك فيه ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾.

١٥ - لم تخلُ الأرض من معركة، ولم يتحرك الإسلام في أرض خالية من العدو، بل كانت الطريق وعرة، والأحداث مضطربة ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾.

١٦ - كل الرسل والأنبياء لقوا مشاقاً في الطريق، واصطدموا بوعثائه؛ وكل صاحب مشروع سيلقى تلك المشاق في قابل حياته؛ فليأخذ كامل استعداداته ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾.



١٧ - لا تبدأ متواكلاً في طريق مجدك؛ فالطريق أصعب من أن يأتيها واهنُ الروح، غير مكتمل الاستعداد ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾.

١٨ - حتى الرسل تعرّضوا للقتل والتعذيب، وسالت منهم الدماء ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾.

١٩ - من كمال رحمة الله تعالى أنه حتى حملة العرش يستغفرون لأهل الإيمان، ويدعون للتائبين ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ ۝٧﴾.

٢٠ - بمجرد إيمانك تنضمُّ لركب المُستغفر لهم ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ ۝٧﴾.

٢١ - من فقه الداعية أن يشني على الله تعالى بما هو أهله، ثم يتبع ذلك بدعائه الذي يريد ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ ۝٧﴾.

٢٢ - ومن لطيف الفقه أن يكون ثناؤك من جنس ما تدعو إليه، تأمل قولهم: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ ثم قالوا: ﴿فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ۝٧﴾.

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ
مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ
يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ
أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾
قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتُنَبِّئُنَا أَنَّتَيْنِ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا
فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ
اللَّهُ وَحْدَهُ، كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ، تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ
الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ
لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾
فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾
رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَدْرُونَ لَا يَخْفَى
عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾



التفسير

- ﴿رَبَّنَا وَادْخُلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ جنات الخلد ﴿الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ في كتابك ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ﴾ يدعون للمؤمنين بالجنة، ولكل من تبعهم على الإيمان من الآباء والأزواج والذريات ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ القاهر لكل شيء ﴿الْحَكِيمُ﴾ ٨ ﴿في تدبير شأنك كله.
- ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ اصرف عنهم سوء عاقبة سيئاتهم ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾ وَمَنْ تَصْرِفْ عَنْهُ آثَارَ السَّيِّئَاتِ؛ فَقَدْ حَلَّتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ٩ ﴿فلا فوز مثله في الدارين.
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ﴾ عذابه وعقابه ﴿أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أَشَدُّ مِنْهُ وَأَكْبَرُ ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ ١٠ ﴿إِذْ دَعَوْنَاكُمْ لِلْإِيمَانِ فَلَمْ تُؤْمِنُوا.
- ﴿قَالُوا﴾ الكفار معترفين بعد فوات زمن الإقرار والاعتراف: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَيْنِ﴾ حيث كنا عدماً؛ فأوجدتنا، ثم آمنا بعد ذلك الإيجاد ﴿وَأُحْيَيْنَا أَثْنَتَيْنِ﴾ بإيجادنا من العدم، وبإحيائنا للبعث ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ أقرنا بكل أخطائنا ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ ١١ ﴿هل من عودة إلى الدنيا لإصلاح العمل؟
- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ وأمرتم بتوحيده ﴿كَفَرْتُمْ﴾ جحدتم ذلك، ولم تمتثلوه ﴿وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ وَإِنْ يُجْعَلْ لَهُ شَرِيكٌ صَدَقْتُمْ ذلك ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ﴾ لا يشاركه في ذلك أحدٌ من خلقه ﴿الْعَلِيِّ﴾ بذاته، وقدره، وقهره ﴿الْكَبِيرِ﴾ ١٢ ﴿في فعله، وحكمه.

- ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ﴾ حججه وأدلته على عظم خلقه في الكون ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ غيثاً تُرزقون به ﴿وَمَا يَذْكُرُ﴾ هذه النعم ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ (١٣) ﴿من يرجع ويقبل على الله تعالى محبةً وخشيةً وطاعة.﴾
- ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ اعبدوه ولا تشركوا معه غيره ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (١٤) ﴿حتى لو كره الكافرون عبادتكم وتوحيدكم فلا يضركم.﴾
- ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ الصفات والمعاني ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ صاحب العرش الذي استوى عليه استواءً يليق بجلاله ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ينزل الوحي من أمره على رسله ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ (١٥) ﴿يحذّرهم يوم القيامة.﴾
- ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ﴾ يظهرون على الأرض ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ من أعمالهم ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ﴾ الذي لا ثاني له ولا شبيهه ﴿الْفَهَارِ﴾ (١٦) ﴿لكل شيء، فلا يعجزه أحد ﷻ.﴾

التدبير

١ - ما أكثر عوائد الإيمان على أصحابه! تصلي في محرابك، وتقيم دين الله تعالى في أرضه، ويتولى أقرب الناس إلى ربك الدعاء لك والحدب عليك ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٨) ﴿وقهّم السّيئاتَ وَمَنْ تَقِ السّيئاتَ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٩).

٢ - محروم ذلك الذي تخلف عن ركب أهل الحق والإيمان، وفاته دعاء الملائكة الكرام كل حين ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ



ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجَهُمْ وَذُرِّيَّتَهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَفَهُمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾.

٣ - هل تصوّرت اللحظة التي تجمعك مع أهلِكَ وذوئِكَ في الجنان؟! حرصك على صلاحهم وهدايتهم سيأتي بهم إلى موارد النعيم ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾.

٤ - لا تسترخِص جهداً مبذولاً على والديك، وزوجك، وولديك؛ فالموعد الجنة ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾.

٥ - لم يترك صالحاً إلا أدخله بيته، ولا فاسداً إلا نفاه، ويلجُ على الله تعالى في الدعاء بهدايتهم، ولم يجد فرصة خيرٍ إلا دلّهم عليه؛ هذه خطوات الإصلاح في طريق ذلك الأمل الكبير ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾.

٦ - من أعظم رحمة الله تعالى بك أن يقيك السيئات ﴿وَفَهُمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾.

٧ - من أوسع طرق الخذلان أن يهَيِّئَ الله تعالى لك طريق المعصية، ويسهّل لك طريق الذنوب ﴿وَفَهُمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾.

٨ - توقّ الذنب قدر وسعك؛ فالنجاة منه رحمة ﴿وَفَهُمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾.



٩ - إِذَا أُغْلِقَ أَمَامَكَ طَرِيقُ سَوْءٍ، وَشَدَّتْ عَنْكَ نَوَافِذُ عَصِيَانٍ؛ فَاحْمَدِ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى تَوْفِيقِهِ وَهَدَايَتِهِ ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ①.

١٠ - مَا يَبْقَى اللَّهُ تَعَالَى إِنْسَانًا مِنَ السَّيِّئَاتِ إِلَّا وَقَدْ أَحَبَّهُ وَرَحِمَهُ ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ①.

١١ - يَفْرَحُونَ وَيُسْرُونَ أَنَّهُمْ خُلِّيَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَعْصِيَةِ، وَتَهَيَّأَتْ لَهُمْ أَسْبَابُهَا، وَنَسُوا أَنَّ ذَلِكَ غَايَةُ الْحَرَمَانِ وَالْخِذْلَانِ ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ①.

١٢ - فَوْزُكَ وَلِحْظَةُ فَرْحِكَ الْكَبِيرِ هِيَ وَقَايَتُكَ مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَنَجَاتُكَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ①.

١٣ - ضِيَاعُ الْفُرْصِ مَفْضٍ لِهَذِهِ النِّهَايَاتِ السَّيِّئَةِ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ ①. يَمَقْتُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَيَنْدَبُونَ حَظَّهُمْ، وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَيَكْفُرُونَ.

١٤ - كَمْ مَرَّةً دُعُوا إِلَى الْفَلَاحِ وَرَفُضُوا؛ فَمَا يَصْنَعُ الْبُكَاءُ بَعْدَ الْفَوَاتِ؟! ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ ①. ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ، كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ، تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ②.

١٥ - كَثِيرُونَ سَتَجَرِي عَلَيْهِمْ ذَاتُ الْحَسَرَاتِ وَالْأَمْنِيَّاتِ نَفْسَهَا ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ ①. ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ، كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ، تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ②.



١٦ - ما زالت الفرص سائحة، وفي الوقت مُتَسَعٍّ للتعويض ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنِي وَأَحْيَيْتَنَا أَتَيْنِي فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ ١١ ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ ١٢ ﴿.

١٧ - لم يحتفوا بالدعوة التي قُدمت لهم يوماً ما، ورأوها عارضاً في طريق شهواتهم ورغباتهم ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ ١٢ ﴿.

١٨ - احتفل بكل كلمة ورسالة وموعظة من دينك؛ فقد تكون هي النجاة ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ ١٢ ﴿ لو احتفى هؤلاء بكلمة الحق لما صاروا إلى هذه الحال.

١٩ - لا تدبر عن موعظة، وتعرض عنها، وتزور بعقلك عن آثارها؛ فتلك أخلاق الضالين والظالمين ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ ١٢ ﴿.

٢٠ - لتكن من أولئك النفوس الذين يحتفون بآيات الله تعالى، ويجلونها، ويصنعون منها واقعاً مشرقاً في واقعهم ومساحتهم ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقاً وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ ١٣ ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ١٤ ﴿.

٢١ - آيات الله تعالى الماثلة في الكون كافية لبعث حقائق الإيمان في قلوب الصادقين ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقاً وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ ١٣ ﴿.

٢٢ - راتبك الذي تنتظره، وأنشطتك التي تدُرُّ عليك مالا؛ كلها من آثار فضل الله تعالى عليك، وهي التي تنزل من السماء ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقاً﴾ ١٣ ﴿.

٢٣ - جزء من ضياع الرؤية أننا نعتقد أن الوظيفة منفصلة عن رزق السماء، وليس لها به علاقة ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾.

٢٤ - إقبالك على الله تعالى، وتوجهك إليه مُقلَقٌ ومُجهَدٌ للكافرين ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (١٤).

٢٥ - حتى حين تقول: يا الله! تغتال أفكارهم، وتتهم تصوراتهم، وتقضي على مفاهيمهم وأفكارهم ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (١٤).

٢٦ - يزعجهم ويؤلمهم أن تصلح واقعك، وتكون عبداً حراً لرَبِّك، وتهبه قلبك ومشاعرك ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (١٤).

٢٧ - هذا هو ربك يملك كل شيء ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ النَّالِقِ﴾ (١٥) يَوْمَ هُمْ بَرْزُونَ لَا يَخْنَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾.

٢٨ - في علاقتك مع ربك، تحتاج أن تترقى لأعلى المقامات ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ النَّالِقِ﴾ (١٥).

٢٩ - لا تبلغ خزائن ربك حتى ترتفع عن وحل الأرض ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ النَّالِقِ﴾ (١٥).

٣٠ - ارفع همتك، وشمر عن عزيמתك؛ فبلوغ أمانيك يحتاج إلى جهاد ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ النَّالِقِ﴾ (١٥).

٣١ - الهداية اصطفاء ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.



٣٢ - يمكنك أن تكون ممن يشاء الله إكرامه ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ بذل السبب الكافي مؤذن بتلك النهايات.

٣٣ - إذا أقبلت على ربك صادقاً موقناً منَّ عليك بما يشاء ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.

٣٤ - لا تقدموا على الله تعالى يوم القيامة وأنتم غافلون عن ما يراد بكم ﴿لِنُنْذِرَ يَوْمَ النَّالِقِ﴾.

٣٥ - من استطاع أن يتقي سؤالات الخسارة في هذا اليوم فليفعل ﴿لِنُنْذِرَ يَوْمَ النَّالِقِ﴾ (١٥) يَوْمَ هُمْ بَرْزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧).

٣٦ - محال أن يكون مدركاً لهذا اليوم ثم يتخلف عن أوامر الله تعالى، أو يقع في نواهي الله تعالى، أو لا يجلُّ شعائره ﴿لِنُنْذِرَ يَوْمَ النَّالِقِ﴾ (١٥) يَوْمَ هُمْ بَرْزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧) إِلَّا عَلَى سَبِيلِ بَشْرِيَّتِهِ.

٣٧ - المستشعر لعظمة هذا اليوم لا يمكن أن ينكر حقاً لعامل، أو يؤخّر واجباً له، أو لا يقيم حدود الله تعالى وشعائره مع المخلوقين ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (١٦).

٣٨ - ضع قلبك ومشاعرك في ظلال هذا المعنى الكبير ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (١٦).

٣٩ - تخيل ماذا ستقول؟! وبم ستعتذر أمام العالمين؟! ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (١٦).

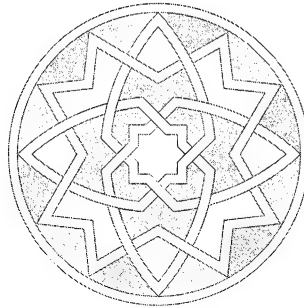
٤٠ - ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ حتى الأسرار التي حبسوها في خواطرهم، والأحداث التي ساقوا مشاهدتها في الظلام.

٤١ - ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ ما سرقوه في الظلام، أو أكلوه من المال العام، أو استهموا عليه قرعة وهمية في ذلك اليوم.

٤٢ - ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ كل الذي جرى منهم في الإقامة والسفر، في الظلام والضحي، عند الفقر وعند الغنى، في الخلوات والجلوات، لا فرق.

٤٣ - ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ لا أحد من ملوك الدنيا يملك ولو شقّ تمرّة!

٤٤ - ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ حتى الملوك مطرقون كبقية البشر.





الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ
 اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ
 لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ
 يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾
 وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ
 شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي
 الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ
 كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
 بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ
 قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا
 وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ
 فَقَالُوا سَحَرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ
 عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا
 نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾

التفسير

• ﴿الْيَوْمَ﴾ يوم القيامة ﴿تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ توفى بما عملت ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ على أحد بزيادة في سيئاته، أو نقصان من حسناته ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٧) سواء في الدنيا أو في القيامة؛ فلا تستبطئوا حسابه وعقابه.

• ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَفَةِ﴾ حذرهم يوم القيامة ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ قد ارتفعت قلوبهم إلى الحناجر علامة على خوفهم وذللهم من مواقف القيامة ﴿كَظِيمٍ﴾ ساكتين على ما في قلوبهم من الروع والهلع والخوف ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ قريب ولا صاحب ﴿وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ﴾ (١٨) يشفع لهم عند ربهم فيطاع في ذلك.

• ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ مسارقة النظر إلى ما لا يحل ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (١٩) ويعلم ما تكنه وتسستره ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ بالعدل ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ كل من عبد من دون الله ﴿لَا يَقْضُونَ شَيْئًا﴾ لعجزهم وضعفهم ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لجميع الأصوات ﴿الْبَصِيرُ﴾ (٢٠) لأفعال العباد كلهم.

• ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بقلوبهم وأبدانهم سَيْرَ نَظَرٍ واعتبار ﴿فَيَنْظُرُوا﴾ كَيْفَ كَانَ عِقَبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿مَنْ الْمَكْذِبِينَ﴾ ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ في الأجسام والأبدان ﴿وَأَنَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ من البناء ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ فلم تغن عنهم قوتهم شيئاً ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاكِ﴾ (٢١) يقيهم ويدفع عنهم عذاب الله تعالى.

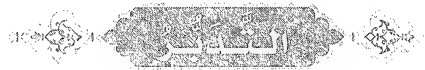


• ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا﴾ جحدوا رسالتهم ولم ينتفعوا منهم ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ جزاء ما فعلوا ﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٢٢) إذا أخذ الظالم لم يفله.

• ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ بأدلتنا وحججنا وبراهيننا الواضحة ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (٢٣) حجة واضحة بينة؛ كالعصا والحيّة.

• ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾ وزير فرعون ﴿وَقَرُونُ﴾ رجل من قوم موسى بطر وتكبر بماله ﴿فَقَالُوا سَحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (٢٤) إنما جاء به سحر لا حقيقة له، وكذب لا واقع له.

• ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ وهو الدعوة إلى دين الله تعالى ﴿قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ اقتلوا أبناءهم حتى لا يقووا على مواجهتكم ﴿وَأَسْحَبُوا نِسَاءَهُمْ﴾ استبقوهن ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (٢٥) في خيبة وخسارة وبطلان، لا قوة له في مواجهة الحق.



١ - يمكنك اليوم أن ترى تاريخك كله ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٧).

٢ - ستعرض عليك أحداث تفوقك وإصرارك واستعلائك على الشهوات، كما سيعرض عليك في الوقت ذاته سقوطك وعثراتك وأخطاء الأيام ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٧).

٣ - لا تستطيع أن تستوفي أحداث أسبوع من تاريخك، بينما في يوم القيامة سيجري عرض تاريخ عمرك كله دون نقص ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٧) ﴿١٧﴾.

٤ - هذا يوم العدالة، وإعطاء الحقوق، وجزاء الظلم والظالمين ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٧) ﴿١٧﴾.

٥ - لطم عاملاً مغترباً، وأخذ من ماله وعرق جبينه بحكم كفالة جائرة، وألقى في جيبه ذات مرة برشوة، واحتال على سرقة مال المسلمين، وربما أخذ عذراً خطياً من مستوصف أو دائرة كذباً وغشاً فلقبها في الميزان لم يتخلف منها شيء ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٧) ﴿١٧﴾.

٦ - أخذ ندباً غير نظامي، وغير في تاريخ مباشرة خطابه، وطال عليها الزمان، وبعثها يوم الحساب، كأنه يرى لحظة تدبيره للخطايا وعثرات الطريق ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٧) ﴿١٧﴾.

٧ - استطال في عرض إخوانه، ونافق على بعضهم، واتهمهم كذباً وزوراً، وسلط لسانه في عورات المسلمين، ووجدها بتواريخها لم يتخلف منها شيء ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٧) ﴿١٧﴾.

٨ - هذا يوم «يقاد فيه للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»^(١)! أفطن ألا يقتصر لفقير ومسكين وعامل وزوجة ویتیم وضعیف ممّن أكل أموالهم، واستطال في أعراضهم، وبخسهم حقوقهم! ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٧) ﴿١٧﴾.



٩ - ذهبت المسؤوليات فلا ملك، ولا وزير، ولا أمير، ولا كبير، كل الناس سواسية أمام الحي القيوم ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿١٧﴾.

١٠ - أيها المساكين! انتظروا ثمة يومٌ يجري فيه فتح الحسابات والقيم والموازن ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿١٧﴾.

١١ - هل تصورت يوم القيامة! ألقِ ببصرك ومشاعرك في هذا المعنى ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ﴾ ﴿١٨﴾.

١٢ - يا ويح الظلمة في ذلك اليوم! ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ﴾ ﴿١٨﴾.

١٣ - الخيانة التي سرت من عينك في غفلة الرقيب جاءت حاضرة مكتوباً عليها: الاستهانة بحرمات الله تعالى ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ ﴿١٩﴾.

١٤ - كم مرة أرسلت نظرك في غياهب الحرام؛ وتلصصت على العورات! هذا يوم الحساب ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ ﴿١٩﴾.

١٥ - حتى الذي يدور في صدرك يعلمه الله تعالى ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ ﴿١٩﴾.

١٦ - ربك لا يحتاج إلى أدلة على صدقك، فهو يعلم ما يجري في صدرك ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ ﴿١٩﴾.

١٧ - هل تخيلت ما بينك وبين نفسك؟! ربك يرى عبثك وغيبك وطيشك، لا يغيب عنه منه شيء ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ ﴿١٩﴾.

١٨ - وجاءت الحقائق بعد طول أمد ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿٢٠﴾.

١٩ - أيقن أنك لن تُظلم عند ربك تعالى مثقال حبة من خردل ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿٢٠﴾.

٢٠ - خذ جولةً في أرضك ستري من الراحلين ما يكفي للعبرة ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾.

٢١ - حتى المقابر التي بجانب بيتك فيها مشاهد للذكرى! ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾.

٢٢ - التاريخ أحد الشهود على أفعال الله ﷻ في الضالين ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾.

٢٣ - الذين ذهبوا من المعاندين هم أكثر عبدة من المعاندين الحاضر قوة وأثراً؛ فلا تستطل سطوة الله تعالى بهم ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾.



٢٤ - حتى لو استنفدت أدلتك كلها؛ ثمة قلوب لا يمكن أن تفيق ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمَمَنَ وَقَتْرُونَ فَقَالُوا سَحَرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾.

٢٥ - لم يأتوا بجديد! إنها تلك الكلمات الرائجة التي يتفوه بها أعداء الله تعالى منذ فجر التاريخ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمَمَنَ وَقَتْرُونَ فَقَالُوا سَحَرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾ ساحر كذاب، وصايب، وإرهابي لا فرق.

٢٦ - مشكلة كثيرين ليست في نقص الأدلة؛ وإنما في إعراض القلوب عن الحق واستكبارها عليه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمَمَنَ وَقَتْرُونَ فَقَالُوا سَحَرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾.

٢٧ - الإغارة على صاحب الحق أول بوادر الهزيمة في المعركة ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ، وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾﴾.

٢٨ - ما علاقة أبناء الذين آمنوا معه ونسائهم! تلك هي جرائم الظلم ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ، وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾﴾.

٢٩ - مشكلة الذين يملكون القوة أنهم لا يعرفون سواها ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ، وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾﴾.

٣٠ - لا تقلق! سيذهب وعيدهم مع الرياح ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾﴾.

٣١ - يا أصحاب العقائد! لا تقيموا لوعيد الضالين شأنًا ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾﴾.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ
 يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
 وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا
 يُؤْمِنُ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ
 فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ
 اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا
 فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي
 يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَقُومُ
 لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ
 بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا
 أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقُومُ إِنِّي
 أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ
 وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾
 وَيَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾



التفسير

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَتْرَكُونِي﴾ اتركوني ﴿أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ للنجاة مني ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ ﴿٢٦﴾ بدينه الذي يدعو إليه.

﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ استجرت به ﴿مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ ﴿٢٧﴾ حمله تكبره على الكفر بالله.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَنَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ يعني بذلك موسى ﷺ ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بالحجج الواضحة البينة ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ لا يضرركم من ذلك شيء ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ من الخير ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ ﴿٢٨﴾ لا يوفقه الله تعالى للحق.

﴿يَقَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَهَرْنَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ظاهرين على بني إسرائيل كلهم ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ من يدفع عنا عذاب الله تعالى ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ ما أريكم من الرأي والنصيحة إلا ما أراه لنفسه ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ ﴿٢٩﴾ ما أدعوكم إلا إلى طريق الحق.

﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ ﴿٣٠﴾ وهم كل أمة تحزبت على نبيها بالباطل، وعارضت الحق.

• ﴿مِثْلَ دَابٍ﴾ حال ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ مِمَّنْ كَانَ عَلَى مِنْهَجِهِمْ فِي الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ ﴿٣١﴾ فلا يريد أن يعذب هؤلاء دون ذنب.

• ﴿وَيَقَوْمٍ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّارِ﴾ ﴿٣٢﴾ يوم القيامة.

• ﴿يَوْمَ تَأْكُلُونَ مِمَّنْ دُونِكُمْ﴾ هَارِبِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ ناصر ينصركم، ويدفع عنكم عذاب الله تعالى.

• ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ فيخذله عن طريق الحق ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ﴿٣٣﴾ ليس له من يهديه إلى الحق.

التدبير

١ - مَنْ فِي يَدِهِ السِّيفُ لَا يَحْسُنُ بِهِ إِلَّا الْقَتْلَ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٣٦﴾.

٢ - مشكلة القوة أنها لا ترضى بحوار الأفكار ونقاش المفاهيم ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٣٦﴾.

٣ - منذ فجر التاريخ؛ إما أن تكون معي، أو أنت ضدي ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٣٦﴾.

٤ - يصنع تأويلات تسوِّغ له قتل المصلحين! كذلك هم في كل زمان ومكان ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٣٦﴾.



٥ - كيف تقتلونهم وتسجنونه وتوقفونه؟! اصنعوا تأويلات كافية لتلك الأقنعة التي تكتمون بها أفواه السائلين ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (٢٦).

٦ - القوة تصنع الأفكار والمفاهيم والتصورات الجديدة ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (٢٦). أصبح الحق باطلاً والباطل حقاً!

٧ - حين يكون الدين إرهاباً ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (٢٦).

٨ - المؤمنون لا يلتفتون إلى شغب الضالين والمعرضين ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (٢٧).

٩ - هذا زمان العقائد يا كبار ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (٢٧).

١٠ - إذا لم تقف العقيدة على قدميها في وجوه الطواغيت؛ وإلا فلا قيمة لها بعد ذلك في شيء ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (٢٧).

١١ - علم من حولك أن درس العقيدة ليس كلمات تردّد؛ وإنما قوة تثور في زمن المعارك ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (٢٧).

١٢ - ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ﴾ (٢٨).

هذا وهو يكتُم إيمانه، كيف لو لم يكن يكتمه؟!

١٣ - طوفان الإيمان لا يمكن أن تحجبه قوى الدنيا كلها ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَنَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾.

١٤ - كم ممن يعلن إيمانه في عالم لا يشارك في نصر قضية، أو يجتهد في تصحيح اعوجاج! ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَنَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ وهذا الذي يكتُم إيمانه قام بواجبه وأخلى مسؤوليته!

١٥ - من يدق جرس البداية؟! ومن يطرق باب الفضيلة؟! ومن يحمل سراج الهدى؟! ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَنَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾.

١٦ - إذا لم تحركك قضايا الدين، وانتهاك القيم، والعدوان على العقائد فلا تصلح فرداً في صف أمة! ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَنَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾.

١٧ - لا تقتلوه حتى تقيموا شأن الحجج والبيّنات؛ فهي الفيصل في النزاع ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.



١٨ - لا أطفأ الله سراج مصلح في العالمين ﴿يَقُومِرْ لَكُمْ أَلْمَلِكُ أَلْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾.

١٩ - وا شوقاه لأمثال هذه الصور في مجتمعات المسلمين! ﴿يَقُومِرْ لَكُمْ أَلْمَلِكُ أَلْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾.

٢٠ - المبادرة أكثر الأخلاق إثارة في واقع صاحبها، وأندرها في صفات الرجال ﴿يَقُومِرْ لَكُمْ أَلْمَلِكُ أَلْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾.

٢١ - إن لم يكن نتاج الأمهات كهذا؛ وإلا فلا مفروح بمولود ﴿يَقُومِرْ لَكُمْ أَلْمَلِكُ أَلْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾.

٢٢ - ما حاجة الأمة اليوم إلى شيء كحاجتها إلى حامل سراج يبذل الظلام، وراية الإصلاح، وكلمة الحق ﴿يَقُومِرْ لَكُمْ أَلْمَلِكُ أَلْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾.

٢٣ - حين يقف الطغيان على قدميه مستكبراً ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾!

٢٤ - هل رأيتم صاحب قوة يشاور ويسمع من الآخرين ويحاورهم! ما زال التاريخ طافحاً بفراعنة كثر! ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾.

٢٥ - كم من هذه الصور في البيوت والإدارات والمسؤوليات والوزارات؟! ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾.

٢٦ - حتى في بعض المجموعات الصغيرة يجري هذا السلوك ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾.



٢٧ - كان مسكيناً عادياً بسيطاً، فَعَيَّنَ مسؤولاً، ووجد كرسيّاً فخماً، فاستدار إلى من حوله قائلاً: ﴿مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ هكذا تُصنع طواغيت المسؤولين!

٢٨ - يا الله! يبذل نفسه ناصحاً منذراً محذراً وكان يمكنه القعود ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقُومِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ (٣٠) مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَقُومِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّارِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُؤْلَوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾.

٢٩ - هم الذين سعوا في الفساد، وجهدوا في الوصول إليه، ورجعوا عن طريق الصالحين ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ﴾.

٣٠ - ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ﴾ أراد أن يرحمهم، ويغفر لهم، ويكرمهم؛ فأبوا إلا الضلال!

٣١ - كيف يريد لهم ظلماً وهو جعل حسنتهم بعشر أمثالها، وسيئتهم بمثلها ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ﴾.

٣٢ - يا الله! لو رأيت هذا المنظر في تلك العَرَصات! ﴿يَوْمَ تُؤْلَوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (٣٣).

٣٣ - يهربون ولكن إلى أين؟! ﴿يَوْمَ تُؤْلَوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (٣٣).



يَوْمَ تُولَوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُمُنِي ابْنِي لِی صَرَخًا لَّعَلِّي أَجْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٥﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٧﴾ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الدُّنْيَا مَتَّعُ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٨﴾ مَن عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَن عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾

التفسير

• ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل إتيان موسى ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الواضحة ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ لم تطمننوا أنه الحق من عند الله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ﴾ مات يوسف ﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ نفيتم أن الله تعالى يبعث إليكم رسولا من بعده يبلغكم دين الله ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٍ﴾ هكذا يصدُّ الله تعالى عن الحق كل من تجاوز حدود الله تعالى، وظلَّ شاكاً في دين الله تعالى مع وضوحه وجلاء حقيقته.

• ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ﴾ بغير حجة بيّنة واضحة من عند الله تعالى ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ عظم هذا الجدل بُغضاً عند الله تعالى ﴿وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وعظم كذلك عند المؤمنين ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ﴾ يختتم ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ﴾ عن الحق معرضٍ عن الهداية ﴿جَبَّارٍ﴾ بكثرة ظلمه وطغيانه.

• ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ﴾ وزيره ﴿أَبْنَىٰ صِرَاحًا﴾ بناءً عالياً ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ الطُّرُق ﴿أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ﴾ طُرُقَ السَّمَوَاتِ ﴿فَأُطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ﴾ أنظر إليه ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ﴾ أي موسى ﴿كَذِبًا﴾ في أن له رباً في السماء ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ حتى رآه حقاً ﴿وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ عن طريق الحق ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ خسار وبوار.

• ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقُومُ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ الحق والصواب.



• ﴿يَقُومُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ﴾ يُتَمَتَّعُ بِهَا، ثُمَّ هِيَ إِلَى زَوَالٍ ﴿وَإِنَّ
الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (٣٩) محل الإقامة الدائمة.

• ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ لَا يَزَادُ عَلَيْهِ فِي عِقَابِهَا ﴿وَمَنْ عَمِلَ
صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ﴿يُزَفُّونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٤٠) بِلَا حُدٍّ وَلَا قَدَرٍ، مَبَالِغَةٌ فِي نَعِيمِهِمْ.

التكرار

١ - الضلال لا ينفع فيه تكرار المواعظ، ولا تجدي فيه الرسل شيئاً ﴿وَلَقَدْ جَاءَ كُومُ
يُوسُفَ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَ كُومُ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنَ
يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ (٣٤).

٢ - لا حد للضلال، وإذا لم يهد الله تعالى قلبك لم ينفع فيه شيء من الوسائل
﴿وَلَقَدْ جَاءَ كُومُ يُّوسُفَ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَ كُومُ بِهِ حَتَّىٰ
إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنَ يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن هُوَ
مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ (٣٤).

٣ - من سوء توفيق إنسان أن يجادل ومعه الحق ناصعاً، فكيف بمن يجادل بلا
دليل! ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كُومُ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ
وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (٣٥).

٤ - كثيرون في مثل زمانك يناقشون، ويعترضون، ويجادلون في شريعة الله تعالى،
وهم لا يحسنون أن يديروا شأن فرض الوضوء ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ
بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كُومُ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (٣٥).

٥ - إذا رأيته يجادل في الشريعة، ويخاصم في أحكام الله تعالى بلا دليل؛ فاعلم أن ذلك من شؤمه وخسارته ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (٣٥).

٦ - كم ترك الكبر من رزايا في حياة صاحبه! ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (٣٥).

٧ - كلما اقتربوا من الحياة كثر عليهم شؤم الكبر، وأرداهم صرعى في سوء الخواتيم ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (٣٥).

٨ - لولا أعوان الرذيلة ما قامت للمفسدين قائمة ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (٣٦) **أَسْبَابُ السَّمَوَاتِ** فَاطْلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ (٣٧).

٩ - ثمة أعوان لا يصلحون إلا للفساد ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (٣٦).

١٠ - نجاحك وتفوقك وإخفاقك وفشلك أكثر من آثار أصدقائك ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (٣٦).

١١ - ماذا لو وجد ناصحاً يذكره بالله تعالى، ويدله على عدم التماذي في الفساد ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (٣٦).



١٢ - من هذا الباب كان يُوصى الحكام بالبطانة الصالحة ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَكُنْ ابْنِ لِي صِرَاحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ ﴿٣٦﴾.

١٣ - ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ الحقيقة لم تبرح قلبه؛ فتوارى عنها بالظنون!

١٤ - من سوء توفيقك أن يزين الله تعالى عملك وتراه بهيجاً، وهو مجرد سراب ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾.

١٥ - يا لشقائه! يجهد، ويتعب، ويعرق، ويجري ليل نهار، وفي النهاية ظلام لا نور فيه ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾.

١٦ - سل الله تعالى أن يجنّبك هذه الفواجع الكبار ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾.

١٧ - ﴿وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ يجري في غير طريق ولا هدى!

١٨ - ﴿وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ فلا هو الذي استراح من عناء هذه الحياة، ولا هو لقي شيئاً من الأفراح.

١٩ - ﴿وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ كلما فتح باباً لقي سوء التوفيق، وكلما أقبل على فكرة أو مشروع لم يجد فيها لذة ولا هوى.

٢٠ - الإيمان ليس تنظيراً وكلاماً لا قيمة له، وإنما حركة وعمل ورسالة، وسراج في الظلام ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَتْلُو آيَاتِهِمْ لِقَاءِ رَسُولِهِمْ سُبُلَ الْإِسْلَامِ﴾ ﴿٣٨﴾ يَتْلُوهُمْ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتْنَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مِّنْ عَمَلٍ

سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

٢١ - من يفقه هذه الحقيقة الكبرى ﴿يَقُومُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا مَتَعٌ وَإِنَّ
الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾!

٢٢ - الدنيا كلها لا تعدو أن تكون مجرد متاع ﴿يَقُومُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا
مَتَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾.

٢٣ - الدنيا كالذي يخرج مبتهجا في نزهة صباحية، ويعود كسيرا مجهدا منها في
المساء ﴿يَقُومُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا مَتَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾.

٢٤ - الدنيا كالوجبة التي تأكلها، ثم تجوع بعدها، والرحلة التي تسعد فيها ثم
تنسى معالمها، والحب الذي تعيشه ثم يذهب كالسراب، مجرد متاع لا يلبث أن
يزول ﴿يَقُومُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا مَتَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾
أعد درس الآخرة في قلبك ومشاعرك، وانظر أين أنت منها!

٢٥ - من فضل الله تعالى عليك أن سيترك لا يزداد فيها شيء، وحسنتك موعود عليها
بالوفاء ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ
أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿٤١﴾ وَيَقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى وَتَدْعُونِي إِلَى
 النَّارِ ۖ تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ ۚ مَا لِيَ لَيْسَ لِي
 بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَا
 تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ
 مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَآتَى الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾
 فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ
 إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا
 مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ
 يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا
 آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي
 النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا
 لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ
 ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ
 حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَازِنَةِ
 جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾

التفسير

- ﴿وَيَقَوْمٍ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ﴾ بما دعوتكم إليه من الخير ﴿وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ (٤١) عمل أهل النار.
- ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ﴾ أجدد ربوبيته ﴿وَأُشْرِكَ بِهِ﴾ وأجعل له شريكاً في عبادته ﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ ما لا أعلم أنها طريقاً للخير والهدى ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ﴾ في انتقامه من أعدائه ﴿الْغَفَرِ﴾ (٤٢) للمذنبين من المؤمنين.
- ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً يقيناً ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾ فلا ينفع ولا يضر في الدارين ﴿وَأَن مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾ يوم القيامة ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ﴾ المتجاوزين لحدود الله تعالى ﴿هُم أَصْحَابُ النَّارِ﴾ (٤٣) أهلها المستقرون فيها.
- ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ يوم القيامة حين ترون الحقيقة أوضح ما تكون ﴿وَأَفْوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ أسلم أمري إلى الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٤٤) يعلم مطيعهم وعاصيهم، ويعلم ما يصلح لهم، وما لا يصلح.
- ﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ﴾ نجى الله تعالى مؤمن آل فرعون ﴿سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ عقوبات مكرهم وتدبيرهم ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ﴾ قوم فرعون ﴿سُوءُ الْعَذَابِ﴾ (٤٥) أشده وأقبحه.
- ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا﴾ في الصباح ﴿وَعَشِيًّا﴾ في المساء ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (٤٦) أسوأه وأقبحه.



• ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ﴾ يتخاصمون فيها ﴿فَيَقُولُ الضَّعَفَتُوا﴾ الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ المتبوعين ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ نسمة لكم ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾ (٤٧) تأخذون عنا ولو شيئاً قليلاً من النار.

• ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ في النار ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَّمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ (٤٨) فلا راداً لحكمه وقضائه وقدره.

• ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ من الملائكة ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ يَخْفِفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾ (٤٩) سلوا الله تعالى لنا أن يخفف عنا قليلاً من العذاب.

التلخيص

١ - هكذا هم أهل الإيمان في واقعهم: يدعونهم للبر، وهم ينازعون تلك الدعوى ﴿وَيَقُولُ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ (٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْفَقِيرِ﴾ (٤٢).

٢ - يكفي الداعية أن يقرر الحق ويبينه، وليس عليه إقناع العالمين به ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّا مُرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ (٤٣).

٣ - يا للهفة المصلحين على قومهم ومجتمعاتهم وأمتهم! ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٤٤).

٤ - هذا يذكر قومهم، ويحاول أن يخرجهم من الضلالة، وذاك يكرّس فيهم مفسد الزمان والمكان، ما أبعد الفرق! ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٤٤).

٥ - أين المؤسسون للفساد من روح هذا الداعية القلق على واقع أمته، والمجاهد في سبيل إخراجها من الظلام ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ ٤٤.

٦ - أمن حق هؤلاء أن يُتهموا ويُطردوا ويُخرجوا من أرضهم التي حرصوا على صلاحها، أو لا يُسمع لهم ما يقولون ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ ٤٤.

٧ - حين لا تجاب لشيء فَوْضُ أمرك لربك، ويكفيك ذلك من الدنيا كلها ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ ٤٤.

٨ - إذا عجزت عن إيصال فكرتك، وبلوغ أمد مشروعك ورسالتك؛ فأقبل بقلبك ومشاعرك على الله تعالى، وفوض أمرك إليه ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ ٤٤.

٩ - تعلم أن تفتح باباً موصداً بالفأل، ونافذة مغلقة بالأمل، ومساحة الصحراء بشيء من ربيع الحياة ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ ٤٤.

١٠ - هذه نتائج الدعوة الصادقة على أصحابها ﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكُرُوا﴾.

١١ - قَدِّم رسالتك وجهدك وفكرتك ومشروعك الكبير، ثم انتظر عوائد التوفيق في النهايات ﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكُرُوا﴾.

١٢ - قيامك بواجبك ودورك ورسالتك في الأوساط المعارضة لا يعرضك للخطر، وإنما يهيئك لمواطن النجاة والتوفيق ﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكُرُوا﴾.



١٣ - هل تتذكر كم من نصيحة ورسالة وجهد وجه لهم قبل هذه النهاية! ﴿فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكُرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ ٤٥ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾.

١٤ - المصير على الضلال عليه أن يتحمل تبعات شروده عن الهداية ﴿فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكُرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ ٤٥ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾.

١٥ - هذا مشهد القبر؛ فما بالك بمشاهد يوم القيامة! ﴿فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكُرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ ٤٥ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾.

١٦ - سيطول خصام ونزاع وجدال فرق الضلال في ساحات القيامة ﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾ ٤٧ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِذْ قَالَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾.

١٧ - صاحبه وسافر معه، وعاش به ومعه، وفي النهاية يجري هذا الخصام العريض في ساحات القيامة ﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾ ٤٧ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِذْ قَالَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾.

١٨ - كان هناك ألف حل قبل حصول هذا الندم وتلك الحسرات ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾ ٤٩.

١٩ - مَنْ أَحْوَجُهُمْ إِلَى هذا الرجاء! وَمَنْ أَلْجَأُهُمْ إِلَى هذه المواقف البائسة في العرصات؟! ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾ ٤٩.

قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا
بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاتُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ
﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ
وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى
الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ هُدًى
وَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنِّي وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَسَيِّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ
وَالْأَبْكَرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ
يَغْيِرُ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا
هُمْ بِبَلَاغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ
خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا
يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءَ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾



التفسير

﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ ما جاءكم رسلكم بالحجج الواضحة والبراهين الصادقة ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ قد جاءتنا ﴿قَالُوا﴾ الملائكة الخزنة موبّخين لهم: ﴿فَادْعُوا﴾ أنتم تولّوا الدعاء بالنجاة من النار ﴿وَمَا دَعَوْا إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝٥٠﴾ إِلَّا فِي خَسَارٍ وبوار.

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالحجة والبرهان، والنصر على أعدائهم ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ۝٥١﴾ من الملائكة والأنبياء والمؤمنين على الأمم المكذبة لرسولها.

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ﴾ على تفریطهم ﴿وَلَهُمُ اللَّعَنَةُ﴾ البعد من رحمة الله تعالى ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۝٥٢﴾ سوء المنقلب والعاقبة والمستقر.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾ من العلم والآيات البينة التي يهتدي بها من تأملها ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ۝٥٣﴾ التوراة؛ حيث جعلناها متوارثة بينهم.

﴿هُدًى﴾ ما فيها من العلم هداية لهم ﴿وَذِكْرَىٰ لَأُولِي الْأَلْبَابِ ۝٥٤﴾ لأهل العقول.

﴿فَاصْبِرْ﴾ يا رسول الله على دعوتك ورسالتك، وما ينالك فيها ﴿إِذْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ كائنٌ ومتحقق ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ﴾ سل ربك مغفرة ذنوبك ﴿وَسَيَحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ﴾ من زوال الشمس إلى الليل ﴿وَالْإِبْكَرِ ۝٥٥﴾ من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

• ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ يخاصمون وينازعون ﴿فِيءَايَاتِ اللَّهِ﴾ حججه وأدلته البينة ﴿يَغَيِّرُ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ بغير حجة واضحة لديهم ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ ما حملهم على ذلك إلا الكبر على الحق ﴿مَا هُمْ بِبَلِغِيهِ﴾ ما هم واصلين إلى مرادهم من ذلك الجدل ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ اعتصم والتجئ بالله تعالى من كل ما يعرض لك ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقول هؤلاء ﴿الْبَصِيرُ﴾ ﴿٥٦﴾ لما يفعلون.

• ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ خبر من الله تعالى أن خلق السموات والأرض أعظم من خلق الناس ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسَوِّءُ﴾ كما لا يستوي الأعمى والبصير، لا يستوي أهل الإيمان والعمل الصالح وأهل العصيان والسيئات ﴿فَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ قليلاً ما تتعظون.

التدبير

١ - حين لا يصبح للدعاء ثمرة ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ۖ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾.

٢ - التخلف عن اتباع الرسل موجب للحسرات ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ۖ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾.

٣ - الفرص تعرض وتلوح، ومن فقه العاقل ألا يفوته ما يتحسّر عليه بعد ذلك ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ۖ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾.



٤ - نصر أولياء الله تعالى في المعركة مع الباطل سنة إلهية كونية لا تتخلف ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾.

٥ - هذا وعد الله تعالى لأوليائه في الدارين ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾.

٦ - الثبات على العقائد نصر، والصبر على مقاومة العدو نصر، والثقة بوعد الله تعالى في الطريق ومجابهة العدو نصر، واليقين بما وعد الله تعالى في النهاية نصر ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾.

٧ - لكل ظالم موعد، ولكل ضال نهاية، وثمة موعد للقصاص؛ فلا تستطل أمد الظالمين ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۝٥٢ ﴾.

٨ - قراءة سير القدوات الأولى خير معين على طول الطريق وعنايه ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ۝٥٣ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝٥٤ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ۝٥٥ ﴾.

٩ - ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ حتى لو كانت الحقائق مرة، والأحداث كبيرة، والعالم كله يموج بالخراب.

١٠ - ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ حتى لو رأيت كل شيء غير ممكن، ولا سبيل إلى الإصلاح، ولا تجدي أي محاولة.

١١ - ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ حتى لو بلغ الطوفان الأرض، وبلغ السيل الزبي، وخيّل لك أن كل شيء قد انتهى.

١٢ - ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ ولا تظن أن الله تعالى تارك دينه ومنهجه وشريعته.

١٣ - ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ ولا يطرق بالكَ أن الله تعالى خاذلٌ أوليائه.

١٤ - ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ وكلُّ حقٍّ من ربك آتٍ في زمنه، وقادمٌ في موعده، ولن يتخلف منه شيء.

١٥ - ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ تخلص من ذنوبك، وتنزّه من عوارض التوفيق.

١٦ - ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ حاول جاهداً أن تغسل أدران خطيئتك، وتعود للحياة من جديد.

١٧ - ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ نزّه ربك من أن يأتي على بالكَ أنه لا ينصر أوليائه، ولا يتحقق وعده لعباده المخلصين.

١٨ - ممّا يعينك على بلوغك آمالك، ووصولك لأهدافك ومشاريعك الصبر والاستغفار والتسبيح ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾.

١٩ - املاً فجاج الكون استغفاراً وتسبيحاً وذكراً لله تعالى؛ فإنه بالغٌ بك إلى أمانيك ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾.

٢٠ - الذنب موجبٌ للعجز والضعف والعجلة والتنازل عن شقة الطريق ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ لولا ذلك لما أوجب منه الاستغفار.

٢١ - إذا رأيت ثقلًا لمشروعك، وألمًا لتبعاته، وقلقاً لأحداثه، وجزعاً عن مواصلة طريقه، فتلمس سيرتك فلعل ذنباً أقعدك ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾.



٢٢ - مداومة الاستغفار والتسبيح موجب لقوة عزيمتك، ونجاح مشروعك وتقدم أمانيك ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَسَيِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ ﴿٥٥﴾.

٢٣ - الكبر من أعظم أسباب الجدل في الحقائق ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿٥٦﴾.

٢٤ - القلوب التي يسكنها الكبر، لا تستقبل أحكام شريعة الله تعالى بتسليم، وتظل مشغولة بالجدال والنزاع ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿٥٦﴾.

٢٥ - إذا فرغت ممّا في يدك فمُدّ بصرك لهذا الخلق العظيم ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾.

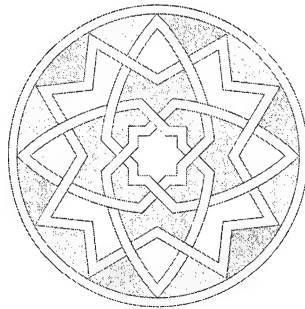
٢٦ - من الجهل وفوات حظوظ الإنسان من النعيم ألا يهب من وقته تفكراً في هذا الخلق العظيم ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾.

٢٧ - إذا أردت أن تعرف الفرق بين أهل الإيمان وأهل الباطل؛ فتأمل الفرق بين بصيرٍ يمشي على الأرض، وأعمى لا يعرف موطن قدمه ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾.

٢٨ - لا يستوي أهل الإيمان وأهل الباطل في الدنيا؛ سعادة وراحة واستقراراً، وحياءً طيبةً، ولا يستوون في الآخرة جزاءً ونهايةً ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾.

٢٩- تفكير صاحب الإيمان أثر من طاعة الله تعالى، وفيه نور الوحي ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (٥٨) الأول فيه جلاء ووضوح وفقه، والثاني فيه من الظلام والعمى ما فيه.

٣٠- مهما أوتي صاحب الباطل من مواهب وملكات ستظل مفقودة؛ لضعف نور الإيمان وسوء أثر المعصية والذنب ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (٥٨).





إِنَّ السَّاعَةَ لَأَنبِئُهُ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
 يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ
 الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ
 دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَيْلًا لِتَسْكُنُوا فِيهِ
 وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ
 أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ
 خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ كَذَلِكَ
 يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٢﴾ اللَّهُ الَّذِي
 جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ
 فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ
 رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ
 الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ
 لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ
 تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ
 أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٦﴾

التفسير

- ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ واقعة ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ لا شك فيها ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ بوقوعها مع وجود الدلائل العظيمة على ذلك.
- ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ اعبدونني ووحدوني واسألوني أجبكم إلى ما تريدون ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ يتكبرون ويتعالون عن ذلك ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ﴾ يوم القيامة ﴿دَاخِرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾ صاغرين ذليلين.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ تستقروا وترتاحوا ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ فيه معاشكم وقضاء حوائجكم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ في تقدير هذه الآيات العظيمة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿١١﴾ لا يقومون لله تعالى بواجب ذلك من الشكر والعرفان.
- ﴿ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ الذي قدر هذه الآيات ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ترونها في هذا الكون ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا معبود بحق سواه ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ ﴿١٢﴾ كيف تُصرفون عن عبادته.
- ﴿كَذَلِكَ يُؤْفَكُ﴾ يُصرف عن الحق ﴿الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ ﴿١٣﴾ ينكرونها لا يقرؤون بها.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَارًا﴾ تستقرون عليها، وتسكنون فوقها ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾ بناها ورفعها فوقكم دون عمد ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ خلقكم فأحسن خلقكم ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ من حلال الرزق، ولذيذ المطاعم والمشارب ﴿ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ الذي هيأ لكم



ذلك ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٤﴾ تعاضم وكثر خيره وبره بخلقه جلّ في علاه.

- ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾ الذي لا يموت ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا معبود بحقّ سواه ﴿فَكَادُغُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ اعبدوه، واسألوه وحده، لا تجعلوا له شريكاً في ذلك ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ على ما حكم وشرع وقضى وقدر.
- ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله للمشركين: ﴿إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ممّا تعبدون ﴿لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي﴾ الأدلة الواضحة على بطلان فعلكم ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٦﴾ أستسلم لله تعالى في كل أموري.

التدبر

١ - اعتنِ بطريقك، واستوثق من نهايتك؛ فالساعة عمّا قريب ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّهُ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥٩﴾.

٢ - من الإيمان بوعده الله تعالى ألا تترك فرصةً صالحةً للاستثمار ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّهُ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ وإذا كانت آتية ومتيقنة؛ فمن الغبن أن لا تستثمر كل شيء.

٣ - إذا قام هذا الوعد في قلبك متيناً غير كل شيء في سيرتك، وإذا صار ميّناً لم ينفع فيه شيء بعد ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّهُ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥٩﴾.

٤ - ما بينك وبين أمانيك إلا أن تقول: يا رب! ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾.

٥ - كثير من أمانينا في الحياة موقوفة على دقائق تُستثمر في دعاء ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٦٠).

٦ - هل تشتكي من قلق! من مرض! من آمال لم تنته بعد! ما بينك وبينها إلا لحظة دعاء ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٦٠).

٧ - مؤلم أن تكون آمالنا كلها وقف على هذه اللحظة ولم نستوثق منها بعد ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٦٠).

٨ - من الكبر في قلبك أن ترى أنك لا تحتاج إلى الدعاء ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٦٠).

٩ - أكثر الأدلة على استغنائك عن الرحمة أنك لا تهب للدعاء شيئاً من وقتك ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٦٠).

١٠ - يا لنعمة الليل في حياتك! سترك وخفف من أتعاب جسدك، وأراحك من قلق يومك، وأمدك بمباهج الروح ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (١١).

١١ - هل تصوّرت هذه الآية المبصرة في نهارك؟! مكنك الله تعالى منها لتبلغ آمالك ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (١١).



١٢ - من مباهج هذه الآيات أن الله تعالى مزج فيها بين رغبات الإنسان كلها، وحقَّق له فيها ما يريد ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٦١).

١٣ - تذكَّر وأنت تسعى في نهارك، أو تخلد للراحة في ليلك إلى منَّة الله تعالى بهذه النعم! ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٦١) وجلل هذه النعم بالشكر والتقدير.

١٤ - الانصراف عن تأمل آيات الله تعالى وشكرها عقوبة عاجلة من الله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (٦٣).

١٥ - أما رأيتَه لا يلتفت إلى آية! تلك عقوبة ضربت على قلبه وهو لا يشعر ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (٦٣).

١٦ - أما تكفي هذه المشاهد على دلائلك على الله الكبير المتعال ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٤) هو الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٥).

١٧ - تصوِّر هذا العالم الذي تقَّله الأرض، وهذه السماء التي دون عَمَدٍ لترى بعضاً من عظمة ربك في هذا الكون ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٤).

١٨ - حتى خلقتك وصورتك وكمالك! تحتاج إلى إعادة تفكَّر وتأمل ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٤).

١٩- اقرأ هذا النص بإمعان ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ^{١٥}﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وارصد له في مشاعرك كلَّ شيء.

٢٠- هو الحي وما عداه موتى، لا ينفعونك في شيء ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ^{١٥}﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾.

٢١- ما ترجوه وتؤمله ألق به لصاحب الحياة الكبرى، ودعك من الموتى ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ^{١٥}﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾.

٢٢- مشكلاتك وظروفك وأحداث يومك العارضة، مهما بلغ شأنها يرهاها ربُّك، ويحقِّقها لك الحي القيوم ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ^{١٥}﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾.

٢٣- إذا رجوت شيئاً فارجه من الحي القيوم، لا تطلبه من الفانين ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ^{١٥}﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾.

٢٤- حتى رجاؤك بقلبك من مخلوق، وتعلُّقك به، وإقبالك عليه نوعٌ من الدعاء الذي يجب أن تستعلي عنه ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ^{١٦}﴾.



هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ رُءُوبٍ ثُمَّ مِنْ تَظْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ
يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا
شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِنَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى
وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا
قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
يُحَدِّثُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنِّي يُصَرَّفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا
بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي
الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا
كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ
نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكَ
بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ
﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى
لِلمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْفَا نُزِيتَكَ
بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّا يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾

التفسير

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ أي آدم ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ بداية خلق كل إنسان بعد آدم ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ بعد ذلك ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ من بطون أمهاتكم ﴿ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾ تقوون ﴿ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا﴾ بعد ذلك ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُنَوِّقُ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل أن يصل إلى هذه المرحلة ﴿وَلَتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ مقدر محدّد لكل إنسان ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ أن فاعل ذلك ومقدّره هو من يستحقّ العبادة.

﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٧٨﴾ لا يعجزه من ذلك شيء.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ يخاصمون وينازعون ﴿أَنِّي يُصْرِفُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ كيف يُصرفون عنها ولا يتعظون بها.

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾ بالقرآن ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ من الدلائل والحجج الواضحة البينة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ ما يحدث لهم جزاء تفريطهم.

﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ يوم القيامة ﴿وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ ﴿٨١﴾ بها.

﴿فِي الْحَمِيمِ﴾ في الماء الذي بلغ غايته في الحرارة ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ يوقد بهم النار، أو يوقد عليهم فيها ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَتَنَّى مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ ﴿٨٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿أَيْنَ ذَهَبُوا عَنْكُمْ وَلَمْ يَنْصُرُواكُمْ﴾.

﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ غابوا عنا وتركونا ﴿بَلْ لَمْ تَكُنْ تَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ لم يكُنْ لنا شركاء أصلاً؛ ظنوا أن الإنكار نافعهم ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٨٤﴾ فلا يهتدون لطريق، ولا يصلون لمطلوب.



• ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ هذا الذي نفعله بكم في الدنيا هو جزاء فرحكم بالباطل في الدنيا ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ (٧٥) وجزاء مرحكم في الأرض بطراً وعلواً بالباطل.

• ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يقال لهم هذا يوم القيامة ﴿فَلَيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٧٦) ما أسوأه من منزل ومستقر!

• ﴿فَأَصْبِرْ﴾ على كل ما يصيبك في سبيل دعوتك ورسالتك ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ متحقق لا شك فيه ﴿فَكَمَا نُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ إما أن نريك بعض الذي وعدناهم من العذاب وأنت حي ﴿أَوْ نَوَفِّقَكَ﴾ قبل أن يحلّ بهم العذاب ﴿فَالَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (٧٧) في نهاية الأمر، وستولّى عقابهم وحسابهم.

السير

١ - هذه مراحل تراها بعينك، وترقبها ببصرك، وتعيشها بذاتك؛ فتأملها لعلك تعقل مراد الله تعالى منك ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ رُأْبٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُنَوِّقُ مِنْ قَبْلِ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٦٧) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٦٨).

٢ - قد تستكمل هذه المراحل في حياتك، وترى كيف تتحوّل طفولتك إلى شباب، وشبابك إلى شيخوخة وهرم، وقد تقضي قبل استكمالك تلك المراحل فتنبّه! ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ رُأْبٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُنَوِّقُ مِنْ قَبْلِ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٦٧) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٦٨).

٣ - التدرُّج سُنَّةُ إلهيَّةٌ في كل شيء؛ فلا تفتك هذه السنة في مشروعك، ودورك في بيتك، وحياتك، وفي وظيفتك ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ رُأْبٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكونُوا سُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يُنَوِّقُ مِنْ قَبْلِ وَلَيَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

٤ - مَنْ فَهَمَ هذه السُّنَّةَ بلغ مراده من كثير من قضايا الإصلاح، وَمَنْ فَاتَهُ منها شيء فاته قدرها من التوفيق ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ رُأْبٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكونُوا سُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يُنَوِّقُ مِنْ قَبْلِ وَلَيَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

٥ - ﴿فَإِذَا قَضَيْتَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ لا يعجزه شيء عن ذلك، ولا يفوته شيء.

٦ - أمانيك وأحلامك وتوقعاتك كلها لا تعدو قدرة الله تعالى، ولا تحتاج منه وقتاً لتحقيقها ﴿فَإِذَا قَضَيْتَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾.

٧ - حتى ما لا تتوقَّعه، وما هو لديك مستحيل، ولا يمكن أن يتأتى في خاطرك؛ لا يخرج من هذا المعنى الكبير ﴿فَإِذَا قَضَيْتَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾.

٨ - من عرف الله تعالى بحق لم يتعاضم شيئاً منه ﴿فَإِذَا قَضَيْتَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾.

٩ - نافذة على ضلال النفوس ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصَرَّفُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

١٠ - أما رأيته يعارض في محكم القرآن، وفي حديث «الصحيحين»، وما فيها إجماعٌ عليه أو شبه إجماع، وهو من أنصاف المثقفين، هذا هو الذي حكم الله تعالى عليه بالخذلان ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصَرَّفُونَ ﴿٦٩﴾﴾.



١١ - من توفيق الله تعالى لك أن يرزقك الاستسلام له، والإذعان لشريعته، وترك الجدل ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّهُمْ يُصَرِّفُونَ ﴾ (٦١).

١٢ - ماذا لو تصوّر المعرضون عن هدي الله تعالى هذه النهاية! ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٠) إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿ ٧١ ﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿ ٧٢ ﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْ مَّا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿ ٧٣ ﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿ ٧٤ ﴾ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿ ٧٥ ﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئَسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿ ٧٦ ﴾.

١٣ - أما أفزعتك صورة حيوانٍ مَيّتٍ يُسْحَبُ على الأرض لِيُلقَى في القيامة! فكيف وأنت ترى إنساناً يُسْحَبُ إلى دركات النار ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٠) إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿ ٧١ ﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿ ٧٢ ﴾ يا لشؤم الإعراض!

١٤ - غُلٌّ في عنقه، وَيُسْحَبُ في الأرض لخسّة كرامته، كذلك يصنع الإعراض عن منهج الله تعالى ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٠) إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿ ٧١ ﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿ ٧٢ ﴾.

١٥ - كل الأسئلة التي وجهت للضائعين يوم القيامة لا تلقى منها جواباً خالياً من الحسرات ﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْ مَّا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ (٧٣) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿ ٧٤ ﴾.

١٦ - من حقّ الفرح الطاغى أن يلقى نهايات السوء ﴿ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ (٧٥) ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئَسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿ ٧٦ ﴾.

١٧ - أَقِمْ مَعَايِيرَ فَرْحِكَ عَلَى مِيزَانِ الشَّرِيعَةِ؛ حَتَّى لَا تَخْتَلَّ أَفْرَاحُ النِّهَايَاتِ فِي وَاقِعِكَ ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ (٧٥) اَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾.

١٨ - ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ فَكَيْمَا تُرِيَّتَكَ بَعْضُ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ تَوْفِيقَتَكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ هذه وصية الله تعالى لكلِّ صاحب مشروع، وحامل راية، وصانع الأمل في واقعه.

١٩ - تحلَّ بهذه الفضيلة، فعليها معقد رهان الناجحين ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ فَكَيْمَا تُرِيَّتَكَ بَعْضُ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ تَوْفِيقَتَكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾.

٢٠ - الصبر هو الحلُّ الكفيل بعلاج همومك، وظروفك، وأحداث واقِعك ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ فَكَيْمَا تُرِيَّتَكَ بَعْضُ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ تَوْفِيقَتَكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ ليس هذا البارد الذي يقعد صاحبه على عتبة بابه ينتظر فرجاً من الهم، وإنَّما الذي بذل كلَّ الأسباب الموصلة إلى مشاهدته في الحياة.

٢١ - من مقتضيات الصبر أن تحتلَّ تبعات مشروعك ورسالتك وقضيتك، وتدفع بها ما أمكنك للحياة ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ فَكَيْمَا تُرِيَّتَكَ بَعْضُ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ تَوْفِيقَتَكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾.

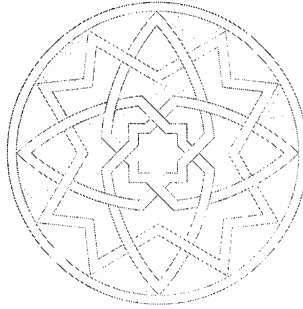
٢٢ - ومن مقتضيات الصبر ألا تلقي بالاً للعوارض والمشكلات، والأزمات التي تواجهك في الطريق ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ فَكَيْمَا تُرِيَّتَكَ بَعْضُ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ تَوْفِيقَتَكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾.

٢٣ - ومن مقتضيات الصبر ألا تلتفت للمعارضين والمناوئين في طريق آمالك ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ فَكَيْمَا تُرِيَّتَكَ بَعْضُ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ تَوْفِيقَتَكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾.



٢٤ - ليس من ضرورات الصبر أن ترى خصومك صرعى في ساحة المعركة معك ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ فَكَيْمَانُ رَيْنَكَ بَعْضُ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾.

٢٥ - وليس من مقتضيات صبرك أن تنتصر في المعركة، وتهزم مناوئيك، وتتفوق عليهم، وتحكم الأرض التي تم الصراع فيها ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ فَكَيْمَانُ رَيْنَكَ بَعْضُ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾.



وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ
وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ
بِتَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ
هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَمَ
لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا
مَنْفَعٌ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى
الْأَفْكَ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ
اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ
قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ
مِّنَ الْعِلْمِ وَحَافَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا
رَأَوْا بِأَسْنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ
مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بِأَسْنًا سَنَّتَ
اللَّهُ أَلْتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾



التفسير

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾ كل إلى أمته ﴿مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ خبرهم ﴿وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ خبرهم ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمره ومشئته، وليس منه ابتداء ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِّى بِالْحَقِّ﴾ بالعدل بنجاة رسله ومن تبعهم من أهل الإيمان ﴿وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (٧٨) المكذبون لرسول الله تعالى.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ﴾ الدواب ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ تنتفعون ببعضها في الركوب ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٧٩) وتنتفعون ببعضها في الأكل.

﴿وَلَكُمُ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ غير الأكل والركوب، كانتفاعكم بجلودها وأصوافها وأشعارها ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ من الوصول إلى حاجاتكم ومنافعكم ﴿وَعَلَيْهَا﴾ هذه الدواب ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ من السفن ﴿تُحْمَلُونَ﴾ (٨٠) تنقلون وتنتفعون.

﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ حججه الدالة على قدرته ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ (٨١) تكذبون ولا تعترفون بها.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ ممن سبقهم، كيف كان مآلهم، وما حصل لهم جزاء كبرهم، وبطرهم، وعدم إيمانهم ﴿كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ عدداً ﴿وَأَشَدُّ قُوَّةً﴾ في الأبدان والأجسام ﴿وَأَشَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ أبقى أثراً ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٨٢) لم تدفع عنهم تلك الكثرة والقوة والآثار شيئاً من عذاب الله تعالى.

• ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الواضحة البينة ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ غروراً بما عندهم ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ نزل بهم ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ﴿٨٣﴾ عذاب الله تعالى الذي كانوا مكذّبين به غير معترفين به.

• ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ شاهدوه حقيقة ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ ﴿٨٤﴾ من الأصنام والأوثان.

• ﴿فَلَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ في تلك الحال لا ينفع الإيمان ﴿سُنَّتَ اللَّهُ﴾ عادة الله تعالى ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ التي مضت أن الإيمان وقت معاناة العذاب لا ينفع أصحابه ﴿وَحَسِرُ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ تلك اللحظة التي رأوا فيها عذاب الله تعالى خسروا فيها كل شيء.

التدبر

١ - حملة الراية، وضئاع التاريخ، وأصحاب المشاريع كُثُرَ في هذه الحياة؛ منهم من قرأت قصته، ومنهم من لم تقرأ قصته بعد ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِثَابِتٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ فلا تظنّ أنك وحيدٌ في طريق الدعوة إلى الله.

٢ - يمكنك أن تكون على صلة بهذه المنظومة في التاريخ الحاملة لفكرة التغيير والإصلاح ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِثَابِتٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا



جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ من خلال قصصهم وسيرهم وتاريخهم.

٣ - كثيرة هي نعم الله تعالى التي تحتاج إلى تأمل، ومنها هذه الأنعام التي سخرها الله تعالى للإنسان ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾ مشكلتنا مع النعم أن طول بقائها في واقعنا أنسانا منها كل شيء.

٤ - لو أنك أطرقت ببصرك وفكرك في الأرض لرأيت آثاراً تدعو للعبير والعظاات ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدُّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

٥ - لا ننظر لمكتسبات الآخرين وقدراتهم، وما آتاهم الله تعالى إذا لم تكن في طريق الحق ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدُّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٣﴾﴾ كثير من لم تنفعهم في شيء.

٦ - الاستبداد بالفكرة والرأي، والاستكبار بالمعطيات التي نملكها هو سبب كثير من النكسات ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

٧ - من توفيق الله تعالى لك ألا تلقي بالاً لكل ما تسمع، وأن تحاكمه للوحي، وتأخذ منه ما ينقلك لغايات الآخرة فحسب ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

٨ - الإيمان الكاذب لا ينفع في ساعات الجد ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ (٨٤) فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ .

٩ - حين تزول أفكار الوهم والخرافة والدجل لا تبقى إلا الحقائق ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ (٨٤) فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ .

١٠ - نصر الله تعالى لأوليائه سُنَّةَ إِلَهِيَّةٍ لا تقبل التغيير والتبديل ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ (٨٤) فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ .





سُورَةُ فَصَّلَاتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝١ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ
 قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ
 فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ
 فِيءِ ءَاذَانِنَا وَقَدْ أُنْزِلَ مِن بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا إِنَّهُمْ يَعْمِلُونَ
 ۝٥ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ
 فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۖ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ
 الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝٧ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨ قُلْ أَيْنَ كُمُ لَتَكْفُرُنَّ
 بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ۖ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ
 ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِّن فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي
 أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلنَّاسِ لَيَالٍ ۝١٠ ثُمَّ أَسْرَوْنَ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا
 وَلِلْأَرْضِ أُنْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝١١

التفسير

- ﴿حَمَّ ١﴾ من الحروف المقطعة التي تدلُّ على إعجاز القرآن الكريم.
- ﴿تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢﴾ أي القرآن الكريم.
- ﴿كَذَّبُ فَصَلَّتْ ءَايَتُهُ﴾ يُنِت ووضحت ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ بلسانٍ عربيٍّ ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣﴾ يعلمون المراد منه، ويفهمون ما فيه.
- ﴿بَشِيرًا﴾ للمؤمنين ﴿وَنَذِيرًا﴾ للكافرين ﴿فَاعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ عن هذا القرآن ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٤﴾ سمعَ قبولٍ وإجابة.
- ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ﴾ أُعطية ﴿مَّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ مما جئت به ﴿وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ صمم ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ ساتر فلا يصل إلينا شيء مما تقول ﴿فَاعْمَلْ﴾ بدينك ﴿إِنَّا عَمِلُونَ ٥﴾ بديننا.
- ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ﴾ لا أملك شيئاً، وأبلغكم ما أوحاه الله تعالى إليَّ ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَحْدٌ﴾ فلا معبود بحق سواه ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ اسلكوا الطريق الصحيح الموصل إليه ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ عن كل ما يقع منكم من مخالفة ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ٦﴾ الذين عبدوا مع الله غيره من عذاب الله تعالى.
- ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ زكاة أموالهم ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ٧﴾ غير مصدِّقين ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٨﴾ غير منقوص ولا مقطوع.

• ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ في يومي الأحد والاثنين ﴿وَيَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا﴾ من الخلق فتعبدونهم من دونه ﴿ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ لا شريك له في ملكه.

• ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ في الأرض ﴿رَوَاسِيَ﴾ جبال ﴿مِنْ فَوْقِهَا﴾ وبَرَكَ فِيهَا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴿كل ما يحتاج إليه أهلها من الأرزاق﴾ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴿ومدة تقدير الأقوات في يومين آخرين هما الثلاثاء والأربعاء، فصار خلق الأرض وتقدير ما فيها في أربعة أيام﴾ سَوَاءً لِلْسَّالِيلِينَ ﴿لِكُلِّ مَنْ يَسْأَلُ عَنْ هَذَا الْخَبَرِ.﴾

• ﴿ثُمَّ أَسَوَّيْتُ إِلَى السَّمَاءِ﴾ قصد إليها ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الأرض ﴿فَقَالَ لَهَا﴾ للسماء ﴿وَلَا أَرْضَ أَنْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ استجبيا لأمري طائعتين أو مكرهتين ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ بل نأتي مستجيبين مذعنين.



١ - من كمال رحمة ربك إنزال هذا القرآن ﴿حَمْدٌ﴾ ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كَتَبْتُ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾.

٢ - عناية ربك بتنزيل القرآن وتفصيله وعربيته، تستوجب منك الإجلال ﴿حَمْدٌ﴾ ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كَتَبْتُ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾.



٣ - كم من إنسانٍ يمرُّ به فلا يلقي له بالاً؛ لأنه لا يعلم مقدار ما وضع الله تعالى من علم وحكمة ﴿كَذَّبُ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ، قُرْءَانَا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٣) ﴿مَاذَا لَوْ عَلِمَ أَنَّ فِيهِ كُلَّ شَيْءٍ؟!﴾

٤ - البشارة والنذارة منهج من مناهج كتاب الله تعالى في الدعوة والإصلاح ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (٤) ﴿وَمَنْ تَوْفِيقَ اللَّهِ تَعَالَى لِلدَّاعِيَةِ أَنْ يَسْلُكَ هَذَا الطَّرِيقَ فِي دَعْوَتِهِ وَمَنْهَجِهِ وَرِسَالَتِهِ.﴾

٥ - البشارة أصل، وتأتي أولاً، وترغب الناس أصلح في البداية من التهيب ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (٤) ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ صَاحِبَ أَمَلٍ كَاذِبٌ فَأَيُّقِظْ قَلْبَهُ بِصَوْتِ النَّذَارَةِ.﴾

٦ - من ادعى شيئاً ابتلي به ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيَّ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾ (٥) ﴿ادْعُوا أَنَّهُمْ لَا يَسْمَعُونَ الْوَحْيَ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ حِجَابٌ، فَكَانَ كَمَا قَالُوا.﴾

٧ - ما تلقاه في حياتك أثر من صلاح قلبك وفساده ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيَّ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾ (٥) ﴿ضَلُّوا الطَّرِيقَ؛ لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ كَانَتْ تَرْفُضُ الْهَدَايَةَ.﴾

٨ - هذه الجوارح إن لم يهدها الله تعالى لم يُنتفع منها بشيء ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيَّ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾ (٥) ﴿أُتُوا كُلَّ شَيْءٍ، وَحُرِّمُوا مَبَاهِجَ الْوَحْيِ.﴾

٩ - إن لم تدلَّك جوارحك على فقه الوحي وفهمه فلا أثر لها في واقعك ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيَّ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾ (٥) ﴿.﴾



١٠ - حين نضع بيننا وبين الخير والدعوة والإصلاح حواجز وهمية ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَا ۖ ﴾.

١١ - الحقيقة لا تحتاج إلى أدوات تجميل ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَاستَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۖ ﴾.

١٢ - من الخطأ الكبير أنك تلبس الحق بمظاهر لا صلة له بها من أجل توسيع دائرته، يكفي هو عن كل حقيقة ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَاستَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۖ ﴾.

١٣ - التوحيد أعظم الغايات وأجل القضايا ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَاستَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۖ ﴾.

١٤ - التوحيد الذي يراد إلهامه للنفوس هو أن تعلم يقيناً أن الذي ينفع ويضر، ويصح ويسقم، ويمرض ويداوي، ويعطي ويمنع، ويبسط ويقدر، ويملك كل شيء، وحاجتك إليه ليست لغيره، هو الله لا شريك له ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَاستَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۖ ﴾.

١٥ - التوحيد الذي يراد إشراق القلوب به أن تعلم أن ما أصابها لم يكن ليخطئها، وما أخطأها لم يكن ليصيبها، وأن ما أراد الله تعالى كان، وما لم يرد لا يكون ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَاستَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۖ ﴾.

١٦ - التوحيد الذي يجب أن يبلغ شغاف الروح أن تعلم يقيناً أن ربك يملك كل شيء، وأن ما تراه في الكون يجري بقدره لا يفوت منه شيء، وأن ما تريده وترغبه وترجوه هو أقرب إليك من كل شيء ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَاستَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۖ ﴾.

١٧- توحيدك الحقيقي هو استقامتك على الطريق إلى ربك أمراً ونهياً وتعظيماً
﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ
وَاسْتَغْفِرُوهُ ۖ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۖ﴾.

١٨- على قدر توحيدك تكون استقامتك ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا
إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۖ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۖ﴾.

١٩- الاستغفار جابرٌ للخلل، ومُتَمِّمٌ للنقص والتقصير ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ
يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۖ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۖ﴾
أرشد للاستقامة وأبان أنها تُجبر بالاستغفار.

٢٠- يستحق الشرك هذا الويل والوعيد؛ لأنه اعتداء على مقام الربوبية ﴿قُلْ إِنَّمَا
أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۖ وَوَيْلٌ
لِّلْمُشْرِكِينَ ۖ﴾.

٢١- الشرك عبث بقيم هذا الدين، وفوضى في مبادئه، وتحريف لمفاهيم وقضايا
التوحيد الكبرى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ
فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۖ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۖ﴾.

٢٢- من الخلل الذي اجتاحت نفوس كثيرٍ من المسلمين أنهم يعتقدون أن الشرك هو
مجرد التبعّد لحجر في الجاهلية بالأمس، وفأنهم أن أحجار الجاهلية وأوثانها
تتعدّد وتشكّل بحسب الزمان والمكان ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا
إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۖ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۖ﴾.

٢٣- من الشرك أن تهب قلبك لمخلوق، وتوجهه إليه وترجوه وتخافه وترهبه ﴿قُلْ
إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ
ۖ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۖ﴾.



٢٤ - من الشرك أن توقف حاجتك على فلان، وتهب له كل شيء من مشاعرك من أجل ما تريد ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَاستَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾.

٢٥ - من الشرك أن تجعل صنماً من المخلوقين هو الذي يأمرك وينهاك، ويوقفك ويقعدك، وتعود عبداً له من جديد ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَاستَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾.

٢٦ - من الشرك أن تؤله عادة في قبيلتك، فتجعلها الحاكمة على شرع الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَاستَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾.

٢٧ - الإيمان والعمل الصالح يصنع كل شيء ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾﴾.

٢٨ - يا الله! ما أحوج قلوبنا إلى معرفة الله تعالى! ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ۚ أَنْدَاداً ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِّنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّالِيلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾.

٢٩ - هل تخيلت هذه الأرض! لم تتجاوز يومين اثنين، ولو شاء الله تعالى لقال لها كوني فتكون ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ۚ أَنْدَاداً ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِّنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّالِيلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾.

٣٠ - ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ۚ أَنْدَاداً ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾﴾ إي والله يكفرون ويجحدون، لو آمنوا لخضعوا لله تعالى ساجدين.



٣١ - تعرّف على ربك ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾﴾.

٣٢ - إذا رأيت شيئاً من إبداع المخلوقين فأعد بصرك إلى صناعة الحكيم الخبير ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسَىٰ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾.

٣٣ - ابدل سبباً تصل إلى مرادك ﴿وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ﴾ هذا التقدير هو السبب الذي أجرى خيرات الأرض بعد ذلك.

٣٤ - هذه الأرض التي تمشي عليها فيها كل شيء ﴿وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ﴾.

٣٥ - لا تقلق من قادم أيامك، لقد قدر ربك في الأرض ما تشاء ﴿وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ﴾.

٣٦ - الجمادات تعترف بحق ربك، وتعظمه، وتقوم له بشأنه؛ فأين موقعك؟! ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾.

٣٧ - انظر استجابة هذا الكون لربه، وعصيان الإنسان لخالقه ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾ ترى الفرق!



فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا
وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ
وَتَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ
أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا
أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ
بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي
خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَنْذِقَهُمْ عَذَابَ
الْآخِرَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ
﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ
فَاخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾
وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ
اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ
سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

التفسير

﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ ﴿فرغ من خلقهن في يومي الخميس والجمعة﴾ ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ ما يكون فيها من الملائكة والأشياء ونحو ذلك ﴿وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ بالنجوم ﴿وَحَفَظْنَا﴾ من الشياطين التي تسترق السمع ﴿ذَلِكَ﴾ ما مضى من الخلق والتقدير ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ الذي عزَّ كلَّ شيء فغلبه وقهره ﴿الْعَلِيمِ﴾ ﴿١٢﴾ بما يصلح الكون والخلق.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ هؤلاء المشركين ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً﴾ عذاباً يقضي عليكم ﴿مَثَلِ صَاعِقَةٍ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ ﴿١٣﴾ التي حلت بهم، فأهلكتهم.

﴿إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ متوالين عليهم ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ وحدوه ولا تشركوا به شيئاً ﴿قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا﴾ أن نعبد ونوحده ﴿لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ تدعوننا إلى ذلك ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ ﴿١٤﴾ بكل ما أُرسلتم به.

﴿فَأَمَّا عَادٌ﴾ قوم هود ﴿فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ تجبروا وتجاوزوا ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ لا أحد أشد منا قوة ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ سبحانه ما أعظمه! ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ ﴿١٥﴾ ينكرونها ولا يعترفون بها.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ قوِّية، من شدتها أن لها صوتاً كالرعد القاصف ﴿فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ﴾ مشؤومة ﴿لِنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ عذاب الذلَّة والهوان والفضيحة ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾ أشد وأنكى وأذل ﴿وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ ﴿١٦﴾ لا يدفع عنهم عذاب الله تعالى أحد.

• ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ﴾ قوم صالح ﴿فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ بينا لهم كما بينا لغيرهم، ولأن آيتهم غاية في البيان خصهم بذلك ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ اختاروا طريق الضلال والغواية على طريق الهداية والحق ﴿فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ الصيحة والرجفة التي حلت بهم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٧) من الآثام والمعاصي التي يعملون.

• ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من العذاب ﴿وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ﴾ (١٨) يقومون بأوامر الله تعالى ونواهيه حق القيام.

• ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ﴾ يُجمع ﴿أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (١٩) يجمع أولهم على آخرهم فيها.

• ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٠) شهد كل عضو من هذه الأعضاء بما فعل في الدنيا.

التفسير

١ - الذي تراه في ملك الله تعالى ليس مجرد خلق، وإنما هو غاية الجمال والإبداع ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (١٢).

٢ - جمّل ما حولك تماثل العالم في شيء من زينته ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (١٣).

٣ - عنايتك ببيتك، بمركوبك، بمكتبك، بما حولك جمالاً فقهً وعقلاً ووعي
﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا
بِمَصْصِيحٍ وَحِفْظٍ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ١٢﴾.

٤ - لا يقابل الجمال إلا الفوضى، وهي ليست من أخلاق المسلم في شيء
﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا
بِمَصْصِيحٍ وَحِفْظٍ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ١٣﴾.

٥ - لم يفقه الوحي من يرمي بمخلفاته في الطريق، أو يلقي بها في الأماكن العامة
﴿وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْصِيحٍ﴾.

٦ - يا لجمال دينك! يرمى للجمال حقّه، ويصنع منه حكاية للناظرين ﴿وَزَيْنَا
السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْصِيحٍ﴾.

٧ - ذكر المعرضين بوقائع عذاب الله تعالى في السابقين ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ
صَاحِقَةً مِّثْلَ صَاحِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا
تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ١٤﴾ فَأَمَّا عَادُ
فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ
هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ
نَحْسَاتٍ لِنَبْلِيَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ
١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاحِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا
كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٧﴾ قل لهم، حدثهم، بين لهم أن في التاريخ عبرة، وفيه ألف درس.

٨ - يبلغ الإعراض مدى لا تنفع معه أي موعظة ﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ
أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا
أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ١٤﴾.



٩ - إذا رأيت من قلبك إدباراً عن الحق، وتوليّاً عن الوحي؛ فأدرك نفسك قبل الفوات ﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾﴾.

١٠ - من شئوم الإنسان ألا يلتفت لمواعظ الوحي، ولا يلقي بالاً لدرسه في شيء ﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾﴾.

١١ - الكبر يصنع واقع الاستبداد ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾.

١٢ - كم من إنسان يمارس هذا المعنى، ويتكى على قدراته وإمكاناته ومهاراته، ويعارض الله تعالى في شرعه وحكمته ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ أما الدول والمجتمعات فحدث ولا حرج؛ فما أكثر الشبهة بينها وبين عاد ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾.

١٣ - هل رأيت قوماً يستحبون العمى على الهداية؟! ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ هذا درس التاريخ السابق، وفي الواقع ذات الدرس لم يتخلف منه شيء.

١٤ - كم من فرد اليوم يسلك ذات الطريق، ويختار ذات النهاية ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ تأتية وسائل الهداية من كل مكان، ثم لا يلبث أن يعرض عنها ويمضي كأن شيئاً لم يكن.

١٥ - كثيرون قُدِّمَتْ لَهُمُ الْهُدَايَةُ، وَوَصَلَهُمُ دَاعِي الْخَيْرِ، وَبَلَغَهُمُ عَنْ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى كُلُّ شَيْءٍ، وَمَا زَالُوا رَافِضِينَ ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الَّهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ١٧ ﴿﴾.

١٦ - هَذِهِ عَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَهْلِ الْإِيمَانِ ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ﴾ ١٨ ﴿﴾.

١٧ - عَلَى قَدَرِ إِيْمَانِكَ وَتَقْوَاكَ تَكُونُ نَجَاتُكَ فِي الدَّارَيْنِ ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ﴾ ١٨ ﴿﴾.

١٨ - تَخِيلُ يَوْمًا تَقِفُ جَوَارِحُكَ شَاهِدَةً عَلَيْكَ بِأَعْمَالِ السُّوءِ ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ١٩ ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٢٠ ﴿﴾.

١٩ - تَذَكَّرْ خَطَايَا سَمْعِكَ وَبَصْرِكَ وَارْصِدْ لَهَا تَوْبَةً وَصَالِحَ عَمَلٍ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ ضَمَنَ الشُّهُودِ ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ١٩ ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٢٠ ﴿﴾.

٢٠ - كَمْ مِنْ يَدٍ زُورَتْ حَقِيقَةً! وَكُتِبَتْ قَرَارًا ظَالِمًا، وَسُجِلَتْ شَهَادَةُ رَبِّهَا، وَأَخَذَتْ رِشْوَةً، وَجَاهَدَتْ فِي تَوْسِيعِ أَثَرِ الْبَاطِلِ ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ١٩ ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٢٠ ﴿وَسَتَدْلِي بِمَا عِنْدَهَا كَمَا يَدْلِي الشُّهَدَاءُ﴾.

٢١ - سَمِعَ مِنْكَ، وَأَصْغَى لِبَاطِلِكَ، وَاسْتَلَذَّ بِفَاحِشِ الْقَوْلِ، وَرَدَّدَ عَلَى مَسْمَعِهِ الْمَحْرَمَاتِ، وَهَذَا يَوْمُ الْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ١٩ ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٢٠ ﴿﴾.

٢٢ - اسْتَطَالَ بَبْصَرِهِ إِلَى جَسَدِ امْرَأَةٍ، وَاسْتَقَطَعَ أَوْقَاتًا فِي مَشَاهِدِ الصُّورِ، وَسَارَقَ مَنْ حَوْلَهُ النَّظَرَ خِيَانَةً لِلْأَعْرَاضِ، وَمَا زَالَ يَدْلِي بِعَيْنِهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ مُحْرَمٍ، وَهَذَا



يوم الجزاء ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ .

٢٣ - كم مرة قعدوا في وسط المنكرات، ووسعوا في مشاهدتها غير معتبرين ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ .





وَقَالُوا لِيُجْلِدُوهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي
 أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾
 وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا
 جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾
 وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ
 الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصِيرُوا فَالْتَأَرِ مَشْوَى لَهُمْ وَإِنْ
 يَسْتَعْتَبُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ * وَقَيَّضْنَا لَهُمْ
 قُرْنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ
 الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ
 كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ
 وَالْعَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا
 شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ
 أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَمْحَدُونَ
 ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ اضْطَلَّوْنَا مِنَ الْجِنَّ
 وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾



التفسير

﴿وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ﴾ معاتبين ﴿لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ بما كنا نعمل ﴿قَالُوا أَنُطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فلا حيلة لنا في ذلك ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ومن قدر على الخلق بدايةً قدر على إنطاقنا من باب أولى ﴿وَالِيَهُ تَرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ لا مفر لكم من ذلك.

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ ما كنتم تختفون من شهادة أعضائكم عليكم، ولا تتحرزون منها ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ فلذلك أقدمتم على فعل السيئات.

﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ ظنكم أن الله تعالى لا يعلم من ذلك شيئاً ﴿أَزْدَنْكُمْ﴾ هو الذي أهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ لكل شيء.

﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى﴾ مستقر ومأوى ﴿لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا﴾ يطلبوا التخفيف عنهم من النار ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ فاتهم زمن العتبي؛ فلا خلاص لهم من النار.

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ من الشياطين ﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من شهوات الدنيا ولذاتها ﴿وَمَا خَلَقَهُمْ﴾ فأنسوهم الآخرة ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ العذاب ﴿فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْغَنِيِّ وَالْإِنْسِ﴾ قد حق عليهم من العذاب ما حق على هؤلاء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ الدنيا والآخرة.

- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ لا تصغوا له، ولا تستمعوا إليه ﴿وَالْعَوَافِيهِ﴾ عارضوه، وغطوا على سماعه حتى لا يصلكم منه شيء ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ بصدكم عن سماع هذا القرآن.
- ﴿فَلَنَذِقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ يوم القيامة ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ على أعمالهم ﴿أَسْوَأَ﴾ أقبح ﴿الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ في الدنيا.
- ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ﴾ هذا هو جزاؤهم ومردُّهم، وعاقبة أمرهم ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ لا يخرجون منها ﴿جَزَاءُ يَمَا كَانُوا يَكُونُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ جزاء جحودهم.
- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الاتباع منهم ﴿رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ اللذان قادانا إلى الضلال والعذاب من شياطين الإنس والجن ﴿نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ مكاناً وعذاباً.

التدبير

١- أحاديث الندم والاستعتاب والاعتذارات تجري في ساحات القيامة ﴿وَقَالُوا لَجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٣١﴾ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ﴿٣٢﴾ فماذا يقول المفرطون اليوم قبل حلول تلك اللحظات؟!

٢- تهيأ لتلك اللحظات، فما تراه اليوم صامتاً سيدلي عليك بالشهادة ناطقاً بيّناً ﴿وَقَالُوا لَجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ



خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٤﴾

٣ - من سوء ظنهم بالله تعالى أنهم لم يحسبوا له حساباً في معترك الشهوات ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

٤ - ومن سوء ظنهم برهم أنهم يعتقدون أنه لا يراهم، ولا يرقبهم، ولا يعرف شيئاً عن واقعهم ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

٥ - ومن سوء ظنهم بالله تعالى اعتقادهم أنه لا يجازيهم، ولا يقدر عليهم، ولا يصل إليهم ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

٦ - نافذة على حشرات المفرطين ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَوْىٰ لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

٧ - هذه مشكلة أمم كثيرة في واقع الحياة ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

٨ - قل لي من تصاحب أقول لك من أنت! ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾ ﴿٢٥﴾.

٩ - تفقد صاحبك ألا يكون سبباً يقودك إلى النار ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾ ﴿٢٥﴾.

١٠ - كم مرة قامت المعصية في واقعه، ولم يصنع فيها شيئاً، صاحبه وقرينه هو الذي رتب أمورها ودفع المال، وهياً المنكر، ثم تركه ليتحمل تبعاته في الدارين ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾ ﴿٢٥﴾.

١١ - أدركوا أن فيه شيئاً فتواصوا على عدم السماع ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ بل على إثارة اللغط والصياح في وجه هذه الحقيقة الآسرة.

١٢ - لا تمارس مع هذا الوحي هذا اللغو، وتجعله في مواجهة الإيمان ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ لم يسمعه من قبل، ولا يحب ذلك، وإذا سمعه أدار نقاشاً في قضية توجب له الانصراف.

١٣ - إذا عجز الإنسان عن مواجهة الحقيقة أثار في وجهها اللغط والخصام والنزاع لعله يحجبها ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ ﴿٦٦﴾.

١٤ - من فقه الداعية وصاحب الرسالة أن يوجه هذا القرآن إلى آذان السامعين ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ ﴿٦٦﴾.



١٥ - أعظم سلاح يُواجه به النفاق والكفر والفساد هو هذا القرآن، فلا تنشغل بغيره ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (٢١).

١٦ - من أصغى لهذا القرآن مقبلاً لقي كل ما يتمناه ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (٢١).

١٧ - من كمال فقهك أن تجعل لنفسك ورداً مسموعاً ومقروءاً من كتاب الله تعالى كل يوم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (٢١).

١٨ - المعركة معركة وحي، وإذا أردت أن تضرب عدوك فواجهه بهذا القرآن ففهماً، وعلماً، واستدلالاً، وتلاوة ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (٢١).

١٩ - لا يروعك الكفر، انتظر قليلاً؛ فسيأتي يوم الخلاص ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٧) ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ هُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ مَا كَانُوا يَأْكُلُونَ ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (٢٨).

٢٠ - نافذة أخرى على حشرات المفرطين ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ (٢٩) يريد أن يراه لا ليضربه ويهزئه ويخاصمه، كلا وإنما يريد أن يمشي عليه بقدميه لما صنعه في حياته من الخسران.

٢١ - تصوّر صاحباً يسأل عن صاحبه ليجعله تحت قدمه، وليشف منه غليله ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ (٢٩) ما أكثرهم في زمانك! وما أشدّ فجيعتك بهم في يوم القيامة!


إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
 الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ
 الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ
 وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ تَزُولُ مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾
 وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ
 إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ
 ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ
 وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقُهَا
 إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ
 فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ عَائِلَتِهِ
 اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ
 وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ
 إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ
 رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾



التفسير

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ على أمر الله تعالى وطاعته ﴿تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عند الموت ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ على ما يستقبل من أموركم ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما فات منها ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ فهي مستقركم ومقامكم.
- ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فقد كنا نسدِّدكم ونحفظكم ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ يوم القيامة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ﴾ من كل ما ترغبون وتحبون ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ ﴿٣١﴾ تطلبون.
- ﴿زُورًا﴾ هذا النعيم الذي تجدونه ضيافة لكم ﴿مِّنْ غَفُورٍ﴾ يستر السيئات ويمحوها ﴿رَحِيمٍ﴾ ﴿٣٢﴾ بما وفقكم للخيرات وأعانكم عليها.
- ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ لا أحد أحسن كلاماً وطريقة ﴿مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ بتعليم الجاهلين، وتذكير الغافلين المعرضين ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ فعل ما أمره الله تعالى به ﴿وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ المنقادين لأمر الله تعالى.
- ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ فكلُّ من أساء إليك أحسن إليه ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ ﴿٣٤﴾ فإذا فعلت ذلك تحوَّلت عداوة المسيء إلى مودة ومحبة ﴿وَمَا يُلْقِيهَا﴾ هذه الخصلة العظيمة من الأخلاق ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على ما يتلون به ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ ﴿٣٥﴾ نصيب كبير من التوفيق.
- ﴿وَأَمَّا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ إذا ألقى الشيطان في نفسك وسوسة الباطل، والتحريض على الضلال ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ فإنها دواء لهذا الكيد ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لقولك ﴿الْعَلِيمُ﴾ ﴿٣٦﴾ بحالك.

• ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ الدالة على قدرته وعظمته ﴿الَّيْلُ﴾ بما فيه من سكون
﴿وَالنَّهَارُ﴾ بما فيه من حركة ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ بما فيهما من المصالح
العظيمة للعباد ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ فإنهما خلق من خلق الله
تعالى ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (٣٧) فهو
المستحق للعبادة.

• ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا﴾ عن عبادة الله تعالى ولم ينقادوا له ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ
رَبِّكَ﴾ أي الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ (٣٨)  لا يملون.

التدبر

١ - هذه الحقائق؛ فدونكم أيها الكبار! ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا
تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ
تُوعَدُونَ﴾ (٣٠) نحن أولياؤكم في الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا
تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ (٣١) نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢).

٢ - في مشهد الموت تنزل عليهم الملائكة ترحيباً وتوديعاً وتطميناً ﴿إِنَّ الَّذِينَ
قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا
وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠) نحن أولياؤكم في الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ (٣١) نَزَّلْنَا مِنْ
غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢) وقد عاشوا في مشهد النعيم بكل تفاصيله في الحياة.

٣ - الجنائز التي نحملها إلى ساحة الأفرح ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ
اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي



كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا دَشَّتْهُيْ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾

٤ - تخيل تلك الجنائز التي تنتظرها الملائكة للسلام والبشائر ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا دَشَّتْهُيْ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾

٥ - تخيل ميتاً يُستقبل بهذه المعاني! ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾

٦ - هل تصوّرت نجاحاً كهذا النجاح! ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾

٧ - يا أهل موتى الصالحين! خففوا عن أعينكم من البكاء؛ فقد آن أوان الفرح والمسرات ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾

٨ - من كان الله تعالى وليه لا يمكن أن يضيّعه في ساعة الحاجات ﴿نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾

٩ - ﴿نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ تكفيك عن كل آمالك التي لم تجدها في طريقك الطويل.

١٠ - لو لم يكن من الحياة كلها إلا هذا المعنى ﴿نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ لكان كافياً وافياً.

١١ - من مقتضيات هذه الولاية في الدنيا أنه يهدي قلبك، ويدلّك على الخير، ويوفّقك إليه، ويسدّدك، ويكون معك في أمرك، ولا يختار لك إلا الأجل



والأفضل والأحسن، ويصرفك عن طرق السوء والضلال والخسران، ويمدك بالبركة في عمرك ووقتك ومشاريعك ﴿نَحْنُ أَوْلَىٰكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾.

١٢ - ومن مقتضيات هذه الولاية أن يميّتك على الحق، ويحسن خاتمتك، وينعم عليك في قبرك، ويوم القيامة في مواقف الحساب، ويرفعك إلى أعالي الجنان ﴿نَحْنُ أَوْلَىٰكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾.

١٣ - ماتوا، فهل فقدوا شيئاً؟! ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾.

١٤ - أمانيك التي قصرت الدنيا عن تحقيقها ستستقبلك في أول خطوات الآخرة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾.

١٥ - ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ في قبرك، وعند لقاء ربك، وفي كل مساحة من تلك المساحات التي ستأتي إليها في قادم أمرك.

١٦ - تَمَنَّ، سَلْ ما شئت، ارجب في كل ما تريد، كلُّ ذلك لا يعدو أن يكون جزءاً من هذا الإكرام ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾.

١٧ - الدعاة إلى الله تعالى أحسن الناس قولاً وبياناً ومنطقاً وجمالاً وموضوعاً وهدفاً وغايات ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣).

١٨ - يكفي الدعاة هذه التزكية الكبرى من الله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣).

١٩ - تخيّل وأنت تلقي كلمة، أو محاضرة، أو درساً، أو لقاء أنك تقول أحسن الأقوال والأفعال ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣).



٢٠ - تحسّس طريقك، وألقِ بالاً لتوجهك، وراقب نيّتك؛ فالقضية مشروطة بصدق النية ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ دعا إلى الله تعالى.

٢١ - الدعوة للأحزاب، والجماعات، والانتماءات ليست من شأن الدعوة في شيء ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾.

٢٢ - تأكد من دعوتك وتوجهك ونيّتك؛ لأن من الدعوات ما يجري في فلك الأشخاص ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾.

٢٣ - الدعوة حركة وجهاد وعمل وتاريخ، وليست قولاً مفصلاً عن واقعها العملي والتطبيقي ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾.

٢٤ - كل دعوة مفصولة عن منهجها الحركي والعملي والتطبيقي فهي لا تعدو كلمات تذهب مع الرياح ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٢).

٢٥ - أشرف بفكرتك ومشروعك ورسالتك، وأفصح عن توجهاتك ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣) وقال إنني من المسلمين!

٢٦ - رزقه الله تعالى علماً وحُرماً أن يكون في عداد هذا الموكب الكبير ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣).

٢٧ - من الغبن أن يقوم بأحسن الأقوال من لا يملك رسالة واضحة وأسلوباً متميّزاً ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣).

٢٨ - تعلّم أن تواجه الفوضى بأدب ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤).



٢٩ - أعظم ما تواجه به الكائدين، والظالمين، والمعتدين أن تأخذ بهذه الوصية الربانية ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤).

٣٠ - من قواعد الدعوة أن تحتضن الأعداء، وتريهم مباهج الأخلاق ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤).

٣١ - بهذه القاعدة يتحوّل الأعداء إلى أنصار وزملاء وصحبة طريق، وأعوان في الحياة ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤).

٣٢ - تعلّم ألا تلقي بالاً لمن يخطئ في حقك، أو يسيء إليك، أو يظلمك يوماً ما ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) لو أخذنا بهذا الخلق لعاد العالم في جزء كبير من مساحته صفّاً لا يتخلله نقص أو عوار.

٣٣ - من ألقيها وجمالها أنك لا تنالها إلا بصبرك وعلو منزلتك ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٣٥).

٣٤ - من فالك في الحياة أن يرزقك الله تعالى هذه الأخلاق ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٣٥).

٣٥ - إذا منّ الله تعالى عليك بالأخلاق فقد منّ عليك بأعظم الحظوظ ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٣٥).

٣٦ - المجاهدة والمصابرة طريقك لتحقيق ذلك الحظ العظيم ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٣٥).



٣٧ - ما أول خطوة في بلوغ هذا الحظ؟! إذا وقع في قلبك شيء باتجاه أخيك فافزع إلى الاستعاذة ﴿وَمَا يَزَعْنِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣٦).

٣٨ - كلُّ خُلْفٍ يقع في سيرتك فهو من أثر الشيطان ﴿وَمَا يَزَعْنِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣٦).

٣٩ - وكل مشكلة لا تحظى في علاجها بخطوات عملية لا قيمة لخطوات ذلك العلاج ﴿وَمَا يَزَعْنِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣٦).

٤٠ - تدرّب على بناء أخلاقك وعاداتك الإيجابية من خلال المحاولة ﴿وَمَا يَزَعْنِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣٦).

٤١ - لا تسقط في حضيض عدوك ﴿وَمَا يَزَعْنِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣٦) وإذا وقعت؛ فالاستعاذة أول الخطوات لل فكك منه.

٤٢ - يجب ألا تسجد إلا لله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَجْدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (٣٧) وإياك أن تسجد بقلبك ومشاعرك لمخلوق!

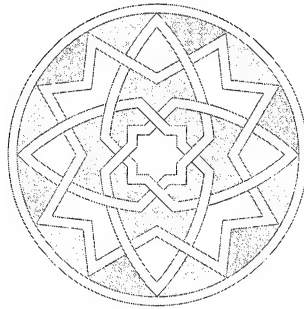
٤٣ - رفضك لعبودية ربك لا يضر أحداً سواك ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ (٣٨).

٤٤ - الله تعالى ليس في حاجة إليك، ولا في حاجة إلى عبادتك ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ (٣٨).

٤٥ - العالم يضجُّ بالعُباد في كل مكان؛ فلا تظن أنك ستصنع فارقاً باستكبارك ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ (٣٨).

٤٦ - تَخَيَّلْ هَذَا الْعَالَمَ الْمَلَائِكِي الَّذِي يَسْبِحُ لَيْلاً وَنَهَاراً، لَا يَتَوَقَّفُ وَلَا يَتَسَلَّلُ إِلَيْهِ السَّامَةُ وَالْمَلَلُ ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ وانظر إلى واقعك وما ترصده في أوقاتك لله تعالى.

٤٧ - كُلَّمَا اقْتَرَبَ الْإِنْسَانُ مِنْ رَبِّهِ عَرَفَ قَدْرَهُ وَقَامَ بِوَجْهِهِ ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ ﴿٣٨﴾.



وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ
 اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُجِي الْمَوْقِعِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ
 يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ اعْمَلُوا مَا
 شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا
 جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكُنْتُ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ
 يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يَقَالُ لَكَ
 إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو
 عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا
 فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا
 هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ
 وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ
 ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا
 كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي
 شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ
 فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

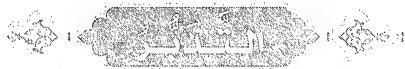
التفسير

- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ الدالة على قدرته ﴿أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ هامة، لا نبات فيها ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ﴾ الغيث ﴿أَهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ تحركت وأنبتت الزروع والشمار ﴿إِنَّ الْأَرْضَ أَحْيَاها﴾ أي الأرض ﴿لَمَحْيِ الْمَوْتِ﴾ بعد موتهم ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يعجزه شيء.
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ فيميلون بها عن الحق؛ إما إنكاراً وجحوداً، أو تحريفاً ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ بل نعلم ما يفعلون ﴿أَفَنُيْلَقِي فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ لا يستويان ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ تهديد ووعد ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ كل عمل تعملونه؛ فإن الله تعالى يراه ويرقبه.
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ بالقرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ فلم يأتروا بما فيه ﴿وَلِئِنَّهُ لَكِتَابٌ﴾ جامع لأوصاف الكمال ﴿عَزِيزٌ﴾ منيع من تحريف المبطلين.
- ﴿لَا يَأْنِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ فلا يتمكن أحدٌ كائناً من كان من تحريفه، أو العبث فيه ﴿تَنْزِيلٌ﴾ هذا القرآن ﴿مِنْ حَكِيمٍ﴾ في خلقه وأمره ﴿حَمِيدٌ﴾ على ما له من صفات الكمال.
- ﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾ يا رسول الله ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فكل ما تلقاه لقيه من تقدمك من الرسل ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ تمحو خطيئة كل مذنّب ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ لمن أعرض ولم يعتبر.
- ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَمِيًّا﴾ بلغة غير العربية ﴿لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتِ آيَاتُهُ﴾ هلاًّ بُيِّنَتْ ووضّحت حتى نفهمه ﴿عَجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ كيف يكون القرآن أعجمي ومحمد ﷺ عربي ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي القرآن ﴿هُدًى﴾ يبين

لطالب الحق سبل النجاة والفلاح ﴿وَشَفَاءٌ﴾ من أدواء الأجساد والقلوب ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالقرآن ﴿فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ صمم ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ فلا يبصرون به مواطن الخير ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ٤٤ مثل هؤلاء في إعراضهم كمن يُنادى من بعيد، لا يسمع ما يقال له.

• ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ فكما اختلفوا عليك في القرآن فقد اختلفوا قبلك على موسى في التوراة ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بأجلٍ محدّد ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ في لحظة اختلافهم وعنادهم وكبرهم ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ ٤٥ تكذيبهم للقرآن لم يقلوه جزماً، وإنما عن شكٍّ وظن.

• ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ نفعه وثوابه ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَلَعَلَّهَا﴾ ضرره وعاقبته ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ٤٦ إنما يوفيهما ما كسبوا؛ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.



١ - حين ينزل الغيث لا تنشغل بشكل الأرض، بل تأمل كيف عادت بهيجة من جديد، ومن الذي أودع فيها الحياة ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ﴾ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَشِيعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٣٩.

٢ - إذا أردت أن تعرف كيف يبعث الله تعالى الموتى؛ فتأمل في الأرض كيف تحوّلت من صحراء إلى مساحة ربيع ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ﴾ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَشِيعَةً

فَإِذَا أَنْزَلْنَاهَا عَلَىهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ .

٣ - من وعي المعلم والأب وصاحب الرسالة أن يقرب مفاهيمه لمن يتولى تربيتهم من خلال الأمثلة ﴿وَمَنْ آيَنِيهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَشِيعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَاهَا عَلَىهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ .

٤ - العتب بآيات الله تعالى الشرعية مرصود مكتوب، لا يفوت منه على الله تعالى شيء ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ .

٥ - شريعة الله تعالى أجل من أن يخوض رحابها جاهل، أو يتسور محاريبها متعالم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ .

٦ - من فقهك وكمال علمك أن تجري صفات الله تعالى على ظاهرها، دون أن تعبت فيها بشيء من التأويل ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ .

٧ - يجب أن يجري فهم الشريعة على فهم السلف، وغير ذلك عدوان على النصوص بغير علم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ .

٨ - كل عابث بهذه المعاني سيلقى جزاءه أقرب ما يكون ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ .

٩ - على طالب العلم أن يضع هذا المعنى بين عينيه حتى لا يضل ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ .



١٠ - يكفرون بالقرآن وهو أعظم ما وصلهم من الله تعالى، إنهم لا يعرفون طريق الحق ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْتُ عَزِيْزٌ ۖ ﴿٤١﴾ لَا يَأْنِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۖ﴾.

١١ - من مظاهر عزة هذا القرآن أنه لا يتأتى لكل طارق ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْتُ عَزِيْزٌ ۖ ﴿٤١﴾ لَا يَأْنِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۖ﴾.

١٢ - ومن مظاهر عزته أنه لا يمكن أن يتعرض لتحريف أو تزوير ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْتُ عَزِيْزٌ ۖ ﴿٤١﴾ لَا يَأْنِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۖ﴾.

١٣ - ومن مظاهر عزته أن حفظه عزيز ولا يثبت إلا في قلوب الجادين ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْتُ عَزِيْزٌ ۖ ﴿٤١﴾ لَا يَأْنِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۖ﴾.

١٤ - ومن مظاهر عزته أن خيرات هذا العزيز لا تأتي إلا في حياة من يهب له وقته، ويرعاه بمشاعره وقلبه ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْتُ عَزِيْزٌ ۖ ﴿٤١﴾ لَا يَأْنِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۖ﴾.

١٥ - ومن مظاهر عزته أن يمنح صاحبه العزة والتفوق والعلو، حتى إنه ليكون أمير القوم، وإمامهم في مواطن الكرامة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْتُ عَزِيْزٌ ۖ ﴿٤١﴾ لَا يَأْنِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۖ﴾.

١٦ - أراد أحد النصارى أن يعرف الحق؛ فأخذ نسخاً من القرآن والتوراة والإنجيل، وحرّفها تحريفات بسيطة، لا يكاد يدركها القارئ، ثم باعها يقول: كل نسخ القرآن التي بيعتها عادت إليّ ورُفضت، يقولون فيها تحريف، ولم تعد إليّ أي نسخة من



التوراة والإنجيل فعرفت الحق وأسلمت ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْتُ عَزِيْزٌ ۝٤١ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ .
 ١٧ - نافذة على واقع الحياة من ميلاد الحياة إلى يومك هذا ﴿مَا يَقَالَ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ۝٤٣﴾ ستظل مليئة بالعقبات والآلام والأزمات.

١٨ - المعركة مع الباطل ليست معركة دليل وحجة وبرهان، بل هي معركة شهوات وشبهات، وضلال وغواية فتنه! ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْءَانٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝٤٤﴾ .
 ١٩ - ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ هُدًى لِّقَلْبِكَ، ولروحك، ولتفكيرك، ولمشروعك، ولقصة حياتك.

٢٠ - ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ شفاء لِّقَلْبِكَ، وللشبهات العارضة في طريقك، والشهوات التي تعترضك في حياتك.
 ٢١ - من شرط انتفاعك بالقرآن إيمانك به أولاً ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ﴾ .

٢٢ - يسألون: لم يجدوا هذه الروح! ولم تبلغهم هذه المعاني في كتاب الله تعالى! لعلهم ممن عنى الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْءَانٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۖ﴾ .

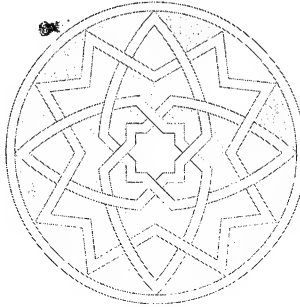
٢٣ - إذا أردت أن تجد رحاب هذه الحقيقة في قلبك؛ فاقرا هذا القرآن بقلبك ومشاعرك ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْءَانٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۖ﴾ .

٢٤ - لا تقلق على قضيتك وفكرتك ومشروعك، حتى موسى عليه السلام جاهد على صدق كتابه والخلاف فيه ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ ﴿٤٥﴾.

٢٥ - لا تستعجل قضاء الله تعالى في المعرضين، قضى الله تعالى أن يجري في وقت قدره المحدد، لا يتقدم ولا يتأخر ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ ﴿٤٥﴾.

٢٦ - طاعتك ثمرتها لنفسك؛ فلا تتناقل عن أمانيك ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ﴿٤٦﴾.

٢٧ - معصيتك لن تضر بها سوى نفسك ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ﴿٤٦﴾.



﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا
 وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ آيَنَ
 شُرَكَاءِي قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ
 عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحْصٍ ﴿٤٨﴾ لَا
 يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ
 قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتهُ
 لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ
 رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا
 وَلَنُدَيِّقُنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ
 أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ
 ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ
 بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَرُّهُمْ
 ءَايَتُنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ
 أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي
 مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ ءَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴿٥٤﴾



التفسير

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ فلا يعلم أحد غير الله تعالى بخبرها ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ وعائها ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى﴾ سواء من بني آدم أو من غيرهم ﴿وَلَا تَضَعُ﴾ هذه الأنثى حملها ﴿إِلَّا يَعْلَمُهُ﴾ لا يغيب عنه من ذلك شيء ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ ينادي رب العالمين المشركين المكذِّبين ﴿أَيْنَ شُرَكَاءِي﴾ الذين زعمتم أنهم لي شركاء؛ فعبدتموهم من دوني ﴿قَالُوا أَأَدْنَاكَ﴾ أعلمناك ﴿مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ ﴿٤٧﴾ على ذلك، بل نقر بطلان ذلك كله.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ ضاع وذهب ﴿وَوَضُّوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾ ﴿٤٨﴾ محيد من عذاب الله تعالى ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ﴾ لا يملأ ولا يتعب ﴿مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ من سؤال الله تعالى الغنى والولد والعافية ﴿وَلِإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ في بدنه أو ماله أو أهله ﴿فَيَتَوَسَّسُ قَنُوطٌ﴾ ﴿٤٩﴾ يائس من رحمة الله تعالى، لا سبيل إلى العافية بعد ذلك.

﴿وَلِإِنْ أَدْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّاهُ﴾ أعدنا عليه العافية بعد البلاء الذي ذاقه ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ فأنا المستحق لذلك، لا فضل لأحد به ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ نكران للبعث، وكفران للنعمة ﴿وَلِإِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي﴾ على افتراض وجود قيامة وبعث ﴿إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَ﴾ العاقبة الحسنة في الآخرة ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ نذكِّرهم بأعمالهم القبيحة في الدنيا ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ﴿٥٠﴾ شديدٍ موجه.

- ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ في بدنه وماله وأهله ﴿أَعْرَضَ﴾ عن ربه ﴿وَنَسَا بِجَانِبِهِ﴾ ترفع كبراً وبطراً ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ في بدنه وماله وأهله ﴿فَذُوْ دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ (٥١) كثير الدعاء بزوال المكروه.
- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي هذا القرآن ﴿ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ فلم تصدقوا ما فيه ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (٥٢) فلا أحد أضلّ ممن كان كذلك.
- ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ﴾ في الكون بما يرونها في الأرض أو السماء ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من بديع الخلق وعجائبه ﴿حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ بهذه الدلائل والآيات ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ ألم يكفهم شهادة الله تعالى على أن هذا القرآن حق ﴿أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٥٣) لا يغيب عنه من ذلك شيء.
- ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ في شكٍّ من القيامة ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ (٥٤) علماً وقدرَةً وعزّةً.

التدبر

- ١- دعك من الأسئلة التي لا تصنع لك عملاً، توجه للعمل، وابدأ رحلة الإبداع والإنجاز ﴿إِلَيْهِ يَرْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ آتِينَ شُرَكَاءِي قَالُوا ءَاذَنْتَكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ (١٧) سؤال الساعة من هذا النوع.
- ٢- ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ﴾ ليس هذا فحسب بل هو كل شيء!



٣ - كل ما يجري في بطون الأمهات وأكمام الثمار، لا يخرج عن علم الله تعالى، ولا يفوته منه شيء ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَةٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾.

٤ - حتى ما يجري في نفسك، ويعتلج في صدرك، ويثور في وجدانك، كله في علم الله تعالى ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَةٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾.

٥ - كل من ضلَّ عن دين الله تعالى فقد ضلَّ الطريق ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾ (٤٨).

٦ - كانوا يدعون أشخاصاً وعادات وقوانين، ويقيمون لها شأنًا من دون الله تعالى ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾ (٤٨).

٧ - طبيعة ضعيفة، تحتاج إلى كمال علم وعقل ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَكْشُ قَنُوطٌ﴾ (٤٩).

٨ - ما أقبح الكبر! ﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (٥٠).

٩ - ﴿هَذَا لِي﴾، ﴿إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ هذه أدواء المتكبرين، وأمراض كثير من العالمين!

١٠ - ﴿هَذَا لِي﴾، ﴿إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ إذا ألقت بواقعها في قلب إنسان فلا تكاد تجد له فلاحاً في طريق.

١١ - ﴿هَذَا لِي﴾، ﴿إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ وثالثتها (أنا) ولم يبقَ بعد ذلك من أدوات البغي في حياة إنسان شيء.

١٢ - من كمال أدبك مع ربك ألا تعيد فضلاً أو نعمة إلى نفسك، بل اجعل ذلك كله من فضل الله تعالى ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ٥٠﴾.

١٣ - أسدل عليه العافية، وأفاض عليه النعم؛ فلم يُقم شأناً لربه، وأرداه بالمرض؛ فإذا به في سرير المرض يصبح داعياً مضطراً منيباً إلى ربه، ما أقبح كبر هذا الإنسان! وما أسوأ إعراضه! ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ٥١﴾.

١٤ - من فضل الله تعالى عليك ورحمته بك أنه يبين لك عن كل ما يعينك على الوصول إلى غاياتك الكبرى ﴿سَرُّهُمْ ءَايَتُنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٥٢﴾.

١٥ - من كمال رحمة الله تعالى أنه يقيم كل الأدلة والشواهد والبراهين الدالة على أنه الحق ﴿سَرُّهُمْ ءَايَتُنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٥٣﴾.

١٦ - خلل الرؤية موجبٌ لنهايات السوء ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيقَةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ؕ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ٥٤﴾.

١٧ - كل قضية أو مشروع، لم تتوضح الرؤية فيها، لا يتمكّن صاحبها من عناق نهاياتها التي يريد ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيقَةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ؕ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ٥٤﴾.



سُورَةُ الشُّورَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم ﴿١﴾ عسق ﴿٢﴾ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ
 الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ
 وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي
 الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ
 دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾
 وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا
 وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ
 ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي
 رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ
 دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ
 اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

التفسير

- ﴿حَمَّ ١﴾ عَسَّ ٢ ﴿ من الحروف المقطعة التي تدل على إعجاز القرآن.
- ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ رَبِّكَ﴾ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴿ ويوحى إلى الذين من قبلك
- ﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾ في حكمه، والغالب في أمره ﴿الْحَكِيمُ ٣﴾.
- ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ بذاته وقدره وقهره ﴿الْعَظِيمُ ٤﴾ في ملكه وسلطانه.
- ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ يتشققن من عظمتها تعالى
- ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ينزهونه عن النقص، ويعظمونه بما يليق
- به ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ عما يصدر منهم، مما لا يليق بالله تعالى وعظمتها ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٥﴾ فلا يعاجل عباده بعقوبته.
- ﴿حَفِظْتُ عَلَيْهِمْ﴾ يحفظ أعمالهم، ويجازيهم بها يوم القيامة ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ٦﴾ في حفظ أعمالهم، وإنما أنت منذرٌ لهم، ومبلغٌ لرسالة الله تعالى إليهم.
- ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب ولسانها ﴿لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ مكة المكرمة ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ مما جاورها من القرى ﴿وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ يوم القيامة ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك فيه ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ٧﴾ فمنهم فريق في الجنة وآخر في النار.
- ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ لو أراد أن يجمع خلقه على هدى؛
- ويجعلهم ملَّةً واحدةً لفعل ﴿وَلَكِنْ﴾ لم يفعل ذلك ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي



رَحْمَتِهِ ﴿ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الرَّحْمَةَ ﴾ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ ﴿ يتولى أمرهم
﴿ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ ٨ ﴿ ينصرهم في ذلك اليوم.

• ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا ﴾ هؤلاء الظالمون ﴿ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ عَبَدُوا مِنْ دُونِهِ خَلْقًا
﴿ فَأَلَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ ﴾ لأوليائه ﴿ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ٩ ﴿
لا يعجزه شيء.

• ﴿ وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ
﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي ﴾ فكما أنه الخالق المدبر؛ فكذلك هو الحاكم المشرع
﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ اعتمدت في كل شيء ﴿ وَإِلَيْهِ أُتِيبُ ﴾ ١٠ ﴿ أرجع إليه
في كل أموري.

التدبر

١ - خذ هذا القرآن بجد؛ فإنه وحى الله تعالى ﴿ حَمْدٌ ﴾ ١ ﴿ عَسَقَ ﴾ ٢ ﴿ كَذَلِكَ يُوحَى
إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ٣ ﴿.

٢ - القرآن أكبر من كتاب تجمع به ومن خلاله الحسنات! ﴿ حَمْدٌ ﴾ ١ ﴿ عَسَقَ ﴾ ٢ ﴿
كَذَلِكَ يُوحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ٣ ﴿.

٣ - سل حاجتك! فالذي يملك كل شيء يعطي ما يشاء ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ ٤ ﴿.

٤ - كل هذا العالم الذي تراه، لا يخرج عن ملك الله تعالى، وهو مخلوق،
فأقم قلبك لربك يأتيك ما تريد ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ
الْعَظِيمُ ﴾ ٤ ﴿.

٥ - أَقِمْ حَصْنَ عَقِيدَتِكَ؛ فَالْكُونُ كُلُّهُ لَا مَالِكَ لَهُ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ④.

٦ - السَّمَاءُ وَهِيَ جَمَادٍ تَنْفَطِرُ؛ فَمَا بِأَلْ قُلُوبِ الْأَحْيَاءِ! ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ⑤.

٧ - هَلْ تَشْعُرُ بِخَشْيَةِ رَبِّكَ! هَلْ تَجِدُ فِي قَلْبِكَ إِجْلَالاً لَخَالِقِكَ! انْظُرْ إِلَى قَلْبِكَ، وَاسْتَعْرِفْ أَيْنَ أَنْتَ مِنْ جَمَادٍ كَالسَّمَاءِ! ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ⑥.

٨ - مَنْ تَعْظِيمُ الْمَلَائِكَةِ لِرَبِّهِمْ أَنَّهُمْ لَا يَكَادُونَ يَسْأَمُونَ مِنْ تَنْزِيهِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِجْلَالِهِ وَتَعْظِيمِهِ ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ⑦.

٩ - مَنْ أَنْتَ حَتَّى تَسْتَغْفِرَ لَكَ الْمَلَائِكَةَ، وَتُلْهِجَ لَكَ بِالْدُّعَاءِ؟! ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ⑧. مَاذَا اسْتَشْعَرْتَ تِلْكَ الْأَعْدَادَ الْغَفِيرَةَ الَّتِي تَجَلُّكَ، وَتَتَرَحَّمُ عَلَيْكَ، وَتَسْتَغْفِرُ لَكَ فِي عَالَمِ السَّمَاءِ؟!

١٠ - يَا هَذَا! إِفْقَهُ مَا تَصْنَعُ! أَنْتَ تَذَنْبُ وَمَلَائِكَةُ رَبِّكَ تَسْتَغْفِرُ لَكَ! ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ⑨.

١١ - لَا تَسْتَكْثِرُ شَيْئاً مِنْ رَبِّكَ ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.



١٢ - مهما تعاظم ذنبك! فسيغفره لك ربك الغفور الرحيم ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

١٣ - التوحيد هو كل شيء ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.

١٤ - لعلك تسأل لماذا يكثر القرآن من حديثه عن الأولياء؟! لأن القلوب التي لا تتخلص من الأصنام والمعبودات الباطلة لا يمكن أن تصبح خالصة لربها؛ ولا تصلح لتحقيق شيء من العبادة ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.

١٥ - حسبك البلاغ، وإفراغ وسعك في دلالة الناس على الطريق، وما عدا ذلك فليس من شأنك في شيء ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.

١٦ - لا تحسب أعداد المتابعين، والحاضرين، والمشاركين! اهتم برسالتك، وأحسن بلاغها، والباقي من شأن العلي العظيم ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.

١٧ - إذا رأيت داعية لا يكون القرآن رسالته الأولى في الدعوة؛ فاعلم أنه قد فاته من التوفيق بقدر فوات الوحي من رسالته ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.

١٨ - أعظم رسول في التاريخ بعثه الله تعالى هادياً بهذا القرآن ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾. فما أنت صانع به في مشروعك ورسالتك!

١٩- رَكَزْ فِي دَعْوَتِكَ وَمَشْرُوعِكَ عَلَى الْوَحْيِ، وَمَا عَدَاهُ قَوْلُ يُسْتَأْنَسُ بِهِ، أَوْ يَكُونُ زَائِدًا لَا حَاجَةَ لَكَ فِيهِ ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ ﴿٧﴾.

٢٠- لَا تَقْلُقْ! فَهَذَا الصَّرَاعُ الَّذِي تَرَاهُ هُوَ جُزْءٌ مِنْ حِكْمَةِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿٨﴾.

٢١- مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى هَذَا الْاِخْتِلَافُ وَالِافْتِرَاقُ بَيْنَ الْمَخْلُوقِينَ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿٩﴾.

٢٢- يَجِبُ أَنْ يَسْلَمَ قَلْبُكَ لِلَّهِ تَعَالَى أَوَّلًا ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٠﴾.

٢٣- إِذَا شَعَرْتَ بِحَاجَتِكَ إِلَى وَلِيِّ يَخْدُمُكَ، وَيَقُومُ بِشَأْنِكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَتِلْكَ اللَّحْظَةُ تَسْتَحِقُّ قِرَاءَةَ رِسَالَةٍ خَاصَّةٍ فِي الْمَعْتَقَدِ ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١١﴾.

٢٤- فِي الْوَحْيِ حُلُولُ مَشْكَلاتِكُمْ وَخِلَافَاتِكُمْ وَنِزَاعَاتِكُمْ، وَفِيهِ كُلُّ شَيْءٍ ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَالِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ﴿١٢﴾.

٢٥- تَعَلَّمْ أَنْ تَلْقَى بِكُلِّ مَشْكَلاتِكَ إِلَى هَذَا الْوَحْيِ، وَتَحَاكِمَهَا عَلَيْهِ فِي هَذَا الْوَقْتِ ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَالِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ﴿١٣﴾.

فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
وَمِنْ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾
﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ
يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا
تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ
أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾
فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ
بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا
حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

التفسير

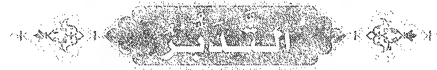
• ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خالقهما ومبدعهما على غير مثال سابق ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ لتسكنوا إليها ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ من كل نوع صنفين ﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾ ييثُكم ويكثركم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ لا في أسمائه، ولا صفاته، ولا قدرته ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) لكل شيء.

• ﴿لَهُ، مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكهما ومفاتيح الخير فيهما ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾ يوسعُه ويفتحه لمن أراد ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيِّقه ويقلِّله ﴿إِنَّهُ، يَكُلُّ شَيْءٌ عِلْمٌ﴾ (١٢) لعلمه بما يصلح لكل منهما.

• ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ أن يعمله ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا رسول الله ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ قوموا به في أنفسكم، وتعاونوا على قيامه مع غيركم ﴿وَلَا تَنفَرُقُوا فِيهِ﴾ تحذير من الفرقة والاختلاف ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ شقَّ عليهم غاية المشقة ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ﴾ يختار من يصلح لرسالته وولايته ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ (١٣) من يتذكر.

• ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ أهل الكتاب ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ بسبب البغي والحسد والظلم ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ بتقدير أجل لموتهم ﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ لعاجلناهم بالعقوبة ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد هؤلاء المختلفين في الحق من أهل الكتاب ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٌ﴾ (١٤) من هذا الدين.

• ﴿فَلَيْلَكَ فَادَعُ﴾ فادع أمتك إليه؛ وحضهم عليه ﴿وَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ﴾ قولاً وفعللاً ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أهواء الضالين عن الحق والمختلفين فيه ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ كل كتاب منزل ﴿وَأُمِرْتُ﴾ من الله تعالى ﴿لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ في الحكم فيما تختلفون فيه ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلُنَا﴾ ثوابها وربحها وخسارتها ﴿وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ بربحها وخسارتها ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ لا خصومة ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ يوم القيامة ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (١٥) المرجع والمعاد.



١ - هب من وقتك للتأمل في مساحات هذه النعم ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذروكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (١١).

٢ - ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وهو السميع البصير ﴿فَلَا يَتَأَتَّى فِي قَلْبِكَ وَبَصْرُكَ وَمَشَاعِرُكَ شَيْءٌ مِنْ مِثَابَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمَخْلُوقِينَ﴾.

٣ - ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وهو السميع البصير ﴿يَغْفِرُ وَيَرْحَمُ وَيَتُوبُ عَلَى عِبَادِهِ، وَلَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَتِي وَمَعْصِيَتِكَ فِي شَيْءٍ﴾.

٤ - ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وهو السميع البصير ﴿يُعْطِي وَيُمْنَعُ، وَيَأْخُذُ وَيَهْبِ، دُونَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ خَزَائِنِهِ شَيْءٌ﴾.

٥ - ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وهو السميع البصير ﴿فَكُلْ مَا تَرَاهُ مِنْ جَمِيلٍ فَهُوَ يَهْبِ أَفْضَلَ وَأَرْوَعَ وَأَبْدَعَ، وَمَا لَا يَأْتِي فِي فِكْرِكَ وَخِيَالِكَ فِي الْأَصْلِ﴾.

٦ - ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رحمته فوق تصورك، وأبعد بكثير مما يجري على بالك، وغضبه وعذابه أشنع وأبشع وأكبر مما ترى في واقعك.

٧ - ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ إذا رضي عشت في ربيع لا تأتي على مساحاته، وإذا غضب فلو أعطيت الدنيا ما سدت عنك نافذة من الآلامك وأتعباك.

٨ - ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ يسمع حديثك، ويبصر تصرفاتك، ويرى مكانك، ويعرف ما يعتلج في صدرك ومشاعرك.

٩ - ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ يسمع ويرى دبيب النملة السوداء على صخرة صماء في ظلمة الليل.

١٠ - ﴿لَهُ، مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ، بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ فما تحتاجه وتريده وتشتهيه فهو الذي يملكه، ويصرفه كيف شاء، ومتى شاء.

١١ - لا تقلق على رزقك؛ فالله تعالى يدبر شأن خزائن السموات والأرض ﴿لَهُ، مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ، بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

١٢ - ما لم تتحوّل هذه المعاني إلى عقائد، وإلاّ صارت معلومات لا قيمة لها في واقع صاحبها ﴿لَهُ، مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ، بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

١٣ - سمع أن صاحبه وجاره وقريبه قد كسبوا صفقةً بالآلاف الريالات، وبات يتلظى من الحسد، وفاته هذا المعنى الكبير ﴿لَهُ، مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ، بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.



١٤ - إذا بلغك بأن فلاناً اغتنى، وآخر افتقر؛ فاعلم أن الله تعالى أجرى ذلك، وله فيه حكم وغايات ﴿لَهُ، مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ، بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

١٥ - إذا فتح الله تعالى لك باب رزق؛ فاحمد الله تعالى، وإذا سدّ عنك باباً آخر؛ فاحمد الله تعالى؛ فالله تعالى يجري الكون على ما يريد ﴿لَهُ، مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ، بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

١٦ - املاً قلبك ثقة بأن ما هو لك فهو آتيك، وما ليس لك فلو حشدت الدنيا ما بلغت منها إلا ما كتبه الله ﴿لَهُ، مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ، بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

١٧ - إذا انتهى راتبك فتعلّق بصاحب الخزائن، وإذا كثرت ديونك فارتق ببصرك للسماء، وإذا داهمتك الظروف البائسة فارفع رأسك عالياً وقل: يا رب، وما خاب من رجاه ﴿لَهُ، مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ، بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

١٨ - دين الله تعالى ليس فكرةً عارضةً، أو مشروعاً ولد في ربوع مكة، كلا! وإنما هو قضية ضاربة في عمق الزمان والمكان منذ أيام نوح إلى يومنا الذي نعيش فيه ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾.

١٩ - قل للذين يحاولون جاهدين اجتثاث دين الله تعالى: وُلِدَ هذا الدين قبل أن تولد، وقبل أن يطرأ هذه الأرض أحدٌ من العالمين في زمانك ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ

أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾.

٢٠ - دينك هو هذه السلسلة الضاربة في الزمن طولاً وعرضاً، لا تلك الأفكار التي ولدت في عراء، وستموت في هذا العراء ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾.

٢١ - كل الأفكار التي قامت تعارض هذا الدين لا تملك أي حجة ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ لا نَسب لها في التاريخ فكيف تعيش؟!

٢٢ - أعظم قضية في دين الله تعالى هي إقامة المنهج، وعدم الفرقة ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾.

٢٣ - ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ شعوراً وقلباً وروحاً ومعنى، قبل أن ينزل واقعاً وتطبيقاً.

٢٤ - ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ قناعة، ورضى، و يقيناً، وفرحاً وألقاً، لا صورةً وشكلاً.

٢٥ - ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ واقعاً وتطبيقاً وممارسةً وعملاً، لا تنظيراً وحديثاً.

٢٦ - ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ لأن هذا الدين جاء ليجمع الكلمة، ويؤلف القلوب، ويعيد بناء الأمة، ولم يأت ليفرقها ويشتتها، ويجعلها أحزاباً ومنظمات وجماعات لا تلتقي على شيء.



٢٧ - الاجتماع أصلٌ من أصول هذا الدين، وغاية كبرى من غاياته، وضرورة قصوى؛ فإذا فات لم يكن ثمة شيء ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾.

٢٨ - ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ ولذلك حاربوه وطاردوه وعاشوا أعداءً وشائنين له.

٢٩ - ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ فعقدوا للتصدي له بالمؤتمرات الطويلة والنقاشات العريضة فيه.

٣٠ - ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ فجمعوا مفكريهم، واخترعوا له اسماً مسوَّغاً لمطاردته في كل بقعة وهو (الإرهاب).

٣١ - أسوأ لحظة في تاريخ أمة أو مجتمع أو دولة، أو حتى فرد من الأفراد أن يأتي الخلاف بينهم مع وجود العلم ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾.

٣٢ - البغي حاملٌ راية الخلاف بين أهل العلم ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾.

٣٣ - يا لشؤم علمٍ صُرفت عليه الليالي الطوال كان سبباً في خلاف قوم، وضياع مجتمع ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾.

٣٤ - إذا لم يحقق العلم لصاحبه الخيرات؛ فلا مفروح به في واقعه ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾.

أَجَلٍ مُّسَمًّى لِّقَضَىٰ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ .

٣٥ - قم بواجبك، ولا تلتفت للمعارضين في شيء ﴿فَلِذَلِكَ فَادَّعُ ۖ وَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ ۖ وَلَا تَلْبِغْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۖ﴾ ﴿١٥﴾ .

٣٦ - استمرَّ على النضال من أجل فكرتك وقضيتك ومشروعك ورسالتك، مهما كانت الظروف العارضة، وأحداث الطريق ﴿فَلِذَلِكَ فَادَّعُ ۖ وَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ ۖ وَلَا تَلْبِغْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۖ﴾ ﴿١٥﴾ .

٣٧ - ﴿وَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ ۖ﴾ لا كما أردت!

٣٨ - ﴿وَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ ۖ﴾ على ما جاء في كتاب ربك وهدى نبيك ﷺ .

٣٩ - ﴿وَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ ۖ﴾ فإن هذه الاستقامة هي التي تصنع واقعك .

٤٠ - ﴿وَلَا تَلْبِغْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ﴾ حتى لو كانت ظاهراً في صالح مشروعك ورسالتك ودعوتك .

٤١ - الاستعلاء على مفاهيم الجاهلية، والمصالح الموهومة ضرورةً لصاحب المعركة مع الباطل ﴿وَلَا تَلْبِغْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ﴾ .

٤٢ - ﴿وَلَا تَلْبِغْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ﴾ دعوة ألا ترضخ للباطل في أي صورة من صورهِ، ومعنى من معانيهِ .

٤٣ - أظهر هويّتك ورسالتك وقضيتك الكبرى؛ فالحق أبلغ من أن يختفي في صراعٍ أو ظلام ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ۖ﴾ .

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ، مَجْهُومٌ
 دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
 ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ
 لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ
 أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾
 اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ
 ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ
 كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
 نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ
 مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ
 وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ
 مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ
 لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾



التفسير

• ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾ يخاصمون وينازعون بالحجج الواهية، والشُّبُه الباطلة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ﴾ من الناس ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ باطلة مدفوعة ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ لعصيانهم وإعراضهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (١٦) يوم القيامة.

• ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ أي القرآن نزل بالحق مشتملاً عليه ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ العدل ﴿وَمَا يَذْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ (١٧) وقت قيامها.

• ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ فيقولون: متى الساعة؟! ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ خائفون وجلُّون من قيامها ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ لا شك في ذلك عندهم ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ﴾ يخاصمون وينازعون في وقت قيامها ﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (١٨) لفي ظلم وزيف كبير.

• ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ يحبُّ لهم الخير ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ بقدرته وإرادته ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ﴾ لا يغلبه أحد ﴿الْعَزِيزُ﴾ (١٩) في انتقامه من أهل معصيته.

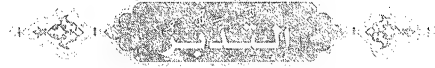
• ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ يريد بعمله ما عند الله ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ نبارك له فيه، ونجازيه بأحسن منه ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾ بأن كانت هي مقصوده، وغاية طلبه ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ نعطيه منها نصيبه الذي قُسم له فيها ﴿وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ (٢٠) قد حُرِمَ من نعيمها وفضلها وما فيها.

• ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ ابتدعوا لهم بدعاً، وأضلُّوهم بها عن الطريق ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾



لولا أن لهم أجلاً مسمى لقضى عليهم وقت ضلالهم وبُعدهم عن الله تعالى ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢١) يوم القيامة.

• ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ يوم القيامة ﴿مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا﴾ وَجِلِينَ خائفين من ذنوبهم ﴿وَهُوَ وَقَعُ بِهِمْ﴾ لا ينفعهم خوفهم وَوَجَلُهُم ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾ في بساتين الجنان ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ من كل ما يشتهون ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (٢٢) وأي فضل بعد هذا النعيم؟!



١ - يطاردون الحق بحجج باطلة ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ، حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (١٦).

٢ - يصنعون مشروعا يعيق الحق، ويتفاجؤون أن الذين أسلموا في هذه المدة أضعاف أضعاف من كانوا يسلمون قبل ذلك ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ، حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (١٦).

٣ - ليتهم فقهوا أنهم لا يأتون إلا متأخرين ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ، حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (١٦).

٤ - ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ (١٧)

وإذا كان كذلك فلا راد لهذه الحقيقة، ولا مُعيق لها في الطريق!

٥ - هذا هو الفرق بين المصدقين والمكذِّبين، أصحاب الوعي وصرعى الشهوات، المؤمنون بالحياة الآخرة والذين يرونها مجرد ظنون ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا

يُؤْمِنُونَ بِهَا^٦ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ^٧ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾

٦ - أرايت ما يصنع الإيمان في حياة صاحبه! ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ مشفق من الساعة، ويعلم يقيناً أنها الحق، ويجتهد في إثراء مساحات الحياة بالعمل والبناء.

٧ - إذا أدركت بوصلتك الشخصية بصورة صحيحة عرفت طريقك، وأقمت حياتك على الحق ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ وبهذه البوصلة تعرف حقيقة هذا اليوم، وتصنع له كل شيء.

٨ - لا تستغرب حين تراه يتخلف عن صلاة الجماعة، أو أنها لا تلبس حجاباً ساتراً، أو أنه يغش في معاملة مالية، أو يجري جزءاً كبيراً منها على الربا؛ لأن البوصلة في غير اتجاهها الحقيقي ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾.

٩ - ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ ﴿١٩﴾ يرزقهم الإيمان، ويهدي قلوبهم إليه، ويدلهم على الخير، ويعينهم فيه، ويسددهم في كل طريق، وما يزال بهم حتى يريهم كل جميل.

١٠ - ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ ﴿١٩﴾ يمنع عنهم أمراً يريدونه، ويضع في طريقه الحواجز والعقبات، ويعسر أمره، وكلما جهدوا في الوصول إليه خلق لهم العثرات، لطفاً منه أن يغرقوا في أحداثه، ويضيعوا مستقبلاً في مشكلاته وهم لا يعلمون.

١١ - ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ ﴿١٩﴾ يفتح لهم باب خير فيأبون، ويدفعهم إليه ويرفضون، ويسر طريقه ومسالكه ويأبون، وما يزال بهم حتى يلجوا بابه؛ فيجدون ما يستحق الأفراح.



١٢ - ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿يُمِيتُ لَهُمْ وَلَدًا فَيَتَأَلَّمُونَ لوفاته، ويندبون حظهم في وداعه، ويغرقون في الحزن والوجد عليه، وقد سبق في علمه أنه قادم على سوءٍ وشرٍّ يلحقه ويلحق أهله، فدفعه عنهم وهم لا يشعرون.

١٣ - ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿حاولوا في وظائف، ورغبوا فيها، واستماتوا في الطريق إليها، وجلبوا وسائط من العالمين، وأبى الله تعالى أن يتمها لهم؛ لأنه سبق في علمه أنهم لو كانوا فيها لصار لهم ما يُشينهم ويكدر خواطرهم ويسيء إليهم؛ فأبعدها عنهم، وحال بينهم وبين ما يشتهون.

١٤ - ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿يسر لعبده التقى معصية، ويدله عليها، ويوقعه فيها، ويذيقه ألمها، ويكسر خاطره بها حتى يستفيق من غروره وكبره وإعجابه بعمله؛ فيعود من جديد تقياً صالحاً متواضعاً، يعرف قدره، ويدرك آثار العجب والكبر في حياته.

١٥ - ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿يفتح لعبده أحياناً باب سوء، ويوقعه فيه حتى يستفيق ألا يقع في كبير شؤم مع النسيان والتمادي والغفلة، فيكون على السنة العالمين.

١٦ - ﴿كُلٌّ يَمُدُّ عَلَى قَدَرِ نَيْتِهِ؛ فَانْظُرْ نَيْتَكَ، وَاسْتَعْلِ بِهَمُومِكَ﴾ ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ ﴿٢٠﴾.

١٧ - ﴿حتى الذين يريدون الدنيا يفتح الله تعالى لهم فيها آمالهم، ويهبهم منها ما يشاؤون﴾ ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ ﴿٢٠﴾.

١٨ - يؤت الله تعالى الدنيا من يشاؤها، والآخرة لا يهبها إلا من يستحقها ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدْ لَهُ، فِي حَرْثِهِ، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ، فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ ﴿٢٠﴾.

١٩ - لا تستغرب أن يهب الله تعالى الدنيا لعدو، أو غير مستحق ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدْ لَهُ، فِي حَرْثِهِ، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ، فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ ﴿٢٠﴾.

٢٠ - حرث الآخرة يكون في الفرائض والواجبات، وترك مناهي الله تعالى، وإجلال شعائره، كما يكون في النوافل والمستحبات لا فرق ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدْ لَهُ، فِي حَرْثِهِ﴾.

٢١ - ركعتان في آخر الليل، وتسبيحة في أوله، وزيارة رحم، وصلة بر، وإرشاد تائه، وإركاب مُنتظِرٍ في عرض الطريق، وكلمة طيبة، وابتسامة عابرة، ولحظة رضى، وتسامح في القلب، كلُّ هذا من حرث الآخرة ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدْ لَهُ، فِي حَرْثِهِ﴾.

٢٢ - حتى خطاب الفقير الذي طلب منك كتابته، ومعاملة الأرملة التي سألتك إيصالها دائرة رسمية، وشفاعة لصديق في حق يريد الوصول إليه أو حاجة يقضيها، وإركابك لمحتاج يريد أن يقضي شيئاً من شؤون الحياة، كلُّه من حظ الآخرة وحرثها ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدْ لَهُ، فِي حَرْثِهِ﴾.

٢٣ - حتى سقيا الحيوان، وإظلالك لدوابك، ورحمتك بعاملك، وعملك في مشروعك ودعوتك، ومرابطتك في عملك الخيري، وسفرك لدعم دينك، ورسائلك التي تدعم بها الفضيلة، وتغريدتك التي ترجو بها هداية العالمين، كلُّ ذلك من حرث الآخرة ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدْ لَهُ، فِي حَرْثِهِ﴾.



٢٤ - ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ فنشرح صدره، ونُسِّره بعمله، ونُسِّعه في حياته، ونُخلفه خيراً في واقعه، ونُجَبِّه عثرات الطريق ومشكلات الحياة.

٢٥ - ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ فنبارك له عمله، ونمدُّ له في مشروعه، ونيسِّر له أسباب النجاح والفلاح فيه، فيكون أسعد ما يكون بوقته الذي يقضيه في رحابه حتى يبلغ به النهايات.

٢٦ - قبح الظلم وسوء أثره ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢١) من شدة غضب الله تعالى عليهم أنه كاد يسقيهم ذلَّ الحياة، ويُلقيهم في مصارع العذاب، لولا ما مضى من قدره المكتوب في اللوح.

٢٧ - أمنتك وخوفك على قدر عملك وتاريخك ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (٢٢).

٢٨ - أبصر موضع قدمك اليوم تربح هناك، وتكون من الفائزين ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (٢٢).

٢٩ - هذا المعنى ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يستحقُّ وحده احتفالاً!

٣٠ - من حقهم هذا الدلال الكبير ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

٣١ - يا لنهايات السعد التي تنتظر المؤمنين في ذلك اليوم! ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا
 أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقَرِّفْ حَسَنَةً نَّزِدْ
 لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ
 كَذِبًا فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحْيِي الْحَقَّ
 بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ
 عَن عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾
 وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ
 وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ
 لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّل بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ
 خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا
 وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِن آيَاتِهِ خَلْقُ
 السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا
 يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فِيمَا
 كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي
 الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾



التفسير

﴿ ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ أي هذا النعيم الذي يناله المؤمنون هي البشرى التي يبشر الله تعالى بها عباده يوم القيامة ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ قل لهم يا رسول الله: لا أسألكم على دعوتي لكم مقابلاً من المال ﴿ إِلَّا أَلْمُودَةَ فِي الْفُرْقَيْنِ ﴾ إنما أطلب منكم ألا تؤذوني في بلاغ ديني لما بيني وبينكم من القرابة ﴿ وَمَنْ يَقَرِّفْ حَسَنَةً ﴾ يعمل حسنة ﴿ تَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴾ نضاعف له أجرها ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ ﴾ لما سلف من الذنوب ﴿ شَكُورٌ ﴾ (٢٢) للחסنات بمضاعفتها.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ هؤلاء المشركون: ﴿ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ بما جاء به محمد من الوحي ﴿ فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ يطبع على قلبك، فَيُنْسِيكَ هذا القرآن ﴿ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ ﴾ فلا يبقى منه شيئاً ﴿ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ﴾ يجعل الحق بها فاشياً ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٢٤) فلا تخفى عليه خافية.

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ متى عادوا نادمين عن ذنوبهم ﴿ وَيَعْفُوا عَنْ السَّيِّئَاتِ ﴾ فيغفرها ويتجاوز عنها ﴿ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُوا ﴾ (٢٥) فلا يغيب عنه من فعل العباد شيء.

﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ لكل ما يأمرهم به الله تعالى، وينهاهم عنه ﴿ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ جزاء استجابتهم ﴿ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ (٢٦) موجع مؤلم.

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ ﴾ فوسّع عليهم في ذلك ﴿ لَبَغَوُا فِي الْأَرْضِ ﴾ لصار سبباً في غيهم وانشغالهم به، وبعدهم عن الله تعالى ﴿ وَلَٰكِنْ يُنَزَّلُ بِقَدَرٍ مَّا

يَشَاءُ ﴿﴾ بحسب ما يراه الله تعالى نافعاً لهم ﴿إِنَّهُ، يُعَادِيهِ، خَيْرٌ بَصِيرٌ﴾ (٢٧) ﴿﴾ يفعل ذلك لكمال معرفته بما ينفع عباده ولا يضرهم.

• ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ من السماء ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ من بعد يأسهم من نزوله ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ بالغيث ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾ الذي يتولى عباده بما يصلح شأنهم ﴿الْحَمِيدُ﴾ (٢٨) ﴿﴾ بما له من الفضل والنعم في خلقه.

• ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ العظيمة الكبيرة ﴿خَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بهذا الحجم وهذا الإلتقان ﴿وَمَا بَتْ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ مما تراه من أصناف الدواب أو لا تراه ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ﴾ يوم القيامة ﴿إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ (٢٩) ﴿﴾ إذا شاء ذلك فعله.

• ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ في الأنفس أو الأموال أو الأولاد ﴿فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ سبب ذلك فعل السيئات، واقتراف المحرمات ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٣٠) ﴿﴾ ويعفو عن كثير من أعمالكم السيئة، فلا يعاقبكم عليها فضلاً منه ورحمة.

• ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ فالله لا يعجزه شيء من أمركم ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٣١) ﴿﴾ فلا يردُّ عنكم عذاب الله تعالى أحد.

السادس

١ - من دلائل صدق الدعوة أنها لا تأخذ مقابلاً منكم على آثارها ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

٢ - من فضلك! اقرأ هذا المعنى بوعي! ﴿وَمَنْ يَقْرَفْ حَسَنَةً نَزَدَلَهُ، فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ مقابل كل حسنة وعدٌ من ربك تعالى بالزيادة والإنعام.



٣ - ﴿وَمَنْ يَقْرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ حسنة تعم كل شيء حتى الابتسامة، والكلمة الطيبة، وسقيا الحيوان، وإركاب الواقف في الطريق، وعونك لطفل في الشارع العام لا فرق.

٤ - الخطوة الأولى تصنع فروقاً في واقع صاحبها ﴿وَمَنْ يَقْرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

٥ - لا تحتقر شيئاً تلقاه في طريقك، أو موقفاً يطرق بابك، أو حتى اتصالاً في وقت غير مناسب يمكن أن تكون عليه آمالك وأفراحك ﴿وَمَنْ يَقْرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

٦ - ﴿وَمَنْ يَقْرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ هنا لم يعبر بعدله، وإنما عبّر بفضلته تعالى ليجري لك ما تشاء.

٧ - ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٢٤).

والدعاوى ما لم تقيموا عليها بيناتٍ أبناؤها أدياء

٨ - سبحانه ما أكرمه! ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ﴾ (٢٥).

٩ - ويأتي ضالٌّ في الطريق، أو متعالٍ فيقول: دينكم شديد ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ﴾ (٢٥) جهل وضعف وعي.

١٠ - أياً كانت خطيئتك التي ارتكبتها، ومعصيتك التي وقعت فيها، وذنبك الذي اقترفته؛ فالله يصنع لك كل جميل ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ﴾ (٢٥).

١١ - لا تتوقف عن التوبة، والله تعالى قد فتح لك أبوابها كما تشاء ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ
التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ﴾ (٢٥).

١٢ - القلوب المهتدية تسلك الطريق من أول نداء ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ﴾.

١٣ - قلبك دليلك! إذا وجدته مقبلاً مسارعاً فتلك بشائر التوفيق، وإلا فأدرك
نفسك قبل الفوات ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ
وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (٢٦).

١٤ - لا تقلق إن لم يمدك الله تعالى بمال؛ لعله أراد أن يصلحك ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ
الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (٢٧).

١٥ - كانوا في غاية جهدهم ومشاريعهم فبسط عليهم رزقه؛ فتركوا مشاريعهم،
وأدبروا نحو الدنيا ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا
يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (٢٧).

١٦ - احمد الله تعالى على ما أعطاك، واشكره على ما رزقك، واعلم أن ذلك من
لطفه بك ورعايته لك ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنْزِلُ بِقَدَرٍ
مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (٢٧).

١٧ - إذا يئست نفوسهم أمدها بالأمل، وإذا تصحّرت أرضهم فسخ فيها بالربيع
﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٢٨).

١٨ - الغيث والربيع جزء من رحمته تعالى لهذه الأرض ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ
مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٢٨).

١٩ - مُدٌّ بصرك في عالم السماء والأرض لترى أنواعاً من قدرة الله تعالى ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ
خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَتَ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ (٢٩).



٢٠ - كل هذا العالم الذي تراه سيأتي يوم القيامة للقصاص ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَتَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٠﴾.

٢١ - إذا طرق بابك طارق سوء فتنبه! لعلَّ عثرةً في الطريق بدرت منك ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ ﴿٢١﴾.

٢٢ - كان الواحد من السلف يحاسب نفسه إذا رأى سوء خلق في زوجه أو دابته، وهذا والله هو الفقه ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ ﴿٢٢﴾.

٢٣ - من فقهك، وكمال وعيك، وعلمك أن تُحيل كل مشكلة تواجهك في طريقك، أو يومك ومشروعك إلى سوء عملك ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ ﴿٢٣﴾.

٢٤ - إذا لم تقم الليل، أو تأخرت عن فريضة، أو فاتك وردك من القرآن، أو لم ينضبط لك مشروعك، أو عسر عليك فهم العلم، أو تأخرت ترقيتك؛ فاعلم أن ذلك بما اقترفت يداك فتنبه! ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ ﴿٢٤﴾.

٢٥ - قال أحد السلف: ألقيت ببصري في عقب فتاة، فنسيت القرآن بعد زمن ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ ﴿٢٥﴾.

٢٦ - وقال آخر: عيّرث رجلاً بالدين فتحملت ديوناً بعد زمن ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ ﴿٢٦﴾.

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ
فَيُظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ
﴿٣٣﴾ أَوْ يُوقِعُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعَفُّ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ
يُجَدِّلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ حِصْحٍ ﴿٣٥﴾ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعْ
الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كَثِيرَ آلِ إِمٍّ وَالْفُوحْشَ وَإِذَا مَا
عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ
الْبَغْيُ هُمْ يَنْصَبِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَاجْزِهِ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انْتَصَرَ
بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ
يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنِ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ
﴿٤٣﴾ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ
لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾



التفسير

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ الدالة على قدرته ﴿الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ﴾ السفن التي تجري في البحر ﴿كَالْأَعْلَمِ﴾ (٣٢) كالجبال.

﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾ يوقفها فلا تجري ﴿فَيَظْلِلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾ فتظل هذه السفن واقفة على ظهر البحر لا تتحرك ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ في تسخير هذه السفن في البحار علامات دالة على قدرته تعالى ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٣٣) صبار على طاعة الله تعالى، وشكور لآلائه ونعمه.

﴿أَوْ يُوقِفَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾ فيغرق هذه السفن بأهلها جزاء سيئاتهم وآثامهم ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٣٤) يصفح عن كثير من ذنوبكم فلا يؤاخذكم بها.

﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ فيخاصمون وينازعون فيها ﴿مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾ (٣٥) محيد من عذاب الله تعالى وعقابه.

﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ من ملك ورياسة، وأموال وبنين، وصحة وعافية ﴿فَنَنْتَعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ مجرد متاع في الدنيا منقطع في الآخرة ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ما أبقاه الله تعالى لأهل الإيمان في الآخرة أفضل وأدوم، وخير من هذا المتاع المنقطع ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٣٦) لمن آمن وحسن توكله على الله تعالى.

﴿وَالَّذِينَ يَجْنَبُونَ كِبْرَ الْأَيْثِمِ وَالْفَوْحِشِ﴾ يبتعدون عن كبائر الذنوب وقبائحها ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا﴾ مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ ﴿هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (٣٧) صفحوا عنه، وسرتوا له زلته ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أوامره ونواهيه

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ داوموا عليها ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ في كل ما يحتاج إلى رأي ومشورة تجدهم كذلك ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ يبذلون أموالهم رغبة فيما عند الله.

• ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ عدوان وظلم من أعدائهم ﴿هُمْ يَنْصَرُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ فيردون ظلمه لقوتهم وعزتهم، ولا يرضون بالذل والمهانة، وفي رد الظالم عن باطله، وزجره عن جرمه تقويم له، وإصلاح لنظام الحياة ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ قدرأ وصفة ﴿فَمَنْ عَفَا﴾ عن من أساء إليه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ بعد العفو بما يدل على صدقه ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي إنَّ أجره عظيم كبير الثواب **إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴿٤٠﴾ المعتدين على غيرهم بدون حق.

• ﴿وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ فرد الظلم بمثله ﴿فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ﴾ ﴿٤١﴾ فلا إثم عليهم في انتصارهم ممن ظلمهم.

• ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ الإثم والعقوبة ﴿عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ فيعتدون عليهم ابتداءً ﴿وَيَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ فيتجاوزون ما حدَّ الله لهم ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٤٢﴾ شديد موجه.

• ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ﴾ على من ظلمه ﴿وَعَفَرَ﴾ ستر ذلك الظلم ونسيه ﴿إِنَّ ذَلِكَ لِمَنْ عَزَمِ الْأُمُورَ﴾ ﴿٤٣﴾ من عزائم الأمور الكبيرة، التي لا تصدر إلا من أهل الفضل الكبار.

• ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ فيخذله عن الطريق ﴿فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ﴾ يدلُّه على الهدى، ويبين له طريق الحق ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ يوم القيامة ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ ﴿٤٤﴾ هل هناك فرصة للعودة إلى الدنيا وإصلاح العمل.



١ - تخيّل تلك السفن التي تمخر عباب البحر كل حين! ماذا لو أوقف الله تعالى تلك الرياح التي تجري بها ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (٣٢) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾.

٢ - كل هذه المشاهد إنما هي مجرد متاع ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمِنَّهُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٣٥) فلا تشغل قلبك بما في أيدي المخلوقين!

٣ - من كمال علمك ألا تلقي بالاً لزخارف هذه الحياة ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمِنَّهُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٣٦) وقلبك أجل من أن يذهب في التفاهات.

٤ - يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، ويغفرون إذا غضبوا، ويستجيبون لربهم في كل أمر، ويسيئون شأن الصلاة، وأمرهم شورى، وممّا رزقهم الله تعالى ينفقون، هذه مزايا وأخلاق وعلامات المفلحين في الحياة. وعلى قدر اقتدائك بهم تكون في زمرهم يوم الحساب ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا عَصَبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾.

٥ - الانتصار من الظلمة، وإحقاق الحق، ووقف زحف الفوضى من أخلاق الكبار ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصَرُونَ﴾ (٣٩).

٦ - من جمال دينك أنه يعلمك العدل، وعدم الاعتداء على الآخرين، ويذكرك أن العفو والإصلاح أرفع مقاماً وأجل منزلة ﴿وَجَزَّوْا سَبِيحَ سَبِيحَةٍ مِّثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (٤٠).



٧ - ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ أَيَّا كَانَ ظَلَمَهُمْ، وَمَعَ مَنْ، وَدَرَجَةُ ذَلِكَ الظلم؛ كل ذلك يكرهه ولا يحبُّه.

٨ - ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ حَتَّى لَوْ كَانَ ذَلِكَ الظلم لِمَنْ ظَلَمَكَ وَاعْتَدَى عَلَيْكَ؛ فَاللهُ تَعَالَى يَكْرَهُ لَكَ الْاِعْتِدَاءَ.

٩ - ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ سِوَاءَ كَانَ هَذَا الظلم مَعَ زَوْجِكَ أَوْ وَلَدِكَ، أَوْ زَمِيلِكَ أَوْ صَدِيقِكَ، أَوْ جَارِكَ، أَوْ مَع مَدِيرِكَ وَمَسْئُولِكَ، أَوْ حَتَّى مَعَ كَافِرٍ وَمُشْرِكٍ، لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الدِّينِ.

١٠ - مَنْ حَقَّكَ أَنْ تَنْتَصِرَ لظلمك، وَتَرْفَعُ رَايَةَ الرَّدِّ عَلَى الْمُعْتَدِي عَلَى جَنَابِكَ بِشَرِّطٍ إِلَّا تَتَقَحَّمُ فَوْقَ قَدْرِ مَظْلَمَتِكَ، أَوْ تَتَجَاوِزُ فَوْقَ مَا صُنِعَ بِكَ ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾.

١١ - مِنَ الْاِسْتِعْلَاءِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللهُ تَعَالَى أَنْ تَوَاجِهَ عَوَاصِفَ الْعُدْوَانِ بِالصَّبْرِ ﴿وَلَمَنِ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (٤٣).

١٢ - ثَمَّةُ فَنَاتٍ إِذَا تَمَكَّنْتَ وَاسْتَعْلَتَ رَفَضْتَ مُقَابِلًا عَاجِلًا فِي الْحَيَاةِ ﴿وَلَمَنِ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (٤٣).

١٣ - ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (٤٤) نَافِذَةٌ عَلَى نَدَمٍ بَعْدَ فَوَاتِ مَحَلِّهِ، وَأَسْفَ فِي غَيْرِ مَوْقِعِهِ!

١٤ - مُؤَسَّفٌ أَنْ قَوْمًا يَرُدُّونَ هَذَا الْمَعْنَى، وَيَقْعُونَ فِي آلَامِهِ فِي النِّهَايَةِ ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾.

١٥ - كَمَ مِنْ ظَالِمٍ سَيَطْلُبُ مَهْلَةً لِلْعُودَةِ وَزَمَنًا لِلِاسْتِعْتَابِ! ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾.

وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَدِشِعِينَ مِنَ الدَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ
 طَرَفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ
 خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي
 عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أُولِيَآءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ اٰسْتَجِيبُوا
 لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ
 مِنْ مَلَجٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا
 فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا
 أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرَحَّ بِهَا وَإِنْ نُصِيبَهُمْ سَيْئَةً
 يَمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِلَّهِ مُلْكُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً
 وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِشَاءً
 وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ
 لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
 رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾

التفسير

• ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ ترى أهل الكفر يُعرضون على النار ﴿خَشِيعَةً مِّنَ الذَّلِيلِ﴾ خائفين ذليلين من مواقف العذاب ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ﴾ ينظرون إلى النار جلسة ومسارقة من هيبتها ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ حين عرف كل قوم منزلتهم ﴿إِنَّ الْخَسِرِينَ﴾ على وجه الحقيقة ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ فذلك هي الخسارة ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي ﴿فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ ٤٥ ﴿دائم.

• ﴿وَمَا كَانُوا لَهُمْ مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ كما كانوا في الدنيا ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ ٤٦ ﴿فما له من طريق يهتدي به إلى الحق.

• ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ في كل ما يأمركم به ﴿مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ مَّلَاجٍ يَوْمَئِذٍ﴾ من شيء تعتصمون به من الله ﴿وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّكِيرٍ﴾ ٤٧ ﴿من ناصر ينصركم.

• ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن السماع لك ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ رقيباً عليهم ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ إنما عليك إيصال ما أمرناك بإيصاله، وإبلاغ ما أمرناك به ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ إذا أنعمنا على الإنسان ووسّعنا عليه ﴿فَرِحَ بِهَا﴾ سر واعتبط بما أعطيناه ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيْئَةٌ﴾ فاقة وفقر وقلة ومرض ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ﴾ جزاء على ما اقترفوا من معاصي ﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ ٤٨ ﴿بحود لنعم الله تعالى، متسخط على أقداره.



- ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلا متصرف فيهما سواه ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً﴾ مما يولد له ﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ٤٩﴾ مما يولد له.
- ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً﴾ يلد له ذكراناً وإناثاً ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ لا يولد له ذكر ولا أنثى ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يهب وما يصلح لكل إنسان ﴿فَدَبِّرْ ٥٠﴾ في كل ما يريد.
- ﴿وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ﴾ وما ينبغي لإنسان أن يكلمه الله في الدنيا ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾ بأن يلقي وحياً في قلب الرسول من غير إرسال ملك أو مشافهة ﴿أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ يكلمه مشافهةً من وراء حجاب ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ كما أرسل جبريل عليه السلام إلى رسوله محمد ﷺ ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾ ذو مكانة وشرف وفضل ﴿حَكِيمٌ ٥١﴾ في كل أفعاله.



١ - يسارقونها النظر خوفاً وهم في الطريق إلى دركاتهما، كذلك يصنع التفريط ﴿وَتَرَنَّهُمْ يُعَرِّضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الدُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ وقال الذين ءامنوا إنَّ الخسريين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يومَ القيامةِ ألاَّ إنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ٤٥.

٢ - الخسارة الحقيقية خسارة دينك ومستقبلك في الآخرة ﴿وَتَرَنَّهُمْ يُعَرِّضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الدُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ وقال الذين ءامنوا إنَّ الخسريين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يومَ القيامةِ ألاَّ إنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ٤٥. إذا ثلِمَ دينك في الدنيا فتلك الحوادث التي تحتاج إلى بكاء، وإذا خسرت موقعك في الجنة، فتلك الطامة الكبرى التي لا ينفع فيها تعويض.



٣ - لِيَبْحَثُوا عَنْ أَوْلِيَائِهِمْ وَأَصْدِقَائِهِمْ وَمَسْئُولِيهِمُ الَّذِينَ أَغْرَوْهُمْ بِمَسَاحَاتِ الْأُمَانِي، وَأَرْكَسُوهُمْ فِي فَوْضَى الطَّرِيقِ ﴿ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَآءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ (٤٦).

٤ - كُلُّ إِعْرَاضٍ عَنْ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ مَفْضٍ لِلنَّدَمِ ﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّنْ مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّكِيرٍ ﴾ (٤٧).

٥ - لَا يَغْرَتُكَ شَبَابُكَ، وَمَالُكَ، وَمَنْصَبُكَ، وَوُظُفَتُكَ ﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّنْ مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّكِيرٍ ﴾ (٤٧).

٦ - إِيَّاكَ وَفَوَاتِ الْفُرْصِ! ﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّنْ مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّكِيرٍ ﴾ (٤٧).

٧ - قَدْ رَسَّالَتَكَ وَنَصِيحَتَكَ وَمَوْعِظَتَكَ، وَدَعِ الْبَاقِي؛ فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِكَ ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَبَهَا وَإِنْ نُصِيبَهُمْ سَيِّئَةً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴾ (٤٨).

٨ - لَا تَقْلُقْ عَلَى الْمَعْرُضِينَ، فَلَسْتُ أَرْحَمُ بِهِمْ مِنْ رَبِّكَ لَوْ عَلِمَ فِيهِمْ خَيْرًا لَجَاءَ بِهِمْ طَائِعِينَ ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَبَهَا وَإِنْ نُصِيبَهُمْ سَيِّئَةً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴾ (٤٨).

٩ - حَسْبُكَ الْبَلَاغُ ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَبَهَا وَإِنْ نُصِيبَهُمْ سَيِّئَةً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴾ (٤٨).

١٠ - لَا تَعَارِضِ اللَّهَ تَعَالَى فِي مَلَكِهِ وَقَدَرِهِ وَمَشِئَتِهِ فَتَرْجُو شَيْئًا لَمْ يَحَقِّقْهُ لَكَ ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الْذُكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (٥٠).



١١ - ابذل سبباً واطرک شأن النتائج لربک، وإیاک والاعتداء! ﴿لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ
وَالْاَرْضِ ۚ یَخْلُقُ مَا یَشَآءُ ۚ یَهْبُ لِمَنْ یَشَآءُ اِنۡشَاً وَیَهْبُ لِمَنْ یَشَآءُ الذُّکُوْر ﴿٤٩﴾ اَوْ
یُزَوِّجُهُمْ ذُکْرَانًا وَاِنۡشَاً وَیَجْعَلُ مَنْ یَشَآءُ عَقِیْمًا ۗ اِنَّهٗ عَلِیْمٌ قَدِیْرٌ ﴿٥٠﴾﴾.

١٢ - حزينة کثیبة متشائمة؛ لأن الله تعالى لم یهب لها ولداً، وكأنها غفلت عن
مشیتته وحکمته وإرادته ﴿لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ۚ یَخْلُقُ مَا یَشَآءُ ۚ یَهْبُ لِمَنْ
یَشَآءُ اِنۡشَاً وَیَهْبُ لِمَنْ یَشَآءُ الذُّکُوْر ﴿٤٩﴾ اَوْ یُزَوِّجُهُمْ ذُکْرَانًا وَاِنۡشَاً وَیَجْعَلُ مَنْ یَشَآءُ
عَقِیْمًا ۗ اِنَّهٗ عَلِیْمٌ قَدِیْرٌ ﴿٥٠﴾﴾.

١٣ - من الاعتداء على حکمة الله تعالى أن ترى إنساناً کثیباً حزیناً، یعارض الله
تعالى في مشیتته وقدره ﴿لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ۚ یَخْلُقُ مَا یَشَآءُ ۚ یَهْبُ لِمَنْ
یَشَآءُ اِنۡشَاً وَیَهْبُ لِمَنْ یَشَآءُ الذُّکُوْر ﴿٤٩﴾ اَوْ یُزَوِّجُهُمْ ذُکْرَانًا وَاِنۡشَاً وَیَجْعَلُ مَنْ یَشَآءُ
عَقِیْمًا ۗ ا�هٗ عَلِیْمٌ قَدِیْرٌ ﴿٥٠﴾﴾.

١٤ - ماذا لو وُلِدَ لك ولدٌ معوّق! أو شقیّ أوردک لساحات الألم کل مستقبلک؟!
ما أحوجننا للرضا والتسلیم! ﴿لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ۚ یَخْلُقُ مَا یَشَآءُ ۚ یَهْبُ
لِمَنْ یَشَآءُ اِنۡشَاً وَیَهْبُ لِمَنْ یَشَآءُ الذُّکُوْر ﴿٤٩﴾ اَوْ یُزَوِّجُهُمْ ذُکْرَانًا وَاِنۡشَاً وَیَجْعَلُ مَنْ
یَشَآءُ عَقِیْمًا ۗ ا�هٗ عَلِیْمٌ قَدِیْرٌ ﴿٥٠﴾﴾.

١٥ - الله تعالى لا یختار لك إلا الخیر، فلم یرید مشیتک وتغفل عن مشیتته؟! ﴿لِلّٰهِ
مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ۚ یَخْلُقُ مَا یَشَآءُ ۚ یَهْبُ لِمَنْ یَشَآءُ اِنۡشَاً وَیَهْبُ لِمَنْ یَشَآءُ
الذُّکُوْر ﴿٤٩﴾ اَوْ یُزَوِّجُهُمْ ذُکْرَانًا وَاِنۡشَاً وَیَجْعَلُ مَنْ یَشَآءُ عَقِیْمًا ۗ ا�هٗ عَلِیْمٌ قَدِیْرٌ ﴿٥٠﴾﴾.

١٦ - إیاک أن تقدّم رأیک على قرار ربک، وأمنیتک على قدره ومشیتته، قل: یا رب!
إن کان فیما أرجوه خیراً فحقّقه، وإلا فاصرفه ﴿لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ۚ
یَخْلُقُ مَا یَشَآءُ ۚ یَهْبُ لِمَنْ یَشَآءُ اِنۡشَاً وَیَهْبُ لِمَنْ یَشَآءُ الذُّکُوْر ﴿٤٩﴾ اَوْ یُزَوِّجُهُمْ ذُکْرَانًا
وَإِنۡشَاً وَیَجْعَلُ مَنْ یَشَآءُ عَقِیْمًا ۗ ا�هٗ عَلِیْمٌ قَدِیْرٌ ﴿٥٠﴾﴾.

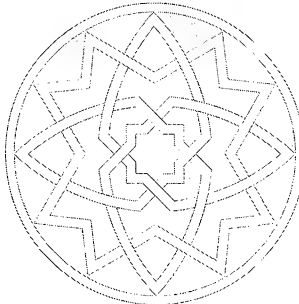


لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ لَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٢﴾ سَمِىَ اللَّهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ رُوحًا!

٢ - من صفات الروح أنها تبعث الحياة ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ ۖ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ وكذلك القرآن!

٣ - مرد الحياة إلى الأرواح، ولا علاقة لها بالأجساد ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ ۖ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾.

٤ - لو اقتطعت لهذا الروح من سنام وقتك، وأقبلت عليه بقلبك ومشاعرك، وتدبرت ما قال ربك، وجعلت التطبيق هدفك وشأنك؛ فإنك واردٌ على الحياة، وصانع لك شأنًا في الدارين ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ ۖ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾.



سُورَةُ الزَّخْرِفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
 لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا
 لَعَلَىٰ حَكِيمٍ ۝٤ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا
 أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي
 الْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ
 ۝٧ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ
 ۝٨ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
 خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
 مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠

التفسير

- ﴿حَمَّ ١﴾ من الحروف المقطعة التي تدل على إعجاز القرآن.
- ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢﴾ قسم بالقرآن، وأنه بين واضح، لا لبس فيه.
- ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ٣﴾ بلسانٍ عربيٍّ بين واضح ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٢﴾ ما فيه من العبر والمعاني والعظات.
- ﴿وَلِئِنَّهُ ٤﴾ أي هذا الكتاب ﴿فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا ٥﴾ في اللوح المحفوظ ﴿لَعَلِّي ٤﴾ ذو مكانة وشرفٍ وعلو ﴿حَكِيمٌ ٤﴾ محكم لا لبس فيه.
- ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ٥﴾ أنعرض عنكم، ونترك إنزال الذكر إليكم لأجل إعراضكم عنه؟! بل نُنزل عليكم الكتاب، ونوضح لكم فيه كل شيء؛ فإن آمنتم واهتديتم، وإلا قامت عليكم الحجة ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ٦﴾ كم بعثنا من نبي في الأمم السابقة ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ٧﴾ يسخرون منه، ويكذبون برسالته.
- ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا ٨﴾ أكثر منهم بأساً وقوة ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ٨﴾ عبرة وعظة.
- ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ٩﴾ لا ينكرون ذلك.
- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا ٩﴾ ممهدة ﴿وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا ٩﴾ طرقاً ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ٩﴾ إلى أماكنكم.

التدبير

١ - من أجل أن تفقه عن الله تعالى كلامه جعله عربياً واضحاً ﴿حَمَّ ١﴾
وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ
الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾.

٢ - هذه العربية التي امتن الله تعالى عليك بإنزال القرآن بها حتى يتحول حرف
الوحي إلى عملٍ وتطبيق ﴿حَمَّ ١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾.

٣ - من حق لغة القرآن أن يُحتفى بها، وتُقام لها مؤتمرات العزِّ والشرف والتمكين
﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ
حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

٤ - كل الجهود التي تتوجّه لحفظ هذه اللغة، وإعادة وهجها في الحياة، وتمكينها
من السنة أبناء المسلمين هي جهود لدعم الوحي بكافة مقدراته في واقع الأمة
﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ
حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

٥ - ما أرحم الله تعالى بخلقه! لا يتركهم لإعراضهم وإسرافهم، وإنما يبسّر لهم
أسباب الهداية؛ لعلهم يتوبون ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ
قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾﴾.

٦ - تكذيب الرسل، وعدم الاعتداد بما يحملون عادة جارية في الكون ﴿وَكَمْ
أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾﴾ وما
من رسول إلا كُذِّب وعورض وعودي.



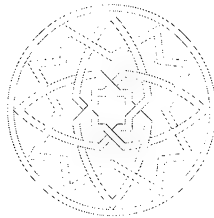
٧ - حين تتبني مشروعا، أو تحمل فكرة ناهضة، أو تعيش لرسالة وقضية؛ فيجب أن توطن نفسك على إعراض الكثيرين ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾﴾.

٨ - من فقهك بواقعك وسنن دينك أن تبدأ وأنت عاقد العزم على مواجهة هيشات السفهاء ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾﴾.

٩ - ومن السنن كذلك أن كل أمة عارضت رسولها لقيت جزاءها عاجلا ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾.

١٠ - العلم الذي لا يبيّن تصوّراً صحيحاً، ولا يكتب حظّه من واقع أصحابه ﴿وَلَيْن سَأَلْنَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾.

١١ - بعض العلم مجرد أفعال وأعمال ﴿وَلَيْن سَأَلْنَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾.



وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا
كَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ ❶ ❷ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم
مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ❸ ❹ لَسْتُمْ عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ
تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي
سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ❺ ❻ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا
لَمُنْقَلِبُونَ ❼ ❽ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ
لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ❾ ❿ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُم
بِالْبَنِينَ ❸ ❹ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا
ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوِّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ ❶ ❷ أَوْمَنُ يُنْسَوْنَ فِي
الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ❸ ❹ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ
الَّذِينَ هُمْ عِبَدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ
شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ❶ ❷ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا
لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ❶ ❷ أَمْ عَائِنتَهُمْ
كَتَبْنَا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ❶ ❷ بَلْ قَالُوا إِنَّا
وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ❶ ❷



التفسير

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرِ﴾ بقدر حاجتكم ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيِّتًا﴾ أحيينا به أرضاً قد ماتت ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُورُ ﴿١١﴾﴾ كما أخرجنا بهذا الماء النبات كذلك تخرجون من الأرض يوم البعث والنشور.

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ من ذكرٍ وأنثى ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَكَ﴾ السفن ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ البهائم ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ ﴿١٢﴾ فتقضون عليها حاجاتكم ﴿لِتَسْتَوُوا﴾ عَلَى ظُهُورِهِ ﴿وَجَعَلَكُمْ مُسْتَقَرِّينَ مُسْتَوِينَ عَلَى ظُهورِهَا﴾ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴿فِيمَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ لولا تسخيرهِ مَا كُنَّا مُطِيقِينَ لذلك وقادرين عليه.

﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ ﴿١٤﴾ بعد موتنا.

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ كقولهم: إن الملائكة بناته ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿١٥﴾ جاحدٌ لنعم الله تعالى، وجحوده واضحٌ بَيِّن.

﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ ﴿١٦﴾ فجعل له البنات وجعل لكم البنين.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ من البنات ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوِّدًا﴾ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ مِمَّا حصل له من ولادة البنات، فكيف لا يرضى بها لنفسه ويجعلها لربه!

- ﴿أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي الْحَيَةِ﴾ يُجَمِّلُ بِهَا ﴿وَهُوَ فِي الْخَصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿غَيْرِ مُبِينٍ لِحِجَّتِهِ، وَلَا مَفْصَحٍ عَنْهَا؛ فَكَيْفَ يَنْسِبُونَهَا لِلَّهِ تَعَالَى!
- ﴿وَجَعَلُوا أَلَمَلَيْكَةَ الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنْتًا﴾ مَنْ عِنْدَهُمْ دُونَ عِلْمِ وَبِرْهَانٍ ﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ﴾ حَتَّى يَقُولُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ إِنْثَا ﴿سَتَكُنُّ شَهَدَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ ﴿١٩﴾ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
- ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَلَّا نَعْبُدَهُمْ لِحَالِ بَيْنِنَا وَبَيْنَ ذَلِكَ ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ كُونَ اللَّهُ تَعَالَى أَرَادَ ذَلِكَ مِنْهُمْ ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ يَكْذِبُونَ.
- ﴿أَمْ ءَانَيْنَهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ يَدُلُّهُمْ عَلَى صَحَّةِ مَا قَامُوا بِهِ ﴿فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ ﴿٢١﴾ يَسْتَدِلُّونَ بِهِ، وَيَحْتَجُّونَ بِمَا فِيهِ.
- ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ فَلَيْسَ لَهُمْ كِتَابٌ، وَإِنَّمَا تَمَسَّكُوا بِآثَارِ آبَائِهِمْ مُهْتَدِينَ بِهَا.

التدبر

- ١ - من فضله وكمال حكمته أنه يُنزل من نعمه على قدر حاجة خلقه ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ ﴿١١﴾.
- ٢ - ماذا لو جعل الله تعالى هذا الغيث مدراراً لا يتوقف؟! كم من هالكٍ في الطريق؟! وكم من مضارٍ على العالمين؟! ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ ﴿١١﴾.



٣ - الحياة التي يُخْذِثُهَا الْغَيْثُ فِي الْأَرْضِ أَشْبَهَ مَا تَكُونُ بِالْحَيَاةِ الَّتِي تَحْدِثُهَا
النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ فِي عَالَمِ الْخَلْقِ ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً
مَيِّتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُوهَا﴾ (١١) فابعث مشاعرك إلى هناك.

٤ - يذكرك الغيث أن الحياة أكبر من مشاهدته التي تراها. إنه يُحيي لك قصة
الآخرة بكافة تفاصيلها ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا
كَذَلِكَ نُخْرِجُوهَا﴾ (١١).

٥ - كم مرة ألقىت بنفسك على ركاب راحلتك وقلت: الحمد لله؟! ﴿وَالَّذِي خَلَقَ
الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ (١٢) لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ
تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا
لَهُ مُقَرَّبِينَ﴾ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾.

٦ - كل نعمة لا تفتح لك أفقاً على ربك فإنها لا تحدث فرقاً في واقعك ﴿وَالَّذِي
خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ (١٢) لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ
ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا
كُنَّا لَهُ مُقَرَّبِينَ﴾ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾.

٧ - في الطريق العام تأمل من حولك: ستري من وقفت به سيارته لظروفه، ومن
هو واقف لا يجد مركوباً، ومن هو يمشي على طول الطريق، وأنت ترفل في
النعيم ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ (١٢)
لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي
سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقَرَّبِينَ﴾ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾.

٨ - ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ (١٤) رسالة للمحافظة على البوصلة باتجاهها
الصحيح.

- ٩ - يجب أن تُسَخَّرَ الحياة كلها لاستلهاهم هذا المعنى الكبير ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ ١٤.
- ١٠ - ذَكَرَ نَفْسَكَ دَائِمًا أَنَّ هَذِهِ الْحَيَاةَ مَجْرَدُ مَتَاعٍ ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ ١٤.
- ١١ - الْجَهْلُ بِاللَّهِ تَعَالَىٰ يَصْنَعُ هَذِهِ الْفَوَاجِعَ ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنْ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ ١٥.
- ١٢ - الْاِعْتِدَاءُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَىٰ فَرَعَ عَنِ الْجَهْلِ بِهِ ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنْ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ ١٥. لَوْ عَرَفُوهُ حَقًّا لَأَقَامُوا لَهُ شَأْنًا!
- ١٣ - حَرَّرَ عَقْلَكَ مِنَ الْأَوْهَامِ ﴿أَمْ أَتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ ١٦.
- ١٤ - دَعْوَةٌ لِلتَّفَكِيرِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْاِعْتِقَادَاتِ وَالثَّقَافَاتِ الَّتِي نَعِيشُ بِهَا ﴿أَمْ أَتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ ١٦.
- ١٥ - مَا أَحْوَجَ كَثِيرٍ مِنَ الْمَعَارِفِ وَالْمَعْتَقَدَاتِ الَّتِي نَعِيشُ بِهَا إِلَىٰ مُحَاكَمَةٍ وَفَقِ نصوصِ الْوَحْيِ ﴿أَمْ أَتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ ١٦.
- ١٦ - آصَارُ الْجَاهِلِيَّةِ تَأْخُذُ حَظَّهَا مِنْ وَاقِعِ كَثِيرِينَ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ١٧.
- ١٧ - إِذَا بُشِّرَ بِذَكَرٍ هَشٍّ وَبَشٍّ وَفَرَحٍ وَشُرٍّ، وَإِذَا بُشِّرَ بِأُنْثَىٰ لَوَىٰ وَجْهُهُ مَعْرُضًا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ١٧. بَعْضُ أَغْلَالِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي وَاقِعِنَا.
- ١٨ - حُبُّ الْمَرْأَةِ لِلزَّيْنَةِ فَطْرَةٌ وَجِيلَةٌ ﴿أَوْ مَن يُنْشَأُ فِي الْإِلْهِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ ١٨.



١٩ - ليس من شأن الرجل معارضة المرأة في جبلتها، وليس من شأن المرأة الإغراق في تلك الزينة ﴿أَوْ مَن يُنَشِّئُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ ١٨.

٢٠ - لو حسبت بعض النساء ما تقضيه من وقت في زينتها لأدركت كم هي بحاجة إلى مراجعة لذاتها ﴿أَوْ مَن يُنَشِّئُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ ١٨.

٢١ - مشكلة هذه الزينة أنها صرفت للأسواق والأعراس وخارج إطار المنزل، وفقدت روحها وألقها مع الأزواج ﴿أَوْ مَن يُنَشِّئُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ ١٨.

٢٢ - شدة الخصومة ليست من شأن صاحبة الحياء ﴿أَوْ مَن يُنَشِّئُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ ١٨.

٢٣ - كثيرون سيدلون بشهاداتهم بين يدي الله تعالى يوم القيامة ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكُنُّ شُهَدَاؤُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ ١٩.

٢٤ - ستدلي بجوابٍ يبين عن يمينك التي شاركت بها، وتوقعك الذي مكنت به إنساناً من قضيته، فاستعد! ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكُنُّ شُهَدَاؤُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ ١٩.

٢٥ - حتى الذين أفنوا بغير علم، وتهوَّكوا في دين الله تعالى سيدلون بشهادتهم في ذلك اليوم ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكُنُّ شُهَدَاؤُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ ١٩.

٢٦ - من علامات الفاجر أنه لا يتورع عن الكذب، ولا يقيم وزناً لفجائعه ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكُنُّ

شَهِدْتُهُمْ وَيَسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ ﴿٢١﴾

٢٧ - تأجير العقول يمدُّ في أحداث الجاهلية، ويوسِّع في نطاقها ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿٢٢﴾

٢٨ - ما أكثر الأبواق التي تردّد أفكاراً وآراءً للآخرين، مما لا صلة لها بالوحي، ولا علاقة لها بالحق ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿٢٢﴾

٢٩ - يتحدّث وينظر، ويزيد وينقص، وتتفاجأ في النهاية أنّ ما يقوله ركام من آراء البطالين والمنافقين ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿٢٢﴾



وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا
وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٢٢﴾
قُلْ أُولَئِكَ حِثُّكُمْ بَأْهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا
أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٣﴾ فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي
بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٥﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٦﴾
وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ بَلْ مَتَّعْتُ
هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٢٨﴾ وَلَمَّا
جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ
هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣٠﴾ أَهْمُ يَقْسِمُونَ
رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا
بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا
وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣١﴾ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ
أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ
فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٢﴾

التفسير

- ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ﴾ ينذر قومه ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ الكبار المترفون في الغنى ﴿إِنَّا وَجَدْنَا أَبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ ملة ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ عَثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ (٢٣) متبعون.
- ﴿قُلْ أُولَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ حتى لو جئتم بأهدى مما جاء به آباءكم ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٢٤) غير مطيعين.
- ﴿فَأَنقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بإيقاع العقوبة عليهم ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (٢٥) تأمل فيما حل بهم ووقع عليهم.
- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾ ممن عبد غير الله تعالى ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (٢٦) مبغض ومتبرئ مما وقعتم فيه من عبادة غير الله تعالى.
- ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقتني ﴿فَإِنَّهُ سَيِّدِي﴾ (٢٧) سيدلني على طريق الحق.
- ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي توحيد الله تعالى والبراءة من المشركين ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ في ذريته ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٨) إلى الحق ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ بِمَتَاعِ الدُّنْيَا﴾ ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ القرآن ﴿وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ (٢٩) محمد رسول الله ﷺ.
- ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ﴾ وليس بوحى ﴿وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٣٠) جاحدون غير مقررين.
- ﴿وَقَالُوا﴾ مقترحين على الله تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرَبَاتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٣١) هلا نزل هذا القرآن على رجلٍ مُعَظَّمٍ ومُبَجَّلٍ من أهل مكة أو الطائف.



• ﴿أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ فيختارون من تنزل عليه الرسالة ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ﴾ من الأرزاق ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ فهذا غني وهذا فقير، وهذا ملك وهذا مملوك ﴿لِنَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحَارًا﴾ ليسخر كل منهما للآخر بما ينفعه ويقضي حاجته ﴿وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ خير لهم من كل ذلك.

• ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ خشية أن يكون الناس أمة واحدة على الكفر ﴿لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرْ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ لجعلنا درج بيوت الكافرين وسقفها من فضة.



١ - كم من إنسان يرسف في أغلال العبودية؟! ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ ﴿٣٤﴾.

٢ - النفوس التي تربت على فكرة الاستعباد لا يمكن أن تنفك عنها ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ ﴿٣٥﴾.

٣ - كل من قال بقول شيخه، أو مذهبه، أو جماعته، أو عاداته مجردة من معطيات الوحي فهو داخل في ذلك التأجير ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ ﴿٣٦﴾.

٤ - كثيرون ليست مشكلتهم معك في صدق ما جئت به، بل مشكلتهم الكبرى في أن ما معك سيحول بينهم وبين شهواتهم ﴿قُلْ أُولَٰئِكَ تُكْسَرُونَ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ ﴿٣٧﴾.

٥ - ﴿فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرُكَ كَيْفَ كَانَ عَقِبُهُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٢٥) ﴿سُنَّهٗ اللَّهُ تَعَالَى الَّتِي لَا تَتَخَلَّفُ عَنِ الْمَعَارِضِينَ.

٦ - لا يمكن للدعوة الصادقة أن تعقد صلحاً مع رجس الجاهلية في مساحة ما ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (٢٦) ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنِي﴾ (٢٧) ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٨).

٧ - كل دعوة إلى صلح مع الكفر والنفاق في منتصف الطريق ستكون على حساب دينك وقيمك ومبادئك ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (٢٦) ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنِي﴾ (٢٧) ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٨).

٨ - حملة الأفكار، والناهضون في واقعهم لا يمكن أن يتعايشوا مع الجاهلية أياً كانت صورها ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (٢٦) ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنِي﴾ (٢٧) ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٨).

٩ - كل دعوة لا تستشعر روحها وهمومها، وتخرج سافرة لمواجهة الباطل، لا حياة فيها ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (٢٦) ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنِي﴾ (٢٧) ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٨).

١٠ - سل نفسك: كم مرة حاربت رذيلة رفعت رايتها في واقعك! وكم من مرة شاركت في بناء فضيلة تقف في وجه الجاهلية! ما أثرك في واقعك؟! وما دورك في التحديات التي تُدار في مساحتك؟! ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (٢٦) ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنِي﴾ (٢٧) ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٨).

١١ - العيش للأفكار يحولها من نظريات إلى مواد للتطبيق ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٨).

١٢ - فكرتك تعيش في الأرض على قدر المدد الروحي الذي تلقاه منك ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٨).

١٣ - من بالغ الأسف ألا يكون للإنسان قضية، يحملها ويعيش بها في العالمين، ويورثها للأجيال من بعده ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٨).

١٤ - ما الفكرة والعمل والمشروع والرسالة والقضية التي ستخلدها في الأجيال من بعدك؟! ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٨).

١٥ - متاع الكافر والضال والمنافق استدراج ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ (٢٩) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾.

١٦ - كم من عبودية لله تعالى لا تأتي إلا من خلال بقاء الضالين في الأرض! ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ (٢٩) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾.

١٧ - القلوب المعرضة لا يكفيها الزمن للاسترجاع ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ (٢٩) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾.

١٨ - اهتبال الفرص توفيق ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ (٢٩) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾.

١٩ - حين يبلغ الجهل بالإنسان مداه ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٣١) حتى أرزاق الله تعالى سيتولون قسمتها بناءً على أفكارهم وتصوراتهم!!

٢٠ - من فواجع الجهل هذا الاعتداء السافر على حكمة الله تعالى وشريعته ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٣١).

٢١ - خلل الأفكار والمفاهيم مؤذنٌ بتصوراتٍ خطيرة، وأفكارٍ شاذة ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٣١).

٢٢ - هذا التباين في الخلق لحكمة يجريها الله تعالى؛ فلا تنبز فقيراً أو تثرب على عامل، أو تقدح في وظيفة إنسان ﴿أَهْمُرُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُلْخِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٣٢).

٢٣ - يوزع الله تعالى الأرزاق وليس الخلق، فما هو لك سيأتيك! ﴿أَهْمُرُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُلْخِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٣٢).

٢٤ - لا تدر قلبك لأحد من العالمين، الله تعالى وحده هو الذي يتولى شأنك ﴿أَهْمُرُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُلْخِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٣٢).

٢٥ - لا تنشغل بمن حولك طلباً لمددٍ أو مالٍ أو مسؤولية! ما عند الله تعالى أبقي ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

٢٦ - ترفع بهمتك عن وحل الحياة ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

٢٧ - ما لك ولعاجلٍ لا يبقى! انقل مشاعرك للعالم الذي لا يحول، وللنعم الذي لا يزول ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

٢٨ - كفر العالم كله لا يضُرُّ الله تعالى في شيء، فخفف على نفسك من أحمال وأثقال الضلال ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (٣٣).

وَلْيُؤْتِهِمْ أَثْوَابًا وَسُرْرًا عَلَيْهَا يُتَكَوِّثُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِنْ
كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا
فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَقَّ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْسُ الْقَرِينَ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ
ظَلَمْتُمْ أَتْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ
أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَمَا
نَذَهَبَ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُزِيلُكَ الَّذِي
وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ
إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ
وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا
أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

التفسير

- ﴿وَلَبِئْسَ وَهْنٌ لِّمُتَّقِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿مَجْرَدُ مَتَاعٍ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَهُمْ.﴾
- ﴿وَرُحْرُقًا﴾ ﴿وَلَبِئْسَ وَهْنٌ لِّمُتَّقِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿مَجْرَدُ مَتَاعٍ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَهُمْ.﴾
- ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ ﴿يَصُدُّ وَيَعْرِضُ﴾ ﴿نُقِصَّ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿نَجْعَلُ لَهُ شَيْطَانًا لَا يَفَارِقُهُ؛ يَغْوِيهِ وَيُضِلُّهُ.﴾
- ﴿وَلِأَنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ ﴿أَيُّ الشَّيَاطِينِ يَصُدُّونَ قِرَاءَهُمْ﴾ ﴿وَيَحْسُبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿يُظَنُّونَ أَنَّهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْحَقِّ.﴾
- ﴿حَقًّا إِذَا جَاءَنَا﴾ ﴿أَيُّ الْقَرِينِ وَصَاحِبِهِ﴾ ﴿قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ ﴿يَتَمَنَّى أَنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَرِينِهِ مِنَ الشَّيَاطِينِ أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ ﴿فَبَسَّ الْقَرِينُ﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿الَّذِي أَضَلَّهُ وَأَغْوَاهُ.﴾
- ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ أَيْوَمُ﴾ ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ شِرَاكُكُمْ فِي الظُّلْمِ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ يُوَاخِذُ بَذَنْبِهِ.﴾
- ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ ﴿الَّذِينَ لَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى﴾ ﴿الَّذِينَ لَا يَبْصُرُونَ﴾ ﴿وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿أَوْ تَهْدِي مَنْ كَانَ ضَالًّا﴾ ﴿بَيْنًا فِي الضَّلَالِ.﴾
- ﴿فَأَمَّا نَذَهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿إِنْ ذَهَبْنَا بِكَ قَبْلَ أَنْ نَرِيكَ مَا نَعْدُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ.﴾



• ﴿أَوْ نُزِيلَكَ الَّذِي وَعَدْنَهُمْ﴾ من العذاب ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ لا يردنا عنهم شيء.

• ﴿فَأَسْتَمِسْكَ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ قولاً وفعلاً ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٤٣﴾ موصل إلى الله تعالى.

• ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي القرآن الكريم ﴿لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ شَرَفٌ وفخرٌ ونعمةٌ لك ولقومك ﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ عن القيام بحقه.

• ﴿وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ أَجَعَلْنَا معبوداتٍ من دون الله تعالى؟!

• ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ سخريه واستهزاء.

التفسير

١ - مباهج الدنيا كلها لا تساوي عند الله تعالى جناح بعوضة ﴿وَلْيُيَوِّثَهُمْ آبُوبًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُتَكَحُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا^١ وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا^٢ وَالْآخِرَةَ^٣ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ^٤.

٢ - إذا رأيت نعيمًا عاجلاً مورقاً فازق ببصرك إلى السماء ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا^٥ وَالْآخِرَةَ^٦ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ^٧﴾.

٣ - غالب شهواتك العاجلة موعدها ذلك النعيم ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا^٨ وَالْآخِرَةَ^٩ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ^{١٠}﴾.

٤ - وَحَدِّ قَلْبَكَ، وَإِيَّاكَ وَالشَّتَاتِ! ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾.

٥ - بِمَجْرَدِ زِيغِكَ عَنِ الْحَقِّ وَبَعْدِكَ عَنِ الْهُدَى تَتَوَلَّاكَ الشَّيَاطِينُ ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾.

٦ - ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ سُنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ مُعْرِضٍ عَنْ هُدَاهُ وَتَوْفِيقِهِ!
٧ - مِنْ خَطَرِ الانْحِرَافِ عَنِ الْمَنْهَجِ أَنَّكَ قَدْ لَا تَعُودُ إِلَيْهِ مِنْ جَدِيدٍ ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾.

٨ - إِنَّمَا يَأْكُلُ الذَّنْبَ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾.

٩ - لَا تَسْتَغْرِبْ حِينَ تَرَاهُ عَلَى الضَّلَالِ الْبَيِّنِ، وَيَحْلِفُ أَنَّهُ عَلَى الْفَضِيلَةِ! تِلْكَ صِنَاعَةُ الشَّيَاطِينِ ﴿وَأِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٣٧).

١٠ - حِينَ تَزُولُ الْفُرْصُ؛ وَيُحِينَ مَوْعِدُ الضِّيَاعِ الْكَبِيرِ ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ (٣٨) وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾.

١١ - كَمْ مَرَّةً قِيلَ لَهُ: إِيَّاكَ وَصَدِيقُ السُّوءِ؟! فَلَمْ يَتَبَرَّ بِوَاعِظِ الْخَيْرِ ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ (٣٨) وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾.



١٢ - حسبك البلاغ؛ وليس لك من وراء ذلك شيء ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ٤٠.

١٣ - لا تُجهد نفسك، وتغرق في همومك تجاه الآخرين! لو كان فيهم خيرٌ لجأؤوا طائعين ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ٤٠.

١٤ - ركّز على مشروعك وقضيتك، وليس لك من شأن المعارضين شيء ﴿فَأَمَّا نَذَبْنَا بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ ٤١ ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾ ٤٢ ﴿فَأَسْمَسِكَ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ٤٣ ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ ٤٤.

١٥ - في زحام المعارضين شدّ يدك وقلبك على المنهج ﴿فَأَسْمَسِكَ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ٤٣.

١٦ - في زمن الفتن أدر شأن العمل بامعان ﴿فَأَسْمَسِكَ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ٤٣.

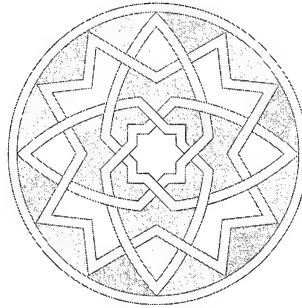
١٧ - تعرّف على القرآن ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ ٤٤ ﴿شَرَفَكَ وَعَزَّكَ وَرَفَعْتَكَ وَمَكَانَتَكَ عَلَى قَدَرٍ مَا فِي قَلْبِكَ مِنْ أَثَرِ هَذَا الْوَحْيِ.

١٨ - دعوة تلامس عقول الضالّين ﴿وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ ٤٥.

١٩ - حين تدعو العالم للفضيلة، وكلمة الحق، والرسالة الكبرى سيضحكون منك استهزاءً وسخريةً ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٤٦ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ ٤٧ ﴿هذه هي السنة منذ فجر التاريخ إلى نهاية الدنيا.

٢٠ - النفوس التي تشربت العُبث لا يمكن أن تأخذ الحقائق بجد ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٦) ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ (٤٧).

٢١ - جزء من المعركة استقبال حقائق الوحي بالفوضى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٦) ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ (٤٧).



وَمَا تُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ
بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَتَّبِعُهُ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا
رَبَّكَ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ
الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ
يَقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي
أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا
يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ
الْمَلَكُ الْمُتَكِنُ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ
إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا
مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا
وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا
قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا
ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ
أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ
لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

التفسير

- ﴿وَمَا نُزِيرُهُمْ﴾ ما نري فرعون وملأه ﴿مِنْ آيَةٍ﴾ حَجَّةٌ وَبَيِّنَةٌ ﴿إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ التي سبقتها ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ مِنَ السِّنِينَ، ونقص من الثمرات، والجراد، والقُمَّل والضفادع، والدم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ ليرجعوا عن كفرهم، ويعودوا عن غيِّهم.
- ﴿وَقَالُوا﴾ أي فرعون وملؤه لموسى: ﴿يَتَأْتِيَ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ بما خَصَّكَ الله به، ووعدك بالنصر على أعدائك ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ إلى ما تأمرنا به.
- ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ يغدرون، ويعودون إلى ما كانوا عليه من الضلال.
- ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾ مستعليًا بالباطل، مغترًا بملكه ﴿قَالَ يَنْقُورُ آلِيسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ فأنا المالك له ﴿وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ كما ترونها في وسط القصور ﴿أَفَلَا بُصِرُونَ﴾ ﴿٥١﴾ هذا الملك الطويل العريض.
- ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مِثْنُ﴾ يعني نبي الله تعالى موسى ﷺ يصفه بالمهانة والحقارة ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ ﴿٥٢﴾ عيب اللسان غير فصيح.
- ﴿فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ﴾ لو كان رسول الله لألقي عليه أسورة من ذهب ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّنِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ ولو كان كذلك لجاء الملائكة معه مؤيدين لرسالته.
- ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَاطَاعُوهُ﴾ استخفَّ عقولهم بما ذكر لهم فأطاعوه ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ بسبب فسقهم حصل لهم ذلك العذاب.



• ﴿ فَلَمَّا أَسْفُونَا ﴾ أغضبونا ﴿ أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَعْرَفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿٥٥﴾
جزاء ما عملوا.

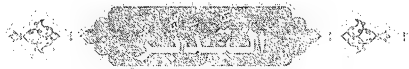
• ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾ ﴿٥٦﴾ ليعتبر بهم المعتبرون.

• ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا ﴾ ولما شَبَّه الله تعالى عيسى في خلقه من غير
أب بآدم كونه خُلِقَ من تراب ﴿ إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ ﴿٥٧﴾ يلجئون في
الخصومة قائلين: رضينا أن تكون آلهتنا بمنزلة عيسى.

• ﴿ وَقَالُوا ﴾ المشركون: ﴿ ءَالِهَتُنَا ﴾ التي نعبدُها ﴿ خَيْرٌ أَمَ هُوَ ﴾ أم طاعتنا
لمحمد ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ﴾ ما قالوا ذلك إِلَّا جدالاً ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ
خَصِمُونَ ﴾ ﴿٥٨﴾ في حجتهم ومجادلتهم بالباطل.

• ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ إنما عيسى عبد من عبادنا أنعمنا عليه
بالإيمان والرسالة ﴿ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ ﴿٥٩﴾ يعرفون به قدرة الله
تعالى على إيجاده هكذا. وإرساله إليهم.

• ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾ ﴿٦٠﴾ لجعلنا منكم ملائكة
يخلفونكم في الأرض.



١ - القلوب الضالَّة لا تفقه من آيات الله تعالى شيئاً ﴿ وَمَا نُرِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ
أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾.

٢ - حتى العذاب الذي يطول الضالِّين فيه منحٌ لو استفادوا منها في الحياة ﴿ وَمَا
نُرِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾.

٣ - مشكلاتك التي تعرض لك، وظروف طريقك، وتحديات واقعك هي الجسر الذي تصعد منه لأمانيك ﴿وَمَا نُزِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٤٨) لعلهم يرجعون، وليس لشيء آخر.

٤ - في الظروف البائسة تبدأ قصة الفلاح ﴿وَمَا نُزِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٤٨).

٥ - الإصرار على الضلال سوء توفيق ﴿وَقَالُوا يَتَّيِّهُ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ (٤٩) على الرغم من عمق الألم، وما حل بهم، ما زالوا مصرين ﴿وَقَالُوا يَتَّيِّهُ السَّاحِرُ﴾.

٦ - الإيمان بالفكرة ﴿وَقَالُوا يَتَّيِّهُ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ (٤٩) يعيشون الألم وهم مصرون على المعنى نفسه.

٧ - نقض العهود والمواثيق من أخلاق الضالين ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ (٥٠).

٨ - من كمال أدبك وعلمك أنك إذا وعدت أحداً فلا تخلف في الميعاد ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ (٥٠).

٩ - الكبر يصنع واقع الاستبداد في الأرض ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُومِ إِلَيسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ (٥٢).

١٠ - ما أقبح أثر كثير من المسؤوليات على أصحابها! ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُومِ إِلَيسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ (٥٢) جزئته للإباء والاستكبار.



١١ - هذه (أنا) التي أَلَقْتُ بكثيرين في أسوأ النهايات ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ ٥٢ ﴿﴾.

١٢ - ثَمَّةٌ نَسَبٌ وَطِيدٌ بَيْنَ فِرْعَوْنَ وَإِبْلِيسَ، كلاهما يشعر بالكبر، وَيَدِينُ بالاستبداد ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ ٥٣ ﴿﴾.

١٣ - إِذَا خَلَّى اللهُ تَعَالَى بَيْنَكَ وَبَيْنَ نَفْسِكَ فَقَدْ فَتَحَ لَكَ بَابَ الْخِذْلَانِ عَلَى مِصْرَاعِهِ ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقَوْمُ آلِيسَ لِي مُلْكٌ مِّصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ٥٤ ﴿﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٥﴾ ﴿﴾ مَنْ أَنْتَ لَوْ لَا اللهُ!؟

١٤ - كُلُّ هَذِهِ الْجُمَاهِيرِ لَمْ تَطْلُبْ مِنْهُ دَلِيلًا وَاحِدًا عَلَى صِدْقِ مَا يَقُولُ ﴿فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَكُ مَقْتَرِينَ﴾ ٥٦ ﴿﴾ تَقْدِيسُ الْمَفْسُودِينَ مِنْهُمْ قَدِيمٌ.

١٥ - ثِقَافَةُ الْقَطِيعِ لَا تَمْلِكُ قَرَارًا شَجَاعًا ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ ٥٧ ﴿﴾.

١٦ - رَجُلٌ وَاحِدٌ يُسَفِّهُ أَحْلَامَ كَثِيرِينَ وَلَمْ يَوْجَدْ فَرْدٌ يَصْفَعُهُ عَلَى وَجْهِهِ، أَوْ يَحْثُو فِي فَمِهِ التُّرَابَ ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ ٥٨ ﴿﴾ وَاشْوَقَاهُ لِلرِّجَالِ!

١٧ - ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ ٥٩ ﴿﴾.

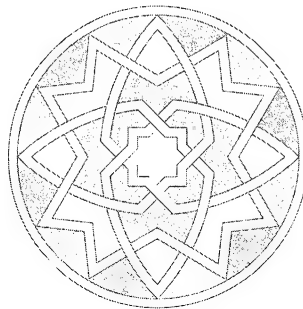
يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَلَا لَكَ الْجَوْ فَبِضْيٍ وَاصْفِرِي
وَنَقَّرِي مَا شِئْتَ أَنْ تُنْقَرِي قَدْ رَحَلَ الصِّيَادُ عَنْكَ فَابْشِرِي

١٨ - أَيُّ مَجْتَمَعٍ أَوْ أُمَّةٍ لَا تَجِدُ فِيهَا مَنْ يَهَابُهُ الْمَفْسُودُونَ فَقَدْ تَوَدَّعَ مِنْهَا ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ ٦٠ ﴿﴾.

١٩ - إِنْ اللَّهُ تَعَالَى يُمَهِّلُ وَلَا يُهْمِلُ ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾.

٢٠ - إِذَا غَضِبَ اللَّهُ تَعَالَى أَوْقَعَ عَذَابَهُ بِالْمُسْرِفِينَ ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾.

٢١ - الْقُلُوبُ الْمَوْلَعَةُ بِالضَّلَالِ مَتَشَرِّبَةٌ بِالْجِدْلِ مَوْلَعَةٌ بِهِ ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾.



وَأَنَّهُ، لَعَلَّمُ لِّلْسَاعَةِ فَلَا تَمْتَرُ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ
مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ، لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ
﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ
وَلَأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ
﴿٦٤﴾ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ
عَذَابٍ يَوْمِ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَلْسَاعَةَ أَن
تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَتَعَبَّدُونَ لِّمَا فِي
أَيْمَانِهِمْ يَوْمَئِذٍ وَتَلَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنَّا
وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ
تُحْبَرُونَ ﴿٦٩﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ
وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٧٠﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَكُمْ فِيهَا فَلَكَهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾

التفسير

- ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمُ لِلسَّاعَةِ﴾ أي فظهور عيسى دليلٌ على قرب الساعة؛ لأنَّ ظهوره من أشراطها ﴿فَلَا تَمْتَرُكْ بِهَا﴾ فلا تشكَّنَّ فيها ﴿وَاتَّبِعُونِ﴾ فيما أمركم به ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٦١) لا عوج فيه ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ لا يمنعكم من عبادتي ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٦٢) بَيِّنٌ واضحٌ في عداوته.
- ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدالة على صدقه وصحة ما جاء به؛ من إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ بالعلم والنبوة ﴿وَلِأَيِّنَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ أوضح لكم الحقَّ من الباطل فيه ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقايةً؛ بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ﴿وَأَطِيعُوا﴾ (٦٣) في كل ما أمركم به.
- ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٦٤) هذا هو الطريق الواضح المستقيم.
- ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ اختلفت الفرق في أمر عيسى ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ (٦٥) تهديدٌ ووعيدٌ على ما يصيبهم من عذاب الله تعالى يوم القيامة ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٦٦) هل تنتظر هذه الأحزاب المختلفة إلا قيام الساعة؛ فقد تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون بها.
- ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ المتحابُّون في غير الله تعالى أعداء لبعضهم يوم القيامة ﴿إِلَّا الْأُمُتَّةُ﴾ (٦٧) من كانت خلته في الله تعالى.



• ﴿يَعْبَادِ لَا حَوفُ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾ مِمَّا تَسْتَقْبِلُونَ ﴿وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ ولا حزن عليكم بما تفرقون ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا﴾ فكل من آمن بآيات الله تعالى لا يناله محذور ﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٦٩﴾ منقادين لله تعالى في جميع أحوالهم وأموالهم.

• ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمُ الْمُحْبَبُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ تنعمون وتكرمون.

• ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾ يُدار عليهم ﴿بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ من كل نعيم طيب ﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٧١﴾ لا تُحَوِّلُونَ عنها.

• ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ بسبب أعمالكم ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٧٣﴾ زيادة في النعيم.



١ - اعتنوا بالحقائق، واجتهدوا بالعلم، وما لكم وللجدل! ﴿وَأِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ ﴿١١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾.

٢ - مشكلتنا أننا مشغولون بأشياء لا تبعث عملاً في واقعنا ﴿وَأِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ ﴿١١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾.

٣ - ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ ﴿١٤﴾

هذه دعوة الرسل، والكبار، وحملة الرايات، وصانعي الحياة منذ زمان الأنبياء.

٤ - الخلاف فيما لا يعني الإنسان، أو لا يدخل في دائرة تأثيره لا ينبغي الاشتغال به؛ فكيف بالخلاف الذي جرى في عيسى ﷺ؟! ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ (٦٥).

٥ - كانت الأمة وما زالت بحاجة ماسة جداً لأطراح كثير من الخلافات التي ليس من شأنها شيء في واقع العمل ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ (٦٥).

٦ - مشغولون بالأوهام حتى تحين ساعة الندم ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٦٦).

٧ - أعظم القضايا التي كان الواجب أن يُعتنى بها هي العمل لأحداث الساعة لا الأسئلة التي لا يترتب عليها مصلحة ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٦٦).

٨ - الحقيقة التي يجب أن تأخذ حظها من البلاغ ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٦٧).

٩ - كل حُلة ليست على المنهج فستتحول في النهاية إلى عداء ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٦٧).

١٠ - تحقق من صديقك حتى تعرف أين أنت من الفريقين! ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٦٧).

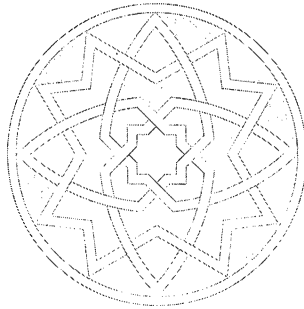
١١ - تخيروا أصحابكم، وخلانكم، والأوفياء في الطريق ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٦٧) فحُلة الإيمان أنفع ما تكون في الدارين.



١٢ - نافذة على النهايات السعيدة في حياة إنسان ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾.

١٣ - جمعوا بين الإيمان والاستسلام لله تعالى ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ فاستحقوا ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾.

١٤ - العمل مهر لتلك الجنان ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٧٢﴾.



إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَرِّقُهُمْ عَنْهُمْ وَهُمْ
 فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾
 وَنَادَوْا بِمَلِكٍ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ
 جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا
 مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا
 لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ
 ﴿٨١﴾ سُبْحَنَ رَبِّ الْأَسْمَانِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾
 فَذَرَهُمْ يَحْزَنُونَ وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٨٣﴾
 وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ
 الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
 وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ
 الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ
 يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَاَنَّى
 يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾
 فَأَصْفَحَ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾



التفسير

- ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (٧٤) ﴿لَا يُحَوَّلُونَ عَنْهَا.
- ﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ﴾ ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ (٧٥) ﴿آيسُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ.
- ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ (٧٦) ﴿بهذا العذاب الذي هم يعانون منه.
- ﴿وَقَادُوا﴾ ﴿وَهُمْ فِي النَّارِ﴾ ﴿يَمْلِكُ﴾ ﴿خَازِنُ النَّارِ﴾ ﴿لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ﴿لِيَمْتَنَّا
- وَنُسْتَرِيحَ مِنَ الْعَذَابِ﴾ ﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَنِكُوثٌ﴾ (٧٧) ﴿مَقِيمُونَ فِي النَّارِ
- لَا تَتَحَوَّلُونَ عَنْهَا.
- ﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ﴾ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ (٧٨) ﴿فَلَمْ
- تَسْتَجِيبُوا لَهُ، وَتَنْتَفِعُوا بِمَا فِيهِ.
- ﴿أَمْ أَتَرْمُونَ أَمْرًا﴾ ﴿كَادُوا لِلْحَقِّ وَمَكُرُوا بِهِ﴾ ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ (٧٩) ﴿كَايَدُونَ
- وَمُدْبِرُونَ لَهُمْ أَمْرًا لَا يَتَوَقَّعُونَهُ.
- ﴿أَمْ يَحْسُبُونَ﴾ ﴿بِجَهْلِهِمْ﴾ ﴿أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ ﴿فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْفُسِهِمْ
- وَنَحْوَهُمْ﴾ ﴿فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ﴾ ﴿بَلَى﴾ ﴿نَعْلَمُ ذَلِكَ﴾ ﴿وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ
- يَكْتُبُونَ﴾ (٨٠) ﴿وَمَلَأْنَاكَتِنَا الْحَفِظَةَ يَكْتُبُونَ كُلَّ ذَلِكَ.
- ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ ﴿حَقِيقَةً﴾ ﴿فَأَنَّا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ﴾ (٨١) ﴿لأنه جزء منه.
- ﴿سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٨٢) ﴿عن كل شريك
- وَظَهِيرٍ فِي مَلَكِهِ.
- ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ (٨٣) ﴿تحذير ووعيد
- لِلْمُخَالَفِينَ.

• ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (٨٤) ﴿فَلا مَعْبُودَ بِحَقِّ سِوَاهُ﴾.

• ﴿وَبَارِكْ﴾ تعالى وتعظيم ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ فلا شريك له فيهما ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ فلا يعلمه مخلوق ﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾ (٨٥) ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

• ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ﴾ أي إن كل من دعي من دون الله تعالى لا يملك الشفاعة لعابديه إلا بإذن الله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٨٦) ﴿أَقْرَبَ بِهِ قَلْبَهُ، وَنَطَقَ بِهِ لِسَانَهُ، وَعَمِلَتْ بِهِ جَوَارِحُهُ، وَهُوَ يَعْلَمُ حَقِيقَةَ ذَلِكَ﴾.

• ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٨٧) ﴿فَكَيْفَ يُصْرَفُونَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوْحِيدِهِ﴾.

• ﴿وَقِيلَ يَا يَرْبِ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨) ﴿قَالَ رَسُولُ اللَّهِ شَاكِيًّا إِلَى رَبِّهِ عَدَمَ إِيمَانِ قَوْمِهِ﴾ ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ أَعْرَضَ عَنْ أَذَاهُمْ وَدَعَاهُمْ ﴿وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٨٩) ﴿غَدًا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَجِدُونَ مِنَ الْعَذَابِ﴾.

التدبر

١ - نافذة على مآل الحياة التي لم تُدَرَّ فيها الأهداف ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (٧٤) ﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ (٧٥) ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ﴾ (٧٦) ﴿وَنَادَوْا بِمِلْكِكَ لِنَقِضْ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ﴾ (٧٧) ﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (٧٨) ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ (٧٩) ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ (٨٠).



٢ - كانوا مصرين على الهاوية فخرؤوا فيها صرعى ﴿وَمَا ظَلَمْنَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ﴾ (٧٦).

٣ - الانحراف عن المنهج وراء كل ضياع في النهايات ﴿وَمَا ظَلَمْنَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ﴾ (٧٦).

٤ - لو صلحت القلوب لرأت هذه الحقائق رأي عين ﴿وَنَادَوْا بِمَمْلَكٍ لِّيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ﴾ (٧٧) ﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ (٧٨).

٥ - كل ما يجري في عالمك فهو في علم الله تعالى ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ (٨٠) ﴿أحاديثك، كلماتك، أقوالك كلها مسجلة مدونة، لا يفوت منها على الله تعالى شيء.﴾

٦ - حتى أسرارك ومواعيدك ومكالماتك وأرقامك السرية، كلها مكشوفة بين يدي الله ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ (٨٠).

٧ - كل قول لا يستند إلى دليل من الوحي فهو ضلال ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَّا أُولَ الْأَعْيدين﴾ (٨١).

٨ - التركيز على مشروعاتك ودائرة تأثيرك أعظم ألف مرة من الانشغال بعدوك ﴿فَذَرَّهُمْ يُخَوِّضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ (٨٣).

٩ - لا تفصل مفاهيمك وتوزع قلبك، وإرادتك، وتفترق همومك، فالإله واحد ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (٨٤).

١٠ - ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ يعلم ما يسرك ويبهجك، ويرفع مقامك، ويعينك على مشاريعك وحياتك.

١١ - ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ عَلِيمٌ﴾ في شرعه ومنهجه، وتقديره ومشيتته، لا يتخلف من ذلك شيء عن الحكمة.

١٢ - ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ عَلِيمٌ﴾ يعلم من يصلح للهداية، ومن لا يصلح لها، ومن يستلذها، ومن لا يريد لها.

١٣ - ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ عَلِيمٌ﴾ فآمن بقلبك، واسجد بمشاعرك، وأحسن الإقبال على ربك، تجد مناك.

١٤ - المعرفة المجردة عن العمل لا تنفع صاحبها ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٨٧).

١٥ - في الشكوى لربك أنس لا يفقهه إلا من وجد مضض الألم ﴿وَقِيلِهِ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨).

١٦ - من حَقَّ أن تُفصِّحَ لربك عن ألمك ومقاساتك، وظروفك، ومشكلاتك، وعوائق طريقك ﴿وَقِيلِهِ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨).

١٧ - ﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٨٩) نوع من الاستدراج.

١٨ - صانع مَنْ حولك، وجاهده بالتي هي أحسن حتى يأتي أمر الله تعالى ﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٨٩).

سُورَةُ الدُّخَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

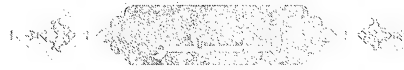
حَمْدٌ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ
 مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا
 مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
 الْعَلِيمُ ۝٦ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ
 مُوقِنِينَ ۝٧ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ
 آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝٨ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩
 فَأَرْقَبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشى النَّاسُ
 هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ
 ۝١٢ أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝١٣ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ
 وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ۝١٤ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ
 ۝١٥ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ۝١٦ وَلَقَدْ
 فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝١٧ أَنْ
 أَدَّوْا إِلَىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ إِنَّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٨

التفسير

- ﴿حَمَّ ١﴾ من الحروف المقطعة التي تدل على إعجاز القرآن.
- ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢﴾ قسم بالقرآن، وأنه بَيِّنٌ واضحٌ، لا لبس فيه.
- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ٣﴾ أي القرآن أنزله الله تعالى في ليلة القدر، جملة واحدة إلى السماء الدنيا، ثم نزل مُفَرَّقًا على رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ٤﴾ منذرين ومُحَذِّرِينَ من العذاب.
- ﴿فِيهَا ٥﴾ في ليلة القدر ﴿يُفَرِّقُ كُلَّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ٦﴾ يفصل من اللوح المحفوظ أمر السنة كلها، وما يكون فيها من الأرزاق والآجال والأعمال، وتُلْقَى إلى الملائكة ﴿أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا ٧﴾ كل ذلك بأمر الله تعالى وتدبيره ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ٨﴾ للرسول إلى الناس تبلغهم دين الله تعالى.
- ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ٩﴾ إنما كان ذلك رحمةً من ربك للخلق ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ ١٠﴾ لكل صوت ﴿الْعَلِيمُ ١١﴾ بكل تصرف.
- ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ١٢﴾ مالِكهما ومُدَبِّرُ ما فيهما ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ١٣﴾ بأن المالك هو الله تعالى.
- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ١٤﴾ فلا معبودَ بحقِّ سواه ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ١٥﴾ لا يخرج من ملكه وربوبيته أحد.
- ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ١٦﴾ هؤلاء الذين لا يؤمنون بالله في شك من ذلك، ولا هون عن هذه الحقيقة الكبرى.
- ﴿فَارْتَقِبْ ١٧﴾ فانتظر يا رسول الله ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ١٨﴾.



- ﴿يَعْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١١).
- ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ (١٢) وهذا الدخان آية تأتي على الناس في آخر الزمان.
- ﴿أَنِّي هُمْ الذِّكْرُيُّ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ (١٣) ليس هذا وقت الذكرى الآن، بل قد ذهب وقتها، وفات أوانها ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا﴾ عن رسول الله: ﴿مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ (١٤) علمه غيره، ومجنون لا عقل له.
- ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا﴾ لو أننا كشفنا عنكم، وعُدتم إلى الدنيا ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ (١٥) إلى تكذيبكم.
- ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ يوم القيامة ﴿إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾ (١٦) من كل مكذب ضال.
- ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ ابتليناهم واختبرناهم ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ (١٧) موسى بن عمران عليه السلام.
- ﴿أَن أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾ ما أمركم به وأنهاكم عنه ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (١٨) أمين على وحي الله تعالى فيما أبلغكم به، فلا أزيد فيه ما ليس منه.



١ - من عناية ربك تعالى بهذا القرآن إنزاله في ليلة القدر ﴿حَمْدٌ﴾ (١) وَلَکِتَبِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣).

٢ - كما أنزل الله تعالى عليك القرآن في ليلة مباركة؛ فحق عليك أن تنزله من حياتك موقعاً يليق بجلاله وإكرامه ﴿حَمْدٌ﴾ (١) وَلَکِتَبِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا

أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ۖ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿٢﴾ ۖ إِنْ مِنَ الْغَبْنِ إِلَّا يَجِدُ فِي وَقْتِكِ
وَقَلْبِكَ مَوْعَاً يَلِيْقُ بِهِ !

٣ - ليلة القدر ليلة فاصلة في تاريخك، تبلغ العبادة فيها ما يزيد على أربع
وثمانين سنة في مقابل غيرها فلا تَفُتْكَ ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ۖ إِنَّا كُنَّا
مُنْذِرِينَ ﴿٢﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا ۖ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً
مِّن رَّبِّكَ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ ۖ .

٤ - تهيأ لشرف تلك الليلة، وانتظر مباهجها، ورابط في ساحاتها، واستقبل بها ومن
خلالها عالم الأفراح ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ۖ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿٢﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ
أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا ۖ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ ۖ .

٥ - هل بلغك أن قصة حياتك لعام تُفصّل في تلك الليلة، إن خيراً فخير وإن شراً
فشر ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ۖ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿٢﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾
أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا ۖ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ ۖ
كن مستعداً ومستقبلاً للخيرات !

٦ - الرسل والدعاة والمصلحون وحملة الأفكار الناهضة رحمة في كل مجتمع وأمة
﴿ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا ۖ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ ۖ ماذا
لو لم يستقبل الناس ما يصلح قلوبهم في الحياة ؟ !

٧ - مشكلة الأمة هذه الفوضى التي تُستقبل بها الرسالات ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ
يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ ۖ .

٨ - كم من فرد ما زال يستقبل دعوة الله تعالى ومنهجه لاعباً غير جاد ﴿ بَلْ هُمْ فِي
شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ ۖ .



٩ - فرق بين من يحتفل بالفكرة، ويعيش لها، ويحوّلها إلى واقع عمل، وبين من لا يلقي لها مجرد السمع ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ ٩.

١٠ - للاهين واللاعبين والعابثين موعدٌ تُبَيَّن فيه الحقائق، وتنجلي فيه الأوهام ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ﴾ ١٠ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١١.

١١ - مشكلة المعرضين أنهم لا يحسنون استقبال الوحي، ولا يستطيعون في النهاية دفع العذاب ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ ١٢ أَفَنُكْفِيهِمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ١٣ كلاهما خسارة.

١٢ - العدو لم يحارب الإسلام من خلال الأفكار، وإنما صارع دعائه وطاردهم من خلال إطلاق التهم والتشويهات ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ ١٤.

١٣ - مطاردة الإسلام اليوم باسم الإرهاب بضعة من صراع العدو معه في هذه الأيام ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ ١٤.

١٤ - لا يَسْتَغْفِلَنَّ العدو فيتخذك عضواً في جبهة ضد الإسلام في غلاف المصطلحات الوهمية ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ ١٤ ما زال العدو ببعض أهل الإسلام وأنصاره حتى ألبسهم فكرة الإرهاب، ثم طاردهم بها بعد حين.

١٥ - صَوَّرَ لهم الإرهاب أولاً في أصحاب الأفكار المنحرفة، ثم جرَّهم إلى هذا المصطلح في حلق التحفيظ وأئمة المساجد والدعاة والمصلحين ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ ١٤.

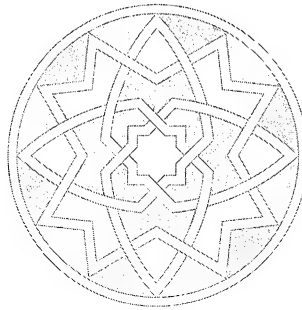
١٦ - من ذكاء العدو أنه إذا اتفقت معه في المصطلح جرَّك بعد ذلك إلى صور التطبيقات التي يريدها ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ ١٤.

١٧ - حتى لو كُشف العذاب عن فئات سيعودون إلى طريق الضلال ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ ١٥.

١٨ - لعلك رأيت مُعْرِضاً في شدة مرضه أو مصيبتِه، ثم رأيتَه حينَ مَنْ الله تعالى عليه بالعافية والشفاء! ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ (١٥).

١٩ - ثَمَّةٌ موعِدٌ للجزاء والحساب، فلا تستطِلْ أمدَ الظالمين ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾ (١٦).

٢٠ - النماذج المعرّضة والمستكبرة عن الحق كثيرة، تملأ صفحات التاريخ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ (١٧) ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (١٨).



وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي ءَاتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُدْتُ
بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تَوْتُمُونِي فَاعْبُرُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا
رَبَّهُ أَنَّهُ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَنسِرْ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ
مُتَّبِعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ
تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَ
كَانُوا فِيهَا فَكِكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخِرِينَ ﴿٢٨﴾
فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ
نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ
كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَخْرَنَّهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى
الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَيْنَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَكُوْا مُبِيتٍ
﴿٣٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِن هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى وَمَا
نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَاتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهْمُ
خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِيعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ
﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ ﴿٣٨﴾
مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

التفسير

- ﴿وَأَنْ لَا تَعْلَوْا عَلَى اللَّهِ﴾ لا تستكبروا عن ما يأمركم به ﴿إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ ﴿١٩﴾ حجة ظاهرة قوية على ما أدعوكم إليه ﴿وَإِنِّي عَذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ ﴿٢٠﴾ استجرت بالله تعالى من كل أذى يلحقني منكم.
- ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزِّلُونِي﴾ ﴿٢١﴾ اتركوني واكفوني شركم ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَتُولَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ مشركون كافرون.
- ﴿فَأَسْرِ بِعَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ أمر من الله تعالى بأن يسري بالليل بالمؤمنين من بني إسرائيل.
- ﴿وَأَتْرَكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ ساكنًا كما كان ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُعْرِفُونَ﴾ ﴿٢٤﴾.
- ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ﴿٢٥﴾ بساتين ومنايع تتفجر في جنانهم.
- ﴿وَزُرُوعٍ﴾ تهيج في جنانهم ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿٢٦﴾ جميل بهيج.
- ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ متفكّهين متنعمين.
- ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ﴿٢٨﴾ لما كذبوا برسولنا أورثنا جنانهم قوماً غيرهم من بني إسرائيل.
- ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ ما بكت السماء والأرض على فراقهم ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ مهملين من عذاب الله تعالى.
- ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ ﴿٣٠﴾ من فرعون نجيناهم من عذاب فرعون وما كانوا يقاسون فيه من المهانة والذلة.



- ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿٣١﴾ جَبَّارًا مُّسْتَعْلِيًّا فِي الْأَرْضِ.
- ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ﴾ اصطفينا هم وانتقينا هم ﴿وَعَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منا باستحقاقهم
- لذلك الفضل ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ عالمي زمانهم ومن قبلهم وبعدهم
- حتى أتى الله بأمة محمد ﷺ، وجعلها خير الأمم.
- ﴿وَأَنبَيْنَهُمْ﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾ الباهرة المعجزة ﴿مَا فِيهِ بَلَكُوْا
- مُبِيْنٌ﴾ ﴿٣٣﴾ اختبارٌ بَيْنَ لَهُم.
- ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ مشركو قريش.
- ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ فليس هناك بعث.
- ﴿فَأْتُوا بِآبَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ دليلاً على يوم القيامة.
- ﴿أَهُمْ خَيْرٌ﴾ هؤلاء المخاطبون ﴿أَمْ قَوْمُ تُبَعٍّ﴾ سبأ ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من
- أمم الكفر ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ كلهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ ﴿٣٧﴾ لذلك كان هلاكهم .
- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِيشَةٍ﴾ ﴿٣٨﴾ عبثاً ولهواً.
- ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ لغاية عظيمة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٩﴾
- مراد الله تعالى من خلقه.



- ١ - كم عالج الرسل أقوامهم؟! وكم لقوا من أثقال الطريق؟! ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ
- إِنِّي ءَاتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُوْمِنُوا لِي
- فَاعْتَرِلُونِ﴾ ﴿٢١﴾.

٢ - البيئات التي تبذل لها كل ما تملك، وترفض الحق، وتناضل دون الوصول إليه، يمكنك التخلص منها بأي طريق ﴿فَدَعَارِبُهُ أَنْ هَتُولَاءَ قَوْمٌ تُجْرِمُونَ﴾ (٢٢) .

٣ - حين تستنفد كافة الوسائل الممكنة في مشروعك، فلا حرج عليك من الاعتذار إلى ربك ﴿فَدَعَارِبُهُ أَنْ هَتُولَاءَ قَوْمٌ تُجْرِمُونَ﴾ (٢٢) .

٤ - كل ما يحدث في الأرض يرعاه الله تعالى ويرقبه ويجازي عليه ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ (٢٣) وَأَتْرَكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾ .

٥ - حين تنتزل رعاية الله تعالى لعبده وتجب له أمانيه ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ (٢٣) وَأَتْرَكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾ .

٦ - ما أقبح المعصية! ما زالت بهم حتى أخرجتهم من هذا النعيم ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ .

٧ - تحسس واقعك، وتأمل نعمك! هل فاتك منها شيء؟! استدرك نفسك قبل فوات تلك النعم من حياتك ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ .

٨ - كان يشعر ببركة في وقته، وبركة في ماله، وأنس في بيته، ونجاح في مشروعه، ثم ما لبث أن ضاعت تلك النعم كلها، هذه آثار المعاصي لمن كان له قلب واع ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ .



٩ - كان يجد رواءً في روحه ومشاعره، ثم ما لبث أن عاد كثيباً حسيماً، شاكياً يائساً من مجريات الحياة، أرجع بصرك للوراء؛ لعل طارقاً في الظلام ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ ۝٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾.

١٠ - هل تصوّرت سماء وأرضاً تبكي لفقدك! هذه من مباحج الإيمان ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ۝٢٩﴾ لَمَّا لم يكونوا مؤمنين لم تبك عليهم السماء والأرض.

١١ - هذا يودّع الحياة فيبكي الجمداء لوداعه، وذلك يرحل ولا تجد زوجة ولا ولد شيئاً من الدمع في وداعه، ما أبعد الفرق! ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ۝٢٩﴾.

١٢ - على قدر ما معك من إيمانك وعملك تتفاعل معك الجمادات ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ۝٢٩﴾.

١٣ - اترك أثراً، واصنع صالحاً، واكتب ربيعاً يذكرك به من حولك، وتبقى لك الذكريات ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ۝٢٩﴾.

١٤ - لا تقلق من الموت، فمن بكى السماء والأرض على فواته، ستنزل له الرحمات ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ۝٢٩﴾.

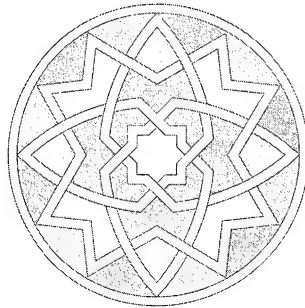
١٥ - لا تحزن أيها المؤمن! فإن السماء تعرفك، والأرض تفقدك، عش متفائلاً ترى الحياة ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ۝٢٩﴾.

١٦ - الأرض تحن لموضع قدميك، والسماء تبكي لصبر باب عملك ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ۝٢٩﴾.

١٧ - حتى لو لم يُعلنْ رحيلك؛ ستنهمر عبرات الكون دموعاً في تلك اللحظات ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ (٣١) .

١٨ - لا يتخلى الله تعالى عن عباده المؤمنين ﴿وَلَقَدْ بَجَّيْنَا بَنِيَ إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ (٣٠) ^٤ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١) وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٢) ^٥ وَءَايَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ (٣٣) .

١٩ - خلل الرؤية موجب لضياح الطريق ﴿إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ﴾ (٣٤) ^٦ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ (٣٥) ^٧ فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٦) ^٨ أَهْمَ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّعُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٧) .





إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى
 عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ
 إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ﴿٤٣﴾
 طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِي
 الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خَذُوهُ فَاَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ
 صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ
 أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ
 ﴿٥٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ
 ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾
 كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ
 فَاكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا
 الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ عَذَابِ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن
 رَبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ
 لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

التفسير

- ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ يوم القيامة ﴿مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ موعد اجتماعهم وحسابهم.
- ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ﴿٤١﴾ لا يدفع قريب عن قريبه شيئاً من العذاب.
- ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ إِلَّا من شملته رحمة الله تعالى؛ فينفعه من ذلك ما سعى فيه في الدنيا ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه من أعدائه ﴿الرَّحِيمُ﴾ ﴿٤٢﴾ بأوليائه من أهل طاعته.
- ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾ ﴿٤٣﴾ شجرة في النار ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ ﴿٤٤﴾ كثير الإثم.
- ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ ﴿٤٥﴾ ثمرها كالزيت المغلي في الحميم.
- ﴿كَغَلَى الْحَمِيمِ﴾ ﴿٤٦﴾ من حرارته وشدته.
- ﴿خُذُوهُ﴾ ﴿٤٧﴾ هذا الأثيم ﴿فَاعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ ﴿٤٧﴾ ادفعوه وسوقوه إلى وسط جهنم؛ حيث العذاب والنكال.
- ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ ﴿٤٨﴾ اسكبوا على رأسه من الماء الحار.
- ﴿ذُقْ﴾ شدة العذاب والنكال ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ ﴿٤٩﴾ توبيخاً وتقريعاً.
- ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ تشكون أنه واقع بكم يوم القيامة.



- ﴿إِنَّ الْمُنْتَقِينَ﴾ كل من جعل بينه وبين عذاب الله وقايةً؛ بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ ﴿٥١﴾ في موضعٍ آمِنٍ ممَّا يخاف منه.
- ﴿فِي جَنَّتٍ وَعُيُوتٍ﴾ ﴿٥٢﴾ مكثهم ومقامهم.
- ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ﴾ وهو ما رَقَّ من الديباج ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ ما غلظ من الديباج ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ يقابل بعضهم البعض.
- ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ ﴿٥٤﴾ من نساء أهل الجنة.
- ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَلَكَهَةٍ آمِنَةٍ﴾ ﴿٥٥﴾ يطلبون في الجنة كل ما يشتهون، وهم آمنون مطمئنون.
- ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ ﴿٥٦﴾ فلا ينالهم موت بعد موتهم الأولى ﴿وَوَقَّعْنَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ ﴿٥٦﴾ صرف عنهم عذاب النار.
- ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾ ﴿٥٧﴾ هذا النعيم ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٥٧﴾ ما وجدوه في الجنة.
- ﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْثِيهِ لِسَانُكَ﴾ أي هذا القرآن ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ ما ينفعهم ويعظمهم ويذكّرهم ﴿فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ ما يحلُّ بهم من العذاب.



١ - ثَمَّةٌ يَوْمٌ تنقطع فيه الصَّلَات بين المخلوقين ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ يَوْمٌ لَا يَغْنَى مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ .

٢ - ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ يَوْمٌ يَلْتَقِي فِيهِ كُلُّ صَاحِبِ حَقٍّ بِصَاحِبِهِ؛ فَيَجْرِي الْجَزَاءُ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ.

٣ - ذَهَبَتِ الشَّهَوَاتُ، وَبَقِيَ الْعَذَابُ وَالْحَسَرَاتُ ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُوبُوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾.

٤ - يَأْكُلُونَ مِنْ شَجَرَةِ الزَّقُّومِ، وَيَشْرَبُونَ مُهْلًا يَغْلِي فِي الْبُطُونِ، وَيُجْرُونَ إِلَى وَسْطِ الْجَحِيمِ، مَاذَا بَقِيَ مِنَ الْعَذَابِ؟! ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُوبُوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾.

٥ - ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ ﴿٤٩﴾ يَسْتَحَقُّ هَذَا التَّهْكُمُ وَالتَّبَكِيتُ وَالِاسْتِهْزَاءُ!

٦ - كَمْ مِنْ عَزِيزٍ بِالْبَاطِلِ يَقَاسِي هَذِهِ الْحَسَرَاتِ فِي النِّهَايَةِ؟! ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ ﴿٤٩﴾.

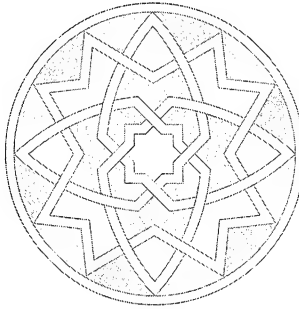
٧ - تَرَأْسُ مَسْئُولِيَّةٍ، ثُمَّ بَقِيَ عَدُوًّا لِدِينِ اللَّهِ تَعَالَى! ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ ﴿٤٩﴾.

٨ - نَافِذَةٌ عَلَى مَبَاهِجِ النِّعَمِ الَّتِي تَنْتَظِرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْخُلُونَ فِيهَا بِكُلِّ فُكْهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ



فِيهَا الْمَوْتُ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ۖ وَوَقَّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلَّامٍ رَبِّكَ ذَلِكَ
هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ .

٩ - من لطف الله تعالى بك أن يَسِّرَ لك قراءة كتابه؛ فافقه هذه العبرة! ﴿فَانْمَا
يَسِّرْنَاهُ بِلسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ .



سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْ ١ نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ
 يُوقِنُونَ ٤ وَأَخْلَفَ أَتْلِيلَ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ
 فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٥
 تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتُهُ يُؤْمِنُونَ
 ٦ وَيَلِكُلُ أَفَّاكَ أَيْمٍ ٧ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصَّرُّ
 مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٨ وَإِذَا عَلِمَ مِن ءَايَاتِنَا
 شَيْئًا أَخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٩ مِّن وَرَآئِهِم جَهَنَّمُ
 وَلَا يَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا أَخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أُولَئِكَ وَلَهُمْ
 عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠ هَذَا هُدًى وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ
 رَّجَزٍ أَلِيمٌ ١١ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ أَلْفُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ
 وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا
 فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ١٣

التفسير

- ﴿حَمَّ ١﴾ حروف تدلُّ على إعجاز القرآن الكريم.
- ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ﴾ أي إنَّ هذا القرآن منزلٌ من عند الله تعالى ﴿الْعَزِيزِ﴾ في انتقامه من أعدائه ﴿الْحَكِيمِ ٢﴾ في تدبير شأن خلقه.
- ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٣﴾ دلائل وحجج وبراهين لكلِّ مؤمن.
- ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ جنس الإنسان ﴿وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ﴾ في الأرض ﴿آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٤﴾ دلائل وحجج وبراهين واضحة.
- ﴿وَإِخْلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ تعاقبهما ﴿وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾ أي من غيث ﴿فَاحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ﴾ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ ﴿آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٥﴾ حجج وبيِّنات لمن يعقل عن الله تعالى أمره.
- ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ٦﴾ بأيِّ حديثٍ بعد حديثِ الله تعالى وحججه عليكم تؤمنون به.
- ﴿وَبَلٍّ﴾ وعيدٌ وتهديدٌ ﴿لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ٧﴾ كذَّابٌ في أقواله، أثيمٌ في أفعاله.
- ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنْزِلُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٨﴾ يسمع آيات الله تعالى تُقرأ عليه فيصُدُّ عن سماعها استكباراً وعلواً.
- ﴿وَإِذَا عَلِمَ﴾ هذا الأفَّاكُ ﴿مِنَ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ يسخر بها ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٩﴾ يُهانون فيه، ويُذلُّون به.

- ﴿مَنْ وَرَّاهُمْ جَهَنَّمَ﴾ وبعد ذلك لهم عذاب جهنم ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا﴾ من مالٍ أو ولد ﴿وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ لم تُغنِ عنهم آلهتهم التي عبدوها من دون الله شيئاً ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٠﴾ فوق ذلك.
- ﴿هَذَا هُدًى﴾ أي القرآن وما فيه من الحق ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَائِدُ رِيْهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٌ﴾ ﴿١١﴾ عذاب شديد موجه.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ﴾ السفن ﴿فِيهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَلِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ من معاش الدنيا ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٢﴾ على هذه النعمة.
- ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ نعمة على العباد، وفضلاً منه تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿١٣﴾ لعلاماتٍ ودلائلٍ لمن تفكر في ذلك.

التدبر

١ - ألقِ ببصرك ومشاعرك ووجدانك إلى آيات الله تعالى الماثلة في هذا الكون ﴿حَمْدُ ١﴾ تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ ؕ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِّزْقٍ فَالْحَيَاةُ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفَ الرِّيحِ ؕ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ؕ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ سترى ما يدهشك.

٢ - مشكلتنا هذا اللهاث الذي لم يُمكن الواحد من قراءة واقعه، والتفكر فيما حوله من آيات ﴿حَمْدُ ١﴾ تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ ؕ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ



وَالنَّهَارَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ ؕ آيَاتُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴿٥﴾

٣ - كَذَابٌ وكثير الإثم ماذا أبقى من الموبقات؟! ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ؕ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ؕ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ؕ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ ﴿٨﴾

٤ - هل تصوّرت إنساناً يسمع آيات الله تعالى تدعوه للفضيلة، ثم يركض معرضاً عنها لا يبالي بها؟! ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ؕ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ؕ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ؕ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ ﴿٩﴾ مؤلّمة هذه الصورة، وكم ممّن يعيش أحداثها واقعاً؟! ﴿٩﴾

٥ - كم مرّة سمعت واعظاً أو تالياً يذكر، ولم تلقِ لما قال بالاً، أو تُصغي له سماعاً! ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ؕ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ؕ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ؕ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ ﴿٨﴾

٦ - حتى حين يعلم الحق يضحك منه ويزدريه! ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿٩﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ؕ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ؕ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ غاية الإعراض! ﴿٩﴾

٧ - هذه نهايات الضالّين ﴿مَنْ وَرَايَهُمْ جَهَنَّمُ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿٩﴾

٨ - لا يمكن أن يجري هذا الكون على العبث والفوضى، ثمّة جزاء لكلّ معرض ضالّ ﴿مَنْ وَرَايَهُمْ جَهَنَّمُ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿٩﴾

٩ - ﴿هَذَا هُدًى﴾ حقيقة كبرى، يقرّرها ربك، ويدعو إليها، ويزدّج بمباهجها في قلبك، يا لأثر القرآن لو أدركناه!

- ١٠ - ﴿ هَذَا هُدًى ﴾ هدى لروحك، وقلبك، ومشاعرك.
- ١١ - ﴿ هَذَا هُدًى ﴾ وهدى لتفكيرك، ومفاهيمك، وتصوراتك في الحياة.
- ١٢ - ﴿ هَذَا هُدًى ﴾ وهدى لبيتك، ومشروعك، وقصة حياتك، وهدى لكل شيء.
- ١٣ - لا تقضي حاجتك من البحر وتنصرف، تأمل ببصرك ومشاعرك ووجدانك تسخير له لك لتعرف عظيم نعم الله عليك فتشكره عليها ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٢).
- ١٤ - تأمل لو فاض البحر على العالم! ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٢) ماذا سيجري في الحياة؟!
- ١٥ - كل هذا العالم الذي تراه سُخَّرَ لك، ومن أجلك؛ فأين شكرك لله؟ ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١٣).
- ١٦ - ما أكرم هذا الإنسان على الله تعالى لو وعى! ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١٣).
- ١٧ - انظر أين تصرف هذا التسخير! وأين توظفه في الحياة! ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١٣).
- ١٨ - الإنسان مدار هذا الكون، وعليه تقع تبعات التغيير الكبرى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١٣).

قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ
 قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ
 وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
 بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
 وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ يَتِينَ مِنَ الْأَمْرِ
 فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا يَنْهَهُمْ إِنَّ
 رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
 ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ
 أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ
 شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ
 ﴿١٩﴾ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ
 ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَجْعَلَهُمُ كَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا
 يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ
 وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

التفسير

- ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ قل لكل من آمن ولقي أذى من العدو أن يغفر ويصفح لمن آذاه ممن لا يرجو ما عند الله تعالى من النعيم والعذاب ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿١٤﴾ كل حسب عمله.
- ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ ثمرة ذلك له دون غيره ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ على نفسه، لا يضر غيره ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١٥﴾ يوم القيامة.
- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ﴾ التوراة والإنجيل ﴿وَالْحُكْمَ﴾ بين الناس ﴿وَالنَّبُوَّةَ﴾ وجعلنا منهم أنبياء ورسلاً إلى الخلق ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ ممّا تطيب به نفوسهم ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٦﴾ من أهل زمانهم.
- ﴿وَعَايَنَاهُمْ يَنبِتِ مِنَ الْأَمْرِ﴾ دلالات تبين الحق من الباطل؛ كآيات التي وقعت لموسى ونحوه ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ الموجب لعدم الاختلاف والفرقة ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ عدواناً على بعضهم البعض ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿١٧﴾
يفصل بينهم خلافهم يوم القيامة.
- ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ جعلناك يا نبي الله على طريقة وسنة ومنهاج واضح ﴿فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٨﴾ فإن في اتباع الله تعالى الخير والفضل.
- ﴿إِنَّهُمْ﴾ من اتبع هواه ﴿لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ يوم القيامة ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ على أهل الإيمان ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٩﴾ وكفى به هدايةً وولايةً.



• ﴿ هَذَا ﴾ أي القرآن الكريم ﴿ بَصِيرٌ لِلنَّاسِ ﴾ يبصرون به الحق من الباطل ﴿ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ ﴿٢٠﴾ هداية ورحمة للموقنين به.

• ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ وقعوا وخاضوا في السيئات ﴿ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ ﴾ في حياتهم ﴿ وَمَمَاتُهُمْ ﴾ وبعد مماتهم ﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ ﴿٢١﴾ إن كان هذا حكمهم؛ فساء ما يحكمون.

• ﴿ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ بالعدل ﴿ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ كل على قدر عمله ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ﴿٢٢﴾ بل يوافقون به على قدر أعمالهم.

الذِّكْر

١ - دعوة للاستعلاء على عوارض الطريق ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ﴿١٤﴾.

٢ - أبعد من كونك تقتص أو تأخذ حقك! نزه قلبك من الأحقاد ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ﴿١٤﴾.

٣ - لا تنتظر مقابلاً على سمو النفس، سل الله تعالى أن يهبك مقابلاً هناك ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ﴿١٤﴾.

٤ - هذه دعوة للاستعلاء على الكافر؛ فكيف بها مع المؤمن برسالتك ودينك ونبيك، واختلفتما لشيء عارض؟! ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ﴿١٤﴾.



٥ - لا تستعمل على ربك، أو تتباطأ في طاعته! إنما تصنع الخير لنفسك ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (١٥).

٦ - حين تقترب معصية، أو تشارك فيها؛ إنما تهدم مستقبلك، وتضع أنقاض الضلال في طريقك ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

٧ - كل علم أورث نزاعاً وشقاقاً وخلافاً؛ فلا قيمة له في حياتك ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَزَكَّيْنَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (١٦) ﴿وَأَتَيْنَاهُم بِبَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١٧).

٨ - إياك والتخلف عن مباحج هذه الشريعة! ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨).

٩ - كل مشكلات العالم حلها في اتباع هذه الشريعة ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨).

١٠ - كل طرح أيّاً كان نوعه، إن لم يتواءم مع هذه الشريعة، فهو ضلال ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨).

١١ - إصلاح العالم لا يتم إلا من خلال شريعة الله تعالى وفقهها، وما عدا ذلك أوهام، لا علاقة لها بالحقائق ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨).

١٢ - مَنْ لا يعلم؛ كيف يضع لك منهجاً سويّاً؟! ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨).

١٣ - من الجهل الذريع أن نشق في نظام بشري ولا نشق في شريعة الله المحكّمة! ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨).



١٤ - كُلُّ نَظَامٍ لَا يَتَوَافَقُ مَعَ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ عَوَاقِبُ سُوءِهِ أَقْبَحُ مَا تَكُونُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾.

١٥ - اتِّبَاعُكَ لِأَيِّ مُخَالَفٍ هُوَ بَدَايَةُ الضِّيَاعِ وَنَهَايَتُهُ ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾.

١٦ - لَن يَنَاصِرَ أَهْلَ الْبَاطِلِ إِلَّا ظَالِمٌ، وَلَن يَقِفَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا مُؤْمِنٌ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٠﴾.

١٧ - ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ يَعِينُهُمْ، وَيُسَدِّدُهُمْ، وَيُدْلِهِمْ عَلَى الْخَيْرِ، وَيَأْخُذُ بِأَيْدِيهِمْ إِلَيْهِ، وَيُدْفَعُهُمْ لِكُلِّ فَضِيلَةٍ فِيهِ، وَمَا يَزَالُ بِهِمْ حَتَّى يَبْلُغُوا النِّهَايَاتِ.

١٨ - ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ يَخْتَارُ لَهُمُ الْأَفْضَلَ وَالْأَحْسَنَ، وَالْأَهْمَ وَالْأَجُودَ، وَيَعِينُهُمْ عَلَى بُلُوغِ أَمَانِيهِمْ فِيهِ.

١٩ - ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ يَدْفَعُ عَنْهُمْ الْبَاطِلَ، وَيُبَاعِدُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السُّوءِ، وَيَضَعُ حَوَاجِزَ دُونَ الْوُصُولِ إِلَى مَا يَسُوؤُهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

٢٠ - ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ يَدَافِعُ عَنْهُمْ، وَيَقِفُ دُونَهُمْ، وَيَنْصُرُهُمْ، وَيُدْفَعُ عَدُوَّهُمْ، وَيَكْشِفُ لَهُمْ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ.

٢١ - الْقُرْآنُ مَبِينٌ لِلْحَقَائِقِ، وَكَاشَفٌ لِلْأَوْهَامِ ﴿هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ﴿٢٠﴾.

٢٢ - لَن تَرَى طَرِيقَكَ الْحَقِيقِيَّ فِي الْحَيَاةِ إِلَّا مِنْ خِلَالِ هَذَا الْقُرْآنِ ﴿هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ﴿٢٠﴾.

٢٣ - يَعْرِفُكَ بِالْقِيمِ، وَيَضْبِطُ لَكَ سِيرَكَ، وَيَكْشِفُ لَكَ أَسَالِيبَ الْأَعْدَاءِ ﴿هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ﴿٢٠﴾.

٢٤ - يهديك لكل بر وفضيلة، وخير ومعروف وإصلاح، ويعينك على موارد الخيرات ﴿ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (٢٠).

٢٥ - فرق كبير، وطويلة هي المسافات بين هؤلاء وهؤلاء ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (٢١).

٢٦ - لا يستوي مكب على السيئات، وسالك يعمل الصالحات ! لا يستون في حياتهم، ولا في قبورهم، ولا في مواقف الحساب بين يدي الله تعالى ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (٢١).

٢٧ - هذا يشكو جراح قلبه وألمه وظروفه وحزانات صدره، وذلك يكاد يعانق الفضاء من الأفراح ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (٢١).

٢٨ - هذا يكاد يقطع ثوبه من الضيق الذي يعيشه، والهموم التي تطارده، والظروف القاهرة التي تحيق به، وهذا من فرط نعيمه يرى أنه عجل له الجزاء ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (٢١).

٢٩ - هذا في قبره يضيّق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويضرب بمطرقة من حديد يسمعه كل شيء إلا الثقلان، ويساكنه ويضاجعه عمله، نتن الريح، بشع الوجه والصورة، حتى يلقي ربه، وذاك يفسح له في قبره مدّ بصره، ويُبشّر بأفراح الدار، ويُفتح له باب للجنة، ويأتيه عمله في صورة جميلة وريح طيبة ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (٢١).

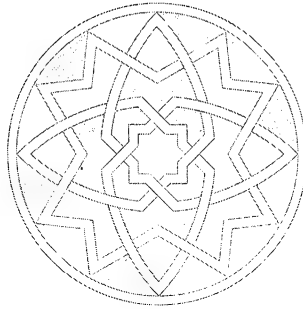


٣٠ - هذا في يوم القيامة أبْقِ شاردٌ عاصٍ ذليلٌ بين يدي ربه، موبقٌ بخطاياها، وذاك رضي الله تعالى عنه وأرضاه ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (٢١).

٣١ - للكون غايةٌ يجري في فلکها حتى يأتي يوم القيامة ﴿ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٢٢).

٣٢ - عش ما بدا لك، وتهيأ لحساب ذلك اليوم ﴿ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٢٣).

٣٣ - أياً كانت حسنتك أو سيئتك، سترها بين يديك في أحوج اللحظات ﴿ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٢٤).



أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَضْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَمَّ عَلَى سَمْعِهِ
وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا
إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا نُتِلَى
عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعُوا بَنَاءَنَا إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٤﴾ قُلِ اللَّهُ يُخَيِّكُم مِّمَّ يُمْسِكُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْشَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٦﴾ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَرُونَ مَّا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٢٩﴾ وَأَمَّا
الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُنزلُ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا
مُجْرِمِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا
نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾



التفسير

- ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اخْتَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ جعل هواه معبوداً من دون الله تعالى ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ لعلمه سبحانه أنه لا يصلح للهداية ﴿وَحَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ﴾ فلا يسمع ما ينفعه ﴿وَقَلْبِهِ﴾ فلا يعي الخير ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ فلا يرى الحق واضحاً ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ مَنْ يَدُلُّهُ عَلَى التوفيق إن فعل به ذلك ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٢) ما ينفعكم من الخير.
- ﴿وَقَالُوا﴾ منكروا البعث: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ فلا حساب ولا عقاب ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ إنما حكموا به لجهلهم بالله تعالى ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٢٤) إنما ذلك مجرد ظنون.
- ﴿وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات ﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾ ما كان لهم من حجة لمقابلة ما جاء به الرسول ﷺ من الحق ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتُتَوَاتَرًا بَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٥) ابعثوهم أحياء بعد موتهم.
- ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ بعد ذلك ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك فيه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٦) لا يعلمون هذه الحقيقة الكبرى في حياتهم.
- ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لا يشركه في ذلك أحد ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ السَّاعَةُ﴾ يَوْمَئِذٍ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿(٢٧)﴾ يخسر فيها كلُّ من لم يعرف الحق ويأتمر به ﴿وَنَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ على ركبها خوفاً وذعراً ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾ كتاب أعمالها ﴿الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٨) كلُّ يُجْزَىٰ بعمله؛ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

- ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يُنْطَقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ﴾ لم يكتب عليكم شيئاً لم تعملوه ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ﴾ تكتب حفظتنا ﴿ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ ٢٩ ﴾ في أيام الدنيا.
- ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ؕ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ ﴿ ٣٠ ﴾ الواضح البين.
- ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمُونَ ﴾ ﴿ ٣١ ﴾ توبيخاً وتقريعاً.
- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَكُمْ فِي أَيَّامِ الدُّنْيَا ﴿ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ أنه محيىكم بعد مماتكم ﴿ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾ حقيقة ﴿ قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ ﴾ تكذيباً بوعده تعالى ﴿ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِينَ ﴾ ﴿ ٣٢ ﴾ أن الساعة ستقوم.

التَّدْبِيرُ

- ١ - ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عَمْرٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَغَلَّبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ؕ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿ ٢٢ ﴾ نعم! رأيناهم عبيداً لشهواتهم، وعاداتهم، ومسؤوليهم، وقيم الجاهلية، وسراب الأوهام.
- ٢ - يحارب الأصنام والأوثان، وهو عبد لصنم الهوى، ووشن الشهوات ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عَمْرٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَغَلَّبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ؕ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿ ٢٣ ﴾.
- ٣ - قد يكون الهوى شهوة وظيفية، أو منصب، أو مسؤولية، أو عادة وقيمة جاهلية، يتحوّل مع الأيام إلى إله، يقوم له صاحبه ويقعد، ويسافر له ويقيم ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عَمْرٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَغَلَّبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ؕ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿ ٢٤ ﴾.



٤ - كل ما صرفك عن ربك وأعطيته حظاً من قلبك فهو إله ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنُهُ وَأَضْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٢﴾.

٥ - حتى الكرة التي نلعبها تتحول إلى إله نخاصم فيها، ونوالي ونعادي من أجلها، ونتصالح ونتعادي لها ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنُهُ وَأَضْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٣﴾.

٦ - حتى قيم الجاهلية التي نحكم فيها الهوى على حكم الله تعالى، ونؤلفها حتى أنها لا تُعصى، ونؤاخذ ونتصادق فيها، ونتعادي ونختلف من أجلها إله يتعبد له العالمون ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنُهُ وَأَضْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٣﴾.

٧ - إذا فقدت البوصلة شمالها الحقيقي تاه الإنسان في صحراء الظلام ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ﴿٢٤﴾.

٨ - إذا لم تؤمن بالوحي فلا يمكن أن تعرف طريق مستقبلك ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ﴿٢٤﴾
ولو كنت تملك أعلى الشهادات!

٩ - أجز عقله وباعه، وحرّج عليه! كيف يهتدي للحقائق؟! ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ أَيْنَنَا يَسْتَرْ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَعْنَا آبَاءَنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٢٥﴾.

١٠ - الخسارة الكبرى خسارة نعيم الآخرة ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِذُ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ ﴿٢٧﴾.



١١ - كل مصطلحات الخسارة التي تُدار في منافسات الدنيا لا حقيقة لها إذا لم يُصب دينك منها شيء ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (٢٧).

١٢ - إذا لم تخسر شيئاً من دينك في مواقف الدنيا؛ فلا تأس على فائتٍ منها ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (٢٧).

١٣ - الأفكار والمفاهيم وأثرها في بناء التصورات ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (٢٧) مفاهيم الريح والخسارة من بناء التصورات.

١٤ - الحقائق والمفاهيم والتصورات لا تؤخذ إلا من شريعة الله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (٢٧) كيف تعرف الخسارة الحقيقية لو لم يكن هناك وحي؟!

١٥ - تصوّر هذا المعنى، وتأمل ببصرك ومشاعرك حقائقه ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةٍ ۚ كُلُّ أُمَّةٍ دُعِيَ إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢٨) أمة تجثو على ركبها، تنتظر إعلان نتيجتها، وأنت واحد من هؤلاء.

١٦ - لا تأخذ إلا ما دُوّن في كتابك، وما سُجّل عليك ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ۗ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢٩).

١٧ - لعلك نسيت! كنت تعمل والملائكة تُسجّل وتُدوّن وتستنسخ ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ۗ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢٩).

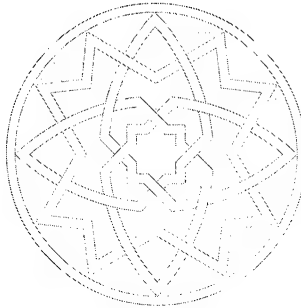
١٨ - هل تتوقع أن شيئاً لم يكتب؟! وسراً لم يُدوّن؟! وعملاً خفياً لم يُسجّل؟! كلا! تأكد أنه لم يفت من تاريخك شيء ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ۗ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢٩).



١٩ - هذه نتائج دنياك ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ (٣٠) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ .

٢٠ - القبول والاستكبار صنعا فارق النتيجة فتمعن! ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ (٣٠) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ .

٢١ - الكبر أطاح بهم، وأضاع عليهم آمالهم في النهايات ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ ﴾ (٣٢) .



وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾
 وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَنُكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ
 مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُؤًا وَغَرَّكُمْ الْحَيَاةُ
 الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَوُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ
 رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

التفسير

- ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ يوم القيامة ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ أحاط بهم عذاب الله تعالى؛ بسبب استهزائهم، وتكذيبهم ليوم القيامة.
- ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَنُكُمْ النَّارُ﴾ لا تخرجون منها ﴿٣٤﴾ ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ يدفعون عنكم عذاب الله تعالى.
- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُؤًا﴾ فلم تدركوا حقيقة آيات الله تعالى ﴿وَغَرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ فانشغلتم بها عن أمر الله تعالى ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ من النار ﴿وَلَا هُمْ يُسْعَوُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ ولا يمهلون فيعودوا إلى الدنيا.
- ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾ كما ينبغي لجلاله وعظيم سلطانه ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ فهو رب كل شيء.



- ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الجلال والعظمة والمجد ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾
الغالب في حكمه ﴿الْحَكِيمُ﴾ (٣٧) ﴿في تدبير أمره وشرعه.



١ - هذا يومٌ تُكشف فيه الأستار ﴿وَبَدَأْهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ﴾
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٢﴾.

٢ - ظهرت أشياء ستتمنى لو ساخت بك الأرض ولم تعاد لمجرد الذكرى ﴿وَبَدَأْهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ﴾ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾.

٣ - حتى التي تناقلها الناس وذقت فيها الحسرات عادت من جديد، والتي لم يرها أحدٌ من العالمين، والتي كنت تتمنى أن تدفع دنيائك في مقابل ألا تُعادَ أمام عينك، فضلاً عن أن يراها أحدٌ من الخلق، جاءت تعرض صورها وتُعاد ﴿وَبَدَأْهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ﴾ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾.

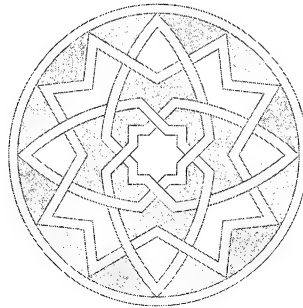
٤ - تصوّر لو أنك في حفل تخريج، وتمّ تكريم كل زملائك، ولم يأت اسمك، ولم يُنادَ عليك، أو كنت في مسابقةٍ وظيفيةٍ وعرف كل زملائك نتائجهم إلا أنت، لم تجد من يجيبك، وقدّمت إلى مكان ضيافةٍ فرحبوا بكل من معك، وتركوك على الباب، لم يسألوا عنك، كل هذه الصور مع مرارتها لا تساوي شيئاً من نسيانك في يوم الحسرات ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَخْكُمْ مَا نَسَخْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَا وَكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ (٣٥) ﴿ذَلِكُمْ بِأَنكُمْ أَخَذْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوعاً وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَفُونَ﴾ (٣٦).

٥ - يستحق الحمد من هداانا ودلنا وأكرمنا وجعلنا خير أمةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٧) ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٨﴾.

٦ - يستحقُّ الحمدَ الذي لولاه ما عرفنا الهداية، ولم نستدلَّ على الطريق ﴿فَلِلَّهِ
الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.

٧ - يستحقُّ الحمدَ الذي قَبَلْنَا بعدَ ذنوبنا، وَغَفَرَ لَنَا معَ كثرةِ عثرتنا، وَتَجَاوَزَ عَنَّا
بعدَ أخطائنا ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.

٨ - يستحقُّ الحمدَ الذي عَلَّمَنَا وَدَلَّنَا على مشاريِعنا، وَوَفَّقَنَا لبلوغِ آمالنا، وَأَعَانَنَا
على تحقيقِ ما نريدُ ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ
الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.



سُورَةُ الْأَحْقَافِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ① تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ② مَا خَلَقْنَا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ
كَفَرُوا عَمَّا أُنذَرُوا مُعْرِضُونَ ③ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ
أَتُنَوِّى بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرُونَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ④ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا
يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ⑤

التفسير

- ﴿حَمَّ ①﴾ من الحروف المقطعة التي تدل على إعجاز القرآن.
- ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ﴾ أي إن القرآن كلامه المنزل إلى رسوله ﷺ
- ﴿الْعَزِيزِ﴾ الغالب في أمره.
- ﴿الْحَكِيمِ ②﴾ في شرعه وتدبير أمره ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

إِلَّا بِالْحَقِّ ﴿١﴾ بِالْعَدْلِ ﴿٢﴾ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٣﴾ مُحَدَّدٍ مُّوَقَّتٍ، يَنْتَهِي بِزَوَالِ الدُّنْيَا
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿٤﴾ لَاهُونَ غَافِلُونَ.

• ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ
الْأَرْضِ﴾ دَلُونِي وَأَرْشِدُونِي إِلَى الْجُزْءِ الَّذِي خَلَقُوهُ مِنَ الْأَرْضِ ﴿أَمْ لَهُمْ
شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ جُزْءٌ وَشِرَاكَةٌ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ ﴿أَتُنْفِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ
هَذَا﴾ أَعْطُونِي كِتَابًا صَحِيحًا يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ عِبَادَتِكُمْ لَهُمْ ﴿أَوْ أَتَنَزَّلُ
مِنْ عِلْمِهِ﴾ دَلِيلٌ بَيِّنٌ عَلَى مَا فَعَلْتُمْ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٥﴾ فِي
الْوَصُولِ لِلْحَقِّ.

• ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْفِتْمَةِ﴾ لَا أَحَدٌ
أَضَلُّ مِنْ ذَلِكَ الَّذِي يَدْعُو آلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُمْ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُ
لِضَعْفِهِمْ ﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ ﴿٦﴾ فَلَا يَسْمَعُونَ مِنْهُمْ دُعَاءً، وَلَا
يَجِيبُونَ لَهُمْ نِدَاءً.

التدبير

١ - من علامات هداية قلبك أن يقبل بك على كل موعظة، ويرى في كل صورة درساً
من الذكرى ﴿حَمِّ﴾ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٣﴾.

٢ - القلوب المعرضة لا تفقه من درس الذكرى شيئاً ﴿حَمِّ﴾ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ
اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى
وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٣﴾.

٣ - من علامات شقاء العبد الإعراض عن مواضع الوحي ﴿حَمِّ﴾ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ



مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ۞

٤ - هاتِ دليكَ وبرهانَكَ وحجَّتَكَ على أيِّ فكرة تعتقدها، أو تقوم بها في العالمين ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ۚ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٤﴾ ۞

٥ - إياكَ أن تسلِّم لفكرة، أو مبدأ، أو قضيةٍ إلَّا بدليلٍ من الوحي ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ۚ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٤﴾ ۞

٦ - غالب الأوهام لا تنشأ إلَّا حين تغيب الأدلة الكافية عن أيِّ فكرة أو مسألة أو قضيةٍ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ۚ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٤﴾ ۞

٧ - غاية الضلال أن تظنَّ بمخلوقٍ وهو أفقر ما يكون ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾ ﴿٥﴾ ۞

٨ - يا لشقاء العقول! يسألون ويطلبون حاجاتهم من أمثالهم ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾ ﴿٥﴾ ۞



وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا
تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا
سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ
لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي
وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ
وَمَا أَدْرِ مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَنِيعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا
إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ
وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَتَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ
فَسَبَقُوا لَهُمْ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبُ مُوسَىٰ
إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبَشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا
اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

التفسير

- ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ﴾ جُمِعُوا ﴿كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءُ﴾ كانت هذه الآلهة التي يدعونها في الدنيا أعداء لهم ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كُفْرِينَ﴾ جاحدين منكبين أنهم أمروهم أن يعبدوهم من دون الله تعالى.
- ﴿وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ فلا يعترفون بالحق مع بيانه، وإنما يعدونه من السحر الواضح البين.
- ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أي إن محمداً ﷺ قاله كذباً من عنده ﴿قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ﴾ فكذبت به عليكم ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ لا تدفعون عني عذاب الله تعالى بالكذب عليه ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا نَفِيضُونَ فِيهِ﴾ في القرآن من كذبٍ وزور ﴿كَفَىٰ بِهِ﴾ بالله تعالى ﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ إن كنت مفترياً ذلك، أو كنتم أنتم من المكذبين الضالين ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ لذنوب المذنبين ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين.
- ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ﴾ فلست بأول رسول يأتيكم حتى تستغربوا رسالتي، وتستنكروا دعوتي ﴿وَمَا أَدْرِ مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ في عاقبة الأمر، بل الأمر في ذلك لله تعالى وحده ﴿إِنْ أَنِيعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ فلا أقول لكم، ولا آمركم بشيءٍ إلا بأمر الله تعالى لي ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ مبلغ عن الله تعالى.
- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ﴾ لو كان هذا القرآن من عند الله تعالى ﴿وَكُفِّرْتُ بِهِ﴾ فلم تؤمنوا بما جاء فيه ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ سواء كان هذا الشاهد خاصاً بعبد الله بن سلام، أو عامّاً في الكتب المنزلة

على الأنبياء ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ على مثل القرآن ﴿فَأَمَّنَ﴾ هذا الشاهد ﴿وَأَسْتَكَبَرْتُمْ﴾ فلم تؤمنوا به ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ لا يوفقهم إلى الهداية.

• ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ لو كان ما جاء به القرآن حقاً لما سبقنا إليه المؤمنون ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ بهذا القرآن ﴿فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ مجرد كذب قديم.

• ﴿وَمِن قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى﴾ من قبل القرآن نزولاً التوراة التي أنزلت على موسى ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ بما فيها من خير ودلالة على الخير ﴿وَهَذَا كِتَابٌ﴾ أي القرآن ﴿مُصَدِّقٌ﴾ للكتب التي قبله ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ ليسهل عليكم حفظه وفهمه ﴿يُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يزرهم ويخوفهم عما هم فيه ﴿وَبُشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ بما فيه من الوعد والخير العميم.

• ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ على الإيمان والعمل الصالح ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من فزع يوم القيامة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما تركوا بعد مماتهم.

• ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لا يحولون عنها، ولا يزولون ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بسبب أعمالهم.

التدبير

١ - حين نعفي عقولنا من التفكير لا يبقى لنا شيء صحيح ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ وإذا نتلى عليهم آياتنا بينت قال الذين كفروا للحق لما جاءهم ﴿هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ يعتقدون في المخلوقين، ولا يستجيبون للوحي في شيء.



٢ - حتى العقول تُوجَّز وتُباع وتُشتري، وتُلغى التفكير من أصله ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (٦) وَإِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِمْ ءَايُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾.

٣ - ما أسهل الدعوى، وما أندر دليلها! ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٨).

٤ - من أكثر الأدلة على صدقه ﷺ أنه لم يكن بأول رسول، بل سبقه إلى ذلك مرسلون ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا يَكْمُرُ إِنِ أُنِيعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٩).

٥ - ما أعذب هذه الروح في حياة صاحبها! ﴿إِنِ أُنِيعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ولو قيل لغيره لقال أنا أنا! ما أحوج طلاب العلم خاصة إلى التجرد من تكاليف الإعجاب بالنفوس!

٦ - محاجة لطيفة تصلح للمستكبرين ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَقَامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠) ومثلها تماماً أن يأتي غير عربي، يؤمن بتفاصيل هذا الكتاب، ويبتهج به، ويحكمه في كل شؤون حياته، ويأتي عربي ضال لا يؤمن به.

٧ - إذا تأملت في الضالين والمعارضين رأيت الكبر هو الذي وقف لهم في عرض الطريق، وحال بينهم وبين الحق ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ (١١).

٨ - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ (١١) صورة تتكرر في كثير من المواقف.

٩ - من السهولة بمكان أن تلمز الحق أو حملته، ولكنك لا تستطيع أن تردّ الدليل ولو أجبته عليه بخيلك ورجلك ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ۖ ﴾

١٠ - من علامات أصحاب النفاق أنهم لا يتحرّجون من الوقعة في دين الله تعالى وأهله ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ۖ ﴾

١١ - إذا شعرت بقلق واضطراب، وألم وشتات؛ فعُدْ إلى هذا المعين تجد رواء الحياة ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيٍّ لِّنُذِرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ ومثل ذلك إذا شعرت بضعف في عزيمتك فذكرها بمواعظ القرآن.

١٢ - بشرى للمستقيمين الطائعين الصابرين في أيام الدنيا ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۖ ﴾ ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ ﴾

١٣ - يهرع الناس بالبكاء، وتهرع الملائكة في الوقت نفسه بالبشرى، يا لأرباح المستقيمين! ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۖ ﴾ ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ ﴾

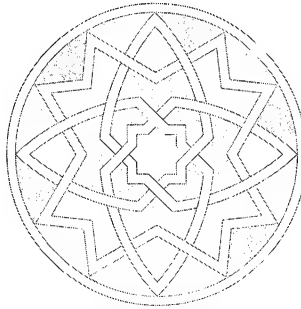
١٤ - عاش الإنسان عمره كله يتابع هذا المعنى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۖ ﴾ ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ ﴾ فحينئذٍ له اللقاء.

١٥ - استقاموا رغم فتن الزمان، وظروف الواقع، وقلة المؤمنين؛ فجاءت البشرى في الختام ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۖ ﴾ ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ ﴾



١٦ - استقاموا رغم ظلام الإعلام، وجولة الإرهاب، والاعتداء على الصالحين المصلحين؛ فكانت النهايات ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾.

١٧ - استقاموا رغم السجون والطرود والإبعاد، وتحملوا تبعات الطريق وتكاليفه؛ فجاء الجزاء ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾.



وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ
كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ
أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ
عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي
ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
تَقْبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ
الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ
لِوَالِدَيْهِ أَفِ لَكُمْ أَنْتَدَانِي أَنْ أُخْرِجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ
قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفِغِيَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَايِنَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ
مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ
الْقَوْلُ فِي أُمُورٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْغِنَىٰ وَالْإِنْسَانُ إِنَّهُمْ كَانُوا
خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَلُهُمْ وَهُمْ
لَا يَظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذَهَبْتُمْ طَبَقَتَكُمْ
فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْنَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ
بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾



التفسير

• ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ يحسن صحبتهما في الدنيا ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، كَرَّهَا وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا﴾ فعانت مشقة في حملِه ووضعِه ﴿وَحَمَلُهُ، وَفِصْلُهُ، ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ كمال عقله وقوته ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ كمال قوته العقلية والبدنية ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ ألهمني ودلني وأرشدني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ إلى شكر نعمك علينا ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ ووفقني إلى عملٍ صالحٍ ترضاه وتحبُّه ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ بأن تجعلهم صالحين موفقين ﴿إِنِّي تَبْتُ إِلَيْكَ﴾ من ذنوبي ﴿وَلِإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ المستسلمين لأمرِكَ.

• ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ من كانت صفاتهم بهذا المعنى فهم الذين نتقبل منهم أحسن أعمالهم ﴿وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ هذا الوعد الذي وعدناهم هو وعدٌ صدقٍ من أصدق القائلين سبحانه وتعالى.

• ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ﴾ حين ذكراه بالله تعالى ودعواه إليه: ﴿أَفِ لَكُمَا﴾ كلمة زجر على ما قاما به من دعوته إلى الحق ﴿أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ من قبري ﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ فلم يُبعث منهم أحد ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾ أي والداه بأن يهديه الله تعالى: ﴿وَيْلَكَ ءَايَمِنَ﴾ دَعَوُهُ إِلَى الْإِيمَانِ ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ لا يتخلف منه شيء ﴿فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ منقولٌ ممَّا كتبه الأقدمون.

• ﴿أُولَٰئِكَ﴾ من كانوا بهذه الصفات الذميمة ﴿الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾

كلمة العذاب ﴿فِي أَمْرِ﴾ سابقة ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ على الكفر والتكذيب ﴿مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾ ﴿١٨﴾ في ذلك كله.

• ﴿وَلِكُلِّ﴾ من أهل الخير والشر ﴿دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ كل حسب مرتبته من الخير والشر ﴿وَلِيُوفِيَهُمْ أَعْمَلُهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١٩﴾ ممّا عملوا، لا يُزاد فيها ولا يُنقص منها.

• ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ ليعذبوا فيها ﴿أَذْهَبْتُمْ طِبْعَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ من الملذّات والمحرمات ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي عذاب الذلّة والصغار ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بسبب كبريكم ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ وبسبب خروجكم عن طاعة الله تعالى.

التدبر

١ - من لطف الله تعالى بك أن يرزقك برّاً بوالديك ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١٥﴾.

٢ - أرايت لو لقيت ناصحاً في الطريق فبلغك وصية بشأن والديك ماذا تصنع! هذه وصية الله تعالى لك؛ فافقه ما تقرأ! ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١٥﴾.



٣ - من رحمة الله تعالى بك أنه عرض لك شيئاً من آلام أمك ومعاناتها أيام حملك وصغرك لِيَسْتَغْفِرَكَ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾.

٤ - إذا أردت عوناً وإدراكاً لمناك؛ فأدِّمْ وقوفك بباب الله تعالى، وقل: يا رب ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

٥ - والداك على قيد الحياة! أدرك بايين يفيضان عليك بأفراح الجنان قبل فوات الأوان ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ فإن لم يبق إلا أحدهما؛ فأدركه قبل أن تفقد أعظم الفرص.

٦ - من فقهك وكمال وعيك إذا أردت أن يبلغ الدعاء محله؛ فأفرغ بين يديه توبةً من ذنبك، وسأل الله تعالى أن يعفو عنك ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

٧ - شعور الإنسان بأصله الذي أوجده، وبفرعه الذي يبقى بعد رحيله شعورٌ عذب، يدلُّ على فقهٍ ووعيٍ وتوفيقٍ ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

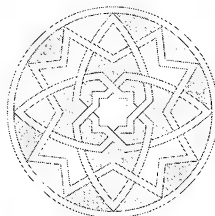
٨ - إذا رزقك الله تعالى قياماً بحقه وحقوق خلقه؛ فقد فتح لك أبواب التوفيق على مصاريعها ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (١٦).

٩ - أحسن عملك يتقبل الله تعالى دعاءك ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (١٦).

١٠ - إذا أردت أن تعرف شفقة والديك؛ فانظر إلى هذا الموقف الذي يأخذ بشغاف القلوب! ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَفِي لَكُمْ أَعْدَانِي أَنْ أُخْرِجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْثِنَانِ اللَّهَ وَبِكَ ءَامِنُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٧) يزجرهما وهما يستغيثان الله تعالى رجاء إيمانه.

١١ - ماذا كسب هؤلاء! وماذا خسروا؟! ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ (٢٠) خسروا كل شيء، ولم يكسبوا شيئاً.

١٢ - لا تغبط صاحب ضلال على نعيم ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ (٢٠) ماذا بقي له من ذلك النعيم؟!





✨ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ
 مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ۖ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
 عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا
 بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَلِيعُمْ عِنْدَ اللَّهِ
 وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ۚ وَلَكِنِّي أَرَىٰكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾
 فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُنْطَرِفٌ
 بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمُرُ كُلَّ
 شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي
 الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيْمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ
 وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ
 وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ
 بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ
 أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
 ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ۖ
 بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

التفسير

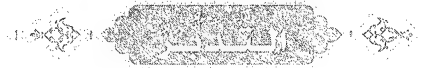
- ﴿وَأَذْكُرْ أَهْلَ عَادٍ﴾ اذكر يا محمد هوداً عليه السلام حين أرسله الله تعالى إلى قوم عاد؛ فإن الله تعالى بعثه إليهم ﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ إذ قام بإنذار قومه وتخويفهم عذاب الله تعالى بالأحقاف؛ وهي محلّهم ومكانهم، والأحقاف: جمع حقف، وهو كثيب الرمل الكبير ﴿وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ قبله ﴿وَمَنْ خَلْفَهُ﴾ من بعده ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٢١).
- ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَّكِفَ عَنْ آلِهَتِنَا﴾ لتصرفنا عن آلهتنا ﴿فَأَنبَأَنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢٢).
- ﴿قَالَ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ علم ما وعدتكم به من عذاب الله تعالى ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ إنما أنا مبلّغ لكم ما أرسلني الله تعالى به ﴿وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾ (٢٣) عذاب الله تعالى وعقابه.
- ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ عذاب الله تعالى ﴿عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾ في الطريق إليها ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُنْطَرِنًا﴾ إنما ذلك غيثٌ يغيثنا الله تعالى به ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٤) ليس الأمر كما تظنون، بل هو عذابكم الذي توعدكم به رسولكم.
- ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ تخربه وترمي بعضه على بعض ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ﴾ هلكوا وفنوا، ولم تبق إلا مساكنهم شاهدة على ما حلّ بهم ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٢٥) هذه عادتنا في كل مجرم متكبر عن أمرنا وشرعنا.



• ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ﴾ مَكَّنَّا قَوْمَ عَادٍ فِي الْأَرْضِ بِأَسْبَابِ التَّمْكِينِ ﴿فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ مَا لَمْ نَعْطِكُمْ إِيَّاهُ ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً﴾ تَدُلُّهُمْ عَلَى مَوَاطِنِ الْعِبَرِ وَالذِّكْرِ ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ فَلَمْ يَنْتَفِعُوا مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ ﴿إِذْ كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ ثَابِتَ اللَّهِ ﴿يَنْكُرُونَهَا، وَلَا يَقْرُونَ بِهَا﴾ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ عَادَ عَلَيْهِمْ جَزَاءُ اسْتَهْزَائِهِمْ وَسَخَرْتَهُمْ.

• ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى﴾ مِمَّنْ تَرُونَ؛ كَثُودٍ وَنَحْوِهِمْ ﴿وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ﴾ نَوَّعْنَاهَا لِلْإِعْتِبَارِ وَالذِّكْرِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ مِنْ أَجْلِ عَوْدَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

• ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾ فَهَلَّا أَعَانَتْهُمْ آلِهَتُهُمْ عَلَى دَفْعِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾ فَلَمْ يَنْفَعَهُمْ بِشَيْءٍ ﴿وَذَلِكَ إِنْكَهَمُ﴾ مَا حَلَّ بِهِمْ عَاقِبَةُ كَذِبِهِمْ وَزُورِهِمْ ﴿وَمَا كَانُوا يَفْقَرُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى غَيْرَ الْحَقِّ.



١ - إذا أردت أن تتخفّف من همومك وأرقك وظروف واقعك؛ فتذكّر سير الذين جربوا الطريق، وخاضوا رحلة الحياة قبلك ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ الْأَنْذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفَّكُنَّ عَنْ آلِهَتِنَا فَأَنَّا بِمَا نَعْبُدُ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِنَكُمْ قَوْمًا بَٰجِلُونَ ﴿٢٣﴾.

٢ - ثَمَّةٌ عَقَبَاتٌ فِي الطَّرِيقِ، تَحْتَاجُ مِنْكَ إِلَى وَعْيٍ وَاجْتِهَادٍ وَعَمَلٍ؛ فَاْمْضِ فِي الطَّرِيقِ! ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٢١) قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفَّكَ عَنْ آلِهَتِنَا فَأَنَّا بِمَا تَعْبُدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَنُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ كَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَانُوا عَقَبَاتٍ فِي الطَّرِيقِ.

٣ - حُمَالُ الْأَفْكَارِ بِالذَّاتِ يُوَاجِهُونَ عَوَاصِفَ مَعَارِضَةٍ، يَحْتَاجُونَ مَعَهَا إِلَى صَبْرٍ طَوِيلٍ ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٢١) قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفَّكَ عَنْ آلِهَتِنَا فَأَنَّا بِمَا تَعْبُدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَنُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾.

٤ - إِذَا ضَرَبْتَ الْغَفْلَةَ وَاقَعَهَا فِي حَيَاةِ إِنْسَانٍ لَمْ يَبْعِ كُلَّ حَوَادِثِ الْإِنذَارِ الَّتِي يَرَاهَا فِي وَاقِعِهِ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُنْطَرِنٌ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٤) تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَاصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾.

٥ - قَارِنْ بَيْنَ هَذِهِ الصُّورَةِ الَّتِي صَنَعُوا فِيهَا الْمُنْكَرَاتِ وَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ حَسَبُوهُ غِيثًا، وَبَيْنَ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي إِذَا رَأَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا خَرَجَ وَدَخَلَ، وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ، وَحَسَبَ أَنَّهُ عَذَابٌ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُنْطَرِنٌ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٤) تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَاصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾
هذه صناعة القلوب!



٦ - وقعت عليه حوادث، وخرج من عنق الزجاجة، ولم يستفد شيئاً منها ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطْرُنًا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ إذا ماتت القلوب لم ينفع فيها رجاء.

٧ - شارك في توديع جنازة، وحفر بعض مقابرها، وألحد لموتاهها، واستقبل عزاءها، ولم تحرك فيه ساكناً ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطْرُنًا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

٨ - إذا أخذ الله تعالى الظالم لم يفلته ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطْرُنًا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

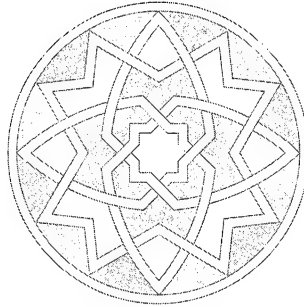
٩ - جوارحك لا تنفك في شيء إذا لم يهداها الله تعالى للحق ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيمَا إِن مَكَنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْعِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

١٠ - لا تغتر بمهاراتك وإمكاناتك وقدراتك إذا لم يسعها توفيق ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيمَا إِن مَكَنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْعِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

١١ - لو التفت قليلاً إلى الوراء أو إلى يمينك وشمالك؛ لرأيت صوراً تدعو للعبرة،

وَأَحْدَاثًا تَدُقُّ فِي عَقْلِكَ جَرَسَ الذِّكْرِ ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا
الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ ۞

١٢ - من اعتمد على شيءٍ وُكِّلَ إليه ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا
الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ءِلهَةً ۚ بَلْ
ضَلُّوا عَنْهُمْ ۚ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ ۞



وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ
 (٢٩) قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ
 مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ
 (٣٠) يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن
 ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ
 فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ
 فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٢) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ لِنَفْسِهِ وَلِخَلْقِهَا بَقْدِيرٍ عَلَىٰ أَن يُخْجِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ
 إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ
 أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا
 كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٤) فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ
 وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمَّا يَلْبَسُوا إِلَّا
 سَاعَةٌ مِّن نَّهَارٍ بَلَّغٌ فُهِلَ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ (٣٥)

التفسير

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ واذكر يا محمد إذ أرسلنا إليك فريقاً من الجن ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ فحضروا وسمعوا وآمنوا، ثم رجعوا إلى قومهم يُبَلِّغُونَهُم دين الله تعالى، ويدعونهم إليه.

﴿قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب التي سبقت ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ فليس فيه عوج.

﴿يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ رسوله ﷺ الذي يدعوكم إلى منهج الله وشرعه ﴿وَأَمِنُوا بِهِ﴾ صدَّقوه فيما يقول ﴿يَغْفِرَ لَكُمْ﴾ ربكم ﴿مِن ذُنُوبِكُمْ﴾ يسترها عليكم ﴿وَيُجْزِكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ وينقذكم من عذابٍ مَّوجِعٍ شديد.

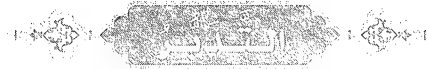
﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ لن يعجز الله تعالى هربه إذا أراد عقوبته وهلكته ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾ ينصرونه ويدفعون عنه العذاب ﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ في انحرافٍ واضحٍ بَيِّن.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ﴾ لم يعجز عن خلقها أول مرة ﴿يَقْدِرُ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ فلا يعجزه شيء.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ﴾ يقال لهم ذلك توبيخاً وتبكيثاً ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ ذوقوا عذاب الله تعالى بسبب جحودكم.



﴿ فَأَصْبِرْ ﴾ يا محمد على قومك ﴿ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَرْصِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ كنوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ﴿ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾ لا تسعجل عليهم بسؤال الله تعالى أن يعذبهم ﴿ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ ﴾ من عذاب الله تعالى ﴿ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ ﴾ في الدنيا ﴿ بَلَّغْ ﴾ هذا القرآن كافٍ في بلاغهم البلاغ المبين ﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٣٥) فإنه لا يهلكك بالعذاب إلا القوم الخارجون عن طاعة الله تعالى.



١ - من أدبك مع كتاب ربك أن تلقي له بسمعك وقلبك ومشاعرك ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ (٢٩) ﴿ لو لم تقلد في هذا إلا الجن لكفى! ﴾

٢ - أبلغ موعظة يتلقاها الإنسان في حياته موعظة القرآن ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ (٢٩) ﴿ ليس ثمة فاصل بين سماع الجن للقرآن وقيامهم بواجب الدعوة إليه. ﴾

٣ - يا للأسف! طالب علم يتلقى الوحي زمناً طويلاً، ولم يتحرك للدعوة إلى دينه، وجن تكفيه للنهضة بضع آية، وفي مكان واحد، لم يتحول منه إلا وهو مشعل للهداية ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ (٢٩) ﴿.

٤ - إذا أردت أن تأتي على آمالك في التأثير؛ فاجعل القرآن طريقك إلى القلوب ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ (٢٩) ﴿.

فُضِيَ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴿ دعوة للدعاة والمصلحين أن يكتبوا حظهم بأكثر الوسائل تأثيراً.

٥ - اقتطع جزءاً من وقتك للقرآن تلاوةً وحفظاً وسماعاً وتدبراً ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ٥.

٦ - القلوب الصالحة لا تحتاج إلى زمنٍ للإيقاظ، يكفيها موجةٌ واحدة. حديث القرآن ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ٦.

٧ - لعل هذا المعنى يستنهض طُلاب علمٍ ملَّتْهم الأسيرة من القعود ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ٧ سمعوا القرآن في لحظة، ثم ولّوا به إلى قومهم منذرين!

٨ - ما أكثر ما سمعنا واعظ القرآن! وما أقلّ قيامنا بحقه في واقعنا الشخصي! ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ٨ فما الشأن في واقع المحتاجين؟!

٩ - الدعوة لا تحتاج إلى كثير علم، فقط تحتاج إلى قلبٍ يقظٍ صالحٍ للنهضة ﴿ قَالُوا يَتَقَوَّمْنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَتَقَوَّمْنَا لِيُجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ، مِنْ دُونِهِ، أَوْلِيَاءٌ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ٩.



١٠ - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٢) ﴿بلى رأوا، ولكن بأعينهم، وما تصنع العيون والقلوب عُمي!﴾

١١ - لا قيمة للاعترافات المتأخرة ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٣٤) ﴿.﴾

١٢ - الْفَرْصُ تَعَرُّضٌ وتزول، فلا تُكْرَّر تجارب المفرطين ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٣٤) ﴿.﴾ كحال الكثيرين ينتظرون رمضان للتوبة، والحج لبداية الرحلة، وبداية العام لصناعة التغيير. حتى العناية بالصلاة والاهتمام بها ينتظرون مناسبات.

١٣ - إياك والتردد في منتصف الطريق! ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ۚ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ ۚ بَلَّغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٣٥) ﴿.﴾ هؤلاء قدواتك، وصانعو أحلام ماضيك، وكبار نهضتك؛ فالتحق بركبهم، وتمثل هديهم، ولا تتخلف عنهم أبداً.

١٤ - إذا أردت النجاح فتشبه بكباره، وصنّاع واقعه، وكتّاب تاريخه ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ۚ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ ۚ بَلَّغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٣٥) ﴿.﴾

١٥ - خذ قدوتك ممن عاش ألف سنة إلا خمسين عاماً في مشروعه، ومن جاهد فرعون، وواجه كيره طغيانه وكبره، ومن جعله الله تعالى بمثابة أمة في التاريخ، وإياك وأنصاف القدوات! ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ۚ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ ۚ بَلَّغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٣٥) ﴿.﴾

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَقَضَىٰ الرِّقَابِ حَقٌّ إِذَا اتَّخَذْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قِيلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْهُمْ وَيُنْثَبِتْ أَقْدَامَهُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَّأَ لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾



التفسير

- ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فلم يؤمنوا بالله تعالى، وصدّوا عن سبيله ﴿أَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ﴾ ❶ أبطلها وأذهب أثرها؛ فلم ينتفعوا بها.
- ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ اعترفت قلوبهم بالله، وصدّقوا ذلك بالأعمال الصالحة ﴿وَأَمِنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ من القرآن وما فيه ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أي هذا القرآن ﴿كَفَرَتْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ محاسنها وأذهب أثرها ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ ❷ أصلح أمرهم وشأنهم وحالهم.
- ﴿ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَتَّبِعُوا الْبَاطِلَ﴾ سبب ذهاب أعمالهم، وعدم انتفاعهم بها اتباعهم للباطل، ورضاهم به ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَّبِعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ فكان ذلك سبباً في تكفير سيئاتهم، وقبول أعمالهم، والرضا عنهم ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾ ❸ فيعرف أهل الحق وأهل الباطل، ويبيّن أمرهم فلا يلتبس على العالمين.
- ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الحرب والقتال ﴿فَضْرِبَ الرِّقَابِ﴾ اقتلوهم، ولا تأخذكم بهم رافة ﴿حَتَّى إِذَا تَخَفُّتُمُوهُمْ﴾ أهلكتموهم قتلاً ﴿فَشُدُّوا أَلْوَتَاقَ﴾ على من بقي منهم في الأسر ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ بعد انتهاء المعركة أنتم بالخيار إما أن تمثّوا عليهم فتفكّوهم مئاً دون مقابل، أو فداءً تأخذون مقابلاً لفكّ أسرهم من مالٍ ونحوه ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ تنتهي وتقف، ولا يبقى إلا السلم والمهادنة ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنصَرَمْتُمْ﴾ لهزمهم وقتلهم، ولم يبق منهم أحداً لكمال قدرته تعالى ﴿وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ إنما لم يبيدهم ليتليكم بهم فيعرف المجاهد الصادق في سبيله من الناكص المرتدّ على عقبه ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلَهُمْ﴾ ❹ لن يذهب بركتها وآثارها، وإنما سيُبقّيها تجري عليهم حتى يوم القيامة.

- ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ إلى كل ما يرفع مقامهم من الخيرات ﴿وَيُصْلِحْ بَالَهُمْ﴾ ٥ ﴿حَالَهُمْ وَأَمْرَهُمْ.
- ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ﴾ جزاء إيمانهم ﴿عَرَفَهَا لَهُمْ﴾ ٦ ﴿وَضَحَّ الطريق إليها، وهداهم إلى العمل لها.
- ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّصْرُوا اللَّهَ﴾ بنصر نبيه ودينه ﴿يُضْرَكُمْ﴾ بالغلبة عليهم ﴿وَيُنَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ٧ ﴿عند لقائهم حتى تنتصروا عليهم.
- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَّاهُمْ﴾ خذلهم ولم يوفّقهم ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ﴾ ٨ ﴿أبطلها وأذهب آثارها.
- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ ٩ ﴿سبب هذا الخذلان وضياح الأعمال كراحتهم للقرآن، وعدم تمثيلهم لما فيه.
- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا﴾ ١٠ ﴿ألم يسر هؤلاء في الأرض ليروا عاقبة أمثالهم وأشياهم ماذا فعل الله بهم لما خالفوا أمره وتنكبوا طريقه.
- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مؤيّدهم وناصرهم ومعينهم ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ ١١ ﴿يعينهم ويبيّن لهم الحق، وينصرهم في الطريق.



- ١ - لا قيمة للإنسان إلا بالإيمان والعمل الصالح ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ﴾ ١ ﴿وما تصنع بإنسانٍ أعمى لا يهتدي إلى الطريق؟!﴾
- ٢ - تفاعل فالنصر حليفك! ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ﴾ ١ ﴿من أضل الله تعالى عمله لا يمكن أن ينجح في شيء.



٣ - المعركة للإسلام ولأهل الحق ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ (١) كل جهود الكافرين إلى البطلان والבוار والضيعاء.

٤ - إذا كفر الله تعالى عنك سيئاتك وأصلح بالك؛ فماذا بقي عليك؟! ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ (٢) هذه لو دفعت فيها كل ما تملك لم تلقها إلا من هذا الطريق.

٥ - يسافرون، ويدفعون أموالاً، وبينون قصوراً، ويركبون ما يشاؤون، وفي النهاية تطاردهم الآلام والأحزان؛ لأنهم لم يأتوا من طريق الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ (٢).

٦ - آمن بربك، واسلك طريقه صادقاً، وستلقى السعادة والطمأنينة وراحة البال ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ (٢).

٧ - أخطر ما يواجه الإنسان ما يحول بينه وبين الله تعالى؛ فإذا ما كفره وغفر له بقي الطريق سالكاً إلى مرضيه ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ (٢).

٨ - للذين يبحثون عن الحياة بصدق ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ (٢).

٩ - ما أكثر السائلين في مثل زماننا عن صلاح البال! وما أكثر المتعثرين في أمانيه! ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ (٢).

١٠ - اتباعك للحق موصلٌ إليك أرباح الدارين، واتباعُ الباطل مَوغلٌ بك في الظلمات ﴿ ذَلِكِ يَأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴾ ٢٠ قاعدةٌ يعرفها كلُّ إنسان، ويخفق فيها أكثر الناس.

١١ - إذا لقيت عدوًّا في أرض المعركة فاضرب بسيفك على هامه، وأَجِرْ دمه على الأرض عبْرَةً لغيره ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴾ ٤١ لا تُلْقِ للرحمة بالاً في بداية المعركة مع عدوك حتى يعرف قدرك ويطأطئ رأسه لمبادئ الإسلام ونفوذها.

١٢ - لا يمكن أن ينتصر الإسلام في أرضٍ حتى يذعن العدو لقوّته، ومواقفه الفاصلة من البداية ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴾ ٤١.

١٣ - أما الأسرى فشُدُّوا وثاقهم، وأزغِمُوا أنوفهم ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴾ ٤١.

١٤ - لو أراد الله تعالى أن ينصر أوليائه في المعركة دون جهد منهم لصنع، ولكن تفوت غايات ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ﴾.

١٥ - الانتصارات الباردة لا تكتب حظّها في كثيرٍ من مشاهد الحياة ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ﴾.

١٦ - حتى يقوم سوق الجهاد، وتُرفع رايات المجد، ويُعرف الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، والصابر من الضعيف، وطالب الآخرة من طالب الدنيا



لا بد أن تستمرّ رحى المعارك، وترفع راياتها إلى حين ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنْصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَيَبْلُوَنَّكُمْ بِبَعْضِ﴾.

١٧ - الإسلام لا ييسط واقعه إلا على رقاب المؤمنين، وأصحاب رايات المجد ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنْصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَيَبْلُوَنَّكُمْ بِبَعْضِ﴾.

١٨ - لو لم يكن من هذه الحروب الدائرة في مساحات الأرض إلا صبر الرجال، ومراغمة الأعداء، ودحر الباطل، والوقوف أمام زيغ الضالّين لكان كافياً ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنْصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَيَبْلُوَنَّكُمْ بِبَعْضِ﴾.

١٩ - يستحق المجاهدون أن تُبسّط لهم هذه المكارم الكبار ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ ④ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ⑤ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ⑥ ﴿٦﴾.

٢٠ - إن أرضاً لا يكون فيها مثل هؤلاء الأبطال لا تستحق أن يعيش فيها إنسان ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ ④ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ⑤ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ⑥ ﴿٦﴾.

٢١ - صدق ذلك الذي قال يوماً: يا قوم! انجوا بأنفسكم إنكم أمام رجال يشرون الحياة في مقابل الموت ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ ④ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ⑤ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ⑥ ﴿٦﴾.

٢٢ - حين نتكلم عن الجهاد نتكلم عن منهج وشريعة، ورايات حق، لا نتكلم عن رايات عميّة، وفوضى يديرها من لم يعرف الحق، ويغير على دماء المسلمين بدعاوى فارغة ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ ④ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ⑤ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ⑥ ﴿٦﴾.

٢٣ - لا يمكن أن يقوم دين الله تعالى إلا على سوق الجهاد، وفرق بين راية جهاد كالشمس في رابعة النهار، يفتي فيه أهل العلم، ويدعون للنفرة في ساحاته، وبين

راية عميّة لا تعرف أصحابها، وأرضٍ لا تعرف مسالكها، والفتوى لا تجيز لك المشاركة ﴿وَالَّذِينَ قُنُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ ٤ ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ ٥ ﴿وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ﴾ ٦ ﴿.

٢٤ - نصر الأمة في مواقع الجهاد مشروطٌ بنصرها لدين الله تعالى، من خلال إقامة شعائره في واقع الحياة ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُم وَيُنِيبْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ٧ ﴿ووعده الله تعالى لا يتخلف.

٢٥ - إذا قامت الأمة بواجب دينها ومنهجها، واتباع رسولها؛ فقد ضمن الله تعالى لها النصر والغلبة والثبات ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُم وَيُنِيبْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ٧ ﴿ونصرنا الله تعالى بإقامة شعائره، وإحياء منهجه، والمرابطة على ثغور دينه.

٢٦ - لا تغرّنك كثرة الباطل فهم إلى بوار ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَّأَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ٨ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ ٩ ﴿.

٢٧ - واحدة من الرزايا الكبار في قلب إنسانٍ أن يجدَ كرهاً، أو عدم رضاً لحكم الله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ ٩ ﴿.

٢٨ - يستفرغ وسعه في فتوى تزيج هموم ذلك الدليل الذي ضايقه ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ ٩ ﴿أحد الأدلة والبراهين على ذلك.

٢٩ - ودائماً يردّد؛ في المسألة قولان، والحديث ضعيف، ولا يمكن أن يُستوعب، ولا يستقبله عقل ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ ٩ ﴿هذه مشاهد الخذلان؛ فتنبه!

٣٠ - التاريخ مليء بالعبر والشواهد على سفالة راية الكفر، وفشل مخططات الكافرين ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا﴾ ١٠ ﴿.



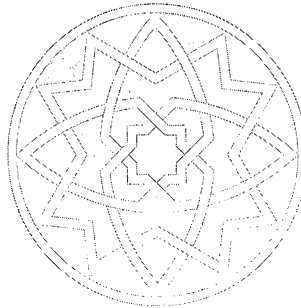
٣١ - نصرَكَ على قدر ولاية الله تعالى لك، وولاية الله تعالى لك على قدر إيمانك؛ فتمكَّن من الطريق ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ ١١.

٣٢ - كُلُّ تَخَلُّفٍ في هذه الولاية هو تَخَلُّفٌ في النهاية في تحقيق نصرِكَ الذي تنتظره في ساحات الحياة ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ ١١.

٣٣ - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ سيرعى حلمك، ويثير شجون النهضة في قلبك، ويسرُّ لك طريقك، ويدفعُ عنك أسي الطريق.

٣٤ - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعينهم، ويسدِّدهم، ويفتح لهم آفاق الخير، ويبلغهم مرادهم في الدارين.

٣٥ - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يقوِّي قلوبهم في لقائهم بعدوِّهم، ويعينهم عليه، وينصرهم في لقائه.



إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسَمُّونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ
 وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيِكَ
 الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَدَيْهِ
 مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ
 الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ
 يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى
 وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلِيلٌ فِي النَّارِ
 وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ
 حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَايَا
 أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ
 أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ يَقُونَهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا
 السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ
 ذِكْرُهُمْ ﴿١٨﴾ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفَرَ لِذُنُوبِكُمْ
 وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾



التفسير

• ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يوم القيامة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ﴾ في الدنيا ﴿وَيَا كُفُونْ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَمُ﴾ ليس لهم همٌّ إلَّا ما يملأ أجوافهم ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ ﴿١٢﴾ منزلاً مُعَدَّاً لَهُمْ لا يخرجون منها.

• ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ﴾ كم من قرية هي أشدُّ قوةً وعُدَّةً من قريتك التي أنت فيها يعني مكة ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ فلم تغن عنهم قوتهم شيئاً ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ ﴿١٣﴾ ولم يجدوا من يدفع عنهم وعيد الله تعالى وعذابه.

• ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ ﴿١٤﴾ لا يستوي من كان على بصيرةٍ بربه ودينه، كمن أعمى الله تعالى قلبه، وزُيِّنَ له سوء عمله، فاتَّبَعَ هواه، وأعرض عن أمر الله تعالى.

• ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ في صفتها وما فيها من النعيم ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ ماء لا يتغيَّر من طول مكثه ﴿وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ﴾ بل يظل طعمه زاكياً ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّرْبِينَ﴾ يجدون فيها كل ما يأملون من نعيم ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ ليس فيه ما يمنع من لذة شربه ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ من كل ما يشتهون ﴿وَمَعْفَرَةٌ مِّنْ رَبِّهِمْ﴾ فلا يبقى ما يخافون منه بين يدي الله تعالى ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ ﴿١٥﴾ ليس مَنْ هو في هذا النعيم مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ كَمَنْ مَسْكَنُهُ وَمُسْتَقَرُّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَيُسْقَى مِنْ مَّاءٍ بَلَغَ غَايَتُهُ فِي الْحَرَارَةِ.

• ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ لحظة حديثك لهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾ وابتعدوا عنك ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ من الصحابة ﴿مَاذَا قَالَ عِيسَىٰ﴾ ماذا قال محمد قبل قليل، ذلك لأنهم سمعوا ولم يكن قصدهم الوعي بما قال ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ ختم عليها وسد منافذ الخير عنها ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ ﴿١٦﴾ بسبب اتباعهم لأهوائهم.

• ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا﴾ بالإيمان والتقوى ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾ ثباتاً وتوفيقاً وسعادة بما هم فيه ﴿وَأَنَّهُمْ تَقَوُّهُمْ﴾ ﴿١٧﴾ فأبان لهم ما يتقون الله تعالى به، وهداهم لسبيله.

• ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ هل ينتظر هؤلاء المكذبون إلا أن تأتيهم الساعة بغتة على غير موعد ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ علاماتها الدالة على قرب وقوعها ﴿فَإِنِّي لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ ﴿١٨﴾ ماذا ينفعهم إذا فاجأتهم الساعة وهم في غفلة عنها.

• ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ لا معبود بحق غير الله ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَذُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ لأن هذا من مقتضى الإيمان ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوِئَكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ تصرفاتكم في النهار ومستقركم في الليل، لا يغيب عنه من ذلك شيء.



١ - فرق لا يمكن أن يقاس ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ ﴿٢٠﴾.

٢ - هل رأيتم فصول الحضارة الغربية! هذه نهايتها في التاريخ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾.



٣ - لا ترفع بصرك إلى ذلك المتاع وتلك الدنيا! هذه نهايتها ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَمَنَعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾.

٤ - كل قيمك وحضارتك التي لا تصلك بدين الله تعالى لا تخرج بك عن درجة الأنعام ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَمَنَعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾.

٥ - من لم يرفع رأساً بهذا الدين، فلا يعدو أن يكون من القطيع التائه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَمَنَعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾.

٦ - لا تستهلك مشاعرك القوى التي تراها؛ فقد أهلك الله تعالى أشد وأقوى منها ﴿وَكَأَيِّن مِّن قُرْبَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قُرْبِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ (١٣).

٧ - لا يمكن أن يكونا سواء! ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (١٤).

٨ - من كان على بينة من ربه وفقه الله تعالى وسدده، وفتح له أسباب التوفيق، وأعانه عليها، ومن زُيِّنَ له سوء عمله خذله وأرداه، وأضاع عليه غاياته، ووكله إلى نفسه ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (١٤).

٩ - مشهد يعلمك أن الحياة الكبرى هناك ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾.

١٠ - شُدَّ متزرك، وتعاهد نيتك، واحزم حقائب سفرك؛ فالنعيم يستحق العناء ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾.

١١ - إذا بلغ عطشك للحياة مداه، فثمة موعد للري ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنهَرٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنهَرٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنهَرٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنهَرٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾.

١٢ - هل تخيلت يوماً أن تجري أنهار اللبن والخمر والعسل بين يديك، ولك الخيار في النعيم منها ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنهَرٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنهَرٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنهَرٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنهَرٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾.

١٣ - أما الثمار فحدث ولا حرج ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ من كل، وليس من بعض فتنبه!

١٤ - ﴿كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ﴾ اختصاراً لمشاهد خواتيم السوء للمفترطين.

١٥ - هل تخيلت يوماً أن تضع يدك على ماء بلغ الغاية من الحرارة! في النار يتجرع الكافر ذلك الماء ليروي به عطشه ﴿كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ﴾.

١٦ - يا لخسارة الحياة كلها حين تختصر ملاهي الدنيا في حياة إنسانٍ في مشهدٍ كهذا! ما أقبح التفریط! ﴿كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ﴾.

١٧ - كم مرّة قيل لهم: إياكم وخسارة الدارين! فلم ينتفعوا منها بشيء، وهذا أوان الذكرى ﴿كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ﴾.

١٨ - حكاية من حكايات النفاق، وأسلوب من أساليبه الفجّة ﴿وَمَنْهُمْ مَّن يَسْتَعِجُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (١٦).



١٩ - اتَّبَاعَكَ لِهَوَاكَ مُؤَذَّنٌ بِالْخَتَمِ عَلَى الْقُلُوبِ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَفِنَاً أَوْ لَيْتَكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾.

٢٠ - زيادة هديك، وتوفيقك، وكمالك مشروط بخطوك في البداية ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ نَقَّوْنَهُمْ ﴿١٧﴾﴾.

٢١ - على قدر خطوك موعود بالكمال ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ نَقَّوْنَهُمْ ﴿١٧﴾﴾ فمستقل ومستكثر!

٢٢ - لا تسئل كيف وصلوا! أقبلوا فأقبل الله تعالى عليهم ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ نَقَّوْنَهُمْ ﴿١٧﴾﴾.

٢٣ - لم يبق إلا القليل ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١٨﴾﴾.

٢٤ - التوحيد أولاً ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾.

٢٥ - كل الإسلام فرع عن هذه القضية الكبرى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وما عداها تبع لها فحسب!

٢٦ - ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ليست تلك التي تجري على عُقْدِ سُبْحَتِكَ معزولة عن معانيها الكبرى في قلبك.

٢٧ - ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ التي تؤصل في قلبك أنه لا ينفع ويضر، ولا يعطي ويمنع، ولا يوسع ويضيّق إلا الله تعالى.



٢٨ - ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ التي لو اجتمع العالم كله على «أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إِلَّا بشيء قد كتبه الله تعالى لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إِلَّا بشيء قد كتبه الله تعالى عليك»^(١).

٢٩ - ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ التي تتعلم من خلالها «أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»^(٢).

٣٠ - ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ التي ما شاءه تعالى كان، وما لم يشأه لم يكن، ولو قام العالم كله ضد ذلك.

٣١ - ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ الذي بيده المرض والشفاء، والرحمة والعذاب، والمنع والعطاء.

٣٢ - ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ الذي إذا رضي عنك أدهشك بعطاياه، وإذا أحب وهبك فوق ما تتصوره، وإذا أراد أعطاك فوق تصوُّراتك وأمانيك.

٣٣ - ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ التي يتصاغر معها المخلوق في نظرك لدرجة أنك لا ترى معظماً سوى الله تعالى.

٣٤ - ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ التي إذا مرضت لم ترجُ سواه، وإذا شفيت أقبلت إليه شاكراً راضياً.

٣٥ - ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ التي ترى أن كل ما عندك هو من الله، لولاه لما خُلِقْتَ، ولولاه لما عَرَفْتَ الحقَّ والهدى، ولولاه ما أدركت طريقك في الحياة.

(١) رواه الترمذي وأحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما وأوله: «يا غلام إني معلمك كلمات...» الحديث.

(٢) قطعة من حديث ابن عباس الأنف الذكر.



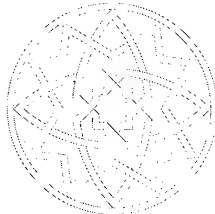
٣٦ - تعلّم الاستعتاب من ربك، والندم على خطيئتك، واللهج بتقصيرك ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١٩﴾.

٣٧ - من عرف قدر (لا إله إلا الله) في قلبه أقبل على ربّه مستغفراً مستعتباً طالباً رضاه ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١٩﴾.

٣٨ - حين تستغفر لا تنس هذا العالم الذي حولك من أهل الإيمان ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١٩﴾.

٣٩ - اشعر بمن حولك، وتصوّر في ذهنك أثر الجماعة، واعلم أن الخطيئة في حياة كل مؤمن هي عشرة في طريق نصر الإسلام، وسلّ الله تعالى لهم غفران الذنوب ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١٩﴾.

٤٠ - تحسّس حركتك وخطوك؛ فالله تعالى يراك ويرقبك ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١٩﴾.



وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ
 مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
 يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ
 طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ
 لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢٠﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا
 فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ
 فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّىٰ أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٢﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ
 أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ
 مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ
 لَهُمْ ﴿٢٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ
 اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ
 ﴿٢٥﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
 وَآذُنَهُمْ ﴿٢٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ
 وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٧﴾ أَمْ حَسِبَ
 الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ ﴿٢٨﴾



التفسير

- ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها الأمر بالقتال ﴿فَإِذَا أَنْزِلَتْ سُورَةٌ تُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ من كراحتهم لذلك ﴿فَأَوَلَىٰ لَهُمْ﴾ (٢٠).
- ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ كان الأولى منهم أن يمثلوا أمر الله تعالى فيما أمرهم به، ولا يطلبوا شيئاً يشق عليهم، ويتخلفوا عنه ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ شرع القتال ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ بامثال أمر الله تعالى والعزيمة عليه ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ (٢١) من طلبهم الجهاد ثم النكول عنه.
- ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الجهاد ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٢٢) تعودوا لجاهليتكم من الإفساد في الأرض، وتقطع الأرحام والقربابات.
- ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ مَنْ أفسد في الأرض، وقطع أرحامه استحق لعنة الله تعالى ﴿فَاصْصَبْهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَرَهُمْ﴾ (٢٣) لا يسمعون، ولا يرون ما ينفعهم.
- ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ﴾ يتأملوه ويعرفوا ما فيه من حقائق وأحكام ﴿أَمْرًا عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢٤) حالت دون الوصول إلى ما ينفعهم.
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ﴾ فتركوا الإيمان والهدى إلى الضلال والكفر ﴿مَنْ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ فعرفوه ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ الشيطان زين لهم هذه الردة ﴿وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ (٢٥) غرهم وخدعهم بطول الأمل.
- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ من أعداء الله تعالى ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ أي إن سبب ردتهم وتركهم للهدى

ممالأتهم لأعداء الله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ ﴿٣٦﴾ كل ما يُسرّون به، ولا يراه الناس منهم.

- ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ﴾ ﴿٢٧﴾ كيف حالهم إذا قبضت الملائكة أرواحهم، وضربوا وجوههم وأدبارهم على مثل ذلك.
- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿٢٨﴾ إنما حصل لهم ذلك بسبب اتباعهم مساخط الله تعالى، وكرهتهم لما يرضيه من الأعمال، فكانت العقوبة بطلان ثواب أعمالهم، وذهاب آثارها ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ نفاق ﴿أَن لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ﴾ ﴿٢٩﴾ يكشف سرهم وحالهم، ويفضح سرائرهم.

التدبير

١- إذا أردت أن تعرف النفاق فانظر إليه في أيام الفتن والأزمات ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ﴾ ﴿٣٠﴾.

٢- حين يرون الحقائق رأي عين، يخرج نفاقهم كاشف الرأس، عاري الجسد ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ﴾ ﴿٣٠﴾.

٣- إذا أردت أن تُثير غباراً في وجوه المنافقين لتعرف تلك الأقنعة، فتحدث عن الجهاد ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ﴾ ﴿٣٠﴾.



٤ - لا تنتظر منافقاً في صف معركة ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ ﴿٢٠﴾﴾ إذا كان الواحد منهم ينظر إليك أثناء ذكر الجهاد فقط نظر المغشي عليه من الموت؛ فكيف ترجوه في ساحات القتل، وسفك الدماء، وذهاب الأرواح؟!

٥ - الإسلام لا يكلف إلا يسيراً ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢١﴾﴾.

٦ - الإفساد في الأرض، وقطع الأرحام موجبٌ للعنة الله تعالى وعقابه ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾.

٧ - هل تصوّرت أن ترى ملعوناً من ربّه مطروداً من رحمته؟! ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾.

٨ - كم من مفسدٍ بقلمه وفكره وكلمته وجاهه وسلطانه في مثل زمانك؟! ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾.

٩ - يكتب في عموده الصحفي، وزاويته اليومية والأسبوعية فساداً، يتعارض مع شريعة الله تعالى، وهو يقرأ وعيد الله تعالى كل حين ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾.

١٠ - ﴿فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ يرون كل شيء، ويسمعون كل شيء، ولكنهم لا يهتدون.

١١ - ماذا تصنع إذا عطّل الله تعالى حواسك، وجوارحك ﴿فَاصْمَهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَرَهُمْ﴾.

١٢ - ليست العبرة بما تملك من حواس! العبرة بما يحالفك من توفيق ﴿فَاصْمَهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَرَهُمْ﴾.

١٣ - لم يتمكن من زيارة أمّه سنين بدعوى الظروف ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٢٢) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَاصْمَهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَرَهُمْ﴾ (٢٣).

١٤ - ما زال هاجراً لأخيه وجاره وقريبه وابن عمه وصديقه وزميله ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٢٢) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَاصْمَهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَرَهُمْ﴾ (٢٣).

١٥ - ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢٤) ﴿لو تدبّروه لعقلوه، وقاموا بحقوقه كما يجب﴾.

١٦ - تعاهد قلبك فلعلّ مانعاً حرمك من التدبّر، وحال بينك وبين مباحج كتابه ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢٤).

١٧ - إذا لم تستطع أن تتدبّر فاجهد في تحرير قلبك من أدراجه وأغلاله ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢٤).

١٨ - لعلك رأيته! كانت الاستقامة تزيّنه، والهدى يغمره، والفرح يجتاح مشاعره، ثم تخلّى وترك الطريق. تلك مكاييد الشيطان في حياته ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ (٢٥).

١٩ - سؤل له الشيطان التخلف والتأخر عن طاعة الله تعالى، فلا يقوم للصلاة إلّا متأخراً، ولا يشهد الجماعة إلّا متخلفاً، ولا يحرص على ساعة الجمعة، بل تراه



يأتي متثاقلاً مع الخطيب، أو قريباً من دخوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ ۖ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ (٢٥).

٢٠ - سَوَّلَ لَهُ الشَّيْطَانُ الْأَخْذَ مِنَ اللَّحِيَةِ، والتطويل في الثوب، والتعامل بكثير من صور الربا بحجة أن فيها قولان، والمسألة واسعة، وكل العالمين على ذلك ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ ۖ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ (٢٥).

٢١ - سَوَّلَ لَهُ الشَّيْطَانُ ذُنُوبَ الْخُلُوتِ؛ فما زال عاكفاً عليها في الظلام والخلوة حتى ألفت به إلى تيه الضلال ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ ۖ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ (٢٥).

٢٢ - سَوَّلَ لَهُ الشَّيْطَانُ الْحَدِيثَ فِي ثَلَبِ الْعُلَمَاءِ وَنَهَشَ أَعْرَاضَ الْمُسْلِمِينَ، وما زال كذلك حتى أعمى الله تعالى قلبه وبصيرته ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ ۖ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ (٢٥).

٢٣ - مَوَالَاةُ أَهْلِ الضَّلَالِ مُؤَذِّنَةٌ بِضِيَاعِ دِينِكَ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ (٦١).

٢٤ - لَا يَجِدُ حَرْجاً فِي أَنْ يَلْتَقِيَ بِهِمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ، وربما في أماكن عامة، وأخرى لا تليق بمقامه، وما زال كذلك حتى ضلَّ الطريق ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ (٦١).

٢٥ - كَتَبَ ذَاتَ مَرَّةٍ فِي نَصْرَةِ مَنَافِقٍ وَعَوْنِهِ وَتَسْذِيدِهِ حَتَّىٰ أَنْكَرَ قَلْبُهُ وَتَنَكَّرَ لَطَرِيقِهِ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ (٦١).

٢٦ - قَدَّمَ لِرَوَايَةِ ضَالَّةٍ مَاجَنَةٍ، وأسهم في تمويلها بقلمه وفكره؛ فوجد أثر ذلك في قلبه، وتخلَّى في النهاية عن طريق الهداية ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ (٦١).

٢٧ - إذا أردت أن تعرف مآل النفاق وأثره وخطره فاقراً هذا المعنى ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ﴾ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿٢٨﴾.

٢٨ - يقرأ هذه الآية فيجزم أنه ليس منهم في شيء ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ (٢٨) وهو ذاته الذي حضر مشاهد كثيرة لا ترضي الله تعالى، وشارك في قضايا، ووقع على خطابات، واجتمع مراراً على أشياء تسخطه وتغضبه.

٢٩ - لو توقفوا في كل موقف، وحرصوا ألا يخرج منهم شيء لأخرج الله تعالى أضغانهم ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ﴾ (٢٩) سُنَّةَ اللَّهِ تَعَالَى فِي النِّفَاقِ وَالْمُنَافِقِينَ.

٣٠ - يتسترون في وسائل التواصل الاجتماعي بأسماء مستعارة، ويحركون قضايا الفساد في الأمة، وستطالهم الفضيحة يوماً ما ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ﴾ (٣٠).



وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي
لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ
الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِيطُ أَعْمَالُهُمْ ﴿٣٢﴾
﴿٣٣﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا
أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا
وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٥﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ
وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتَرَكَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا
الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ
وَلَا يَسْأَلَكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٧﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِفْكُمْ
تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَضْعَافَكُمْ ﴿٣٨﴾ هَٰئِذَا هُمُ لَا تَدْعُونَ
لِيُتَفَقَّهُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ
فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ
تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٩﴾

التفسير

﴿وَلَوْ شَاءَ لِأَرْبَابِكُمْ فَلَعَرَفْنَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ لو أردنا أن نريك هؤلاء المنافقين بأشخاصهم لفعلنا ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ وإنما ستعرفهم فيما يتفلسف من ألسنتهم ويبدو في أحاديثهم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (٣٠) فلا يخفى عليه منها شيء.

﴿وَلَتَبْلُوتَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ﴾ حتى نعلم المجاهد في سبيله، والصابر على دينه ﴿وَتَبْلُواْ أَخْبَارَكُمْ﴾ (٣١) فنعرف الصادق منكم من الكاذب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله تعالى ﴿وَصَدُّوا﴾ عباد الله تعالى ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ﴾ عارضوه ونازعوه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ وعرفوا الحق ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ بما يفعلون ﴿وَسَيَحْطِطُ أَعْمَالُهُمْ﴾ (٣٢) فلا ينتفعون منها بشيء.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ بفعل أوامرهما، واجتناب نواهيهما ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (٣٣) بالكفر والفساد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فلم يؤمنوا بالله تعالى ﴿وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ من آمن بالله تعالى ﴿ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ على الكفر ﴿فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (٣٤).

﴿فَلَا تَهِنُوا﴾ فلا تضعفوا ﴿وَدَعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾ تدعوهم للصلح وتركوا الجهاد ﴿وَأَنْتُمْ أَلَعَلَّوْنَ﴾ شأناً وقدرأ، القاهرون الغالبون ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ في كل ما يعينكم وينصركم على عدوكم ﴿وَلَنْ يَرْكُضَ أَعْمَالَكُمْ﴾ (٣٥) ولن يحبطها ويذهب بأجرها عليكم، بل يوفيكم أجرها على أكمل ما تكون.



• ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ هذا هو حال الدنيا إِلَّا ما كان فيها لله، فلا تنشغلوا بها ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا﴾ بالله تعالى ﴿وَتَتَّقُوا﴾ تقوموا بأوامر الله تعالى، وتنتهوا عن مناهيه ﴿يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمُ أَمْوَالُكُمْ﴾ (٣٦) ولا يطلب من أموالكم شيئاً.

• ﴿إِنْ يَسْتَلْكُمُوهَا﴾ يسألكم إخراج هذه الأموال ﴿فِيْخَفِكُمْ﴾ ويلح عليكم في طلبها منكم ﴿تَبْخَلُوا﴾ بها ﴿وَيُخْرِجُ أَضْفَنَكُمْ﴾ (٣٧) ويخرج ما في قلوبكم من طمع وبخل فترك طلبها منكم رفقا بكم.

• ﴿هَآئِنُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَّنْ يَبْخُلُ﴾ عن النفقة ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ﴾ بالصدقة ﴿فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ فالخسارة عليه ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ عن ذلك ﴿وَأَنْتُمْ أَفْكَرَاءُ﴾ المحتاجون إليها ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا﴾ عن طاعته واتباع أمره وشرعه ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ (٣٨) وإنما يكونون سامعين مطيعين وليسوا مثلكم.

التفسير

١- ارقبهم أيام المحن والأزمات، وستعرف من خلال حديثهم أنهم صرعى النفاق ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ وَلَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ﴾ (٣٠).

٢- قد ينجحون في التستر عن الناس، لكن كيف تستترون عن الله تعالى؟! ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ وَلَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ﴾ (٣٠) ولو لم يعلموا بالكلية؛ ففي ساحات القيامة الجزاء الأوفى.

٣ - هذه سُنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي لَا تَقْبَلُ التَّبْدِيلَ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾ ﴿٣١﴾.

٤ - لَلِابْتِلَاءِ غَايَاتٌ وَمَقَاصِدُ كَبْرَى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾ ﴿٣١﴾.

٥ - تَأْهِيلُ الْإِنْسَانِ لِذَاتِهِ ضَرُورَةٌ تَمَكِّنُهُ مِنْ تَحْمُلِ أَثْقَالٍ وَأَعْبَاءِ الطَّرِيقِ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾ ﴿٣١﴾.

٦ - الْإِبْتِلَاءُ فِي سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ شَيْءٌ، وَالْإِبْتِلَاءُ بِالنِّسَاءِ شَيْءٌ، وَالْإِبْتِلَاءُ بِالْمَالِ شَيْءٌ ثَالِثٌ، وَالْإِبْتِلَاءُ بِالْوُظُفَةِ وَالْمَنْصَبِ وَالْجَاهِ وَالْمَكَانَةِ أَشْيَاءٌ أُخْرَى، كُلُّهَا تَجْرِي فِي فَلَكَ ذَلِكَ الْمَعْنَى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾ ﴿٣١﴾.

٧ - وَمِنَ الْإِبْتِلَاءِ سَجْنُكَ لِفِكْرَتِكَ، وَأَخْذُ مَالِكَ تَهْمَةً لَكَ، وَسَحْبُ جَنْسِيَّتِكَ اعْتِرَاضاً عَلَى مَشْرُوعِكَ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾ ﴿٣١﴾.

٨ - كُفِّرَ الْإِنْسَانُ وَإِعْرَاضُهُ عَنِ الْحَقِّ لَا يَصْنَعُ لَهُ سِوَى خَسَارَتِهِ، وَمَالُهُ إِلَى النَّارِ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِيطُ أَعْمَلُهُمْ﴾ ﴿٣٢﴾.

٩ - مِنَ الْمَفَاهِيمِ الْخَاطِئَةِ وَالتَّصَوُّرَاتِ غَيْرِ الصَّحِيحَةِ أَنَّكَ حِينَ تَدْبِرُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى تَضُرُّهُ، إِنَّمَا تَضُرُّ نَفْسَكَ، وَتَسِيءُ إِلَيْهَا، وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ تَأْخُرِكَ شَيْءٌ مِنَ الضَّرَرِ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِيطُ أَعْمَلُهُمْ﴾ ﴿٣٢﴾.



١٠ - ثمة أعمال مؤدية لحبوط عملك فتنبه! ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ ﴿٣٣﴾.

١١ - الجبن والخوف والذعر لا توفر للأمة عزّها ومجدها، راية الجهاد الخفاقة هي التي تدني لها بالنصر ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَهِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ ﴿٣٥﴾.

١٢ - إذا كنت متفوقاً في مقدراتك الروحية والمعنوية والمادية؛ فإياك وأنصاف الحلول! ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَهِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ ﴿٣٥﴾.

١٣ - أقرب تعبير يصلح لبيان حقيقة هذه الشوواء ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ﴾.

١٤ - الدنيا باختصار ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ﴾.

١٥ - الدنيا كالكرة التي يتدافعها صغارك في البيت إلى غير هدفٍ بلا غاية ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ﴾.

١٦ - لا تحزن لجمال سكن أو مركوب في هذه الفانية؛ فإنما هي في الحقيقة ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ﴾.

١٧ - لا تنشغل فيها بأحدٍ بلغ مناه في شيء منها ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ﴾.

١٨ - كل صورها وجمالها وما فيها لا يعدو هذه الحقيقة ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ﴾.

١٩ - الإيمان والتقوى تبلغك مرادك، وتفتح لك مباحج الحياة ﴿وَإِنْ تَوَّعْتُمْ وَتَنَقَّوْا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾.

٢٠ - علم الله تعالى أن سؤال الناس أموالهم مؤذنٌ بسوء أخلاقهم، ما أرحمك يا رب! ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِفْكُمْ تَبَخَّلُوا وَتُخْرِجْ أَضْغَنْتَكُمْ﴾ ﴿٣٧﴾.

٢١ - لَا تُلْجِفْ عَلَى إِنْسَانٍ فِي شَيْءٍ فَيُخْرِجَ لَكَ مَا يَسُوءُكَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ يَسْأَلَ كُمُوهَا فَيُخَفِّكُم بِبَخْلُوهَا وَيُخْرِجَ أَصْغَنَكُمْ ﴿٣٧﴾.

٢٢ - خذ العفو فتكفيك عن إحراج الآخرين وحصول ما يسوءك ﴿٣٧﴾ إِنَّ يَسْأَلَ كُمُوهَا فَيُخَفِّكُم بِبَخْلُوهَا وَيُخْرِجَ أَصْغَنَكُمْ ﴿٣٧﴾.

٢٣ - لَيْسَ فِي رَاتِبِهِ شَيْءٌ مُسْتَقَطٌ لِلَّهِ وَلِدِينِهِ وَلِمَنْهَجِهِ ﴿٣٨﴾ هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾ فقط يأكل ويشرب، ويسعى في أمانيه العادية.

٢٤ - كُلَّمَا دُعِيَ لِفَضِيلَةٍ وَمِشَارَكَةٍ وَعَوْنٍ مُسْلِمٍ اعْتَذَرَ لظُرُوفِهِ ﴿٣٨﴾ هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾.

٢٥ - هَلْ تَصَوَّرْتَ بِخِيَالٍ عَلَى نَفْسِهِ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ! ﴿٣٨﴾ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ ۗ.

٢٦ - حِينَ تَنْزَوِي وَتَلْوِي رَقَبَتَكَ عَنْ دَعْوَةِ الْإِنْفَاقِ فَلَا حَاجَةَ لِلَّهِ تَعَالَى إِلَيْكَ ﴿٣٨﴾ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ۗ.

٢٧ - ﴿٣٨﴾ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ۗ غَنِيٌّ عَنْ دَرَاهِمِكُمْ، وَنَفْسُكَ الْبَخِيلَةُ، وَشُحُّكَ الَّذِي يَمْلَأُ قَلْبَكَ، وَيَعِيشُ فِي وَجْدَانِكَ.

٢٨ - ﴿٣٨﴾ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ۗ غَنِيٌّ عَنْ وَجْهِكَ الَّذِي قَطَّبْتَهُ حِينَ طَلَبَ مِنْكَ الْمِشَارَكَةَ، وَيَدُكَ الَّتِي لَا تَكَادُ تَمْتَدُّ بِفَضِيلَةٍ.



٢٩ - ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ غني عن مالٍ تخرجه، فكأنما تخرج روحك معه، وتدفعه، وكأنما تدفع نفسك للموت.

٣٠ - ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ لا حاجة به إلى مالك، ارصده في حسابك، وكاثر به في خزينتك لعل عينك تقر بالبخل، وتزين به.

٣١ - ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ حينما تُدعى لتنفق، إنما تدعى لنفع نفسك في الدارين، وليقيك من العثرات.

٣٢ - ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ إذا كنت لا تصلح لحمل الدين، فسيأتي ألف رجل ليحمله، ويُعلي شأنه، ويُثير مباهجه.

٣٣ - ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ إذا كنت تبخل من أن تمد يدك إلى شيء يدفع بدينك، ويُسهّم في تقدمه؛ فلا تصلح لحمل أثقاله في شيء، ثمّة أناس يحملون ويدفعون من أجله كل شيء.

٣٤ - ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ يأتي من ليس مثلك في همومه ومشاعره وتحدياته، ومستعد أن يحمل دينه، ويقوم بواجبه، وأنت يكفيك فراش نومك. ومساحة فراغك التي توزعها على التفاهات.

٣٥ - ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ رسالة عزاء للأجيال التي تخلّفت يوماً، وتركت مساحات العمل، واستقبلت الدنيا بشغفٍ وشوق.

٣٦ - ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ الدين أكبر من أن يتسوّل القاعدين في بيوتهم، والمنشغلين بهمومهم، والمقبلين على حياتهم الخاصة.

٣٧ - ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ * دين الله تعالى لا يحتاج أحداً في شيء، وهو أجلُّ من أن يسأل فارغاً أن يأخذ به إلى ساحات العمل والبناء.

٣٨ - ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ * إذا لم تكن واحداً من تلك الأجيال التي تعزُّ دين الله تعالى؛ فأنت واحد من الذين استبدلهم الله تعالى، وتخلَّفوا عن الحياة.



سُورَةُ الْفَتْحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا
تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَبْصُرَكَ اللَّهُ
نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا
إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ۖ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا
عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُتَفَقِّهِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ
وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَ السَّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوءِ
وَعَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾
وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا
أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

التفسير

• ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝١﴾ الفتح المشار إليه هو صلح الحديبية سنة ست من الهجرة في شهر ذي القعدة، وإنما سَمَّاهُ اللهُ تعالى فَتْحًا باعتبار ما آل إليه الأمر بعد ذلك، وذلك أَنَّ رسول الله ﷺ عزم على دخول مكة، فلمَّا وصل إلى الحديبية صَدَّه المشركون عن ذلك، ثم اصطَلَحُوا على وضع الحرب عشر سنين، وعلى أن يعتمر في العام المقبل، وعلى أن من أراد أن يدخل في عهد قريش وحلفهم فعل، ومن أراد أن يدخل في عهد رسول الله ﷺ وعقده فعل.

• ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢﴾

• ﴿وَيَبْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ بشارة من الله تعالى لرسوله ﷺ بمغفرة ذنبه، وهدايته، ونصره.

• ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ۝٤﴾ جعل في قلوبهم الطمأنينة والرضا بحكم الله تعالى ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۝٥﴾ ليثبتوا ويتقوى إيمانهم ويقينهم بالله تعالى ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝٦﴾ فلا يعجزه أحد ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٧﴾ فيما يقدره من أمر الحرب أو السلم، أو مداولة النصر والهزيمة بين المسلمين وعدوهم.

• ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۝٨﴾ بسبب الجهاد في سبيل الله تعالى، وما يقع لهم من قتل وبلاء ﴿وَكَانَ ذَلِكَ ۝٩﴾ دخول الجنة وتكفير السيئات ﴿عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝١٠﴾.

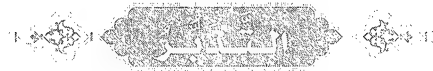


• ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنٍّ
السَّوِّءِ﴾ بأن الله تعالى لا ينصر دينه، ولا يُعلي كلمته ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ
وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿٦﴾ جزاءً على
سوء ظنهم.

• ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يؤيد بها من يشاء من عباده ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا
لا غالب له﴾ ﴿حَكِيمًا﴾ ﴿٧﴾ في تدبير أمره وشأنه.

• ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ على الخلق ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ للمؤمنين ﴿وَنَذِيرًا﴾ ﴿٨﴾
للكافرين.

• ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إنما أرسله الله تعالى ليدلكم على طريق الله تعالى
فتؤمنوا بالله وبما جاء به رسوله ﷺ ﴿وَتَعَزَّزُوا﴾ تعظّموه ﴿وَتَوْقَرُوا﴾ تجلّوه
وتحترموه ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ﴿٩﴾ تنزهوه في أول النهار وآخره.



١ - إذا أحببك الله تعالى فلا تسلم ما يصنع لك! ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ ﴿١﴾
لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَبِتَمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيُضْرِكَ اللَّهُ نَصْرًا غَزِيرًا ﴿٣﴾.

٢ - ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَبِتَمَّ نِعْمَتُهُ
عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيُضْرِكَ اللَّهُ نَصْرًا غَزِيرًا ﴿٣﴾ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ ﴿٤﴾ تكفي
عن ألف رسالة ومعنى!

٣ - أَقْبِلْ عَلَى دِينِكَ وَمِنْهُجِكَ وَرِسَالَتِكَ، وَأَقِمْ شَأْنَ حَقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى فِي وَاقِعِكَ، وَانْتَظِرْ فَتُوحَاتِ الْحَيَاةِ تَدَقُّ بِبَابِكَ، وَتَسْكُنْ بَيْتَكَ، وَتَعِيشْ مَعَكَ، وَتَبْلُغْ بِكَ أَمَالَكَ الْكِبَارِ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝١ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾.

٤ - إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرًا تَوَلَاهُ بِالْإِعْدَادِ وَالتَّرْتِيبِ وَالتَّمْكِينِ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝١ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ هِيَ لَهُ الصَّلَاحُ لِيَدْخُلَهُ مَكَّةَ بَعْدَ ذَلِكَ كَمَا يَرِيدُ.

٥ - لَا تَسْتَعْجَلْ فِي شَأْنِكَ وَتَدْبِيرِ اللَّهِ تَعَالَى لَكَ حَتَّى لَوْ لَمْ تَبْلُغْ مَقْصُودَكَ الْعَاجِلَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَهَيِّئُ لَكَ شَيْئًا أَعْظَمَ وَأَكْبَرَ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝١ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾.

٦ - يُؤَخِّرُ اللَّهُ تَعَالَى لَكَ أَشْيَاءَ لِيَغْمُرَكَ بِالْفَرَحِ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝١ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾.

٧ - كُلُّ شَيْءٍ تَحَقَّقَ لَكَ فَهُوَ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى تَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝١ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾.

٨ - فَتُوحَاتِ الْعِلْمِ الَّتِي تَجِدُهَا فِي وَاقِعِكَ، وَفُتُوحَاتِ التَّوْفِيقِ الَّتِي تَصْحَبُكَ فِي مَشْرُوعِكَ، وَفُتُوحَاتِ التَّأَثِيرِ الَّتِي تَلْقَاهَا فِي كُلِّ مَرَّةٍ كُلُّهَا مِنْ تَوْفِيقِ رَبِّكَ وَنَعِيمِهِ عَلَيْكَ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝١ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾.



٩ - حتى سكينه بيتك، وجمع شملك، وانتظام عملك، ونجاح مشروعك، وصلاح أولادك وزوجك هو نعمة من ربك ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ۝٣﴾.

١٠ - أعظم النعم وأمتنها في حياتك وأكبرها في سيرتك هي صلاح ما بينك وبين الله تعالى! ألا تراها أول نعمة من الله تعالى بها على نبيه ﷺ! ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ۝٣﴾.

١١ - إذا تعثر بك الطريق إلى ربك تزامت المشكلات في طريقك، وتراكم الشعث في قلبك، وكثر ذنبك، وقلت البركة في مالك، وضاعت بك الظروف، وتعقدت عليك أمورك ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ۝٣﴾.

١٢ - النصر الذي تحقق لأهل الإيمان في كل دائرة مع العدو هو مدد التوفيق الذي يهبه الله تعالى لك ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۝١﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝٢ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣﴾.

١٣ - هذه الطمأنينة التي تجدها في روحك، ومشاعر الفرح التي تضيء في قلبك، وروح النصر والعزة والعلو التي تلقاها في وجدانك من لطائف ربك وفضائله عليك ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۝١﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝٢ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣﴾.

١٤ - لا تقلق على مشروعك وجهادك مع العدو؛ فالله تعالى يمدك بالنصر ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝١﴾.

١٥ - ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ جنودٌ لا يعرفها أصحاب الماديات، تنزل في وقت الحاجة، وتأتي تقود في النصر.

١٦ - ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قد تكون ماءً، وقد تكون طيراً، وقد تكون ريحاً وصاعقةً وصيحةً، وقد تكون ملائكةً تنزل من السماء، تشارك في المعركة ذاتها وتدفع الباطل عن ساحات الحق.

١٧ - لا تسل كيف يؤيد الله تعالى المؤمنين؟! ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يبعثها في الوقت المناسب وبالقدر المناسب.

١٨ - أعظم النصر والتوفيق والفلاح دخولك الجنان ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾.

١٩ - لا تظن أن شيئاً سيضيع هناك حتى خطواتك، وتفكيرك، ونيتك، وسهرك، وسفرك، وأثقال همومك ستكافأ عليها ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾.

٢٠ - هل تصوّرت أول خطوة تجوز بها باب الجنة! تلك هي الحياة ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾.

٢١ - ظنُّ السوء جريمة تستحقُّ غضب الله تعالى وعذابه وعقابه ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ﴾ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوِّ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾.



٢٢ - إياك أن تظنَّ بربك سوءاً، فتلك من أخلاق الضالِّين ﴿وَيُعَذِّبُكَ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوِّءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿٦﴾.

٢٣ - من ظنَّ السوء أن تظنَّ بربك أنه لا ينصر المؤمنين على الكافرين، ويدل أهل الكفر على أهل الإيمان دوماً، ولا يعزُّ دينه وأوليائه والصالحين من عباده ﴿وَيُعَذِّبُكَ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوِّءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿٦﴾.

٢٤ - من ظنَّ السوء بربك أن تظنَّ أنه يمرضك ليعذبك، ويبتليك ليشقيقك، ويصْحَك لغير قضية وغاية ﴿وَيُعَذِّبُكَ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوِّءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿٦﴾.

٢٥ - من ظنَّ السوء ظنك بربك أنه لا يتوب عليك، ولا يحسن إليك، ولا يخرجك من ضائقة، ولا يمنُّ عليك بهداية ﴿وَيُعَذِّبُكَ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوِّءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿٦﴾.

٢٦ - استوثق من ظنونك بربك، وتعلّق به، وأمل فيه، واعلم أن كل خير منه، وكل طارق برٍّ وفضلٍ وتوفيقٍ يأتيك من بابه ﴿وَيُعَذِّبُكَ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوِّءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿٦﴾.

٢٧ - هذه مهمة رسولك ﷺ، وهي مهمتك كذلك، فكن منها على بال ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٨﴾.

٢٨ - رَكَزَ فِي رِسَالَتِكَ، وَتَجَمَّلَ فِيهَا، وَارْعَهَا حَقَّهَا، وَقُمْ بِوَاجِبِهَا، وَهِيَ حُسْبُكَ، وَهَدَايَةُ النَّاسِ لَيْسَتْ إِلَيْكَ، وَلَا مِنْ شَأْنِكَ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٨).

٢٩ - لَيْكُنْ خُطَابُكَ بَيْنَ الْبَشَارَةِ وَالنَّذَارَةِ، وَالْأَصْلُ فِيهِ الْبَشَارَةُ، وَقَدْ تَحْتَاجُ قُلُوبُ سَوَاطِيفِ النَّذَارَةِ، فَتَغِيثُهَا بِهِ فِي وَقْتِ الْحَاجَةِ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٨).

٣٠ - مِنْ حَقِّ هَذَا الرَّسُولِ أَنْ نُوْثِقَ بِهِ، وَنُوقِرَ، وَنُعْظَمَ، وَنُجَلَّ، وَنَقُومَ بِشَرِيعَتِهِ وَنَتَمَثَّلَ بِهَا، وَنَهْتَفِ بِهَا فِي الْعَالَمِينَ، وَمِنْ إِجْلَالِ رَبِّكَ أَنْ تَرُدَّدَ ذِكْرُهُ وَتُسَبِّحَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٩).

٣١ - مِنْ تَعْظِيمِكَ لِرَسُولِكَ ﷺ إِجْلَالُكَ لَشَرِيعَتِهِ، وَقِيَامُكَ بِسُنَّتِهِ، وَتَعْظِيمُكَ لِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٩).

٣٢ - رَدَّدَ فِي فُجَاجِ الْأَرْضِ: سُبْحَانَ اللَّهِ! ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٩).

٣٣ - مِنْ إِجْلَالِكَ لِرَبِّكَ أَنْ تَنْزِّهَهُ عَنْ كُلِّ نَقِصَةٍ، وَتَجَلَّ عَنْ كُلِّ سُوءٍ ظَنٍّ، وَتَعْلَمَ يَقِينًا أَنَّ الْحَيَاةَ فِي رِضَاهُ، وَالْخَيْرَ فِي مَحَبَّتِهِ، وَالْحَيَاةَ كُلَّهَا فِي الْإِسْتِقَامَةِ عَلَى مَنَهِجِهِ ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٩).

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ
 فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ
 فَمُسْوًى لَهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ
 الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ
 بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ
 شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
 خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْفَلِبَ الرِّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى
 أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا
 وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا
 أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
 رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى
 مَغَائِمٍ لِنَأْخُذْهَا ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا
 كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ
 فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

التفسير

• ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ أي في بيعة الرضوان ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ إنما حقيقة مبايعتهم مع الله تعالى ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ كأنهم بايعوا الله تعالى وصافحوه تأكيداً على أهمية البيعة، وحمللاً لأصحابها على الوفاء ﴿فَمَنْ نَكَثَ﴾ فلم يف بما عاهد عليه ﴿فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ فعدم وفائه على نفسه ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ﴾ جاء به كاملاً وافياً ﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ١٠.

• ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلْفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ الذين تخلّفوا عن الجهاد معك ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ عن المسير معك ﴿فَأَسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ عن تخلّفنا ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ إنما يقولون ذلك كذباً لا حقيقة ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ١١. فإنه يعلم ما الذي أقعدكم وخلفكم.

• ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ إنما كان سبب تخلفكم اعتقادكم أن المؤمنين سوف يقتلون ولا يعودون إلى أهلهم ﴿وَزَيَّبْتَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فرأيتموه هو الحق ﴿وظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ أن المسلمين مقتولون لا محالة ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ ١٢. هلكي.

• ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ ١٣. هذه نهايته ومآله.

• ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يدبّر أمرهما كيف شاء ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ممن أطاعه وقام بأمره ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ ممن عصاه وخالف أمره ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ للمذنبين ﴿رَحِيمًا﴾ ١٤. بالمؤمنين.



• ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ عن الجهاد ﴿إِذَا أُنْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا﴾ لا قتال فيها ولا كلفة لها ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ دعونا نكن معكم ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ في اختصاص الصحابة بتلك الغنائم؛ لأن الله تعالى وعد أهل الحديبية بمغانم خيبر ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ في وعده بالغنائم لأهلها ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ على أن نشارككم في أخذ الغنيمة ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٥﴾ إنما قولهم هذا دليل عدم فهم وقلة فقه.

التفسير

١ - تأكد في كل مرة أن قيامك بحق نبيك ﷺ هو ذاته قيامك بحق الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۖ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٠﴾.

٢ - كل عقد تجريه في الشريعة إنما تجريه مع ربك أولاً ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۖ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٠﴾.

٣ - الشريعة منهج، وليست تعاليم فارغة من معانيها؛ فالالتزام بها عقيدة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۖ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٠﴾.

٤ - لا تنكث عقداً أبرمته مع أحد من العالمين، ولا تنكث بيعة بينك وبين الآخرين؛ فبواثق ذلك في النهاية وبوارها على نفسك ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا

يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۖ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾

٥ - حتى العقود الصغيرة التي تبرمها مع زوجك وولديك وصديقك وصاحبك هي من هذا الميثاق؛ فإياك ونقض المواعيد ونكث العهود! ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۖ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾

٦ - حتى المواثيق التي تكتبها مع الدعوة بأن تقوم لها بكلمة أو محاضرة أو مشروع من هذا المعنى فلا يراك الله تعالى ناقضاً لها، ومتخلفاً فيها ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۖ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾

٧ - إذا أخذت مشروعاً فهو عقد بينك وبين الله تعالى وميثاق مع شريعته، فلا تتخلف به عن ركب الحياة، ولا تتأخر به عن مباحج التفوق والجلال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۖ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾

٨ - كل عهد أبرمته، أو ميثاق عقدته، أو مشروع التزمت به فأوفيته حقه فأنْتَ على وعدٍ كبيرٍ مع هذه النهاية ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

٩ - اختلاق الأعداء للتخلف من أخلاق المنافقين ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسِنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾﴾

١٠ - إذا كثرت أعداؤه فتخفف منه، فلا بركة لك فيه ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسِنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ



فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾.

١١ - ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ هي ذاتها اليوم التي يرددها جملة من الذين يعيشون معك، ويتخلفون عن واجباتهم في الحياة ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾﴾.

١٢ - كلما استسلم مشروعاً لأمرته تعثر فيه، وقام يبحث عن الأعذار؛ أضاع مشروعه وما انتهت أعذاره بعد ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾﴾.

١٣ - قد تنجح في الخروج من أزمة الحرج مع من تخلفت معهم؛ فكيف الخروج من وقفك أمام ربك يوم الحاجات؟! ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

١٤ - قبل أن تشغل بمسؤولك، وظروفك، وواقعك، وأعدارك التي تتخلص بها من واجباتك؛ أعد أولاً جواباً لسؤال ربك ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

١٥ - هذه القصة لا يختلف فيها سوى الأعذار ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾﴾.

١٦ - ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ لم تكن سوى أقنعة لهذه الحقيقة ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنَا يَنْقَلِبَ الرُّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾﴾.

١٧ - ستكون تلك الأعداء موقداً لهذه النار ﴿ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴾ (١٣).

١٨ - الذي يملك الكون هو الذي يدبر شأنه في النهاية ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (١٤).

١٩ - الذي يملك كل شيء يهبك كل شيء، ويمنحك كل شيء، ويجود عليك بكل شيء ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (١٤).

٢٠ - لا يمكن لبشر في الأرض أياً كان أن يقف أمام حلمك وطموحك ورغبتك وأمانيك ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (١٤).

٢١ - ثق بربك وأحسن الظن به، وألقِ بهمومك بين يديه، واستقبل أحلامك القادمة بسرور ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (١٤).

٢٢ - والله لو وقف العالم بأسره ليسجنك ما استطاع إذا لم يأذن الله، ولو وقف العالم بأسره ليقف دون خروجك من مشكلتك ما استطاع إذا لم يأذن الله، ولو وقف العالم كله دون وظيفة أو رزق أو منصب أو مسؤولية، أو أمل أو موعد نجاح لم يستطيعوا أن يحولوا دونك ودون تلك الآمال ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (١٤).

٢٣ - ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ حتى أهل النفاق الذين عاشوا مستميتين لحرب الإسلام؛ إن عادوا وأصلحوا واقعههم كان لهم ما يرجون.

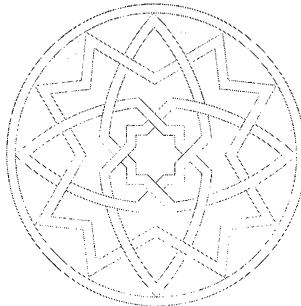


٢٤ - ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١٠﴾ لي ولك أنت؛ حتى لو أبرمنا موافق وعهوداً ونقضناها جهلاً وسهواً وغفلة وضعفاً يوماً ما.

٢٥ - ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١١﴾ حتى لو كثر تخلفنا، وزادت أعدارنا عن القيام بواجبنا تاب علينا متى ما عدنا راغبين في الصفح والغفران.

٢٦ - اتهامك أول وسائل مرضى القلوب ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالِ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٢﴾.

٢٧ - من علامة مرضك أنك لا تقبل النصيحة، وتحملها على محامل السوء ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالِ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٣﴾.



قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ
 يُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا
 وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ
 عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ
 وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ
 الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ
 فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ
 كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ
 مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ
 النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا
 مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا
 وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا
 لَوْلُوا الْأَدْبَرُ ثُمَّ لَا يُجْدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ
 اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

التفسير

﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأَسِ شَدِيدٍ ﴾ قل يا رسول الله لهؤلاء الأعراب الذين يرغبون في الجهاد معكم أنكم ستدعون إلى قومٍ من صفتهم أنهم أصحاب بأسٍ في القتال ﴿ نُقَتِّلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ ﴾ تدعون إلى قتالهم؛ فإما أن يسلموا دون قتال، أو تقاتلونهم حتى يسلموا ﴿ فَإِنْ تَطِيعُوا ﴾ في قتال هؤلاء ﴿ يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ على استجابتكم في قتالهم ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ تعصوا الله، وتركوا ما أمركم به ﴿ كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ ﴾ كما هي عادتكم ﴿ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ شديداً موجعاً قاسياً.

﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ ﴾ ليس عليهم حرج في تخلفهم عن الجهاد لعذرهم ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ بفعل أوامرهما، واجتناب نواهيهما ﴿ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ جزاء استجابته ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ ﴾ فيعرض ﴿ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ عذاباً قاسياً.

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ يخبر الله تعالى عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت السَّمُرَةِ بالحديبية، وكانت هذه البيعة على مناجزة قريش الحرب، وعلى عدم الفرار والتولي ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ من الصدق ﴿ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾ الطمأنينة في قلوبهم ﴿ وَآتَيْنَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ فتح مكة.

﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ﴾ وهي ما جاءهم من أموال يهود خيبر بعد ذلك ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ في انتقامه من أعداء دينه وشرعه، حكيماً في تدبير خلقه وأمره.

- ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ كل غنيمة غنمها المسلمون إلى يوم القيامة ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ صلح الحديبية، أو غنيمة خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ القادريين على قتالكم ﴿وَلِتَكُونَ﴾ هذه الغنيمة ﴿ءَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ليستدل به على صدق خبر الله تعالى، ووعدته لعباده المؤمنين ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ ﴿٢٠﴾ من الهدى والفلاح والخير والتوفيق.
- ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ الفتوح التي تفتح إلى اليوم ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ علماً وقدرة وتديباً وحكمة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ ﴿٢١﴾ فلا يخرج عن قدرته شيء.
- ﴿وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في أي زمان ومكان ﴿لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ﴾ هاربين فازين ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوكَ وَيَلْاَهُمْ﴾ يتولاهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿٢٢﴾ ينصرهم ويعينهم على قتالكم.
- ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ هذه سنته وعادته في الكافرين في كل زمان ومكان ﴿وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ ﴿٢٣﴾ بل ستظل باقية ثابتة.

التدبير

- ١ - أقم من معك على محكّات الحقيقة ﴿قُلْ لِلْمُخَلَفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ نُقْتَلُونَهُمْ أَوْ يُسْلَمُونَ﴾ فَإِنْ نَظِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿١١﴾ لتتأكد من صلاحيتهم للعمل.
- ٢ - لا تضيع وقتك في سماع أعذار المتخلفين! كلّفهم بمشاريع تنوء بها عواتق الرجال، ثم انظر ماذا يصنعون فيها؟! ﴿قُلْ لِلْمُخَلَفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ



أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُوا ۖ فَإِنْ يَظْهَرُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾

٣ = ضع للكذب موعداً للعزاء، وللأعداء موعداً للسقوط ﴿قُلْ لِلْمُحَلِّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سِتْرٌ مَدْعُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ يُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ ۖ فَإِنْ يَظْهَرُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾ ﴿١٧﴾

٤ = الإسلام لا يعاتب متخلفاً لعذرٍ في أي مجالٍ من المجالات، يكفيه تلك الإعاقة الحائلة دون أمانيه، ومن تولى كاذباً مدّعياً فسيلقى جزاءه ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ۖ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّتِ بَحْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ ﴿١٨﴾

٥ = هل بلغك في حياتك كلها خبر كهذا؟! ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ تلك الأحداث، وما عداها عارضة في حياة صاحبها!

٦ = تدري ما قصة هذا الرضا؟! ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ۖ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ الضَّخْمَةُ فِي الْقُلُوبِ ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾

٧ = لا تحدثني عن إنجازاتك وأحداث نجاحك ورحلة تفوّك! حدثني عن هذه الحقيقة الكبرى في قلبك ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾

٨ = إذا أدركت شأن قلبك، وأبقيته لله تعالى خالصاً؛ فقد تخطّيت كل عقبات الطرق أمامك ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾

٩ = إذا أردت مبايع الحياة كلها؛ فأخلص قلبك لله ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾

١٠ = تريد فوزاً، نجاحاً، فلاحاً، تفوّقاً، تميّزاً، حياة كريمة! انظر ببصيرتك إلى قلبك، وردّه إلى الله تعالى ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾

١١ - كل أدواء الناس ومشكلاتهم التي يعيشونها وإخفاقاتهم التي يكابدونها، كلها تبدأ من القلب، وكل نجاحاتهم وتميُّزهم وفوزهم وفلاحهم تبدأ كذلك من القلب ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

١٢ - قد تصفّق لك جماهير الدنيا كلها وأنت مخفق حتى شحمة أذنك، وقد يشنّوك العالم كله وأنت أعظم الناجحين (دائرة المعركة في قلبك) ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

١٣ - إذا وجدت صادقاً في رأيهِ، وسليماً في قلبهِ، ومخلصاً في حياته فشاوره في كل شيء، ودع عنك كثيرين سواد نياتهم يقف عائقاً أمام حلول الحياة التي يُهيّئونها لك ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

١٤ - صاحبُ نيّةٍ صادقٍ معك في الصف خيرٌ لك من ألفٍ في نيّاتهم غبش وتشويش ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

١٥ - يا طلاب العلم! يا أصحاب المشاريع! يا حملة الرايات! ضعوا في قلوبكم من جهدكم أضعاف ما تضعونه في مشاريعكم، وسترون كيف تعود الأرض ربيعاً أخضر! ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

١٦ - المستقبل لهذا الدين ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٩﴾ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ٢٠ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ٢١﴾.

١٧ - لا تستقل ما يأتيك عاجلاً! هذه مجرد تسلية ومقدمة للمفاجأة الكبرى! ﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾.

١٨ - هل تبحث صادقاً عن الهداية؟! أصلح طريقك، وسترى الحقائق التي تبحث عنها كما تريد ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾.



١٩ - لا تُداهن عدوك لعدم قدرتك المادية على مواجهته، اثبت على الحق، وتصلب على قيمك ومبادئك، وسيتولى الله تعالى الدفاع عنك ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾.

٢٠ - هذه سنة الله تعالى التي لا تقبل التبديل ﴿وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَحْدُوثَ وَإِيَّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٢٢) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٢٣) ﴿ وقد رأيناها واقعاً في كثير من أحداث واقعنا الكبير (القدس أنموذجاً).

٢١ - يفرون من مواجهتك، ويهربون من طريقك؛ فكن موقناً بالحقائق ﴿وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَحْدُوثَ وَإِيَّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٢٢) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٢٣) ﴿.

٢٢ - هذه الشام بفئة قليلة تواجه دولاً مدججة بسلاح الفضاء وعجزت هذه الدول أن تبلغ منها المراد ﴿وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَحْدُوثَ وَإِيَّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٢٢) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٢٣) ﴿ وبلاد كثيرة من بلاد المسلمين ألقى العدو برحله وتركها.

٢٣ - آمن بهذه السنن، ورابط على الإيمان، واستقبل الحياة، وستظل منصوراً مؤيداً صانعاً للأحداث ﴿وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَحْدُوثَ وَإِيَّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٢٢) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٢٣) ﴿.



وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ
 بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ
 الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ
 مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِمْلَهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ
 تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ
 لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ
 كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي
 قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حِمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى
 رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا
 أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَقَدْ
 صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا
 تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ
 فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ
 الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

التفسير

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (٢٤) ﴿امتنان من الله تعالى على عباده حين كفَّ أيدي المشركين عنهم، وكفَّ أيدي المؤمنين عن المشركين فلم يقاتلوهم، وذلك في قصة الأسرى السبعين الذين جاء بهم المسلمون إلى رسول الله ﷺ فتركهم، ولم يفعل بهم شيئاً.﴾

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي الكفار على وجه الحقيقة ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ فلم يَمَكَّنوكم من الوصول إليه ﴿وَأَلْهَىٰ مَعَكُوفًا﴾ محبوساً ﴿أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ﴾ يصل إلى مكة ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ الْمُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنَاتِ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾ لولا وجود رجال ونساء من أهل الإيمان بين أظهر المشركين في مكة يتخفون بإيمانهم لسلطانكم عليهم بالجهاد ﴿فَتَصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ إثم وغرامة وأنتم لا تعرفونهم ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ ولا أمر آخر وهو أن تأخير تسليطكم عليهم فيه مصلحة بإعطاء مزيد من الوقت والفرصة لمن أراد الدخول في دين الله تعالى منهم ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ لو تميّز المؤمنون من الكفار ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٢٥) ﴿لسلطانكم عليهم وأوقعنا بهم عذاباً شديداً.﴾

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ﴾ فأبوا في صلح الحديبية أن يكتبوا باسم الله الرحمن الرحيم، وأن يكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فقابلوا حكم الله تعالى بالصبر والرضا وتعظيم ما قرره رسول الله ﷺ في

ذلك الصلح ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ النُّقُوتِ﴾ وهي لا إله إلا الله ومقتضياتها ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ أي رسول الله ﷺ وصحابته الكرام أحق بكلمة التقوى، وهم أهلها الذين يقومون بحققها من المشركين ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٣٦).

• ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (٣٧) وذلك أن رسول الله ﷺ رأى في المدينة رؤيا أخبر بها أصحابه، أنهم سيدخلون مكة، ويطوفون بالبيت، فلما جرى يوم الحديبية ما جرى، ورجعوا من غير دخول مكة كثر في ذلك الكلام منهم، حتى إنهم قالوا ذلك لرسول الله ﷺ: ألم نخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ فقال: «أخبرتكم أنه العام؟» قالوا: لا، قال: «فإنكم ستأتونه وتطوفون به» وهذا وعد من الله تعالى بأنهم سيدخلون المسجد، منهم المحلق وممنهم المقصر، فعجل لهم بصلح الحديبية فتحا قريبا.

• ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ الْعِلْمَ النَّافِعَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ على جميع الأديان ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (٢٨) وحسبك به شاهداً.



١- آمِنُ أَوَّلًا أَنْ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ اللَّهِ ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (٢٩).



٢ - إِيَّاكَ أَنْ تَتَكَلَّ عَلَى قُدْرَاتِكَ وَمَهَارَاتِكَ وَإِمْكَانَاتِكَ فِي شَيْءٍ ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (٢٤) ﴿هُوَ الضَّيَاعُ فِي كُلِّ شَيْءٍ﴾.

٣ - مَنْ فَضْلِكَ! اكْتُبْ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ فِي قَلْبِكَ وَمَشَاعِرِكَ، وَضَعُهَا بَيْنَ عَيْنَيْكَ فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُؤُونِ الْحَيَاةِ ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

٤ - هَلْ تَدْرِي لَمْ لَمْ يَسَلِّطَ اللَّهُ تَعَالَى الْفِتْنَةَ الْمُؤْمِنَةَ عَلَى الْكُفَّارِ ذَلِكَ الْيَوْمَ؟! لَأَنَّ بَيْنَهُمْ مُؤْمِنِينَ صَادِقِينَ! سِيرْعَاكَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَوْ كُنْتَ فِي عَمَقِ الْأَحْدَاثِ! ﴿هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ، وَلَوْلَا رِجَالُ الْمُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنَاتِ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَنُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَو تَزَلَّيْنَا لَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٢٥).

٥ - لَيْسَ بِالضَّرُورَةِ أَنْ تَكُونَ مَعْرُوفًا بَيْنَ الْعَالَمِينَ بِصَلَاحٍ! يَكْفِي أَنْ يَعْرِفَكَ اللَّهُ ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ الْمُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنَاتِ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَنُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

٦ - اللَّهُ تَعَالَى يَحُبُّكَ، وَيُرْعَى مَشَاعِرَكَ، وَيَحْفَظُكَ، وَيَجَلُ شَأْنُكَ، وَيَعْرِفُكَ حَتَّى وَأَنْتَ فِي دِيَارِ الْغُرْبَةِ، وَفِي عَمَقِ الْمَجْتَمَعِ الْكَافِرِ؛ فَلَا تَقْلُقْ فَاللَّهُ مَعَكَ! ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ الْمُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنَاتِ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَنُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

٧ - مَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى حَرْبًا مِنْ أَجْلِ عَصَبَةِ مُؤْمِنَةٍ لَمْ تَجِدْ سَبِيلًا لِلْخُرُوجِ ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ الْمُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنَاتِ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَنُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يَا لَجَلَالِ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى!

٨ - آمِنْ وَسَيَتَكْفَلُ اللَّهُ تَعَالَى بِكَ ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ الْمُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنَاتِ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَنُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

٩ - حمية الجاهلية وعاداتها وقيمتها وعصبياؤها هي التي جعلت أمماً ترزح في الباطل والتخلف زمناً طويلاً ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ﴿١٦﴾.

١٠ - قبيلتي، جماعتي، حزبي، جمعيتي، مكتبي، مجالي، كلها بقايا جاهلية تمد في ظلام الأمة دون وعي ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ﴿١٦﴾.

١١ - أصرت جاهلية قريش أن تمنع رسول الله ﷺ من دخول مكة، وأرغمت على الصغار بعد عام فقط من إصرارها ليس على الدخول فحسب، بل على انتشار الإسلام في العالمين ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ﴿١٦﴾.

١٢ - مَنْ صَدَقَ مع الله تعالى أبهجّه وأدهشّه ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾.

١٣ - هذه عادة الله تعالى مع المحسنين الصادقين، وليست شيئاً عارضاً ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ﴿٢٧﴾.

١٤ - من أعطى ما في قلبه لربه أعطاه الله تعالى ما يتمناه ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ﴿٢٧﴾.



١٥ - أصدق مع ربك، وسيُجري الله تعالى لك آمالك التي تريد ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ﴿٢٧﴾.

١٦ - لا تقدّم مرادك على مراد الله تعالى ولو رأيت كل شيء ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

١٧ - كثيرة هي الخسائر التي جرّتها العجلة على أشياء كنا نظن بأنها كل شيء، عود نفسك على تقديم مراد الله تعالى في حياتك ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

١٨ - إذا استخرت لا تستخز في شيء فُضي في قلبك، بل تجرّد واجعل أمرك لله ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

١٩ - ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ ﴿٢٨﴾ السنة الإلهية التي يجب أن تأخذ حظها من قلوب المؤمنين في كل زمان ومكان.

٢٠ - إذا سمعت مشؤوماً أو متشائماً فواجهه بهذه الحقيقة ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ ﴿٢٨﴾.

٢١ - ارفع رأسك؛ فالحقائق كالشمس التي لا تغيب ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ ﴿٢٨﴾.

٢٢ - افتخر بدينك ولا تتوار بين العالمين، الإسلام هو الحقيقة، وما عداه هباءٌ تذهب به الرياح ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ ﴿٢٨﴾.

٢٣ - تفاعل فلن يحول شيء بينك وبين هذه الحقائق يوماً ما ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ ﴿٢٨﴾.

تُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
تَرْتَهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي
وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي
الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى
سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٩﴾

التفسير

- ﴿تُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ المحاربين ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ متعاطفون متوادون ﴿تَرْتَهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا﴾ تقرباً لله تعالى بأعظم العبادات الصلاة ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ إنما يريدون بذلك وجه الله تعالى ورضاه ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ أي الخشوع والنور الحاصل بآثر الطاعة ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ هذا وصفهم في التوراة ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ ووصفهم في الإنجيل وهو أنهم في تعاونهم وكمالهم ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ﴾ أخرج صغاره ﴿فَفَازَرَهُ﴾ شده وعاونه ﴿فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ﴾ حتى قوي وقام وشبَّ وطال ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ من كماله واستوائه وحسنه ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ فكَذَلِكَ أصحاب رسول الله ﷺ آزره وأيدوه ونصروه حتى اجتمعوا وثبتوا على دين الله تعالى، وقووا إغاظةً للكافرين ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾



الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِكُلِّ مُؤْمِنٍ عَمَلٍ الصَّالِحَاتِ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ ذَنْبَهُ، وَيَأْجِرَهُ أَجْرًا عَظِيمًا عَلَى ذَلِكَ.



١ - سل نفسك مَنْ صديقك مِنْ عدوك؟ إذا لم تعرف هذه الحقيقة بوضوح؛ فأعدّ توجيه بوصلتك من جديد ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَجٍ أُخْرِجَ شَطْرُهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٩﴾.

٢ - العالم صنفان: مؤمنٌ وكافر! ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ وبينهما النفاق والمنافقون.

٣ - من مباهج دينك هذا الصفاء والوضوح الذي لا يقبل الأغاليط ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.

٤ - ثمة أناس ما زالوا في برزخ لم يخرجوا منه، ولم تتضح لديهم الرؤية بعد ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ يستحيون من تسمية الكافر باسمه يريدون أن يقولوا عنه (الآخر).

٥ - ﴿أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ عند حلول الحقائق والصدع بها والعزة بالإسلام.

٦ - ﴿أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ تمييع الأحكام ليست من صفات المؤمنين.

٧ - ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ ثُرَكَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ حَتَّى بَاتُوا أَتْبَاعاً لَهُمْ وَمَنْزُورِينَ بِدِينِهِمْ فِي الْمَسَاحَاتِ الضَّيِيقَةِ.

٨ - ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ يَحِبُّونَ بَعْضُهُمُ الْبَعْضَ، وَيُؤَاوِنُهُمْ وَيَعِينُونَهُمْ، وَيَقْفُونَ مَعَهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

٩ - ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ فَيَقْبَلُونَ خَطَأَهُمْ، وَيَعْتَذِرُونَ لَهُمْ، وَيَعْفُونَ عَنْهُمْ، وَيَحْمِلُونَهُمْ عَلَى مُحَامِلِ الْخَيْرِ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ عَلَيْهِمْ حَرَجاً.

١٠ - ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ يَدْعُونَ لِبَعْضِهِمْ بَعْضاً، وَيُؤَاوِرُونَ ضَعِيفَهُمْ، وَيَعِينُونَ مَسْكِينَهُمْ، وَيَقْفُونَ مَعَ فَقِيرِهِمْ، وَيَنْصُرُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً.

١١ - مِنْ شَأْنِ الْأَخْيَارِ بَذْلُ الْجَهْدِ فِي الصَّالِحَاتِ، وَالصَّلَاةُ أَعْظَمُ شُؤْنِهِمْ ﴿تَرَبُّهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾.

١٢ - لَيْسَ هَذَا شَأْنُهُمْ فِي الْفَرَائِضِ فَحَسَبَ، وَإِنَّمَا فِي سَائِرِ أَوْقَاتِهِمْ ﴿تَرَبُّهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾.

١٣ - هَذَا وَاللَّهُ الْفَقْهَ، وَهُوَ بَرَهَانُ الْعِلْمِ وَالتَّقْوَى وَالصَّلَاحِ ﴿تَرَبُّهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾.

١٤ - عَيْنُكَ لَا تَكَادُ تَخْطِئُ أَصْحَابَ الْحَقِّ مِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ الْعَارِضَةِ فِي تِلْكَ الْوُجُوهِ ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ بَيَانُ أَثَرِ الطَّاعَةِ الَّتِي تَرَاهَا مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ، لَا تِلْكَ الْبَقْعِ الَّتِي تَرَاهَا حَتَّى فِي وَجْهِهِ الْفَسْقَةِ.

١٥ - صُورَةُ ذَلِكَ الْجِيلِ فِي الْإِنْجِيلِ أَبْهَجُ الصُّورِ وَأَتَمُّهَا فِي حَيَاةِ الصَّالِحِينَ ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ، فَتَازَرَهُ، فَاسْتَغْلَظَ، فَاسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ، يُعْجَبُ الزَّرَّاعُ لِيَغِیْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾.



١٦ - أَيُّ أُمَّةٍ لَا تَخْتَلِطُ أَجْيَالُهَا حَتَّى تَكُونَ وَحْدَةً مَتَمَّاسِكَةً فِي شُؤْنِهَا لَمْ تَبْلُغْ حَقِيقَةَ دِينِهَا الَّذِي يَرِيدُهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ، فَتَزَرَءُ، فَأَسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ، يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾.

١٧ - مَا حَقِيقَةُ الْوَعْدِ فِي قَلْبِكَ؟ وَكَمْ بَلَّغْتَ فِي الطَّرِيقِ إِلَيْهِ؟ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.



سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ
 اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ
 صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ ۖ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ
 أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ
 أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ
 لِلنَّفْيِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ
 مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

التفسير

- ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ من قولٍ أو فعلٍ إلا بأمره وشرعه ﴿وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١﴾ فلا تخفى عليه خافية.
- ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ وذلك عند مخاطبته ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ ۖ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ فإن هذا خلاف الأدب ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ﴿٢﴾ حتى لا يُحْبَطَ أعمالكم.



• ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ تأدباً معه وتقديراً له ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمَحَّنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَى﴾ فبان صدقها وإيمانها ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٣) على هذا الأدب في تعاملهم مع رسول الله ﷺ.

• ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ بقولهم: يا محمد، يا محمد ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤) فلو كانوا يعقلون لمنتعهم عقولهم من هذا السفه وقلة الأدب في التعامل مع رسول الله ﷺ.

الاستدلال

١ - من أدبك وكمال علمك ووعيك ألا تُقدِّم على شريعة ربك شيئاً ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَانْفُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

٢ - من علامات تعظيم الله تعالى والأدب مع رسوله ﷺ تعظيم الوحي وإجلال قدره ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَانْفُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

٣ - كل أمة أو مجتمع أو حتى فرد جعلت هذه الشريعة حاكمها في شؤونها تحقق لها ما تريد من الإصلاح ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَانْفُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

٤ - رفع صوتك فوق صوت النبي ﷺ كبيرة، ورفع صوتك عند قبره كذلك، ورفع صوتك على سنته يأخذ المعنى نفسه فنته! ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٢).

٥ - في المسألة قولان، وثلاثة، وأفتى فيها فلان، والمذهب الفلاني يقول كذا، كل هذا من رفع الصوت فوق سنته ومنهجه ﷺ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ

فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾.

٦ - انتبه! لا تعارض شريعة ربك أو ترفع صوتك على سُنَّةِ نبيك ﷺ! فالمسألة مؤذنة بحبوط العمل وضياعه ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾.

٧ - حين يكون رأيك على حساب المنهج يكون صوتك عالياً على صاحب المنهج فتنه! ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾.

٨ - كم من حوارٍ ونقاشٍ أحبط عمل صاحبه، وضيّع مذكراته وهو لا يدري! ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾.

٩ - عزة الأمة مرهونة بـ: (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) في كلِّ ما تأتي به الشريعة، ولا نصر لها ولا تاريخ إلا من خلال هذا المعنى الكبير ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾.

١٠ - الأدب يصنع مباهج الحياة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾.

١١ - حقيقة التقوى أن تخضع برحاب قلبك ومشاعرك للوحي، وتجلّ ما فيها من معانٍ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾.



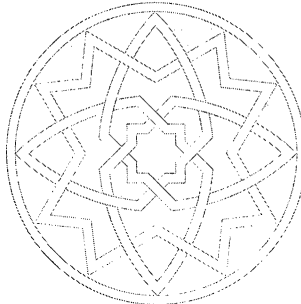
١٢ - على قدر تعظيمك للوحي تلقى ما وعد الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٢﴾.

١٣ - الاستئذان شريعة، يجب أن يأخذ حظّه من الأدب والالتزام ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٤﴾.

١٤ - من تعاملك يُعرف قدر علمك وأدبك ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٤﴾.

١٥ - رأيت بعضهم يتحدث في جواله لا يكاد يُبين كلامه، ورأيت آخرين كأنما يدير صراعاً بحديثه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٤﴾ الأدب يصنع الفرق.

١٦ - رأيت آخر لو ازدحمت السيارات ما وضع يده على بوق السيارة رعايةً للأدب، وآخر لو أضاءت إشارة الطريق للعبور لأصم أذنيك من صياحه وبوق سيارته، سوء أدب ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٤﴾.



وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
 رَحِيمٌ ﴿٥﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِإٍ فَتَبَيَّنُوا
 أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَدِمِينَ ﴿٦﴾
 وَاعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَنَنِتُّمْ
 وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ ءَالِإِمْنٍ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ
 الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَءَالِإِصْيَانٍ ءَأُولَئِكَ هُمُ الرَّشِيدُونَ ﴿٧﴾
 فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ
 مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا
 عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ
 فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
 ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ
 لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَنَّ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ
 عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا
 مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْءَلْقَابِ بِئْسَ الِإِسْمُ
 الْفُسُوقُ بَعْدَ ءَالِإِمْنٍ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾



التفسير

• ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ صبرهم وعدم عجلتهم
﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥) عن ما حصل من ذلك.

• ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقُ بِنَاٍ فَتَنِيُوا﴾ تثبتوا ﴿أَن تُضَيُّوهُ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾
فتقعوا فيهم بغير علم ولا بينة ﴿فَنُضِضُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (٦) متأسفين
متحرجين.

• ﴿وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ﴾ لوقعتهم في الحرج
والمشقة ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ
وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (٧) أي من حَبَّبَ الله تعالى
إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم.

• ﴿فَضَلَّا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾ (٨) أي هذا الذي فعله بكم من
تحبيب الإيمان وتزيينه في قلوبكم من النعم العظيمة.

• ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ جماعة من المؤمنين ﴿أُفْتَلَتُوا﴾ حصل بينهم
قتال ﴿فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ فلا تجعلوا للشيطان عليهما طريقاً ﴿فَإِن بَغَتْ
إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى﴾ تطاولت عليها وتجاوزت الحد ﴿فَقَاتِلُوا آلَ بَغْيٍ حَتَّى
تَفِىءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ فقاتلوا الفئة الباغية الطاغية حتى ترجع إلى رشدنا
وصوابها ﴿فَإِن فَاءَتْ﴾ رجعت عن الظلم والبغي ﴿فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ
وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٩) أمر الله تعالى بالإصلاح بينهما
بالعدل قولاً وفعلًا.

• ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ مهما حصل بينهما من عدوان ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ ولا تتركوهما للشيطان ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿١٠﴾ افعلا ما أمركم به من الصلح رجاء ما عنده من الرحمة.

• ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ﴾ لا يحتقر قوم قوماً آخرين ﴿عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ فقد يكون المسخور منهم خيراً وأفضل عند الله تعالى ممَّن يَسْخَرُ مِنْهُمْ ﴿وَلَا فِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ وكذلك لا تحتقر وتزدري نساءً أخريات فقد يكون المسخور منهن أعظم من الساخرات عند الله تعالى ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ على وجه التنقّص لإخوانكم سواءً بالقول أو الفعل ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ لا يعيّر أحدهم أخاه بشيءٍ يكرهه ﴿يَبْسُ إِلَاسُ مِ الْفُسُوقِ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ قبيح هذا التنابز والتعابيب فيما بينكم بعد إيمانكم ومعرفتكم بآثار الإيمان ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ من هذه الأفعال ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿١١﴾ المعتدون المتجاوزون لحدود الله تعالى.

التدبر

١ - لا يكلفك الصبر شيئاً، بل يرزقك روحاً عالية من الأدب ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٥﴾.

٢ - من جمال شريعتك أنها تغفر خطأك، وتعفو عن زلتك، وتفتح لك آفاقاً فيما بعد ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٥﴾.

٣ - ما أرحم الله تعالى بالإنسان! ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٥﴾.

٤ - تعلم التثبت أمام الأخبار الضالة ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (٦).

٥ - من كمال عقلك ألا تفزع عند كل صارخ ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (٦).

٦ - إذا جاءك مشتك يسكب دماً فترث لعل خصمه قد فارق الحياة ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (٦).

٧ - كم مرّة وضعنا العجلة في مواقف لا تليق بمقام الكبار! ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (٦).

٨ - في زمن التواصل الاجتماعي يكاد يتودّع من هذا الأدب ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (٦).

٩ - (عاجل، كما وصلني، يقولون) بعض مظاهر تلك العجلة التي ترتب عليها إخلال بهذا الأدب العظيم ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (٦).

١٠ - الإعلام في زمانك من الفساق؛ فلا تحتفل بخبره في شيء ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (٦).

١١ - قنوات خاصة للأخبار كلها تعجّ بالتهم والأوهام حتى لا تكاد تبين حقيقة ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (٦).

١٢ - كن عاقلاً فطناً! لا تكن ضحيةً لأوهامٍ لا تُدرى فيها الحقائق ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ ٦ ﴿٦﴾.

١٣ - من توفيق الله تعالى لك أن تجد إقبالاً على الخيرات والطاعات! ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ؕ لَوْ يَطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ؕ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاكِدُونَ﴾ ٧ ﴿٧﴾ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ؕ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾.

١٤ - إذا شعرت بفرحٍ للطاعة، وألمٍ على فواتها، ولذّةٍ في حضور مشاهدتها؛ فاحمد الله تعالى؛ فإن هذا من عظيم نعمة الله تعالى عليك ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ؕ لَوْ يَطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ؕ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاكِدُونَ﴾ ٧ ﴿٧﴾ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ؕ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾.

١٥ - وإذا وجدت إقبالاً على المعصية، وفرحاً بمشاهدتها، وسروراً بلحظاتها فعد إلى ربك؛ فإن ذلك من الخذلان ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ؕ لَوْ يَطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ؕ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاكِدُونَ﴾ ٧ ﴿٧﴾ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ؕ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾.

١٦ - كمال رشدك وعقلك ووعيك أن تكون في زمر الإيمان وأصحاب الطاعات ورواد الفضائل ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ؕ لَوْ يَطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ؕ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاكِدُونَ﴾ ٧ ﴿٧﴾ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ؕ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾.



١٧ - تحسّس قلبك! هل تطرب لسماع منكر، وتتلذذ به، وتشعر بفرح في لحظاته؟! تلك هي مساحات الشؤم في حياتك ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾.

١٨ - كن فاعلاً مؤثراً مشاركاً في رَأب أيّ صدع تراه في جسد الأمة، وبادر بصناعة اللحمة من جديد ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾.

١٩ - الخلاف بين المؤمنين نتيجة طبيعية، ويحتاج إلى أصحاب رايات يهرعون حين وقوع ذلك على الخلاف ليعيدوا مباحج الإخاء ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ ليس هذا خاصاً في حرب الطوائف بالذات، وإنما ينبغي أن يمتد في صور لجان على مستوى القرى والمجتمعات والأسر حتى يواد الخلاف من أصله، وتضيق مساحاته.

٢٠ - مشروع لجان إصلاح ذات البين من أعظم المشاريع التي يجب أن تؤدّي دورها وتُدعم؛ لأنها تحمي الصف من التشطّي والضياع ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾.

٢١ - جزء كبير من الخسائر التي مُنيت بها الأمة في حروبها مع العدو سببها الخلاف الدائر بين رايات الجهاد في النهاية ﴿وَلِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَتِّلُوا آلَ تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفَىٰ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾.

٢٢ - الإصلاح ليس رأياً مطروحاً، أو فكرة عارضة، وإنما يشارك في ردع الظالم عن ظلمه، وإعادة الحق إلى نصابه ﴿وَلِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَتِّلُوا آلَ تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفَىٰ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾.

٢٣ - تحرّي العدل ضرورة في الإصلاح، ومن ذلك تحرّي من يقوم على إدارة شؤونه، وألاً يتسلل إليه من يحرق عرى هذا المعنى دون وعي ﴿وَلِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَتِّلُوا آلَ تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفَىٰ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ والله تعالى يحبُّ المقسطين لهذا المعنى الدقيق.

٢٤ - حتى مع وقوع القتال، وإراقة الدماء، وفوات بعض الأرواح لا تخرج الأمة عن أخوتها الشرعية ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ وهذا معنى يجب أن يفقه كل من أدار نقاشاً أو موقفاً مع بعض إخوته فحمل في نفسه من أثر ذلك الخلاف.



٢٥ - الدماء النازفة على الأرض لم تذهب معنى الأخوة بيننا أيذهبها خلاف عارض أو نقاش في مسألة لم نهتد فيها للصواب؟! ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١٠).

٢٦ - تقوى الله تعالى مؤذنة بالفلاح والرحمة والخيرات ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١٠) ومن أعظم صور التقوى العفو والتسامح مع إخوانك المؤمنين.

٢٧ - السخرية من الآخرين ليست من شأن أهل الإيمان ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا نَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١١).

٢٨ - ارفع بصرك عن كل مشهدٍ وصورةٍ تدعوك للسخرية من غيرك فليست من أخلاق الكبار ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا نَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١١).

٢٩ - من سوء توفيقك أن يشغلك الله تعالى بالآخرين ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا نَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١١).

٣٠ - تعلّم كلما رأيت إنساناً أن تقول: لعله خير مني، فذلك يعصم عن كثير من القيل والقال ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا

نِسَاءً مِّنْ نِّسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۚ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ
الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾».

٣١ - ليس من شأن المؤمن النظر للأجسام والصور والأشكال، «رُبَّ أَشْعَثِ أَغْبَرِ
مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأَبْرَهُ»^(١). ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ
عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۚ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا
تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾.
٣٢ - ترفع عن مشاهد الجاهلية ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ وكن
كبيراً في همومك ومشاهدك.

٣٣ - حين تلمز أخاك وتستهزئ به إنما تلمز نفسك وتهزأ بواقعك ﴿وَلَا تَلْمِزُوا
أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾.

٣٤ - من وقع في هذه المشاهد جرت عليه غالباً أحداثها ولو بعد حين ﴿يَأَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ
يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۚ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ
وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾.

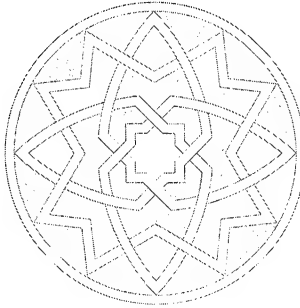
٣٥ - من أراد الله تعالى خذلانه أشغله بعيوب الآخرين ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا
يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۚ وَلَا
تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾.

٣٦ - لا يمكن أن تُرَمِّمَ مشاهد الأخوة الإيمانية إلا من خلال الالتزام بآداب هذه
الشريعة ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ



مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ
الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

٣٧ - تُبَّ قَبْلَ أَن تَلْقَىٰ رَبَّكَ وَأَنْتَ ظَالِمٌ مِّدِينٍ بِأَعْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا
مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ
يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾



يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ
وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بََعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ
رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن
قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ
الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
﴿١٦﴾ يَمْنُونُ عَلَيْكَ أَنِ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ
يَمْنُ عَلَيْكُمْ أَن هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ
يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾



التفسير

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ ابتعدوا عنه، والظنُّ اتهام الآخرين بلا علم ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ ذنبٌ محض ﴿وَلَا تَحَسَّسُوا﴾ ولا تتبَّعوا عورات الآخرين ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ فيذكره بما يكره ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ شبه الغيبة بأكل لحمه ميتاً ﴿وَأَنفِقُوا لِلَّهِ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ يقبل التوبة من عباده مهما بلغت ذنوبهم ﴿رَجِيمٌ﴾ ١٢ كثير الرحمة وواسعها.

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ أوجدناكم من زوجين ذكر وأنثى ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ من أجل أن يعرف بعضكم بعضاً ويتم بينكم التواصل والتعاون ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ تمايزكم عند الله وتفاضلكم بقدر ما بينكم وبينه من أعمال ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ١٣ فلا تخفى عليه خافية.

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾ وهم حديثو العهد بالإسلام ﴿ءَامَنَّا﴾ الإيمان التام المطلق ﴿قُلْ لَمْ تَوْمِنُوا﴾ الإيمان التام المطلق ﴿وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ دخلنا في الإسلام ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ بعد ﴿وَأَن تَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ لا يَلَيْتُكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا لا ينقصكم منها شيئاً ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ١٤ واسع المغفرة والرحمة لعباده المؤمنين.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ الكُمَّل من أهل الإيمان ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ لم يشكوا في دينهم وإيمانهم، بل صدقوا بكل ما فيه ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بذلوا في سبيل الله كل ما يملكون ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ١٥ في إيمانهم.

• ﴿قُلْ أَعْلَمْتُ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ تخبرونه بما في قلوبكم من إيمان
﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٦) ﴿فلا
تخفى عليه خافية.

• ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ أي الأعراب يمتنون على رسول الله ﷺ إسلامهم ونصرتهم
له ﴿قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمُ﴾ لأن نفع ذلك يعود لكم أولاً ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ
هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٧) ﴿بل المنة لله تعالى الذي وفقكم للإيمان أولاً.

• ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨) ﴿فلا تخفى عليه خافية.

التدبير

١ - الشريعة تحاول ترميم واقع الأمة وعلاج مشكلاتها لتبلغ بها أعلى
أحلام الاجتماع والائتلاف ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ
الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحْسَسُوا وَلَا يَغْتَبَ بََعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ
مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢).

٢ - لا يمكن أن تدار المعركة مع العدو حتى يُرْمَمَ واقع الأمة، ويُعاد تأهيل أرواح
المؤمنين فيما بينهم ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا
تَحْسَسُوا وَلَا يَغْتَبَ بََعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا
فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢).

٣ - الأمة المشغولة بالخلاف الداخلي والسخرية من بعضها بعضاً، والاستهزاء
بأفرادها أمةً مكلمة، تحتاج إلى إعادة تأهيل، وبناء من جديد ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحْسَسُوا وَلَا يَغْتَبَ بََعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ
أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢).



٤ - من فقه الإصلاح أن يبدأ من أمراض الداخل، حتى إذا برئت تلك الأدوية، وصح ذلك الجسد، أصبح قادراً على المشاركة في الخارج ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

٥ - الأمة التي تنتشر الظنون البائسة بين أفرادها أمةٌ تحتاج إلى إعادة تشكيل لعقولها وقلوبها من جديد ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

٦ - تحسس واقعك وعلاقاتك وأحداثك اليومية؛ لعلك خسرت أشياء كثيرة من خلال سوء ظنٍّ في غير محله ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

٧ - كم من خسائر على مستوى الأزواج والأصدقاء والمزلاء سببها سوء ظنٍّ ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

٨ - حتى يصلح بيتك، ويجتمع شملك، ويزين واقعك، ترفع عن كثيرٍ من الظنون العارضة ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

٩ - انقل بصرك لمشهد مسلم يتجسس، وتأمل قبح تلك الصورة من صاحب إيمان ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا

يَعْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾.

١٠ - يا لقبح هذه الصورة! يتنقل مستخفياً يريد أن يعثر على خُلة ويقع على جراح ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

١١ - كثير من البيوت تهدمت بسبب سوء الظن، وكثير من النزاعات الأسرية تشعبت من أثره، وكثير من الأبناء ضاع بسبب تلك الفوضى ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

١٢ - «من تتبّع عورة أخيه المسلم، تتبّع الله تعالى عورته، ومن تتبّع الله عورته، يفضحه ولو في جوف بيته»^(١). ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

١٣ - قالوا: يا رسول الله ما الغيبة؟ قال: «ذكرك أخاك بما يكره» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»^(٢). ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

(١) أخرجه أبو داود وأحمد من حديث أبي هريرة الأسلمي.

(٢) أخرجه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه.



١٤ - هل رأيت إنساناً منكباً على أخيه يقطع لحمه ويأكله؟! تلك هي صورة مغتابٍ باسطٍ لسانه على أعراض إخوانه المؤمنين ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَانْفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

١٥ - هل جرَّب المغتاب مرَّةً أن يأكل لحم كلب! هو يأكل كل يوم أسوأ من هذا ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَانْفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾﴾.

١٦ - حينما يغتاب مؤمناً يصنع له شيئاً جميلاً! فيهب المغتاب عمرته وصلاته وصيامه وصدقته لمن اغتابه، هكذا سيكون الجزاء غداً، فترقق بعملك الصالح أن يضيع سدى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَانْفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾.

١٧ - الألسن التي تخوض في أعراض المؤمنين لا تصلح أن تحمل فضيلةً في واقعها ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.

١٨ - لا يمكن أن تجد والفاً في أعراض المسلمين يستطيع أن يحمل معك همماً من همومهم ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.

١٩ - من دنس لسانه بعرض أخيه يصعب عليه أن يعينه في مواقف الحياة ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.

٢٠ - لو لم يرد في سيرتك بعد موتك إلا أنك كنت عفيف اللسان عن أعراض المسلمين لكان كافياً في تزكيتك وتعظيم شأنك ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.

٢١ - تعلم أن تكون إيجابياً لا ترى عينك إلا جميلاً، ولا يقول لسانك إلا صالحاً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا يَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَانْفِقُوا إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

٢٢ - الأصل من وجود هذا الإنسان التعارف لإقامة دين الله تعالى في واقع الأرض ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾.

٢٣ - استثمر أي لقاء أو حدث أو اجتماع في تحقيق هذه الغاية التي نبهك الله تعالى عليها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾.

٢٤ - لتعارفوا وتتواصلوا وتجتمعوا على كل برٍّ وخيرٍ ومعروفٍ، وتوسّعوا من ساحات دين الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾.

٢٥ - ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ﴾ قاعدة شرعية كبرى! المفاضلة بين الخلق على أساس التقوى، لا على الشكل والصورة والجسد.

٢٦ - ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ﴾ أبيض أو أسود، فقير أو غني، رجل أو امرأة، كبير أو صغير، قبلي أو غير قبلي، من دولتك وجماعتك وحزبك وأنصارك، أو ليس من دولتك وقبيلتك وجماعتك وحزبك وأنصارك.



٢٧ - لا تقل شيئاً أو تزكّي نفسك به، وأنت غير مؤهلٍ لحمل أثقاله ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾.

٢٨ - الإيمان الحقيقي كلمة ومعنى، وشعور وحركة، وعمل وجهاد ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾.

٢٩ - هذه أحوال الإيمان وأثقاله؛ فمن حملها فليعلن عن إيمانه بجلاء ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾.

٣٠ - كأن من شروط الإيمان أن تحمل سراجاً تبّدد به الظلام، وناقوساً تدقّ به في آذان الغافلين ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾.

٣١ - دينك إذا لم يحركك، ويشغل همومك بالإصلاح، ويشير مشاعرك على واقع الأمة؛ فليس بدينٍ صالحٍ للفرح ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾.

٣٢ - ربك لا يحتاج أن تخبره بصلاح قلبك ومباهج إيمانك وواقعك! إنه يرى كل شيء ﴿قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٦).

٣٣ - مهما وصفت نفسك؛ فالله تعالى أعرف منك بالحقائق ﴿قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٦).

٣٤ - المنة لله تعالى بإسلامك، وإيمانك، وهدايتك، ليس لك من ذلك شيء ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَكُمُ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٧).

٣٥ - لا يصدّتك الكبر فترى في نفسك ما يستحق الفرح؛ لأنك صانعه! الله تعالى وحده هو الذي أبهجك وأسعدك ومنّ عليك بذلك فلا تغتر! ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَكُمُ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٧).

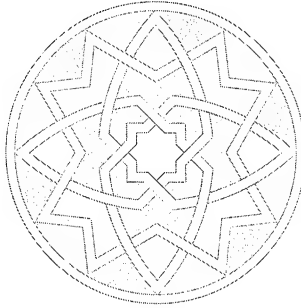
٣٦ - لا تمنّ على ربك بصلاتك وصيامك في أيام الحر، وقيامك في الليل وكثرة قراءة كتابه تعالى، ودعوتك وإصلاحك ونجاحك! كل ذلك منه سبحانه، لولاه ما كنت شيئاً ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَكُمُ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٧).

٣٧ - ربّ وضعك، وأدر شأنك؛ فالله تعالى يعلم كل شيء ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨).

٣٨ - حتى تفاصيل نيتك وسيرتك يعلمها، ويعلم كل تفاصيلها الدقيقة فتمهّل! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨).



٣٩ - حين تقف بين يدي ربك مصلياً، أو تبقى في غرفتك خالياً، أو تسافر في ديار غربة وحدك، أو تبقى وجهاً لوجه مع قناة فضائية أو غيرها! فتيقن أن الله تعالى يراك ويرقبك، ويعرف أدق التفاصيل عنك ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨).





- سورة لقمان ٥
- سورة السجدة ٣٥
- سورة الأحزاب ٥٠
- سورة سبأ ١١٣
- سورة فاطر ١٤٧
- سورة يـس ١٨٣
- سورة الصافات ٢١٥
- سورة ص ٢٦٢
- سورة الزمر ٢٩٧
- سورة غافر ٣٥١
- سورة فصلت ٤١٥
- سورة الشورى ٤٥٧
- سورة الزخرف ٤٩٦



- سورة الدخان ٥٣٥
- سورة الجاثية ٥٥٢
- سورة الأحقاف ٥٧٣
- سورة محمد ٥٩٨
- سورة الفتح ٦٢٩
- سورة الحجرات ٦٦٠
- المحتويات ٦٨٥

